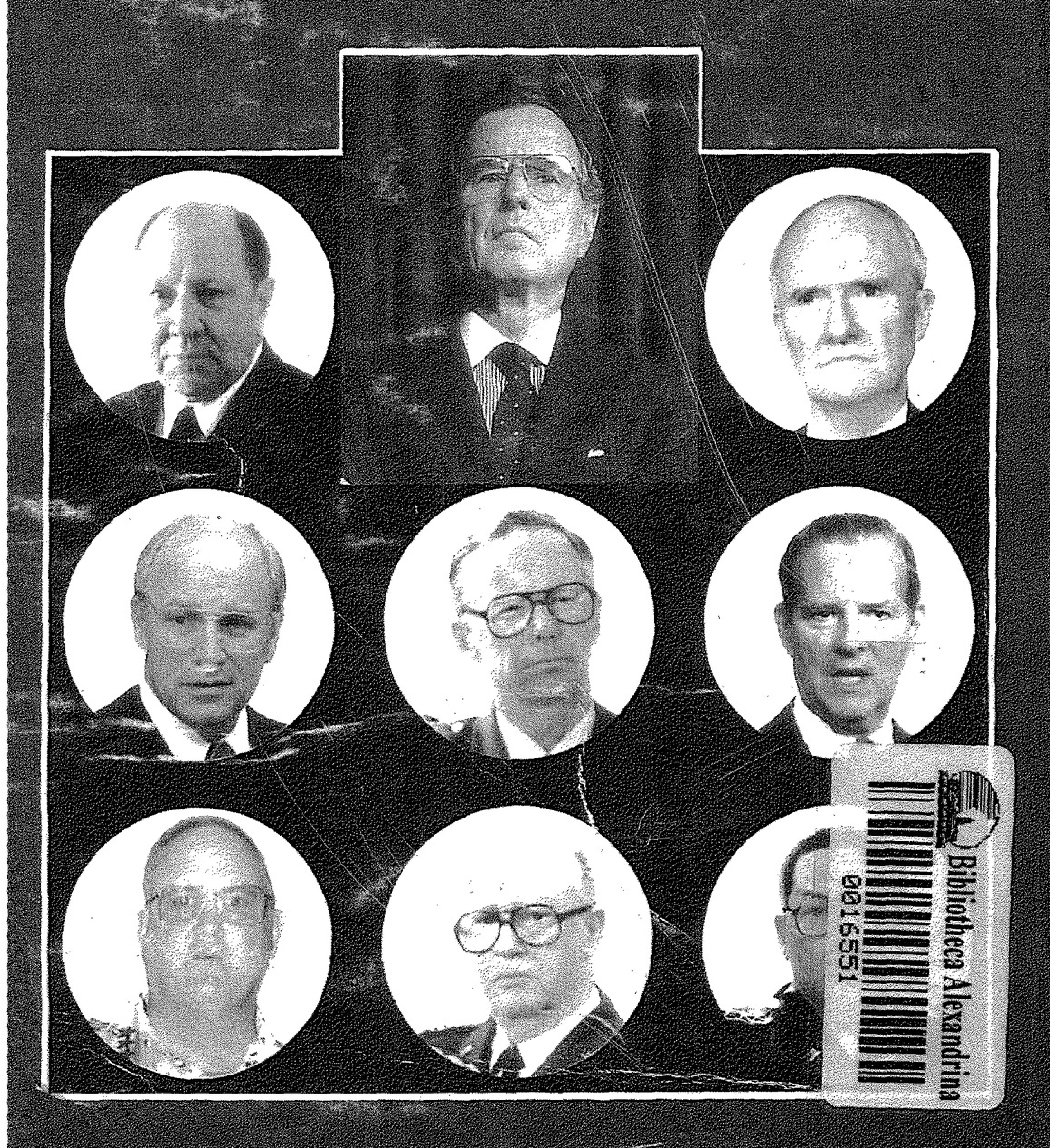
القادة

بوب ودوورد
ترجمة: محمد مستجير



مكتبة مدبولي

القــــــادة

أســاليب إتخــاذ القــرار العســكرى
وطــريقة ترشيح وإختيار القــادة

بقــــلم
بُـوب وُد وُورد

ترجمــــة
محمـــــــد مستجير

١٩٩٢
مكتبة مدبولى

هذه ترجمة كتاب

BOB WOODWARD

THE COMMANDERS

SAIMON & SCHUSTER

كلمة إلى القارىء

يعرض هذا الكتاب عملية إتخاذ القرار العسكرى الأمريكى فى ٨٠٠ يوم ، من ٨ نوفمبر ١٩٨٨ حين أنتخب جورج بوش رئيسا حتى ١٦ يناير ١٩٩١ عند بدء حرب الخليج الفارسى.

وقد كانت خطتى فى البداية هى التركيز على القيادة العسكرية والمدنية للبنتاجون – مقر واحدة من أكبر منشآت العالم وهى مؤسسة الدفاع الأمريكية الحديثة . وقد عملت فى البنتاجون مدة عام ، فى ١٩٦٩ – ١٩٧٠ كملازم بحرى فى السادسة والعشرين من عمره . وقليلون هم الذين يمكن أن يعملوا فى هذا المبنى الفريد ذى الخمسة جوانب – بما يضمه من موظفين يبلغون ثلاثة وعشرين ألفا ، وتيه طوابقه وممراته وحلقاته ومكاتبه – أو حتى يزوروه كسياح دون أن يعجبوا كيف يتشابك كله معاً .

وبعد ثمانية عشر عاماً كنت لا أزال أتطلع فى فضول .

وكان بحثى فى البداية يركز على البنتاجون فى ظل بوش ، لكننى أجريت أحاديث مستفيضة مع وزراء دفاع سابقين ، ومع موظفين كبار سابقين يمتدون حتى إدارة كينيدى . وكانت النهاية سريعة الإقتراب للحرب الباردة توحى بأن الزمن سيكون هادئاً بالنسبة للعسكريين ، وما يتيح لى الفرصة لأن أحاول فهم التعقيدات الخفية لوزارة الدفاع .

لكن غزو بنما فى ديسمبر ١٩٨٩ ، وأهم منه أزمة الخليج فى ١٩٩٠ ،

غيّرا هذا كله ، فالعسكريون لن يلعبوا دوراً أقل فى العالم الجديد كما توقع البعض بل يتحركون إلى قلب المسرح . وسمحت لى هاتان العمليتان بأن أدرس إتخاذ القرار العسكرى بعد فيتنام وبعد الحرب الباردة في الممارسة . وبعد عملية بنما القصيرة أمضيت شهوراً أضم معاً أجزاء الصورة عن الإجتماعات ونقاط القرارات التى قادت إليها . ومنذ غزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ ركزت على تطور أزمة الخليج الفارسى ، وقرار الحرب ضد صدام حسين .

وجاءت كل المعلومات تقريباً من أحاديث مع أناس شاركوا مباشرة فى القرارات . وقد أجريت أحاديث مع أكثر من ٤٠٠ شخص طيلة ٢٧ شهراً . وكانت مصادرى الرئيسية هم مسئولو الإدارة والبنتاجون ، من المدنيين والعسكريين على السواء . ولم أجر حديثاً مع الرئيس بوش . وقد تحدثت مع كثير من المشاركين الرئيسيين مراراً ، وبعضهم على أساس منتظم مع تكشف الأحداث ، وتحادثت مع بعضهم عشرات المرات ، بل لقد أجريت أحاديث مع أحد المصادر الهامة ٤٠ مرة ، بعضها فى مكالمة هاتفية سريعة لمدة أربع دقائق أثناء أزمة ما ، وبعضها الآخر محادثات مستفيضة لمدة ساعة . وسمحت لى كثير من المصادر الهامة بتسجيل محادثاتنا ، حتى يمكن سرد أقوالها بصورة أكمل مما لو اعتمدت على ملاحظاتى المدونة وحدها . ومكنتنى بعض المصادر من الاطلاع على الوثائق والمذكرات والملاحظات التى دونت فى حينها بخط اليد والجداول الزمنية .

وجاءت الأستشهادات المباشرة من الإجتماعات والمحادثات من أحد المشاركين فيها على الأقل ، ممن يتذكرها بشكل محدد أو دوّن ملاحظاته . ولم أستخدم علامات الإستشهاد حين لم تكن المصادر واثقة من العبارات الدقيقة .

أما الأفكار والمعتقدات والاستنتاجات المنسوبة الى أحد المصادر فهى تأتى من هذا الفرد ، أو من مصدر عرفها مباشرة من هذا الشخص . كما استخدمت

ملاحظات المشتركين المدونة فى بعض الأحيان لعرض موقفهم الشخصى من الأحداث .

وقد حاولت حيثما أمكن أن أستخدم اللغة التى أستخدمها المشتركون أنفسهم فى عرض الإجتماعات والمواقف والإنفعالات .

وغالبا ما كنت أتحدث مع المشاركين فى غضون ساعات أو أيام قليلة من الأحداث التى لعبوا فيها دوراً . وفى بعض الحالات تحدثت مع المصادر بعد الحدث مباشرة ، ثم بعد عدة أسابيع أو شهور ، لكى أكتشف أنهم عند الاسترجاع قد غيروا جزئيا – وأحيانا على النحو الذى يريحهم – روايتهم الأصلية ووجدت بشكل عام أن العروض التى تقدم بعد الحدث مباشرة هى الأكثر ثقة .

ومن المستحيل أن تعيد صياغة المحادثات والإجتماعات بصورة كاملة ، وقد بذلت كل جهد لكى أعرض التصريحات بالترتيب الذى قالوا انها جرت به ، ولكى أعيد خلق الطريقة التى سارت بها المناقشة بأقرب ما يمكن من الدقة . ويتمتع كثير من مصادر هذا الكتاب بخبرة عقود من المناقشات السياسية ، والتدريب على تذكر التفاصيل . ورغم هذا فقد راجعت عروض المصادر مرة بعد الأخرى أمام بعضها بعضاً .

ولم أحدد المصادر فى نصى ، فقد أجريت كل الأحاديث تقريباً فى ظل القواعد الصحفية عن " سرية المصادر " ، مما يعنى أن تقدم المصادر المعلومات على أن يكون مفهوما أنها لن تحدد بالإسم أو بالمنصب .

ويقع هذا الكتاب فى منتصف المسافة بين العمل الصحفى والتأريخ ، فالصحيفة اليومية تقص **ما** حدث ، لكنها نادراً ما تجيب اجابة كاملة على سؤالى **لماذا** و **كيف** اللذين يدخلان تقليدياً فى اختصاص المؤرخ . ورغم أن الكتاب يحاول أن يقدم تفسيراً أكمل مما تستطيعه الصحافة اليومية فانه لا يتسم ببعد

التاريخ عن الأحداث ، بل يتطلع الى أن يكون لقطة مركزة قريبة عن الأحداث المعاصرة .

وكلما زاد ما أعرفه عن الجيش خلال هذا المشروع زاد وضوحاً لى أن البنتاجون ليس دائما مركز إتخاذ القرار العسكرى . ويمكن لكبار المسئولين المدنيين والعسكريين فى هذا المبنى – وبالأخص وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان المشتركة – أن يكون لهم دوراً كبير – وأحيانا غالب – فى العملية حين تكون أنظار البيت الأبيض متجهة الى مكان آخر.

وكان هذا هو الوضع عموما فى الشهور التي سبقت عملية بنما ، وان كان الرئيس – باعتباره القائد الأعلى هو الذى إتخذ فى النهاية قرار الغزو .

لكن أزمة الخليج الفارسى كانت مختلفة ، فقد كرس الرئيس بوش وعاملوه فى البيت الأبيض اهتماما كبيرا لها منذ البداية ، وأداروا الأزمة من شارع بنسلفانيا ، وحين يشترك الرئيس ومستشاروه فانهم هم الذين يديرون العرض .

ومن ثم فان هذا ليس كتابا عن البنتاجون ، وان كان المبنى والعسكريون يلعبون أدوارا رئيسية فيه وليس هذا الكتاب عن معظم الأشياء التى يقوم بها العسكريون ، فهو ليس عن شراء الأسلحة ، أو معارك ميزانية الدفاع ، أو التجنيد أو التدريب أو المناورات العسكرية الميدانية . وهى لايمس – الا باستثناءات نادرة وموجزة – الطريقة التى خاض بها الجيش فعلا حروب السنوات القليلة الأخيرة . وهو لن يأخذك فى طائرات الهليوكبتر الهابطة فى مدينة بنما ، ولا الى معارك الدبابات الصحراوية فى العراق والكويت .

وانما هو فى المقام الأول كتاب عن كيف تقرر الولايات المتحدة خوض حروبها قبل أن ينطلق الرصاص . والمسرح الرئيسى هو واشنطون ، والفعل الرئيسى هو الدفع والجذب بين اللاعبين الأطراف فى عملية اتخاذ القرار ، سواء

داخل البنتاجون أو خارجه .

وإتخاذ القرار على أعلى مستويات الحكومة الوطنية تفاعل انسانى معقد . والقصة الداخلية للحكومة تحوى محادثات وحججا واجتماعات ومكالمات هاتفية ومواقفا شخصية وخلفيات وعلاقات . وهذه القصة الإنسانية هى قلب الكتاب .

وهناك دائما قدر من الغموض التاريخى حول أحداث مثل بنما أو حرب الخليج ، فالمسئولون الحكوميون بطبيعتهم متحفظون فى تقديم المعلومات ، وغالبا ما لا يكونوا أبرياء تماما وأنا أكتب هذه الكلمات وحروب الخليج تقترب من نهايتها . أدرك أن هناك الكثير الذى لا أعرفه . لكن الرئيس بوش ومستشاروه المقربون قد اتخذوا خلال العامين الأولين من إدارته سلسلة هامة وحاسمة أحيانا – من الخيارات بشأن الجيش . وتستحق هذه الخيارات ، وتلك العملية بحثا دءوبا حتى فى هذا الوقت المبكر .

ان قرار دخول الحرب قرار يحدد صورة الأمة سواء أمام العالم أو – وربما كان هذا هو الأكثر أهمية – أمام نفسها ، فما من شيىء أكثر خطورة أمام حكومة وطنية ، وما من مقياس أكثر دقة للقيادة الوطنية.

بوب وودوارد ، ١٤ مارس ١٩٩١

تـوطـئة

هرع الأميرال ويليم ج . كراو – رئيس هيئة الأركان المشتركة المتقاعد عابراً بوابات الأمن عند مدخل البنتاجون أمام النهر فى ساعة مبكرة من بعد ظهر يوم الخميس ٢٧ نوفمبر ١٩٩٠ . كان قد تأخر عن موعد خاص لتناول الغداء مع خليفته الجنرال كولين ل. باول وما أن دخل كراو – ذو الخمسة والستين عاماً – المبنى حتى أحس بجو البنتاجون المقبض المألوف – الكولونيلات يندفعون باحساس بأهميتهم حول الدائرة E، أى الممر الخارجى . ودار نجلده أنه مبنى يضفى على العاملين به مظهر المشغولين دوماً .

وأتجه الى اليمين وانسل من أول باب ، الغرفة SE878 ، مكتب رئيس الأركان ومر من منطقة الإستقبال ، ودخل الغرفة التى عمل فيها أربع سنوات الى أن حل باول محله قبل ١٤ شهراً .

وكان باول ذو الثلاثة والخمسين عاما هو أصغر رئيس أركان فى التاريخ الأمريكى وأول أسود يشغل هذا المنصب ، وهو عادة ما يشع حوله أحساساً بالنشاط والطاقة لكنه كان يبدو اليوم متعبا .

كان الجنرال قد غير ديكور الغرفة ، والنوافذ الجديدة تطل على مشهد رائع عبر نهر بوتوماك حتى النصب التذكارية الوطنية وعلى أرض الغرفة سجادة فاخرة ذات لون أزرق داكن ، وبها أريكة مريحة ومقعد يتمشى معها مبطن بنسيج قرمزى محلى برسوم رقيقة .

واذ هما يجلسان أمام مائدة عتيقة صغيرة مخصصة للغداء قال باول مازحا انه يود لو لم يكن قد قبل هذه الوظيفة أبدا ، وسأله لماذا لم تحذرنى ؟

وكان كراو يعرف أنه لا يعنى ما يقوله اطلاقا ، فقد كانت هذه هى الشكوى التقليدية المكشوفة لرجل يحب أن يكون فى القمة .

وأخذ مضيف من مقصف الرئيس يرتدى سترة صفراء فاتحة طلباتهما وإختار الإثنان غداء خفيفا .

كان باول قد أشرف فى الشهور الأربعة السابقة على أكبر عملية انتشار عسكرى أمريكى منذ فيتنام ، وكان نحو ٢٣٠٠٠٠ جندى أمريكى – من الرجال والنساء – قد أرسلوا بالفعل إلى الخليج الفارسى كجزء من عملية درع الصحراء عقب غزو العراق للكويت واستلائه عليها . وقبل ثلاثة أسابيع كان الرئيس بوش قد أعلن قراره بأن يضاعف تقريبا هذه القوات ، لكى يتيح لنفسه خيار استخدام القوة الهجومية لطرد العراق من الكويت . وأثار القرار جدالا عنيفا ، وبدا الاجماع الوطنى الذى كان يساند بوش وكأنه يهتز.

كان باول قد قال حين اتصل بكراو فى الأسبوع السابق ليدعوه لتناول الغداء "سمعت أنك ستدلى بشهادتك" . وكان كراو قد وافق على الادلاء بشهادة عامة عن أزمة الخليج أمام لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ ، التى يرأسها سام نون عضو مجلس الشيوخ الديمقراطى عن جيورجيا .

ورغم أن نون قد أيد نشر بوش الأول للقوات دفاعا عن العربية السعودية ضد العراق فقد انتقد علنا قرار خلق قدرة عسكرية هجومية . وكان يطالب بمعرفة كيف حدد بوش أن من مصلحة الولايات المتحدة الحيوية تحرير الكويت ، وفيم العجلة ؟ ولماذا لا نعطى لعقوبات الأمم المتحدة الإقتصادية – التى لم يسبق لها مثيل ، والتى أوقفت التجارة بين العراق ومعظم بلدان العالم – الفرصة لأن تؤتى

ثمارها ؟

وقص كراو كيف أنه كان يطوف بأنحاء البلاد ليلقى خطابات ، وسمع شكوكا قوية تثار حول ما اذا كان تحرير الكويت يستحق خوض حرب ، وأن هناك قلقا شديدا في البلاد حول آفاق الحرب ومدتها وأهدافها وضرورتها .

وأسـّـر اليه باول .. نعم لقد تبينت الأمر نفسه.

وتنبهت حاسة الحذر عند كراو . لقد شاهد باول يعمل عن كثب طيلة سنوات ، وخاصة منذ ١٩٨٨ حين كان باول مستشار الأمن القومى أيام ريجان وهو يرى أن باول يميل إلى أن يقرأ الناس ، ويقول لهم بطريقة بالغة العمومية والتحفظ ما يعتقد أنهم يريدون أن يسمعوه.

ورغم تصريحات الرئيس بأنه لا يريد الحرب فقد كان كراو يشعر بأنه شديد التلهف على الزّج بمئات الآلاف من القوات فى القتال ، ومن بين هؤلاء ابن كراو ، بلاك ، وهو ضابط فى مشاة البحرية يقود سرية من ٢٠٠ رجل فى صحراء العربية السعودية.

وقال كراو "ان ما سأقوله لن يرضى الجميع" . ولم يكن يريد أن يقدم عرضا كاملا لشهادته ، ولهذا تمنع فى الادلاء لباول بتفاصيلها .

وشعر باول بهذا التحفظ.

وقال كراو انه يعجب للاندفاع البادى نحو الحرب "فالجميع نافدو الصدر" . والبعض يعتقد على ما يبدو أن الجيش الأمريكى قد درب جنوده على القتال والنيران المعادية وليس على الصبر والأنتظار .

إن الصبر قد أتى ثمارا جيدة فى الحرب الباردة ، وسيعد الإنتظار على الإتحاد السوفيتي طيلة ٤٠ عاما واحدا من أكبر إنتصارات عصرنا ، فلماذا لا

نفكر فى الأجل الطويل ؟ وأضاف ان حربا فى الشرق الأوسط – وقتل آلاف العرب أيا كان الهدف النبيل – سيسبب نكسة للولايات المتحدة في المنطقة لفترة طويلة ، وذلك فضلا عن الأمريكيين الذين قد يموتون ، فالحرب شيء قذر وغير مؤكد .

ولم يبد باول موافقته أو عدم موافقته ، بل كان يصغى ويومئ برأسه ، ويبدو وكأنه يشجع كراو على مواصلة حديثة.

وشعر كراو وهو يتحدث بأن باول يحاول أن يستدرجه ، لكى يعرف شيئا.

وكان كراو يريد أن يوجه بدوره أسئلة تهمه ، فسأل ما موقف تشينى من ذلك ؟ وكان ديك تشينى وزير الدفاع هو رئيس باول المباشر.

وأجاب باول "لا علم لى"

فسأله كراو مخفضا صوته .. .. ما معنى ذلك ؟

أجاب باول " انه كما تعلم يخفى أوراقه جيداً ...

والحق أن كراو كان يعرف ذلك ، فقد توافقت شهوره الستة الأخيرة كرئيس للأركان مع شهور تشينى الستة الأولى كوزير للدفاع ، وقد رأى بنفسه مدى تحفظ تشينى فى العادة.

قال باول أن تشينى يعود من البيت الأبيض ولا يقول شيئا ، فهو كعضو فى الحكومة يحضر اجتماعات مع بوش غير اجتماعات مجلس الأمن القومى الرسمية التى يحضرها باول.

ودار بخلد كراو ،، تصور أن رئيس هيئة الأركان المشتركة لا يعرف ما موقف وزير الدفاع من أهم قرار عسكرى وسياسى خارجى فى يومنا ، بل ربما فى العقود القليلة الأخيرة.

وسأل كراو وما موقفك أنت من نشر القوات.

أجاب باول " لقد كنت أؤيد استراتيجية الاحتواء ... لكنها ليست رائجة هنا ولا هناك ، وأشار عبر النافذة إلى الشمال فيما وراء النهر.

وكراو يعرف هذه الأيماءة جيدا ، فالأوامر والقرارات السياسية التى توجه حياة رئيس الأركان تأتى من هناك ، "فعبر النهر" تعنى البيت الأبيض.

وبالنسبة لرجل عسكرى مثل كراو يعنى " الاحتواء" معنى محددا – الوقوف بحزم لمقاومة أي تقدم آخر للخصم. وهو يعنى فى هذه الحالة الابقاء على العقوبات الإقتصادية والضغوط الدبلوماسية على الرئيس صدام حسين – دون مهاجمته – على أمل أن يضطر فى النهاية إلى الإنسحاب من الكويت. وهذا شيء يختلف تماماً عن قرار الرئيس بوش. بمضاعفة القوات لتوفير الخيار الهجومى.

وقال باول أنه حاول أن يثنى الإدارة ويخفف أى حماس للحرب.

وأدرك كراو المشكلة ، ولم يجسر على أن يسأل عما إذا كان باول قد عرض حججة صراحة على الرئيس . كانت إدارة بوش تصور نفسها أمام الجمهور كفريق سعيد يسير متحدا . وإذا كان باول صادقا فإنه يختلف مع بوش إلى درجة ما ، وقد يكون فى براثن مأزق أدبى حقيقى . فالقانون يحدد أن رئيس الأركان هو " المستشار العسكرى الرئيسى" للرئيس ولوزير الدفاع ومجلس الأمن القومى. ويقضى بأن على رئيس الأركان عند تقديم مشورته للرئيس أن "يعرض دائرة المشورة والآراء العسكرية المتعلقة بهذا الأمر بالطريقة التى يراها مناسبة".

وحسب فهم كراو للقانون فإن رئيس الأركان يلتزم – على الأقل فى القضايا الرئيسية – بأن يعرض على الرئيس آراءه كاملة وبأمانه. فهل أخبر باول بوش بما يراه عن الاحتواء ؟ وهل يمكن لبوش أن يسمح برئيس أركان يختلف إختلافا

أساسيا مع سياسة الإدارة ؟ كان كراو يعرف من الشهور التسعة التى قضاها فى ظل إدارة بوش وسواسها عن الإجماع ، والولاء للرئيس ومواقفه. فما هو مفهوم باول عن واجبه ووظيفته كرئيس للأركان.

أن كراو يؤمن بأن على رئيس الأركان أن يقدم أكثر من مجرد المشورة العسكرية ، فاقتصار مستشار للرئيس – حتى ان كان المستشار العسكرى الرئيسى – على الحديث فى إجتماعات البيت الأبيض عما هو عسكرى أسلوب عقيم. فاولئك الذين يختلفون معه يمكن أن يقولوا للرئيس : إنها مجرد مشورة عسكرية. أما حين يدرج التوصيات السياسية والدبلوماسية والإقتصادية فإن هذا ما يجب أن تقوم به.

كلا .. أن على باول أن يقدم مشورته السياسية الشاملة ، فإن هى رفضت فإنه يستطيع عندئذ الاختيار بين أن يستقيل أو يبقى ويتقبل القرار. وما من طريقة للف على تقديم المشورة المباشرة والواضحة.

وقدلاحظ كراو حيلة مشتركة فى إجتماعات البيت الأبيض فى ظل ريجان وبوش يستخدمها بعض المسئولين كتدبير وسط ، فهم يقولون أن ثمة خياراً معيناً ينبغى أن يناقش ويدرس حتى يكون الجدال كاملا. وكانت تلك طريقة لكى تضع فكرة ما على المائدة دون أن تتعرض لمتاعب. وفى رأى كراو أن هذا نوع من التهرب. فعلى مستشار الرئيس أن يكون على إستعداد لأن يضع مكانته الشخصية فى الميزان ويقول هذا هو إستنتاجى الشامل ، فالمشورة دون الأساس الذى تستند اليه لا تعنى الكثير. ويرى كراو ان هذا الأمر يحمّل المستشارين بالكثير ، لكن هذا ما يتقاضون أجورهم من أجله.

لم تكن لديه فكرة عما فعله باول ، وشعر بأن هذا ليس المكان ولا اللحظة المناسبة لسؤاله ، لكنه فى الحق يود أن يعتقد أن باول قد عرض أفكاره كاملة. ولم

يسبق أن شعر بمثل هذا التعاطف تجاه باول ، أو علق عليه مثل هذا الأمل.

قال كراو " أتصور أن هناك أمرين يلزمان لكى يكون المدير رئيساً عظيماً ، وينبغى لى أن أخبرك بهما لأنك قد تصبح رئيسا ذات يوم ".

قال باول بإصرار " كلا .. كلا " ونحى جانبا هذه الاشارة إلى مستقبله السياسى – وهو موضع تكهنات لا تنتهى فى وسائل الإعلام.

قال كراو " نعم انك قد تصبح ، وأريد أن أقولهما لك . أولا لكى تكون رئيسا عظيماً ينبغى أن توجد حرب ، فقد كانت لكل الرؤساء العظام حروبهم ".

واعترف باول ضاحكاً بصدق هذه العبارة.

" وثانيا عليك أن تجد حربا تكون أنت الذى هوجمت فيها "

وأومأ باول برأسه موافقا.

ورأى كراو أن باول قد فهمه.

وحين انتهيا من طعامهما شكر كراو باول على الغداء وخرج. وتبين له أن باول لم يبذل أدنى محاولة لاقناعه بأن السياسة الجارية عن تطوير الخيار العسكرى الهجومى سياسة صحيحة. إنه لم يدافع عن موقف الإدارة.

وفيما بعد أطال كراو التفكير فى مأزق باول المحتمل. وتذكر أنه هو نفسه ظل رئيسا للأركان طيلة عام قبل أن تتكشف أمامه أسرار الوظيفة. فحين يقتنع رئيس الأركان بأنه على حق فان عليه أن يواجه الرئيس .. وقد جاءت فرصة كراو بعد إجتماع قمة ريجان وجورباتشوف فى ريكياڤيك بأيسلندا فى ١٩٨٦ حين اقترح ريجان تصفية كل الصواريخ الباتسنية . وتعرض كراو لضغط شديد لكى يقر الخطة ، لكنه توجه إلى إجتماع مجلس الأمن القومى وقال انه لا يستطيع أن يوافق لأن اقتراح ريجان " سيعرض أمن الأمة لأخطار كبيرة " وبعد ذلك كانت

حلقة ريجان الداخلية توليه أذناً صاغية ، لقد كسب الاحترام.

والحقيقة البسيطة هى أن رئيس الأركان لا يستطيع أن يكون لاعبا ما لم يختلف من وقت إلى آخر مع البيت الأبيض ويكافحه. وفى هذا قدر من المخاطرة ، ولكن أحيانا ما تكون أفضل الخيارات هى أخطرها. وقد تحالف فى ١٩٨٧ مع قرينه السوفيتى ، المارشال سيرچى آخرومييف رئيس هيئة الأركان السوفيتية. ورغم أن كراو وآخرومييف كانا قائدى أكبر خصمين عسكريين فى العالم فقد تقاربا شخصيا ، فقد كان كلاهما يؤمن بأن من السهل جدا على الساسة أن يدعا سوء فهم يلقى الدولتين العظميين على حافة حرب نووية ، واتفقا على أن هذا سيكون انتحارا ، وأن عليهما أن يبذلا كل ما يستطيعان من أجل تجنبه ، وأقاما قناة إتصال خاصة سرية ، بحيث يكون مفهوما أن على كل منهما أن يتصل بالآخر إذا رآه يقوم بعمل معاد أو خطر أو مشوش يمكن أن يقود إلى الحرب.

وكان كراو يعرف أن من المخاطرة أن يدخل رئيس هيئة الأركان المشتركة فى مثل هذا الإتفاق دون أن يوضح الموقف مع الإدارة. لكن الأمر كان يستحق المخاطرة ، وبعد عامين وقع العسكريان اتفاقا يضفى المشروعية الفعلية على الإتصالات العسكرية لتجنب الحرب.

* * *

بعد الغداء استخلص باول إن إدارة بوش ستتعرض لهزة خفيفة من شهادة كراو فى اليوم التالى. وهو عادة يعتبر تأملات كراو عميقة لكنها كثيرا ما تكون مجردة إلى حد ما. لقد اتخذ كراو موقفا فكريا من رئاسه الأركان . وخلّف لباول هيئة أركان مشتركة تعمل كأنها كتيبة تفكير - مترددة ، أميل إلى الجدال ، وإلى تبادل الأوراق إلى مالا نهاية . وقد أعاد باول صياغتها على شاكلته هو ، محولا اياها إلى هيئة عمل ، تنجز الأشياء فعلا.

وفيما يتعلق بعملية الخليج كان باول قد كف عن دفع استراتيچية الاحتواء ، إن لديه أوامره . ولم يعد الآن يفكر أدنى تفكير فى الاحتواء ، فقد قرر الرئيس دون لبس أن يعزز خيار الهجوم ، وألقى رئيس الأركان بنفسه فى مجال اعداد قوة هجومية فعالة إلى أقصى حد ممكن .

ويذكر باول جيدا الجهود التى بذلها لكى يعرض كل الخيارات فى الخليج الفارسي – بما فى ذلك خيار احتواء العراق – على الرئيس ، وللتأكد من أن كل دائرة الإحتمالات قد درست وكان هذا أمرا شاقا .

وفى الشهر السابق كان قد دون لنفسه بعض الملاحظات التى تؤيد حجج الاحتواء وفى عديد من المرات استخدم عبارة " الخنق " باعتبارها أكثر ايجابية من " الاحتواء " وهى تشير إلى الحصار المحكم الذى فرض على العراق بتفويض الأمم المتحدة ، وكل التدابير المصاحبة الأخرى التى تضيق الخناق على صدام. وأخذ هذه الملاحظات والحجج إلى تشيني – مرتين ، ثم إلى برينت سكاوكروفت مستشار الأمن القومى وإلى چيمس ا. بيكر وزير الخارجية .

وبعد ظهر أحد أيام الجمعة فى أوائل أكتوبر قال له تشينى أخيرا " لماذا لا تأتى معى وسنرى ماذا سيقول الرجل عن هذه الفكرة ". كان لدى تشينى اجتماع خاص مع الرئيس فى المكتب البيضاوى فى ذلك اليوم. وكان هذا هو الوقت المحجوز لأعضاء الحكومة الرئيسيين " الكبار " كما يسميهم باول. ولم يكن هو عادة مدرجا بينهم .

وتوجه تشينى وباول إلى المكتب البيضاوى لرؤية بوش وسكاوكروفت . وكانت الشمس مشرقة ولسبب ما لم يكن الجو مواتيا ، فقد كانت هناك مقاطعات .. كانوا فى مكتب الرئيس ، وشعر باول بأن هذا ليس هو المكان الصحيح لمثل هذه المناقشة ، فقد كان يفضل رسمية غرفة العمليات ، حيث يمكن أن يحتفظ

بوش بتركيزه. أما الجو في المكتب البيضاوى فأكثر استرخاء ، وأكثر مرحا مما يجب – إنهم فتية يجلسون ليثرثروا فى هدوء قبل نهاية الأسبوع.

وكان باول يشعر بأن هذه مشكلة عامة في مثل هذا النوع من الإجتماعات فغالبا مالا يكون لها بداية أو وسط أو نهاية ، إنهم يتقاذفون الكرة ، وأقدامهم فوق المائدة ، وأحذية رعاة البقر تلمع. لقد أعطى باول فرصته ، لكنه كان يشعر أن عرضه لا يسير على نحو جيد كما فى أحاديثه الفردية مع تشينى وبيكر وسكاوكروفت ، ومع ذلك فقد واصل الحديث.

قال باول للرئيس أن هناك طريقين للعمل من أجل تحقيق سياسة إجبار صدام على الخروج من الكويت. الأول هو إعداد القوات لخيار هجومي والثانى هو الاحتواء ، الذى سيستغرق وقتا أطول . ولكن فى كلتا الحالتين يمكن للسياسة أن تنجح.

ومضى يقول للرئيس "ان هناك حجه فى صف الاحتواء أو الخنق ، فإذا لم تكن تريد اجراء مزيد من الاستثمار العسكرى فهذا هو البديل". وأضاف رئيس الأركان أن مستوى القوة اللازم للاحتواء هو المستوى الذى ستصل اليه فى أول ديسمبر ، ٢٣٠٠٠٠ رجل. وسيكون صدام أسيرا تماما ، ويمكن للإحتواء أن يسحقه.

واستطرد باول قائلا "ان لهذا الخيار ميزته ، وسيؤتى ثمرته يوما ما ، قد يستغرق ذلك عاما ، أو قد يستغرق عامين ، لكنه سيؤتى ثماره يوما ما" وحاول أن يتحدث كمدافع ، ويتخذ لهجة المدافع ، ويعززها بحديث جسده ، فجلس على حافة مقعده ، ويداه فى الهواء تؤكدان حججه ، وهو يتحدث بإيمان ، لكنه لم يمض إلى حد أن يقول للرئيس ان الاحتواء هو توصيته الشخصية.

ومن الناحية العسكرية قال باول إنه يستطيع تحمل أى من الخيارين ، خيار

الاحتواء أو خيار الهجوم.

وألقى الآخران – تشيني وسكاوكروفت – قليلاً من الأسئلة. ولم يكن أحد – بما فيهم الرئيس – يرحب بالاحتواء. ولو أن واحدا منهم قد فعل لكان باول على إستعداد لأن يقول أنه يؤيده . لكن أحدا لم يحاول معرفة موقفه ، ولم يسأله أحد عن رأيه الشامل ، وإذا لم يطرح السؤال فإن باول لم يكن على ثقة مما سيكون عليه رده لو كان عليه أن يقدمه دون تأييد من أحد الآخرين.

وأخيراً سأل باول "إلى أين تريد أن تمضى يا سيدى الرئيس ، ففي كل أسبوع يمر أزيد من عملي ، فالمزيد والمزيد من القوات يرحل"

وقال بوش مشيراً إلى الاحتواء "لا أعتقد أن هناك سياسيا فسحة من الوقت لهذه الإستراتيجية".

وفهم باول من هذه العبارة أن الرئيس لم يحسم أمره تماما. شعر بأن الرئيس لم يرفض الاحتواء تماما.

وفيما بعد قال باول أن ضميره مستريح ، لقد عرض الآثار العسكرية لكل خيار ، وهذا كل ما يستطيع أن يفعله .

* * *

الجزء الأول

(١)

من يخلف باول كمستشار للأمن القومي

الأربعاء ٩ نوفمبر ١٩٨٨ . كان باول - وهو عندئذ چنرال ذو ثلاث نجوم ومستشار الرئيس ريجان للأمن القومى - يسير بخطوات رشيقة على طول إحدى الردهات الضيقة المغطاة بالسجاد فى الجناح الغربى من البيت الأبيض ، متجها إلى مكتبه الفسيح عند الركن ، والذى ربما كان ثانى أفخر مكتب فى البيت الأبيض ، ومركزاً عصبياً حل فيه من قبل أمثال هنرى كيسينجر.

كانت الساعة نحو الرابعة بعد الظهر وكان چورچ بوش نائب الرئيس فى البهو خارج مكتبه الصغير فى الجناح الغربى. وفى اليوم السابق كان بوش قد انتخب رئيساً . وكان حفل صغير فى الحديقة ترحيبا بعودته ثانية إلى البيت الأبيض كرئيس منتخب قد أنتهى لتوه ، وهو يقف فى الممر يحيي ويصافح بحرارة شديدة . ولمح باول من بعيد.

قال بوش "تعال هنا ، أريد أن أحادثك"

فقال باول أن بوش لابد وأنه مشغول.

غير أن بوش أصر قائلا "قل لى ماذا يدور" ، وجذب باول إلى مكتب نائب الرئيس ، كان باول بحكم منصبه ومزاجه مركز معلومات عن الأحداث العالمية ،

وكثيرا ما كان أول شخص فى صفوف البيت الأبيض العليا يعرف آخر الأنباء ، سواء كانت أزمة تتطور أو آخر شائعات فى صفوف الدوائر الخارجية الرفيعة.

وهنأ باول بوش وابتسامة عريضة واثقة تلتمع على شفتيه.

كانت إدارة بوش المقبلة قد أخذت تتشكل بالفعل . وفى ذلك الصباح كان بوش قد أعلن فى هوستون أول تعيين وزارى له ، إذ عين جيم بيكر مدير حملته الإنتخابية وصديقه القديم فى تكساس وزيرا للخارجية . وكان بيكر يعتبر عين بوش على الداخل .

وسـأل بـوش عن باول . ماذا يعتزم أن يفعل ؟ وفى أى مكان يمكن أن يعمل ؟

قال باول "سيدي نائب الرئيس أن لديك الكثير مما يشغلك أكثر منى".

وقدم بوش ثلاثة اقتراحات محددة. هل يود باول أن يبقى مستشارا للأمن القومى طيلة ستة أشهر مثلا إلى أن يحدد ماذا يريد أن يفعل بعد ذلك ؟ أم يفضل منصباً دائما مختلفا فى إدارة بوش ؟ واقترح بوش منصب مدير وكالة المخابرات المركزية ، وهى مهمة تولاها هو نفسه حين كان فى سن باول . أو ما رأيه فى أن يكون الرجل الثانى بعد بيكر فى وزارة الخارجية ، فيشغل منصبا رئيسيا هناك ؟ أن أيا من هاتين الوظيفتين يمكن أن تكون له ، وأضاف بوش أن أوقاتا مثيرة هامة قادمة.

وذكر باول أن الجيش هو مهنته المختارة ، وأن أمامه فرصة للبقاء فيه ، كما أنه يدرس بعض العروض لكى يترك الحكومة ويربح الكثير. وأنه يشعر بالسعادة لعروض بوش وسيدرسها مع غيرها ، فهو – كما لابد وأن بوش يفهم – عند مفترق طرق ، فقد أتاحت له خدمته كمستشار للأمن القومى خيارات كثيرة

وأبدى بوش – وهو من أكثر من تقلب بين المناصب – تفهمه الكامل .

وقال باول ان عليه أن يبحث كثيراً من الأمور ، وسيرد على بوش ، ثم هنأه مرة أخرى .

* * *

كان هناك أمر واضح لباول .. أن عرض البقاء بضعة أشهر فى منصبه ليس سوى مجاملة ، فمعناه الحقيقي هو : لا أريدك أن تكون مستشارى الدائم لشئون الأمن القومي.

وأدرك باول أن عليه أن يجرى تحليلا جادا لآفاقه ، فتناول ورقة وأخذ يدون عليها الأسباب التى تدفعه إلى البقاء فى الحكومة ، والأسباب التى تدفعه لتركها .

وكانت الحجة الوحيدة فى صف ابتعاده عن الخدمة العامة هى المال ، لكن المال لا يهمه كثيرا ، كما أن الطلبات الموجزة التى وزعها . بهدوء فى عالم الأعمال لم تجتذب على أى حال سوى إستجابة ضعيفة.

وكان لابد من وزن العرض برئاسة وكالة المخابرات المركزية وبأن يكون الرجل الثانى فى وزارة الخارجية . وسيكون بمثابة التخفيض أن ينتقل من منصب مستشار الأمن – الذى ينسق كل القضايا الخارجية وقضايا الدفاع – إلى المنصب الثانى فى الخارجية ، المسئول عن إدارة البيروقراطية . كما أن مستشار الأمن أقوى فى كثير من النواحى من مدير وكالة المخابرات المركزية.

وكانت أمام باول مشكلة أخرى ، فهو لا يشعر بالإرتياح الشديد للرجل الذى على وشك أن يصبح رئيساً .

فعلى عكس باول نفسه – الذى كان مستغرقا تماماً فى الإدارة – كان بوش الفتي المدلل فى البيت الأبيض أيام ريجان. ورغم أنه كان أكثر انغماسا من

معظم نواب الرئيس فانه مع ذلك لم يكن لاعبا. ولم تقم بين بوش وباول أى رابطة ولاء. وباول يعرف أن الولاءات الشخصية هى كل شيء فى نظر بوش.

وكان باول يشعر بالأنزعاج كذلك للطريقة التى أديرت بها حملة بوش الأنتخابية. وضايقه بوجه خاص البرنامج التليفزيونى عن ويللى هورتون. وكان هورتون زنجيا ارتكب جريمة قتل من الدرجة الأولى ، وقد حصل على (اجازة) لمدة أسبوع من أحد سجون ماساشوسيتس حين كان ميكائيل دوكاكيس - خصم بوش الديمقراطى - محافظا لها. وأثناء الاجازة طعن هورتون رجلا أبيض ، وأغتصب امرأة بيضاء فى ماريلاند. فهل كان أولئك المحيطون ببوش يعتقدون حقا أن تلك مسألة يمكن أن تستخدم فى الحملة ؟

وبحث باول عن صديقه الحميم ريتشارد ل. آرمتياج المساعد السابق لوزارة الدفاع لشئون الأمن الدولى. وكان آرمتياج الضخم خريج الأكاديمية البحرية فى ١٩٦٧ قد عرف بالطريقة التى أدى بها وظيفته على رأس "وزارة الخارجية" الصغيرة فى البنتاجون.

وفيما بين ١٩٨٣ و ١٩٨٦ كان آرميتاج وباول - الذى كان حينئذ مساعدا عسكريا لكاسبار واينبرجر وزير الدفاع - قد أدارا معا الكثير من شئون الوزارة.

وكلن آرمتياج يعرف أن جاذبية باول وارتجاله يخفيان طموحه وحميته للمنافسة. وقد وافق على أن شبه العرض بالبقاء فى منصب الأمن القومى هو نوع من الأدب. وقال آرمتياج لا تذهب إلى وزارة الخارجية كرجل ثان ، إذ يجب أن تكون أنت الوزير. أما وكالة المخابرات المركزية فليست على صورتك ، فهى متحللة مهدمة.

وأوصاه أرمتياج أن يدع الأمور حتى تتضح.

وكان باول قد حرص على أن يؤمن امكانية عودته إلى الجيش ، فقبل الانتخابات توجه لرؤية صديقه الچنرال كارل ڤونو رئيس أركان الجيش. وكان نونو - الذى يتحكم فى ترقيات الجيش وتعييناته - خريجا لكلية ويست بونيت فى ١٩٥٧ التحق بالجيش قبل عام واحد من التحاق باول ، وهو ضابط بدين مرح ذو عينان سوداوين كأهالى البحر المتوسط ، يعرف باول منذ أن عملا معا كضابطين صغيرين فى البنتاجون قبل ١٧ عاما وباول يعتبر فونو أحد مرشديه.

ورغم أن فونو كان يريد لباول أن يعود إلى الجيش إلا أنه نصحه بأن يفعل ما يشعره - هو وزوجته آلما - بالرضا ، فاذا أراد باول العودة فسيكون هناك مكان له فقد ترك فونو عامدا منصبا شاغرا : الترقية إلى النجمة الرابعة لرئاسة قيادة القوات وهى الاحتياطى الاستراتيچى للبلاد الذى يضم نحو مليون من رجال القوات البرية - معظمهم فى الحرس الوطنى والاحتياطى.

واذا لم تكن هذه وظيفة ساحرة فإنها ستجعل من باول واحدا من رؤساء أركان الحرب العشرة - السينكس كما ينطقونها - للقوات العسكرية الأمريكية والوحدات المقاتلة على نطاق العالم. إنها ، ستضعه فى خط خلافة فونو كرئيس لأركان الجيش.

وقال باول "كارل ... إذا قررت العودة ، فسأفعل ما تريد".

ان باول يعتبر نفسه جنديا فى المقام الأول ، فمنذ ١٩٥٨ قضى السنوات الأربع عشرة الأولى ضابط مشاة.

وحين كان ضابطا صغيرا لم يكن عازما على تكريس نفسه تماما للجيش ، وكانت خطته هى أن يبقى فيه نحو ٢٠ سنة ، ومن ثم يستطيع أن يتقاعد حاصلا على نصف معاش.

وجاء انضمامه إلى الصفوف الحكومية العليا فى ١٩٧٢ ، ففى ذلك العام اختير اللينقنانت كولونيل باول لبرنامج زمالات البيت الأبيض المهيب ، الذى يعطى لشباب رجال الأعمال والمحامين والضباط العسكريين وغيرهم من المهنيين فكرة عن السلطة التنفيذية الاتحادية لمدة عام. وفى ١٩٧٧ أرسل إلى البنتاجون كمساعد عسكرى لنائب وزير الدفاع.

وكانت السنوات الأربع التى قضاها فى هذا المنصب ، ثم السنوات الثلاث التى قضاها مع واينبرجر فرصة لرؤية القيادة العسكرية عن كثب، وتولدت لديه فكرة أن طرازا جديدا أكثر خبرة من كبار الضباط سيكون أكثر فائدة للوزير والرئيس ، فرؤساء هيئة الأركان المشتركة ، قمة السلم العسكرى ، معزولون أكثر مما يجب عن العالم الخارجي ، وغير قادرين – أو ميالين – بالدرجة الكافية على تقدير الجوانب السياسية للقرارات الدفاعية على الرغم من أن السياسة والعلاقات العامة هى الساحة التى يعيش فيها الوزير ، والتى يزدهر فيها أو يفشل.

وقرر باول أن يبقى فى الجيش ، فهو داره ، كما أن الآفاق الأربع نجوم قدرا من السحر الغامض.

وقال فونو حين أبلغه النبأ "لا شىء يسعدنى« أكثر من ذلك ، سنرسلك إلى قيادةالقوات".

كان باول يعرف أنه سيعيش حياة مختلفة هناك فى أتلانتا حيث يوجد مقر قيادة القوات ... لقد شعر خلال عمله كمستشار للأمن بروح المخاطرة ، المخاطرة فى كل كلمة ، وكل توصية ، وكل اختيار ، وكل تصرف ، وكان الرئيس ريجان قد فوض جانبا هائلا من مسئوليته إلى عامليه. ووجد باول أنه لو قال لريجان ألا يشغل باله بشىء فان الرئيس سيكتفى بان يحدق سعيدا من نافذته فى حديقة روز

فكل شيء في يد باول . ورغم أن باول كان يتعاطى دواعين لضغط الدم فقد استمتع بهذه الحياة المخاطرة المتوترة.

وناقش قراره مع كينيث ووبرشتاين رئيس العاملين فى البيت الأبيض أيام ريجان وهو سياسى قدير من بروكلين. وقال باول أنه سيعود جنديا ثانية ، فتلك هى حياته ، وأسرّ اليه بقوله " وسيسعدنى أن أصبح ذات يوم رئيسا لهيئة الأركان المشتركة". كما أن هناك فرصة لأن يغدو قائدا للجيش ، لكن خبرته السياسية فى مكتب واينبرجر وفى البيت الأبيض قد تجعله مؤهلا بدرجة أكبر لرئاسة الأركان.

وتأكد ووبرشتاين من أن الترقية إلى النجمة الرابعة – اللازمة قبل أن يتولى باول قيادة القوات – ستمضى دون تأخير.

وتوجه باول لرؤية بوش ، وشكره على عروضه ، وقال أنه يريد أن ينتقل ، " فليمض القدامى ويأتى الجدد ". انه يعرف القواعد ، فالرئيس الجديد يختار فريقه.

وقبل الرئيس المنتخب قراره دون مناقشة.

كما أخبر باول ريجان أنه يعتزم أن يصبح رئيسا لقيادة القوات.

وسأله ريجان "هذه ترقية .. أليس كذلك ؟ "

"نعم يا سيدى".

"حسناً".

* * *

تلقى برينت سكاوكروفت لينفنانت جنرال الطيران المتقاعد مكالمة هاتفية فى ٢٣ نوفمبر ١٩٨٨ ، اليوم السابق على عيد الشكر ، من صديقه الحميم ر. چيمس وولسى المحامى ووكيل وزارة البحرية السابق. وكان وولسى قد قرأ افتتاحية أخيرة

فى " نيويورك تايمز" تقترح أن يختار بوش سكاوكروفت وزيرا للدفاع.

قال سكاوكروفت " لن يحدث هذا"

وخلال ساعة سمع وولسى فى الراديو أن بوش أعلن مفاجأة اختيار سكاوكروفت مستشارا للأمن القومى بدلا من باول.

وضحك وولسى بينه وبين نفسه. فمن المؤكد أن سكاوكروفت متحفظ ، ربما إلى حد يثير الضيق ، ورغم أنهما قد عملا معا سنوات طويلة فى دراسات حكومية شديدة السرية فضلا عن كثير من المقالات والإقتراحات عن الحد من الأسلحة وسياسة الدفاع ، فإن سكاوكروفت لم يكن ليلمح أدنى تلميح بسر يريد الرئيس عدم افشائه.

لقد ظل سكاوكروفت – هذا الموظف النموذجى الجدير بالثقة والذى يتباعد بنفسه عن الصورة موجودا فى الدهاليز فى دوائر الأمن القومى العليا طيلة عقدين فقد بدأ كنائب مستشار الأمن القومى لهنرى كيسينجر ، وصعد إلي منصب مستشار الأمن فى ظل الرئيس فورد (حين كان بوش مديرا لوكالة المخابرات المركزية) ، ثم عمل فى لجان رئاسية مختلفة ، وكمستشار دولى مرتفع الأجر فى شركة كيسينجر. وهو يميل بطبعه إلى البقاء فى الخلف ، كمرآة ومنفذ لآراء الرئيس.

ان هذا الرجل الأصلع النحيف الذى يبلغ الثالثة والستين الذى تقل قامتة قليلا عن بوش مورمونى يتحاشى المسرح الإجتماعى فى واشنطون، ويكرس نفسه لعمله كأنه كاهن . فعمله هو الشىء الوحيد الذى يثير اهتمامه ، وكانت فكرته عن الترفيه هى حضور ندوة عن الحد من الأسلحة ، وهو موضوع يحبه بكل تفاصيله الغامضة. وقد قضى مرة ساعة ونصف ساعة حكما فى جدال حول عبارة واحدة مقترحة لتقرير للجنة عن الصواريخ الإستراتيجية. وكانت مثل هذه

الأوقات التى يناقش فيها القضايا التى تهمه - والتى يرتفع فيها صوته حتى يكاد يبلغ حد الصراخ وهو يلوح بذراعيه - هى التى تكشف أن ثمة عاطفة حارة تختفى خلف هذا المظهر الشاحب.

وكان المقربون من سكاوكروفت يعرفون أن هناك موضوعا واحدا هو الذى يثير انفعالاته فى السنوات الأخيرة ، فرغم أن لديه كثيرا من الروابط الوثيقة بإدارة ريجان فقد كان فى مجالسه الخاصة ناقدا حادا لسياستها الخارجية والعسكرية ، فقد كان يرى أن الولايات المتحدة قد اتخذت أولا فى ظل ريجان نهجا متشددا ساذجا وأحمقا تجاه الإتحاد السوفيتي ، ثم دارت دورة كاملة واندفعت اندفاعا أعمى بين ذراعى ميخائيل جورباتشوف.

ولم ير سكاوكروفت سياسة متماسكة للإدارة فى مجال الردع النووى وأعتبر اقتراح ريجان فى ريكيافيك فى ١٩٨٦ بتصفية كل الصواريخ البالستية إقتراحاً " مجنوناً" وفى نظره كانت رؤيا الإدارة عن إقامة درع فى الفضاء لحماية الولايات المتحدة من أى هجوم بالصواريخ النووية - أو ما يسمى بمبادرة الدفاع الإستراتيجى - خيالا جامحا ، وهو يعتقد أن فريق ريجان للأمن القومى قد عجز عن تعويض عجز رئيسه ورمانسيته فى مجال الشئون الخارجية.

ولما كانت أختلافات سكاوكروفت مع خط ريجان معروفة جيدا فقد كانت عودته إلى البيت الأبيض كمستشار للأمن القومى إشارة واضحة إلى أن بوش يعتزم أن يشق طريقاً جديداً فى السياسة الدفاعية والخارجية.

(٢)

نهاية الحرب الباردة

صباح ٧ ديسمبر ١٩٨٨ أعلن ميخائيل جورباتشوف فى الأمم المتحدة بمدينة نيويورك أن الاتحاد السوفيتي سيجرى تخفيضات عسكرية من جانب واحد قدرها ٥٠٠٠٠٠ رجل و ١٥٠٠٠ دبابة. كان هذا الإعلان خروجا - فى لهجته وفى جوهره - عن أسلوب العمل السوفيتى التقليدى ، ففيما مضى لم يكن القادة السوفييت ليفكرون فى التخلى عن قدر من قوتهم العسكرية دون تخفيض مقابل من جانب الولايات المتحدة. أما اليوم فإن جورباتشوف - الذى يواجه ضغطاً إقتصاديا داخلياً خطيراً فى سعيه لإصلاح الإتحاد السوفيتى - على إستعداد للقيام بهذه الإيماءة الكبيرة لتعزيز صورته كرجل دولة ونصير للسلام.

وكان رجال جورباتشوف قد ألحوا على عقد إجتماع مع الرئيس ريجان بعد الخطاب. وتولى كولين باول - الذى كان يقضى شهوره الأخيرة كمستشار ريجان للأمن القومى - هذا الطلب بنفسه . وقال للسوفييت أن الولايات المتحدة قد اعتقدت أن الإجتماعات مع جورباتشوف قد انتهت بالنسبة لهذا العام. وإنه على أى حال لا ينبغي أن تكون هناك خدع أو مفاجآت. ووعد السوفييت بأنهم لا يلهون ولا يبحثون عن متاعب وبعد التنسيق مع الجناح الشرقى فى البيت الأبيض (أى مع نانسى ريجان) ومع رجال بوش ، قال باول للسوفييت إن الإجتماع قد أقر ،

لكنه ذكرهم بأنه سيكون إجتماعاً مع الرئيس ريجان ونائب الرئيس بوش. وسيبقى نائب الرئيس فى الخلفية. وقرر الجانبان إقامة غذاء غير رسمى فى جزيرة جوفيرنر بميناء نيويورك.

وبينما كان ريجان يحيى جورباتشوف خرج بوش من القصرالجيورجى ذى السبعة والعشرين غرفة حيث سيتناول القائدان غداءهما ، وسار مرتبكا نحوهما. وحين رأى جورباتشوف الرئيس المنتخب أشرق وجهه مبتسما وأخذ يد بوش اليمنى بين يديه.

وكان مستشارو بوش قد نبهوه إلى أن يبدو متشككا ، متشددا وحتى متباعدا عن القائد السوفيتى قائلين أن جورباتشوف قد (ينشله) ، فالمفاوضات رفيعة المستوى مع السوفييت تتطلب إعدادا وحذراً.

وقبل أن يبدأ إجتماع الغداء توجه ريجان وجورباتشوف إلى غرفة صغيرة ليقفا أمام مصورى الصحف ، وكان باول يقف مع عدد من أقرانه السوفييت حين جاءه الكسندر "ساشا" بمسرتنيخ - النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتية والخبير فى شئون الولايات المتحدة - وقال له "كيف حالك يا كولين. أهنئك على الترقية".

كانت ترقية باول إلى رتبة جنرال بأربعة نجوم قد تقررت فى ذلك اليوم. "ساشا .. هذا لطيف منك . إنه ليدهشنى كيف عرفت النبأ بهذه السرعة. لابد أن يورى [يورى روبنين السفير السوفيتى فى الولايات المتحدة] يرسل تقاريره أسرع مما اعتاد ، أم هل تراك تستخدم جهاز الفاكس الذى ركبتموه".

قال بسمرتنج ضاحكا "كلا" لقد شاهدت النبأ فى السى إن إن".

رد باول " مهلا .. إنكم لم تروا السى إن إن إلا أثناء القمة [قمة موسكو]

فى مايو ... وكانت فى كل الفنادق".

"كلا .. إنها لدينا بشكل دائم ، وهى موجودة فى مكتبى حيث أشاهدها طيلةالنهار".

وقال باول إنه يفعل ذلك أيضا ، وأضاف مازحا أن البلدين يمكن أن يوفرا كثيرا من مصاريف الإتصال والمخابرات بالإعتماد على السى إن إن وحدها.

واستطرد بسمرتنيخ قائلا إنه يتلقى كل يوم جمعة أعداد الأسبوع من صحيفتى "واشنطون بوست" و"نيويورك تايمز" "وآخذها معى إلى البيت حيث أقرؤها طيلة نهاية الأسبوع لأن التقارير التى نتلقاها من مخابراتنا لا توفر لى نظرة كافية على أمريكا ومايريده الأمريكيون وماذا يحرك بلادكم. وهكذا فإن علىّ أن استخدم أشياء مثل السى إن إن وقراءة صحفكم".

وبينما باول وبسمرتنيخ يتحادثان جاء أناتولى دوبرينين - السفير السوفيتى الذى إستبدل حديثاً. بعد أن ظل سفيراً لفترة طويلة فى الولايات المتحدة - وأصغى لحديثهما بإهتمام. وقال مازحا إنه يريد أن يعرف كيف يجد السى إن إن فى موسكو.

* * *

وفى إجتماع الغداء كان يمثل الولايات المتحدة ستة رجال - ريجان وبوش ووزير الخارجية چورج شولتز وباول وكين دوبرشتاين وفرانك كارلوتشى وزير الدفاع ومن جانبه على المائدة - حيث يجلس ستة سوفييت - بدأ جورباتشوف حديثا منفردا لمدة عشر دقائق عن المشاكل التى يواجهها فى برنامجيه الراديكاليين عن إعادة الهيكلية الإقتصادية والإنفتاح السياسى - البيروسترويكا و الجالسنوست الشهيرين - وقال إن البيروقراطية السوفيتية تقاومه عند كل منحنى.

وأجاب ريجان أن البيروقراطيات هى نفسها فى العالم كله ، وأبدى تعاطفه مع شكوى جورباتشوف.

وقال جورباتشوف إن البعض فى الولايات المتحدة يخشون حركتة الإصلاحية.

ورد ريجان بأن استطلاعا أخيراً أجراه البيت الأبيض أوضح أن ٨٥ فى المائة من مواطنى الولايات المتحدة يؤيدون العلاقة الأمريكية - السوفيتية الإيجابية الجديدة.

وقال جورباتشوف " يسعدنى ذلك" فالعلاقة لا يمكن أن تستمر فى جو من الريبة. وأضاف وهو يتطلع نحو بوش "إن سر اللعبة هو الإستمرارية". ولم يبد على نائب الرئيس أى انفعال.

وتحدث جورباتشوف عن الخيول ، وهو موضوع يروق دائما لريجان ، ودارت المناقشة بحرارة.

وأخيراً تكلم بوش "أى تأكيد يمكنك أن تعطيه لى لأنقله إلى رجال الأعمال الأمريكيين الذين يريدون الإستثمار فى الإتحاد السوفيتى على أن البيروسترويكا والجلاسنوست سينجحان ؟".

وتحجرت عينا جورباتشوف حين سمع الترجمة وأجاب "ان يسوع المسيح نفسه لا يعرف الإجابة على هذا السؤال ؟".

وشعر دوبرشتاين بالدهشة لهذه الإجابة الجافة ، فقد بدا جورباتشوف وكأنه لا ينحى جانبا سؤال الرئيس المنتخب فحسب بل بوش نفسه.

ورأى باول أن سؤال بوش غريب ، وبطريقة ما ساذج ، فكأنه كان يطلب من جورباتشوف تأكيداً بأن الأتحاد السوفيتى مكان أمين للرأسمالية الأمريكية أو

لأعمال المتبرعين للحملة الإنتخابية الجمهورية.

وبقى بوش صامتا تقريبا بقية الغداء الطويل ، متخذا موقفا متباعدا وكأنه يقول لن أدعك (تنشلنى). كان الجميع يدركون أن علاقة جورباتشوف - بوش هى أهم علاقة فى الغرفة ... وبدا وكأنها لا تسير حثيثا.

وأخيراً استدار جورباتشوف نحو بوش . وقال الزعيم السوفيتى " دعنى أنتهز هذه الفرصة لأقول لك شيئا. لعل موظفيك قد أخبروك بأن كل ما أفعله إنما هو خدعة. لكنه ليس كذلك. إننى أتبع سياسة واقعية، أن لدى ثورة أعلنتها فى ١٩٨٦. والآن - فى ١٩٨٨ - فإن الشعب السوفيتى لا يحبها . فلا تسىء فهمى يا سيدى نائب الرئيس فإن على إن أتبع سياسة واقعية" .

وانتبه باول للعبارة. كثيرا ما قال لأعوانه ألا يبالغوا فى بحث كل تصريح سوفيتي أو خطاب يأتى من موسكو. لكن لهذه العبارة رنين الصدق ، فليس أمام جورباتشوف والنظام السوفيتى خيار - وحقيقة ثورتهما هى أنه ليس هناك بدائل. كان تصريحاً صدر على السجية .. وقد سمع باول عبارات مماثلة من الزعيم السوفيتى من قبل ، لكنه لم يسمع أبداً عبارة قيلت بمثل هذا الإيمان ، وهذا القطع . وبدت له عبارة مخلصة بالغة الدقة ... وهكذا فبعد هذه السنوات الطويلة ها هى الحرب الباردة تنوب إلى سياسة واقعية.

وبعد ساعتين ونصف ساعة رفع ريجان كأسا من الشاردوناى وقال لجورباتشوف "أود أن أشرب نخب ما أنجزناه ، ما أنجزناه معا ، وما ستنجز أنت ونائب الرئيس بعد العشرين من يناير" .

ووقف جورباتشوف ، ورفع كأسه ، ثم خفضها ، وإستدار إلى بوش قائلا "هذا أول إتفاق بيننا" .

(٣)

فشل بوش فى ترشيح تاور وزيراًللدفاع

فى مؤتمر صحفى صباح ١٦ ديسمبر أعلن بوش أختياره لجون تاور – سيناتور تكساس السابق – كمرشح لوزارة الدفاع.

وكان كريج فولر رئيس هيئة موظفى نائب الرئيس – ينظر فى ضيق. فقد كان قد قام مع نيكولاس برادى وزير الخزانة وصديق بوش منذ عهد بعيد وروبرت تيلر بحملة من وراء الستار لم تكلل بالنجاح لمنع ترشيح تاور. وكان فولر وتيلر يشعران بالقلق ازاء سمعة تاور كسكير وزئر نساء ، أما برادلى فيكره تاور شخصياً.

ورغم وجبات الإفطار الإستراتيجية السرية المنتظمة فى مبنى وزارة الخزانة ، والإجتماعات التى نظموها لبوش مع مرشحين محتملين آخرين ، فقد فشل الثلاثة فى الإتفاق جميعا على بديل.

وخلال إحدى مناقشات بوش مع فولر حول المرشحين المحتملين قال بوش أن تاور كان موجودا " فى السراء والضراء " وأنه ساعد بوش فى حملتيه الفاشلتين لعضوية مجلس الشيوخ فى ١٩٦٤ ، ١٩٧٠ ، وجاء إلى هوستون فى ١٩٦٨ حين كان بوش عضو الكونجرس يعانى مشكلة فى إعادة إنتخابه بسبب تصويته مع قانون إيجارات المساكن ، ودافع عن بوش أمام عناصر محافظة لها

أهميتها ، وكان تاور من أول كبار الجمهوريين الذين وقفوا فى صف ترشيح بوش للرئاسة فى ١٩٨٨ ، وشارك فى حملته بلا كلل حيث عقد الإجتماعات وألقى الخطابات ، وقدم مشورته فى قضايا الدفاع.

وكانت فولر يعرف أن الولاء قيمة جوهرية فى نظر بوش ، وما من شىء يمكن أن يزحزحة.

وكان تحقيق أولى أجراه مكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI) قد نحى جانبا كثيرا من المزاعم التى ثارت حول تاور. ورغم أن التحقيق لم يكن قد أنتهى فقد قال بوش لفولر " أعرف أن هناك بعض المشاكل ، لكننى أستطيع أن أحصل على الموافقة على تعيينه".

ولم يكن فولر قد شعر بالدهشة حين أعلن بوش – الذى كثيرا ما يتخذ قرارات مندفعة – ترشيح تاور قبل أن تصل كل المعلومات ، فقد كان أسلوب بوش فى الإدارة يصيب فولر بالإحباط ، فهو كنائب للرئيس كان يتسم بالتكتم ، ولم يكن يشاطر كل شىء مع شخص واحد ابدا ، حتى كبير موظفيه ، فهو أميل – كرجل مخابرات – إلى "تجزيىء" المعلومات ، مقسماً إياها إلى أجزاء بحيث لا يلم بالكل سواه. وأحياناً ما كان يختبر النظام ، فينصرف فى مسألة ما دون علم كبير موظفيه ، ثم ينتظر ليعرف كم سيستغرق وصولها إلى علم فولر ، ويقول له حين يكتشف الأمر فى النهاية – وأحيانً ما كان ذلك يستغرق أكثر من ست ساعات – " يسعدنى أن المسألة وصلت إليك" ولكم تسائل فولر فى نفسه أى تطورات لم تنم إلى علمه بالمرة.

وفى أوائل فبراير ١٩٨٩ – أى بعد بضعة أسابيع فقط من بدء إدارة بوش – كان ترشيح تاور يواجه مشكلة خطيرة ، فقد كانت الشائعات والمزاعم عن

إدمان تاور للشراب وعن حياته الشخصية تسرى فى كل مكان، وتقدم مساعد سابق لتاور أصبح الآن عضوا فى الكونجرس هو النائب لارى كومبيست إلى لجنة القوات المسلحة التى يرأسها السناتور سام نون – والتى كانت تستعد للتصويت على الترشيح بعد أسبوعين – بأقاصيص عن أدمان تاور للكحول أثناء عضويته لمجلس الشيوخ.

وفى يوم الثلاثاء ٧ فبراير إلتقى سى بويدين جراى المستشار القانونى للبيت الأبيض بكبير موظفى الرئيس تشيز أنتر ماير فى دورة مياه بالبيت الأبيض وكان جراى – الذى يراقب مشكلة ترشيح تاور – قد علم لتوه بمزاعم جديدة تربط بين تاور والفساد فى عقود الدفاع.

وقال جراى لأنترماير " تذكر أنك سمعت ذلك هنا للمرة الأولى . وابدأ فى البحث عن وزير دفاع جديد ، فهو لن يستطيع أن ينزف أسبوعين آخرين" .

وفى الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم اتصل تاور بجراى فى منزله وقال "لا أعتقد أن الرئيس ينبغى أن يتحمل ذلك أسبوعبن ـ آخرين. وأظن أننى سأنسحب" .

فقال جراى "لا تفعل شيئا إلى أن يتصل بك أحد" .

ووعد تاور بأن ينتظر إلى أن يبحث بوش عرضه.

وفى الصباح الباكر توجه جراى لرؤية بوش ليخبره بما قال تاور.

قال بوش "تبدو مرتاحا ومبتهجاً لهذا الأمر" .

فقال جراى إنه فى الواقع لم ينم جيدا ، وأن توصيته هى أن على بوش أن يغلق ملف هذا الترشيح.

ولم يجب الرئيس.

وبعد نحو ساعة شاهد جراى تاور فى البيت الأبيض . كان قد جاء لتوه من القطار مع بيكر وسكاوكروفت اللذين نصحاه بأن يتمسك بالبقاء.

وسأله جراى " أمازلت عند رأيك ؟ "

فأجاب تاور "كلا ، لقد ترويت فى الأمر ، والرئيس يريدنى أن أبقى".

وفى ذلك الصباح نفسه توجه نون إلى قاعة التليفزيون فى مجلس الشيوخ ليجيب علي أسئلة الصحفيين عن الترشيح. ولم يكن نون - أقوى أعضاء مجلس الشيوخ نفوذا فى قضايا البنتاجون - قد أعلن موقفه بعد . وحين سئل عن موضوع إدمان الكحول قال نون "إنها مسألة تتعلق بشخص في سلسلة قيادة تسيطر على ترسانة الولايات المتحدة ، ومنصب وزير الدفاع منصب خطير جداً ، ولابد لوزير الدفاع فى نظرى أن يكون صافى الذهن فى كل وقت ، فهى ليست وظيفة لثمانى ساعات. ولابد أن يتوفر للشباب والفتيات الذين يدافعون عن أمتنا أناس صافى الذهن تماما فى كل الأوقات على طول سلسلة القيادة".

وفى مساء الثلاثاء ٢٣ فبراير صوتت لجنة نون بأغلبية ١١ صوتاً ضد ٩ أصوات - على أساس التقسيم الحزبى تمام - بتوصية مجلس الشيوخ برفض ترشيح تاور.

وفى الطرف الآخر من المدينة كان دان كويل - عضو مجلس الشيوخ السابق عن أندريانا ونائب الرئيس بوش - يستقبل تلك الليلة زائرين فى مقره الرسمى في أوبزيرڤاتورى هيل - صديقيه وزميليه الجمهوريين المحافظين كين آديلمان وديك تشينى. كان آديلمان الباحث السابق فى أدب شكسبير قد ترأس وكالة الحد من الأسلحة ونزع السلاح فى ظل ريجان ، وهو يكتب الآن عامودا

صحفيا ينشر فى عدة صحف على نطاق البلاد ، وفى أحد أعمدته كان قد انتقد عدم تحفظ تاور فى حياته الشخصية وقال "إن السلوك الشخصى مقياس صحيح للحكم على موظف عام".

وكان ديك تشينى كبير موظفى البيت الأبيض فى ظل فورد ، وهو الآن عضو مجلس النواب الوحيد عن ولاية ، ويومنج. إنه رجل هادىء الصوت ، جاد ، وسجل تصويتاته محافظ بلا شائبة. وكان قد ارتقى من عضو كونجرس جديد إلى رئيس المجموعة الجمهورية فى مجلس النواب ، أى القائد الثانى للحزب – فى عشر سنوات فقط.

ولام كويل المحافظين لأنهم تخلوا عن المعركة من أجل تاور. وقال نائب الرئيس "اللعنة علينا تثبيت هذا الرجل".

فقال آديلمان "لا تضعنى فى الفريق الذى سيفعل ذلك، فليست هذه مهمتى"

وقال تشينى بصراحة "لقد انتهى تاور .. وعليكم أن تجدوا شخصاً يستطيع أن يعمل مع الكونجرس".

وانتقد كويل نون ، "أنه استعراض قوة حزبى ، من جانب رجل شديد الطموح.

ولم يوافق تشينى ، قائلا ان نون كان أمينا للغاية ، وتحدث بإعجاب عن الطريقة التي أدار بها نون مسألة الترشيح حتى الآن ، وقدرته على أن يحصل على تصويت بالرفض من لجنة كان تاور نفسه يرأسها ذات يوم وقال "لاتلقوا اللوم على نون".

وفى يوم الخميس ٩ مارس رفض مجلس الشيوخ ترشيح تاور بأغلبية ٥٣ صوتا ضد ٤٧ صوتاً.

وإتصل بوش بتاور ليقول إنه يعتقد أن صديقه قد خاض معركة شريفة كشف فيها عن شجاعته ، وأن الطريقة التى عومل بها لم تكن عادلة . وتدخلت بربارة بوش فى المحادثة لتردد ما قاله زوجها . كانت محادثة مواساة حارة. وقال بوش فى تصريحه الرسمى : "لقد أصدر مجلس الشيوخ قراره ، وأنا أحترم دوره فى القيام بذلك ، لكننى أختلف مع النتيجة .... أما الآن فإننا على أى حال ندين للشعب الأمريكى بأن نمضى معا قدماً" .

(٤)

ترشيح تشينى وزيراً للدفاع

بعد ظهر اليوم الذى رفض فيه مجلس الشيوخ ترشيح تاور تلقى ديك تشينى مكالمة من جون سونونو كبير موظفى البيت الأبيض ، ومحافظ نيوهامبشاير السابق ذى الخمسين عاما الذى إختاره بوش ليكون معاونه الرئيسى بدلا من كريج فولر. هل يستطيع تشنيى أن يأتى إلى البيت الأبيض فى الساعة الرابعة بعد الظهر ؟ إذا يريد سونونو أن يتحدث معه عما يجب القيام به الآن وقد إحترق تاور. وقال تشينى إنه يستطيع أن يأتى فى الخامسة.

إن تشينى يعرف – من خبرته ككبير لموظفى البيت الأبيض قبل ١٤ عاما – أنه من غير المحتمل أن يكون كل ما يريده كبير موظفى البيت الأبيض الحالى هو أن يستطلع رأي الشخصية الجمهورية الثانية فى مجلس النواب فى حمّى قرار ترشيح يسيطر عليه الشيوخ الديمقراطيون ولابد أن فى الأمر شيئاً.

وكان تشينى – ككل رجال السياسة فى واشنطون – يتابع عن كثب المعركة حول تاور ، فقد يكون النزاع الأول للإدارة الجديدة مؤشراً على الطريقة التى ستسير بها الأمور فى السنوات الأربع القادمة. وكان يرى أن على الرئيس أن يرد بسرعة ، وأن يتقدم بمرشح جديد خلال ٤٨ ساعة ، ثم يختار موضوعا

"رئيسياً" جديدا لواشنطون ، فهو على ثقة من أن مدة انتباه عاصمة البلاد لا تزيد عن نحو خمس دقائق ، ولو أن بوش صعد إلى المقدمة بموضوع المخدرات أو مبادرة فى السياسة الخارجية فسيسير العالم السياسى والإعلامى فى أثره بسرعة.

وكان تشينى باعتباره القائد الجمهورى الثانى المنتخب حديثا يعمل فى ظل الزعيم الجمهورى بوب ميتشيل نائب ايلينواز الذى تبنى تشينى كابن سياسى ووريث محتمل ورغم أن تشينى كان فى الثامنة والأربعين فإن نظارته وشعره الخفيف وسلوكه الهادىءالعاقل كانوا يضفون عليه هيئة أكبر سنا وحكمة.

ولما كان توازن القوى الحزبى فى مجلس النواب يميل بشدة إلى جانب الديمقراطية فقد كانت مناصب القيادة الجمهورية تثير شعوراً بالإحباط ، وقد تعلم تشينى من سنواته السابقة فى القيادة أنه لا يستطيع دائما الإعتماد على عون كبار المسئولين الجمهوريين ، ففى بعض الأوقات كان يريد من نائب الرئيس بوش أن "يبل ريق" الجمهويين فى مجلس النواب ، لكن بوش لم يكن ليفعل لو أن هناك أدنى إحتمال لأن يسىء ذلك إلى علاقته بريجان. وقد أثار تحفظ بوش ضيق تشينى ، وكثيراً ما أشتكى منه فى مجالسه الخاصة.

* * *

فى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل تشينى إلى مكتبه السابق ، مكتب كبير موظفى البيت الأبيض ، الذي أصبح الآن مكتب سونونو. وكان هناك سكاوكروفت كذلك ، وتحدث الثلاثة عن هزيمة تاور ، وعما يجب عمله بعد ذلك.

وسأله سونونو "لو عرض عليك الرئيس منصب وزير الدفاع فهل تفكر فيه".

فقال تشينى إنه سيفعل.

وسأل سكاوكروفت تشيني عن صحته.

فرغم أن تشيني مازال في الأربعينات فقد أصيبت بثلاث أزمات قلبية. وفي أغسطس السابق أجرى جراحة رباعية في الشريان التاجي ، حيث ركبت له أربعة مجار جديدة لسير الدم لتعويض الشرايين المسدودة ، وقال تشيني إنه إختار إجراء العملية لا لأنها كانت ضرورية طبياً وإنما لأنه يريد أن يواصل حمل حقيبته والإنزلاق على الجليد. وقد أعطاه طبيبه في واشنطون شهادة بحسن صحته - فمستوى الكولسترول منخفض ، وليس للأدوية التي يتناولها آثار جانبيه . وقال إن طبيبه يمكن أن يقدم شهادة وتصريحاً.

واتفقوا جميعا علي أن يأخذ تشيني ليلة يفكر فيها ، فهو بحاجة إلى أن يستشير عائلته. كان سكاوكروفت هو مستشار جيرالدفورد للأمن القومي حين كان تشيني كبيرا للموظفين ، وتوثقت صلتهما وهما يديران سباق الحواجز اليومي لشئون البيت الأبيض ، وها هو سكاوكروفت يدافع بحرارة عن تولي تشيني لوزارة الدفاع ، فهو يريد شخصية معروفة في البنتاجون.

وكان چيم بيكر قد أعرب بالفعل عن تأييده لتشيني ، فقد أدار هو وتشيني حملة فورد في ١٩٧٦ معا ، حيث كان تشيني يشرف من البيت الأبيض في حين يدير بيكر الحملة ذاتها. وفي ذلك الوقت كان الإثنان جديدان في السياسة الوطنية. وعاشت صداقتهما حتى بعد هزيمة فورد.

وبعد الإجتماع طلب سونونو بهدوء من جراي مستشار البيت الأبيض أن يطلب من مكتب التحقيقات الفيدرالية التقصي عن خلفية مرشح آخر لوزارة الدفاع : چون ف. ليمان وزير البحرية العدواني المثير للجدال في أيام ريجان.

وتشكك جراي في الأمر ، فليمان ذو الستة والأربعين عاما قد دخل الحكومة وخرج منها كثيرا ، وكأنه يمر من باب دوار، والأسوأ من ذلك أن أحد

مساعدى ليمان السابقين فى وزارة البحرية كان شخصية رئيسية فى تحقيق "الرياح الخبيثة" الذى تجريه وزارة العدل فى عملية الغش والفساد فى مشتريات البنتاجون. ورغم هذا فقد طلب جراى فحص حالة ليمان.

* * *

حين عاد تشينى إلى مكتبه فى مجلس النواب ، فى الغرفة رقم ١٠٤ بمبنى كانون هاوس الإدارى العتيق ، التقى ببيت ويليامز سكرتيره الصحفى . وسأله ويليامز (٣٧ عاما) الطويل القامة ، والصحفى السابق فى تليفزيون ويومينج كيف سارت الأمور فى البيت الأبيض ، ولم يكن يعرف الغرض من الإجتماع.

قال تشينى .. حسنا ، لقد كانوا مهتمين باستبدال تاور.

وفيما بعد أطلت باتريشيا هاو مساعدته الإدارية برأسها فى مكتب تشينى وقالت " أهناك ما يجب أن نعرفه".

كلا.

وخرج تشينى مع زوجته لين دكتورة الأدب الإنجليزى ورئيسة المؤسسة الوطنية. للعلوم الإنسانية لتناول العشاء ذلك المساء مع أصدقاء لهما . من ويومينج فى مطعم "لاكولين" وهو مطعم فرنسى يبعد أربعة مبان عن مبنى الكابيتول ، وشعر تشينى أنه لا يستطيع أن يثير الموضوع على العشاء. وحين عاد الزوجان إلى بيتهما فى ماكلين بفيرچينيا بعد العشاء استقبلتهما إبنتهما مارى ذات التسعة عشر عاما ، والتى عادت من الكلية فى عطلة الربيع ، وقالت إن چيم بيكر قداتصل تليفونيا.

واتصل تشينى ببيكر على الفور ، حيث دارت بينهما محادثة طويلة ، وقال بيكر أنه يويد ١٠٠ فى المائة فكرة اختيار تشينى وزيرا للدفاع ، وحثه على قبول

المنصب. وبعد انتهاء المكالمة جلس تشيني مع لين ، التى كانت قد التقطت نتفا من الحديث ، وأخذا يبحثان الأمر.

كان تشيني يحب مجلس النواب ، فبعد سنوات عمله فى البيت الأبيض حيث يتوقف منصبه ومستقبله تماما على النجاح السياسى لشخص آخر كا يستمتع باستقلاليته. إنه لم يمض يوما كاملا فى بيته إلا مرة واحدة طيلة الشهور الستة الأخيرة من حملة فورد فى ١٩٧٦. كما كان تشيني يحب شخصية المجلس ، وجوه الشاق المتعب ، وتاريخه وتقاليده ، وفى عام ١٩٨٣ وضع هو ولين كتابا وبودا من ٢٢٦ صفحة عن رؤساء مجلس النواب ، من هنرى كلاى حتى سام رايبرن باسم "ملوك كابيتول هيل".

واستعرض فى ذهنة مزايا منصب وزير الدفاع . كان قد قرر من قبل ألا يعود إلى الفرع التنفيذى ما لم تسنح إحدى فرصتين أو ثلاثة. وكانت هذه واحدة منها ، فلوزير الدفاع أهميته.

وكان لفكرة العمل مع بيكر وسكاوكروفت وزنها الكبير ، ففى أيام فورد رأى تشيني كيف يمكن لعملية الأمن القومى أن تغرق فى صراعات داخلية عقيمة واستعراضات للقوة. وها هى الفرصة أمامه لكى يعمل مع أناس يعرفهم ، وربما يودون العمل جيدا.

وأوجز القرار فى الأجل القصير. كيف يريد أن يقضى سنواته الأربع القادمة ؟ هل يريد أن يعمل فى الظل المزدوج فى منصبه فى مجلس النواب وبوب متيشيل فوقه واحباط وضعية الأقلية الجمهورية ؟ أم يريد أن يكون الرجل الأول فى وزارة الدفاع ، فى فرع تنفيذى يديره حزبه ؟

وتبين تشيني فى التحليل الأخير أن الفرصة ليست فى واقع الأمر بالفرصة الضيقة ، وقت أنه سيقبل المنصب إذا عرض عليه.

وفى الصباح التالى ، وبعد حديث مع مجموعة من الصحفيين على طعام الإفطار فى فندق ويلارد توجه تشينى إلى مكتبه فى كابيتول هيل وجمع عامليه ليناقش معهم المجموعة المألوفة من الموضوعات التى تهم عضو الكونجرس الوحيد ولاية ويومينج - الرى والحشائش الضارة ، والمبيدات ، والحرائق فى حديقة يلوستون الوطنية فى ذلك الصيف. فقد خرج الجمهور الأمريكى بانطباع هو أن الحديقة قد أحترقت تماما ، وتشينى يخشى أن تموت السياحة. ولم يطرح علي عينة محب المسألة التى تخيطر على تفكيره.

وجاءت مكالمة من سونونو ، وغادر الموظفون الغرفة حتى يمكن أن يتحد ث (على حريته).

وطلب منه سونونو أن يأتى إلى البيت الأبيض نحو الظهيرة.

وحين جاء وقت مغادرته إلى البيت الأبيض طلب من سائق عربته الرسمية أن يتوجه إلى الجناح الشرقى - مدخل المناسبات الإجتماعية والسيدة الأولى - حتى لا يلاحظه رجال الإعلام الذين يترصدون للعبة الرئيس الجديدة فى مسألة الدفاع.

* * *

وخلال هذا الوقت كان جراى قد أبلغ سونونو أن چون ليمان سيكون مشكلة فرغم أنه لم يكن هناك مدين مباشرة وزير الأسطول السابق فإن تحقيق الرياح الخبيثة سيسمم الترشيح.

وقال سونونو أن على جراى أن يطلب من مكتب التحقيقات الفيدرالية أن يفحص حالة تشينى فى هدوء.

ودخل تشينى مكتبا أقامه الرئيس فى جناحه فى الطابق الثانى ، كان هناك

مكتب كبير عند أحد الجوانب . وفوق أحد الجدران لوحة للينكولن يلتقى بالچنرالين جرانت وشيرمان قرب نهاية الحرب الأهلية عنوانها "صانعوا السلام" . وكان بوش يشير إليها أحياناً فى خطاباته.

وتحدث الرجلان عن الدفاع والإصلاحات التي يرى بوش حاجة إليها .

وبعد نصف ساعة انضم إليها سونونو.

وسأل سونونو "لو طلب منك الرئيس أن تصبح وزيرا للدفاع فهل تقبل" . كان هذا العرض المشروط تجنب الرئيس حرج الرفض.

أجاب تشينى " نعم يا سيدى سأقبل" .

وإستمر الرجال يتحدثون بعض الوقت . ولم يعرض المنصب رسميا .

وحين عاد تشينى إلى مكتبه كان رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية قد توجهوا إلى هناك بالفعل ، سائلين كاتى ايمبودى – مساعدته التنفيذية طيلة ١٥ عاما – عن أسماء من يستطيعون الإتصال بهم للتحقيق فى خلفية تشينى . ولم تكن قد انقضت عليه سوى بضع دقائق حين اتصل بوش.

قال بوش فلنفعلها .

حسنا يا سيدى الرئيس

وقال بوش إنه يريد أن يعلن النبأ فى التو.

وفى الساعة الرابعة عصرا ظهر بوش وتشينى أمام الصحفيين ، وبدا لتشينى أن بوش يشعر بمتعة شديدة وهو يفاجىء الصحافة بترشيحه.

* * *

كان بيت ويليامز فى إجتماع حول الأمطار الحمضية ، وهو موضوع شديد

الأهمية فى ويومينج . ولما كان الوقت بعد ظهر يوم جمعة صاف فقد كان يأمل أن يستطيع التسلل من عمله مبكراً ، إلا أنه فوجىء عند عودته إلى مكتبه بوجود رزمه كبيرة من الرسائل الهاتفية ، تكاد تملأ دفترا بأكمله ، ودار بخلده أن هذا شىء غريب .. ماذا يحدث ؟ وكان على بقية الموظفين أنه يخبروه بالنبأ ثلاث مرات قبل أن يفهمه ، فتطلع إلى جهاز التليفزيون الذى كان مفتوحا على شبكة السى . إن . إن . وكان هناك بوش وتشينى – المرشح الجديد لوزارة الدفاع.

ونحو الخامسة والنصف عاد تشينى إلى مكتبه ، ولم تكد التهانى تنتهى حتى كان رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية قد دخلوا على بعد بضع خطوات ، وصحبهم تشينى إلى مكتبه وأغلق الباب.

وأخيراً تمكن ويليامز من اللحاق بتشينى . وجلس الرجلان فى ركن هادىء.

سأله ويليامز وصوته ملىء بالحيرة ، وربما بقدر من المرارة الخفيفة لتنحيته بعيدا عن الأمر "لماذا فعلت ذلك ؟" . لكن ويليامز كان يعرف أن هذا هو تشينى دائما – لقد قيل له ألا يذكر الأمر لأحد ، فلم يذكره.

وبدأ تشينى الاجابة "حين يتطلع إليك رئيس الولايات المتحدة ..."

ودار برأس ويليامز .. كفى ، لا تحدثنى بهذا الهراء .

واستمر تشينى يتحدث عن قوة طلب الرئيس ، وشرف خدمة الرئيس .

وفكّر ويليامز : ان البيت الأبيض لا يمكن أن يخلب لبك ، فقد كنت هناك ككبير للموظفين ، وكقائد جمهورى . ولا أتصور أن هناك ما يغريك فيه .

وقال تشينى إنه يريد للإدارة أن تنجح ، ويتطلع إلى العمل ثانية مع سكاوكروفت وبيكر اللذين قالا له "إننا بحاجة إليك".

وأدرك ويليامز أن هذين الاثنين – الصديقين القديمين هما اللذان كانا

حاسمين ، أكثر كثيرا من بوش.

ويعرف ويليامز أن ردود فعل الناس تجاه تشينى تمر بمرحلتين . فهم حين يلاحظونه ويصغون اليه يقولون فى البداية : هذا رجل لطيف ، ساحر ، ولاعب نظيف ويبدو أنه معتدل ولاينفجر غاضبا لشىء ما . ثم يتطلعون إلى سجل تصويتاته المحافظة ، وميله إلي الوقوف مع الجمهورين اليمينيين المتطرفين – أولئك الذين يجب ويليامز أن يسميهم "أكلة لحوم البشر" – ويتعجبون لكن تشينى لم يكن محافظاً فى كثير من القضايا الإجتماعية ، وبشكل عام فان ويليامز يعتقد أن رئيسه رجل براجماتى ، يزن الشواهد فى كل مسألة ، وينتهى عادة إلى موقف محافظ.

وكان الشعور العام بين معاونى تشينى هو : إلى أين يقودنا ؟ ماذا يصنع بحياتنا لكى يرتقى بنفسه ؟ ماذا قرر بالنسبة لمستقبلنا ؟

وكان هناك إثنان من المعاونين من معاصرى تشيني ، ويريدان – شأن ويليامز – تفسيراً . أولهما هو ألان كرانوتيز الذى كان زميل تشينى فى جامعة ييل ، فى دفعة ١٩٦٣ معا ، حين ترك تشينى الجامعة بسبب سوء درجاته.

أما الثانى فهو دافيد جريبين . وكان جريبين وتشينى وزوجاتهما معا فى مدرسة مقاطعة ناترونا العليا فى كاسبار . وقد كرس جريبين عمله لدعم مستقبل تشينى . وكان أشبه بمن أصيب بصدمة.

سأل جريبين – لماذا ؟

قال تشينى "لقد طلب الرئيس ، فكيف تقول لا ؟" ، وواضح أنه تبين الأسى على وجوه معاونيه فأضاف "لقد فكرت فى القرار ، ولا عودة فيه . فلنمض إلى الأمام".

وقال تشينى إنه على ضوء الفشل فى حالة تاور فانه لا يريد أن يتولى البيت الأبيض الحصول على موافقة مجلس الشيوخ ، وإستدار إلى كرانوتيز وقال "آلان ، هل تتولى جلسة تثبيتى".

ووافق كرانوتيز.

* * *

كان تشينى أقرب إلى اللغز حتى بالنسبة لأوثق معاونيه فلوا أنهم سألوه سؤالا محددا فانه كان عموما يجيب . لكنه ليس بالرجل الذى يسترخى ويتخفف فى أثقالة أمام أحد ، وليس من طبيعته أن يتحدث عن نفسه وعن مشاعره . بل ان بيت ويليامز قد توصل إلى تسمية لأولئك الذين يحاولون - مثلما يفعل هو - أن يفهموا تشينى الغامض ، فهما أفضل بمتابعته عن كثب وتحليل حركاته هى - "مراقبوتشينى".

ومن المواضيع التى لا يتحدث تشينى عنها كثيرا ايامه فى ييل . ويذكر كرانوتيز أنه فى وقت ما - فى السنة الأولى أو الثانية - أخذ تشينى اجازة ستة شهور ليصبح عاملا يدويا وعامل خطوط كهربية فى ويومينج ، ثم عاد إلى نيوهافن ، ولكنه عند نهاية العام الثانى كان قد ذهب بلا رجعة ، وكان تشينى يمزح مع معاونيه عن مشكلاته الأكاديمية ، لكنه لم يسـرّ إليهم أبدا بالقصة الكاملة عن حياته الأكاديمية الباهتة في ييل.

لقد حصل على الليسانس فى ١٩٦٥ من جامعة ويومينج ، وعلى الماچستير فى العلوم السياسية بعد عام . وكان هو ولين - التى تزوجها فى ١٩٦٤ - فى قسم الدكتوراه بجامعة ويسكونسين فى عام ١٩٦٨ حين حصل تشينى على منحة دراسية لمدة سنة جاءت به إلى واشنطون ليعمل موظفا فى كابيتول هيل ، وأثناء عمله هناك لفت نظر رونالد رامسفيلد مدير مكتب نيكسون للفرص الإقتصادية

فأعطاه وظيفة . وحين قام فورد بتعيين رامسفيلد كبيرا لموظفيه فى ١٩٧٤ ، جاء هذا معه بتشينى إلى البيت الأبيض كنائب له وبدأت حياة تشينى العملية.

* * *

كان على كرانوتيز - الذى سيتولى الترشيح عبر مجلس الشيوخ - أن يتأكد أنه يعرف أكثر ما يمكن عن تشينى ، فهو "كمراقب لتشينى" منذ وقت طويل يعرف كل شيء عن سجل تصويتات رئيسه المحافظة فى الكونجرس ، كما يعرف قضايا تشينى المفضلة كعضو فى الكونجرس ، ومنها مساعدة الكونترا فى نيكاراجوا ، وهى قضية يهتم بها تشينى إهتماماً عميقاً وعاطفيا . يعتقد أن نيكاراجوا هى كوبا ثانية على وشك التشكل ، وأنه لابد من ازالة نظام الساندينستا من نصف الكرة الغربي.

ومن المواضيع الأخرى التى يثير انفعاله الغواصات السوفيتية ، التى درسها بعمق أثناء عضويته فى لجنة المخابرات التابعة لمجلس النواب.

وكان ماضى تشينى سهلا نسبيا ، فما من قضية دخول وخروج ، وليس لديه سوى القليل من الأصول المالية. وقد ظل يعيش فى نفس المنزل سنوات ، ولم يتزوج الا مرة واحدة. لكن تشينى - بعد إجتماع واسع لمعاونيه فى يوم السبت ١١ مارس - قال لكرانوتيز على إنفراد أن من الأفضل إن يعرف أن ثمة "أخطاء فى شبابه" قد تظهر ، فقد قبض عليه مرتين بسبب القيادة وهو مخمور - والمرتان منذ ٢٥ سنة حين كان لايزال فى أوائل العشرينات . كما ضبط وهو يصطاد السمك فى وقت محظور فيه الصيد ، ووقعت عليه غرامة.

وقال تشينى "لم تكن غرامة الخمسة وعشرين دولارا هى أسوأ ما فى الأمر ... فقد أخذوا سمكتى" .

(٥)

تشيني يصبح وزيراً للدفاع

كان تشيني يعرف – وقد جاء متأخراً إلى إدارة بوش – انه متخلف بضعة شهور ، وبحاجة إلى أن يقوم بعملية لحاق سريعة . وهكذا ففي اليوم التالي – ١٢ مارس – توجه بعربته إلى منزل – فرانك كارلوتشي ماكلين. وكان كارلوتشي كمساعد لرامسفيلد في مكتب الفرص الإقتصادية هو الذي عين تشيني في أول وظائفه بالفرع التنفيذي في ١٩٦٩ ، وإذا مر ترشيح تشيني فانه سيخلف – من الناحية العملية – كارلوتشي ، الذي كان قد أخطر بأن عليه أن يترك مكتبه قبل ٢٠ يناير حين أمر بوش بإبعاد كل المتبقين من إدارة ريجان . وما زال كارلوش يشعربالضيق.

وقال كارلوتشي أن على تشيني أن يوثق صلته ببيل كراو ، وان كراو لن يوجهه توجيها خاطئا .

وفي اليوم التالي توجه تشيني إلى البنتاجون لمقابلة كراو.

وما أن جلسا حتى قال تشيني " أعتقد أنك ستبقى" . كانت فترة كراو الثانية كرئيس لهيئة الأركان المشتركة لمدة عامين ستنقضي في نهاية سبتمبر ، وطلب منه بوش أن يبقى فترة أخرى .

أجاب كراو "لم أقرر بعد" فهناك بعض الاعتبارات الشخصية.

ولم يكن كراو محددا لكن تشينى أحس بأنه يريد الخروج.

وقال كراو إنه بعد نحو شهرين دون وزير دفاع مثبت فى الإدارة الجديدة فقد كان ينتظر بصبر نافد وصول تشيني. فالوزارة بحاجة ملحة إلى قائد سياسى وأوصى كراو بـأن يبادر تشينى بالانتقال إلى مكتب الوزير ، فالتثبيت يبدو مؤكداً.

وأضاف كراو أن على تشينى أن يبقي على المدير أميرال ويليم. ا. أوينز المساعد العسكرى لوزير الدفاع ، وأن أوينز - وهو قائد غواصة نووية - هو أفضل من رآه كراو في هذا المنصب ، فهو يعرف كيف يبقى فى الظل ، ويدرك أنه ليس نائب الوزير.

وإستطرد كراو قائلا أن نوعية الجيش كتنظيم جاهز حسن التجهيز مستعد للقتال مرتفعة للغاية ، ومن حسن الحظ أنه ليست هناك مشكلة عاجلة تستدعى أن يشغل نفسه بها ، وأنه ليس ثمة أزمة ملحة تلوح في الأفق .. أن هناك عمليات حساسة وخطط حربية ، وخطط واجراءات طوارىء ، قد يحتاج إلى أن يطلع عليها بأسرع ما يمكن ، لكنه يستطيع فى الوقت الحالى أن يركز على اقرار ترشيحه ، ثم على معركة الميزانية القادمة مع الكونجرس ، حيث يمكن لوضعه كعضو سابق أن يكون عونا حقيقيا.

وفى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالى ، إتجه تشينى وهو يرتدى حذاء راعى بقر وحلة عملية عبر بساط أخضر ليتخذ مقعده فى حجرة الإستماع الصغيرة المزدحمة بمجلس الشيوخ أمام لجنة القوات المسلحة التى يراسها نون.

وقال تشينى لأعضاء المجلس "لست هنا - كما تعرفون جميعا - لأنى كنت أسعى إلى منصب وزير الدفاع" . فقد كان من المعروف جيداً أن تاور كان يسعى

بنشاط وراء هذا المنصب . "وإنما أنا هنا لأن الرئيس طلب منى أن أضطلع بمهمة شديدة الصعوبة" .

وسأل السيناتور چون دارنر ممثل ڤيرچينيا وعضو اللجنة الجمهورى البارز تشينى عن تأجيل تجنيده أثناء حرب ڤيتنام.

وبدأ تشيني الحديث "سيدى السيناتور ، إننى لم أخدم أبدا فى الجيش مرتديا الزى العسكرى" . وأوضح أنه حين كان فى الكلية حصل على تأجيل مؤقت كطالب ، وبعد ولادة أبنته فى ١٩٦٦ حصل على التأجيل الممنوح للآباء ، وأضاف "وفى الأساس فقد التزمت دائما بنظام الخدمة الإنتقائية ، ولم أخدم ، وكان يسعدنى أن أخدم لو كنت قد استدعيت" .

وخلال ثلاث ساعات من الأسئلة أشار تشينى مرارا إلى عمله السابق فى قضايا المخابرات والدفاع ، لكنه اعترف أيضاً بأن عليه أن يبذل مزيدا من الجهد فى كثير من المجالات.

وفى اليوم التالى استعرض نون ووارنر المذكرة الموجزة عن تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالية عن خلفية تشينى ، ثم أوجزا الوضع للجنة فى جلسة تنفيذية مغلقة.

وقال نون فى تقريره "لقد وقعت عليه غرامه لاصطياده السمك فى غير الموسم" وكانت تهمتا القيادة فى حالة سكر قديمتين ، ولم ير فيها نون ووارنر عتبة أمام تثبيته ، ووافق كل الأعضاء.

وإستدعى تشينى إلى اللجنة فى الجلسة المغلقة ، فقال انه يعتقد أن من الأفضل الإعلان عن تهمتى القيادة فى حالة سكر القديمتين ، لكن اللجنة قالت إنه لا حاجة إلى ذلك.

وفى الساعة التاسعة والنصف صباح اليوم التالى دعا نون اللجنة الكاملة بأعضائها العشرين إلى جلسة علنية . وكانت النتيجة التى توصلت إليها اللجنة هى أنها لا ترى فى ماضى تشينى "ما يجعله غير صالح للخدمة" على حد قول نون . وكانت ملاحظات العدد القليل من الأعضاء الذين تحدثوا قصيرة ومتحمسة ، والشعور بالإرتياح ملموسا . وجاء التصويت مع التثبيت بعشرين صوتاً ضد لا أحد.

وفى الساعة العاشرة وخمسين دقيقة من صباح ١٧ مارس تحدث نون أمام مجلس الشيوخ . وقال أن اللجنة وافقت على تشينى بالإجماع "بعد دراسة دقيقة ومتأنية" . وكان يتحدث بسرعة وبلهجة تقريرية ، منحيا جانباً أى تلميح إلى أنه هو ولجنة القوات المسلحة كانا يتعجلان الحكم ، وبدون حتى أن يلمح إلى أنه يتحدث عن تهمتى القيادة فى حالة سكر اللتين مازالتا سرا قال أنه ووارنر قد وجدا فى تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالية "موضوعين" ليس لهما تأثير على قرار اللجنة الإيجابى النهائى ، لكنهما رأيا أن عليهما أن يتقاسماهما مع بقية أعضاء اللجنة فى جلسة مغلقة.

وإذ اصطف أعضاء المجلس ليصدروا حكمهم بشأن تشينى كانوا يرون لافته عند كلا طرفى المائدة الطويلة فى مجلس الشيوخ تقول "التصويت الأخير اليوم" بحروف كبيرة حمراء.

وكانت النتيجة النهائية هى موافقة ٩٢ ضد صفر.

وخلال دقائق تلقى تشينى مكالمة فى مكتبة كزعيم للجمهوريين فى مجلس النواب. وقدم المتحدث نفسه له بأنه الرير أميرال أوينز المساعد العسكرى لوزير الدفاع ، ودار فى رأس تشينى "أميرال ... لست بحاجة إلى ذلك الآن" . لكنه كان يعرف أنه يبدأ حياته الجديدة ، وأن عليه أن يصغى . قال أوينز أنه يريد أن يأتى

فورا مع الدكتور كوك – داڤيد ١ . كوك مدير الشئون الإدارية فى البنتاجون – لكى يقسم أمامه تشيڤى . كان كوك (٦٨ سنة) معروفا بأنه عمدة البنتاجون لأكثر من ٢٣٠٠٠ من العاملين العسكريين والمدنيين هناك . أنه أحد علامات بيروقراطية وزارة الدفاع ، يشرف على الإدارة المنزلية للبنتاجون ، من أماكن وقوف السيارات حتى مساحات المكاتب وكان تلقى قسم من وزراء الدفاع السبعة الأخيرين.

وكان تشينى يريد أن يقسم أمام ضابط النظام فى مجلس النواب ، لكن كتحية أخيرة للمؤسسة التى يغادرها ، لكن كوك وأوينز ضغطا عليه لمواصلة التقاليد.

وهز تشينى كتفيه ووافقهما ، وإستقال من منصبه فى المجلس ، وألقى القسم وقد أحتشد حوله معاونوه وأسرته.

وكان تشينى قد طلب من سكرتيره الصحفى – بيت ويليامز – أن يكون المتحدث الجديد باسم البنتاجون ، وقبل ويليامز ، وبعد القسم كان تشينى سيتوجه إلى البنتاجون ، واعتزم ويليامز أن يذهب إلى هناك وحده ، لكن دافيد س . أدينجتون ، أحد معاونى تشينى وياور سابق فى وكالة المخابرات المركزية ، والذى أصبح الآن مساعد تشينى الخاص فى البنتاجون قال لويليامز أن يحرص على أن يصل إلى البنتاجون فى موكب سيارات تشينى قائلا ينبغى أن يروك – فهذا أمر مهم فى واشنطون.

سأله ويليامز "من هم الذين ينبغى أن يرونى ؟" .

قال أدينجتون الناس الذين يعملون هناك ، فمن المهم كثيرا أن يروك كواحد ممن يصلون مع الرجل الجديد ، فهذا سيساعدك كثيراً فى عملك.

وهكذا تكدس ويليامز وأدينجتون وديڤ جريبين وكاثى ايمبودى جميعا فى

سيارة الوزير الليموزين التى يعلوها الضوء الأحمر ، وكان العاملون الذين يرتدون الزى العسكرى والعاملون المدينون وكل أنواع الفضوليين ينتظرون أمام باب البنتاجون ليشاهدوا ويراقبوا الموكب الصغير القادم.

وفى الطابق الثالث - حيث يقع جناح الوزير - كانت قد علقت بالفعل لافتة تحمل الإسم "ريتشارد ب . تشينى" على الباب ، ودار بخلد ويليامز .. هذا أمر ينبغى أن نغيره ، فهو ليس من الطراز الذى يمكن أن يسمى "ريتشارد ب" . ، بل ينبغى أن يصبح الاسم "ديك" ، ووضع فى ذهنه أن يغير اللافته.

وداخل المكتب التقطت الصور وبدا تشينى مسروراً.

كان قد فكر قليلا فى إعادة تنظيم البنتاجون ، فتعقده البيروقراطى متعدد الطبقات كان كابوس تبديد فى نظر جمهورى محافظ ، لكنه سرعان ما قرر أنه حتى إذا كان ممكنا إعادة ترتيب الخانات التنظيمية ، وإعادة تنظيم المكان وتبسيطه فإن المسألة قد لا تستحق هذا الجهد.

وبعد ظهر يوم الثلاثاء ٢١ مارس أحتشد الاف المدنيين والعسكريين من الرجال والنساء فى فناء البنتاجون الداخلى لمشاهدة أداء تشينى للقسم الرسمى كوزير الدفاع السابع عشر. وكان بوش هو أول المتحدثين حيث ألقى خطابا تقليديا عن السلام من خلال القوة ، والاصلاح ، وعمل الفريق ، والفرص المتاحة . وكان الخطاب يتسم بالغموض حول الوضع العالمى الذى سيواجهه البنتاجون فىظل تشينى ، بما يعكس عدم وضوح سياسة الإدارة الجديدة فى مجال الأمن القومى.

وألقى تشينى القسم مرة ثانية ، أمام قاضى الإستئناف الإتحادى لورانس هـ ، سيلبرمان هذه المرة .

وبدأ تشينى الحديث ، وهو يقرأ من نص معد ، وصوته يتردد بين جدران المبنى الداخلى ، "انه لشرف كبير أن أتولى المنصب" .

"وللرجال والنساء فى القوات الأمريكية المسلحة أقول : يشرفنى أن أخدم معكم فى الدفاع عن الحرية" ، ثم خرج عن النص المكتوب ليقول "وأنتم أيها الرجال والنساء الذين يرتدون الزى العسكرى أولويتى الأولى" .

وفيما بعد قال ويليامز لتشينى أن تركيزه فى الحديث على الناس كان له أثر طيب .

وبعد ذلك فى نفس اليوم توجه تشينى إلى البيت الأبيض لمقابلة سونونو ورئيس العاملين تشيز أونترماير . وقال سونونو – الذى يعارض بشدة علنا مسألة تخصيص حصص عنصرية وجنسية – لتشينى أن البيت الأبيض يريد أن يشغل ٣٠ فى المائة من الأثنين والأربعين منصباً قياديا متبقيا فى وزارة الدفاع نساء أو أبناءأقليات.

(٦)

تشينى يوبخ قائد سلاح الجو

بدأ تشينى العمل على ملء المناصب الرئيسية . وكان قد قرر الإحتفاظ بأحد رجال تاور – دون آتوود – كنائب للوزير . وسيكون آتوود – وهو مدير تنفيذى سابق لشركة چنرال موتورز ورجل كفء وغير دينامى – مسئولا عن إدارة الشؤون الداخلية لمبنى البنتاجون وميزانيته.

ولتوجيه عملية البحث عن المواهب من أجل المناصب الأخرى إستعان تشينى بستيث هيربتيز ، وهو سياسى جمهورى فى السابعة والأربعين عمل كمساعد خاص لروسفيلد وزير الدفاع.

وقرب نهاية الأسبوع الأول من تولى تشينى لمنصبه جاء هربيتز وقدم له تشخيصا من صفحة واحدة لكل من الإدارات ، وأنواع المدنيين الذين يمكن أن يعينهم تشينى لإداراتها .

قال أن القوات البرية تعانى اضطرابا شديدا ، فهي التي ستتعرض لأكبر عمليات تخفيض فى الميزانية للسنوات الثمانى القادمة ، حيث قد تصفى أربع من فرقها الست عشرة. ويمكن لتشينى أن يعين كسكرتير للقوات البرية رجلا يستطيع أن يخطط التخفيضات بطريقة منطقية ، ثم يضغط بشدة على الجنرالات لتنفيذها .

وقال هربيتز إن الأسطول يديره أميرالات مرتبطون بالتقاليد ، ويتشككون فى السلطة المدنية ، ويتحدثون لغة لا يفهمها من هم خارجهم ، وعليهم أن يجدوا سكرتيراً يفهم التقاليد واللغة ، دون أن يسيطر عليه الأميرالات.

اما القوات الجوية – فى تشخيص هربيتز – فغير محكومة تماما ، فرئيس الأركان – الجنرال لارى ويلسن يستهين بالمدنيين ، والإدارة بأسرها شللية.

وليست هناك سوى طريقة واحدة للتغلب عليهم : العقل ، وعليهم أن يجدوا مدنياً يعرف ثقافة القوات الجوية ونظم تسليمها وعاداتها ، فسكرتير غير مجرب سرعان ما سيقع فى شراكهم ، ويصبح ممثل القوات الجوية فى حلقة تشينى المدنية وليس ممثل تشينى فى الحلقة الداخلية للقوات الجوية.

وكان تشينى يعرف بالفعل ما يكفى لأن يحذر من القوات الجوية . فالضباط أناس سلسون ، يتدافعون لإبداء إستجابتهم ورغبتهم فى المعاونة ، وما أن يطلب شيئا حتى يأتيك عشرات الكولونيلات والچنرالات ويحدثوك إلى أن تخرج من أذنيك التقارير ووجهات النظر والدراسات المعدة بعناية . الكثير الكثير من المشاريع ، ومن الأوراق التى تطير من حولك ، ومن الناس ذوى الأردية الزرقاء الخفيفة والقمصان الرقيقة الذين يجيبون على أسئلتك إن القوات الجوية تبدو أكثر دهاء من الإدارات الأخرى ، وأوسع معرفة بأساليب واشنطون ، وأشد قدرة على إطلاق ستارة من الدخان ، إنهم – شأن كل إنسان فى البنتاجون تقريباً – يبيعون ، لكن باعة القوات الجوية أكثر اتساقا ، وأفضل تغلفة ، وكأن الإدارة كلها تتحدث بصوت واحد مقنع ، وعليك أن تنظر جيدا لكى تستطيع أن ترى ما يدور بدقة. والقيادة العليا للقوات الجوية موحدة للغاية ولا تخترق ، وكثيرا ما كانت تسمى "الستار الأزرق" . واتفق هربيتز وتشينى على أن من الضرورى أن يوجد شخص

لا يستطيع فحسب أن يفهم القوات الجوية ، بل أن يعرف كيف يدور حولها عند الإقتضاء.

* * *

يتمتع لاري ويلسن قائد القوات الجوية بسمعة تثير القشعريرة ، لا فى البنتاجون وحده ، بل في كل أنحاء واشنطون. وهو يبدو وكأنه لا يخرج إلا على مضض من النظام المطلق فى مكتبه الواقع فى الطابق الرابع من الجناح إى (E) ، حيث ترتب الأوراق والأقلام والملفات والوثائق فى رزم وصفوف محكمة . وفى داخل حقيبة أوراقه توجد مجموعة مرتبة بدقة تضم عددا من دبابيس الأوراق السوداء ، جاهزة لتنظيم أى رزمة مرتبة من الأوراق قد يصادفها فى طريقة.

ومنذ اللحظة التي وصل فيها ويلسن إلى جلسات الإستماع فى الكونجرس لم يدع سلوكه أى ذرة من الشك فى سوء رأيه فى ساحة التشريع والإعلام المشوشة . لكن ويلسن أدرك أن عليه أن يتقبل دور الكونجرس فى القضايا العسكرية . ومن بين هذه القضايا التى يعتقد أن الوقت قد حان لحلها ذلك الجدال الذى إستمر طيلة عقد حول طريقة الإرتقاء بصواريخ القوات الجوية الباليستية العابرة للقارات المقامة برا .

كان البيت الأبيض فى ظل بوش قد نحى جانبا إتخاذ قرار فى الوقت الحال . لكن ثمة جدالا يصطخب فى الكونجرس حول ما إذا كان من الأفضل للقوات الجوية أن تتزود بالصاروخ الصغير المعروف باسم ميدجيتمان أو بالصاروخ الأكبر المسمى إم اكس . وقد أمضى ويلسن فترة من الوقت فى كابيتول هيل يتحدث إلى الأعضاء عن الخيارات ، وهو يعرف دقائق المسألة.

وقبل تثبيت تشينى كان ويلسن قد توجه إلي ويليم هوارد تافت القائم بأعمال وزير الدفاع طالبا منه السماح له بالمشاركة فى جدال الكونجرس ، قائلا لتافت

إن القوات الجوية لا يمكن أن تلزم الصمت فى هذه المسألة ، فأعضاء الكونجرس يسألون عن موقف القوات الجوية ، غير أنه لا توجد سياسة واضحة للإدارة يمكن للقوات الجوية أن تدفعها إلى الأمام .

فهل سنسقط بعيدا عن العربة ؟ هكذا سأل ويلسن تافت : إن من عدم الحكمة ترك الفراغ ، فما من شيء يمكن أن يكشف عن القرار الذى قد يصل إليه الكونجرس دون تدخل القوات الجوية . وهو يود أن يتحدث إلى الأعضاء الرئيسيين فى مجلس النواب والشيوخ.

وقال تافت لويلسن انه على حق ، وأن عليه أن يفعل ذلك .

كما قام ويلسن بزيارة سكاوكروفت فى البيت الأبيض ، ورغم أن الإدارة لم تكن قد قررت أى مزيج من الميدجيتمان والإم إكس تريده فقد قال لسكاوكروفت ان القوات الجوية لا يمكن أن تترك المسألة تمضي دون كلمة منها ، وإنه يحتاج إلى أن يجس نبض الكونجرس ، ويطرح بعض الخيارات.

وقال سكاوكروفت إنه لا يزعجه أن تجرى بعض المناقشات وتبادل المعلومات لكن البيت الأبيض - وليس القوات الجوية - هو الذى سيقدم التوصية إلي الكونجرس.

وبدأ ويلسن يزور مكاتب كابيتول هيل.

ويعرف چورچ ويلسون - مراسل "واشنطون بوست" فى البنتاجون - جيدا الطريقة التى كثيرا ما يتحسس بها البيت الأبيض والبنتاجون الأفكار فى الكونجرس قبل اتخاذ القرارات . وقد قال له بعض أعضاء الهيئة التشريعية أن ويلسن يتجول باقتراح حل فى وسط مسألة الصواريخ الباليستية العابرة للقارات.

وفى مساء ٢٣ مارس إتصل ويلسون بويلسن الذى أكد أنه "يجس نبض

النظام" .

وهكذا صدرت "البوست" فى الصباح التالى وفى صفحتها الأولى تحقيق بعنوان "القوات الجوية تعمل على إنهاء مشكلة الصواريخ" ، ويقول أن ويلسن قد أقترح حلا وسطا ، وإلى جانب التحقيق كانت هناك صورة لويلسن" .

وقرأ تشينى التحقيق . كان هذا هو يومه الثامن فى منصبه ، وكان قد سمع قبل أيام من ويليم ل . ديكنسون النائب الجمهورى فى لجنة القوات المسلحة وممثل ألاباما بان ويلسن قد جاء محاولا عقد صفقة مع ليس أسبين رئيس اللجنة.

ومنذ أن كان تشينى رئيسا للعاملين فى البيت الأبيض وهو يؤمن بأن الصواريخ الإستراتيجية من شأن الرئيس . فما يحاول ويلسن القيام به ليس حتى من شأن وزير الدفاع ، بل من شأن الرئيس.

وكان مفروضا أن يعقد تشينى فى ذلك اليوم أول مؤتمر صحفى له كوزير للدفاع. وجاء دون هوارد – المتحدث السابق باسم البنتاجون ، الذى سيحل محله بيت ويليامز حالما يتم تثبيت تشينى – لكى يستعرض مع الوزير الأسئلة المحتملة ، وقال هوارد أن من المؤكد أن يواجه تشينى سؤالا عن تحقيق "البوست" عن مهمة الجنرال ويلسن فى جس نبض الكونجرس.

وقال هوارد "أمامك خياران ، فاما أن تتهرب منه أو تضرب" .

وأجاب تشينى "إن ردى الغريزى هو أن ألطمه" .

وقال هوارد أنه فى الظروف العادية لم يكن ليوافق ، لكن هذا الوضع يستدعى إجراء قويا ، فالكلمة التى جاءت من مكتب تافت تقول إنه صرح لويلسن بأن يبحث عن معلومات من الكونجرس لا أن يتفاوض معه . وقال هوارد إن ويلسن سيشعر بالخنق الشديد ، لكن القرار يمكن أن يعالج فيما بعد .

وكان تشينى يدرك الأهمية الرمزية للانطباعات الأولى ، ففى الأيام الأولى لرئاسة فورد فى صيف ١٩٧٤ التقطت صورة لجيرالد فورد وهو يقوم بتحمير فطائره الإنجليزية وقد نشرت الصورة على نطاق واسع ، فأعطت انطباعا عنه كرجل بسيط متواضع وغرزت شعبية فورد ، ويعرف تشينى إنه الآن على وشك أن يعطى انطباعا عنه لا أمام الجمهور فحسب ، بل فى أجنحة البنتاجون ذاته ورواقاته ، فبعد تعينه مباشرة قال ايفانز ونوفاك فى عمودها "تشينى لن يستطيع أن يسيطر على المبنى بسرعة".

* * *

عند الظهيرة جلس ويلسن – شأن الآلاف غيره فى البنتاجون – ليشهد أول أداء عام للوزير الجديد ، مؤتمر صحفى يذاع على الهواء فى شبكة تليفزيون البنتاجون المغلقة .

وكان أول سؤال يوجه لتشينى عن الحديث عن حل وسط فى مسألة الصواريخ.

وأجاب تشينى "أعتقد أن القول بأن الحل الوسط قريب أمر سابق لأوانه" .

وجاء السؤال الثانى عن ويلسن بشكل محدد.

فقد قال أحد الصحفيين "سيدى الوزير يبدو أن الجنرال ويلسن رئيس أركان القوات الجوية قد توجه إلى الكونجرس ليعرض هذا البرنامج بنفسه . فهل يعنى توجه قائد أحد الأسلحة ليتفاوض بشأن نظامه الإستراتيجى تغييرا فى سياسة وزارة الدفاع ؟" .

فأجاب تشينى "ان الجنرال ويلسن يتصرف من تلقاء ذاته . ولم يكن يتحدث باسم الوزارة . ومن الواضح إنه توجه إلى هناك على مسئوليته الشخصية ، إذا

صح التعبير" .

وسئل تشينى هل يقبل مثل هذا التصرف.

- كلا ، إنه أمر لا يروق لى بصراحة.

ثم أضاف بصوت ثابت.

"أعتقد أنه من غير المناسب لرجل يرتدى الزى العسكرى أن يضع نفسه فى موقف يبدو فيه فى الواقع أنه يتفاوض بشأن ترتيب ما . ولم تتح لى الفرصة بعد لكى أحدثه فى ذلك ، فقد كنت فى البيت الأبيض طيلة الصباح . لكن الفرصة ستتاح لى لمناقشته . وسأبدى له عدم رضائى . ومن حق كل امرىء أن يرتكب خطأ واحدا" .

وعندئذ قال ويلسون مراسل "البوست" الذى نشر التحقيق أن ويلسن "قد أوضح تماما أنه لا يتخطاك أنت أو الرئيس".

وأجاب تشينى "حسنا ، إنى على ثقة من أنه سيوضح لى ذلك عندما يتحدث معى عن هذه المسألة " . وتصاعدت الضحكات فى قاعة الصحافة.

وأصيب ويلسن بالذهول ، فمن القواعد الأولى التى يدرسونها فى أى دورة قيادة عسكرية بدائية أن تثنى على معاونيك فى العلن ، وتوبخهم فى السر ، وما من شيء يمكن أن يكون أكثر أذلالاً ومهانة من التوبيخ العلنى ، وهذا اللوم مذاع على العالم بأسره .

وأمضى الچنرال بضع دقائق حتى يسترد أنفاسه ، ثم سار خارجا من مكتبه وهبط الدرج طابقا إلى جناح وزير الدفاع.

وقال ويلسن وهو يقف أمام الوزير "أنا لا أتصرف من تلقاء ذاتى ولم أفعل أبدا . لقد أيدت موقف الإدارة ، وعملت أكثر من أى شخص آخر فى هذه المدينة

لكيما تمضى الأمور بالطريقة التى تريدها الإدارة".

وقال تشينى إن المسألة قد انتهت.

ورأى ويلسن أنه لن يحصل على إعتذار ، فتشينى يريد أن ينحى المسألة جانبا بهدوء ، ودار بخلده أن تشينى ربما لا يستطيع أن يتحمل التراجع ، ولم يشر ويلسن إلى التصريح الصريح الذى تلقاه من كل من تافت وسكاوكروفت ، ففى النهاية كانت فكرة التوجه إلى الكونجرس هى فكرته هو ، وهو يبلغ من السن ما يسمح له بتحمل مسئولية أعماله ، أيا كان من وافق عليها .

وحاول ويلسن أن يقنع تشينى بأنه يستطيع الإعتماد على العسكريين ، فأكبر تأييد يمكن أن يجده فى المبنى سيأتيه من القيادة العسكرية.

لكن تشينى لم يكن يريد مواصلة مناقشة المسألة.

* * *

وفى الطابق الأسفل ، فى مكتب رئيس الأركان ، كان كراو يكاد يفقد صوابه . فلم يكن على علم مسبق بأن الوزير الجديد سيوبخ أحد القادة علنا ، فتشينى لم يناقش المسألة معه .

وكراو يعرف أن هذه المسألة ستسبب الكثير من الألم ، فهو يحاول أن يدفع رؤساء الأركان إلى أن يكونوا أكثر انفتاحا ، وأكثر مشاركة فى مناقشة مسائل الدفاع ، لكن هذا التوبيخ العلنى الآن سيزيد من تباعدهم وتجنبهم للتعامل مع الكونجرس ومع الصحافة.

وقال كراو فى نفسه إنه لأمر مؤسف . ففى أول أسبوع له فى المنصب ها هو وزير جديد ، لم يخدم أبدا فى الجيش ، ولم يعمل أبدا فى أى من لجان القوات

المسلحة ، يعاقب علنا أحد كبار الضباط . انه لم يسمع أبدا بشيء كهذا . ومن الواضح أن تشينى يشعر بالحاجة إلى أن يؤكد نفسه ، إلى أن يضع مؤشرا يؤكد أنه الرجل الأول فى المبنى ، كما أنه يسترضى وسائل الإعلام ، حيث سيشغل التوبيخ مكانا كبيرا .

وفى ساعة متأخرة من بعد ظهر ذلك اليوم عقد كراو وتشينى لقاءهما اليومى المنفرد قال تشينى "آمل ألا يكون هذا الإنفجار قد سبب لك مشكلة" . وأضاف أن ويلسن لم ينكر أنه توجه إلى الكونجرس.

وكان كراو قد قرر أن من الأفضل أن يتحدث بصراحة ، فبدأ يقول "إننى أختلف معك كل الإختلاف يا سيدى الوزير ، فليس هذا صوابا" . وأوضح كراو خطورة المسألة ، لقد اتهم تشينى بالفعل ويلسن بالعصيان العمدى لأحد الأوامر ، وهو ما يعد انتهاكا للقسم العسكرى . "ولقد أخترت الرجل الخطأ ، فلو أردت رئيسا تلطمه فأننى أستطيع أن أقدم لك كثيرين" . أما ويلسن فهو – كما يقول كراو – أهدأ رؤساء الأركان وأكثرهم تحفظا . وهو فى (التانك) – قاعة المؤتمرات بالطابق الثانى من البنتاجون حيث يعقد رؤساء الأركان المشتركة إجتماعاتهم الدورية – ليس سوى مستمع . وهو من بين كل الرؤساء أكثرهم مرونة ، انه "بنفسجى" ، هكذا قال كراو مستخدما التعبير السائد فى البنتاجون فى وصف الضباط المتفتحين على وجهات النظر خارج سلاحهم و"بنفسجى" لما تشير إلى اللون الذى يجمع ألوان أزياء كل الأسلحة.

وإستطرد كراو قائلا إن دخول تشينى فى خلاف علنى مع أحد الرؤساء لا يتفق مع كرامته كوزير ، وإنه بمحاولته أن يبين سلطته بمثل هذه الطريقة العلنية إنما يوحى بأنه هو نفسه ليس متأكدا منها .

ورأى كراو أن تشينى يبدو منكسراً قليلاً ، لكنه كان هادئا تماما وهو

يصغى إلى رئيس أركانه وهو يقلبه على الجمر.

وكما توقع كراو أثارت القصة ضجة فى وسائل الإعلام ، ونشرتها معظم الصحف الرئيسية فى صفحتها الأولى ، بعناوين تذكر أن تشينى قد "هاجم" و"أنب" و"وبخ" قائد القوات الجوية.

وداخل الجيش عرفت المسألة بأنها الطلقة التى سمعت فى العالم كله . وأخذ الضباط يتبادلون التحليلات عما توحى به عن مصائر العسكريين فى ظل تشينى ، وعن مصير القوات الجوية وويلسن نفسه . وكان ويلسن يعتبر أحد كبار المرشحين لخلافه كراو.

أما ويلسن فقد غاص بدرجة أكبر فى الظل ، ولم يقل شيئا علنا ، لكنه رأى أن من الضرورى أن يتحدث لجنرالات القوات الجوية العاملين ذوى الأربع نجوم . انه محارب قديم قام بمائة وسبعة وثلاثين طلعة فى فيتنام ، وكما يقول لأحد جنرالاته "لقد تعرضت لطلقات المحترفين ، وها أنا لا أزال هنا ، ومن ثم فإن طلقة أحد الهواة لن تسبب لى أى ألم" .

وترددت أصداء التوبيخ كذلك فى صفوف جنرالات القوات الجوية المتقاعدين وهم مجموعة وثيقة الصلة تتابع سياسات البنتاجون . وقال جنرالان متقاعدان بأربع نجوم لويلسن إنهما سيثيران ضجة كبرى ، فهما يعتزمان التوجه إلى الكونجرس ودفع بعض أصدقاء القوات الجوية هناك إلى طلب إعتذار علنى من تشينى ، وكلاهما على صلة وثيقة بأعضاء الكونجرس ذوى النفوذ وبوسائل الإعلام .

وطلب منهما ويلسن ألا يفعلا ، فنشوب نزاع بين القوات الجوية ووزير الدفاع لن يكون فى صالح أحد ، ولنفترض أنهما نجحا فى أن يثيرا ضجة بشأنها – فكيف سيفيد هذا القوات الجوية ؟ بتقليل فعالية وزير الدفاع ؟ لا شك أنهما

يمزحان ، فلو كان تشينى يحتاج إلى مثل هذا الأنتصار الصغير لكى يكون فعالا فدعوه يحصل عليه.

وقال ويلسن انه يستقيل من منصبه على الفور لو قام الچنرالان المتقاعدان بأي شىء علنا أو سرا .. ولم يفعلا شيئا.

وبعد عدة أيام من التوبيخ قال وزيرا دفاع سابقان لتشينى إنه قد أخطأ الطريق . وقال هارولد براون – وزير الدفاع أيام كارتر – لتشينى إن الحفاظ على ماء الوجه أمر بالغ الأهمية فى تقاليد السلاح ، وأن عليه أن يحرص على ألا ينفر العسكريين منه.

وقال چيمس شيزيلينجر الذى ترأس البنتاجون فى ظل نيكسون وفورد لتشينى إنه لا يتعرض لخطر أنقلاب عسكرى ، وإن كبار الضباط سيكونون مؤيديه الرئيسيين حين يحاول الحصول على الموافقة على برامجه وميزانياته ، فهم يعرفون كيف يعمل النظام ، ويستطيعون أن ينفذوا جدول أعمال الوزير أو أن يخربوه ، وعلى أى حال فإن مشكلة كبار الضباط – كما يراها شيزيلينجر – ليست هى أنهم غير محكومين ، بل على العكس تماما ، فبعد حياة طويلة من تلقى الأوامر يصبح الچنرالات والأميرالات أكثر امتثالا مما يجب إذا جاز التعبير.

ورأى ليس آسبن – النائب الديمقراطى الذى كان رئيسا للجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب – إنه قد لعب دوراً فى دفع ويلسن إلى فكرة الحل الوسط لمسألة الصواريخ منذ بداية الأمر . وبعد عدة أيام من التوبيخ التقى مع تشينى على مائدة إفطار ، وانتحى بالوزير جانبا.

قال آسبين "يا للمسيح يا ديك ، ان ويلسن لم يكن يفعل شيئا من هذا

القبيل . وكان يوضح دائما إن القرار بيدك أنت".

ورد تشيني بنصف ابتسامة تنم عن معرفة " لقد كان مفيداً أن أفعل ذلك

أجاب آسبين "حسنا ، أنا أفهم ما تعنى".

(٧)

نورييجا يهدد المصالح الامريكية

فى الوقت الذى كان تشينى قد أكمل شهرا فى منصبه كان كراو قد بدأ يرى كيف ستعمل المجالس الداخلية لإتخاذ قرارات الأمن القومى فى ظل بوش ، ولم يكن سعيدا بذلك . فقد كان جانب كبير من المناقشات فى مجلس الأمن القومى سياسيا . والقرارات تتخذ استنادا إلى أثرها المحتمل فى الكونجرس ووسائل الإعلام والرأى العام ، والتركيز على إدارة ردود فعلهم ، ويتشكك كراو كثيرا فى أن تكون هذه المعايير هى المعايير الرئيسية فى القرارات العسكرية وقرارات السياسة الخارجية.

ويبدو أن چيم بيكر كان يعتقد أن تولى وزارة الخارجية أشبه ما يكون بإدارة حملة انتخابية كبيرة : بوش ضد جورباتشوف . وهو يتطلع إلى مبادرة درامية للحد من الأسلحة ، ليبز السوفييت ، ويجعل بوش أكثر شعبية.

ومن مشكلات إجتماعات مجلس الأمن القومى الأخرى عادة سكاوكروفت فى الدخول فى مناقشات أكاديمية طويلة ، نابشا كل زاوية . وكانت هذه المناقشات فى نظر كراو تبديدا مملا للوقت فى كثير من الأحيان . ولقد أنهى بوش نفسه إحدى هذه المحادثات المستفيضة فجأة ذات يوم قائلا "ان هذا الموضوع يموت واقفا على قدميه فدعونا نؤجله".

وقال كراو فى سره "آمين" .

ويعرف كراو أنه - رغم ضخامة اللقب الذى يحمله - إنما يشغل مركزا هشا في الحكومة ، وهذا ما يسبب له الاحباط . فهو بحكم القانون المستشار العسكرى الأول للرئيس ولوزير الدفاع ولمجلس الأمن القومى ، لكنه ليس أكثر من مستشار ، فهو لا يقود أى قوة عسكرية ، ومن الناحية التقنية لم يكن رئيس الأركان المشتركة ولا رؤساء الأركان الأربعة حلقة فى سلسلة القيادة ، التى تمضى من الرئيس إلى وزير الدفاع إلى رؤساء الأركان فى القيادات المقاتلة الرئيسية العشر . ولايشرف رئيس الأركان المشتركة مباشرة إلا على ١٦٠٠ ضابط مكتبى ، قادمين من الأسلحة الأربعة ، فى هيئة الأركان المشتركة بمقر البنتاجون . وتكاد كل سلطة يمتلكها تكون قائمة على علاقته بالرئيس وبوزير الدفاع.

وكانت مذكرة بتوقيع الرئيس ريجان فى ١٤ يناير ١٩٨٧ قد وضعت كراو . فعليا فى سلسلة القيادة إذ قضت بأن تتم الإتصالات بين الرئيس ووزير الدفاع ، ورؤساء الأركان العشر من خلال رئيس هيئة الأركان المشتركة" لكن المشورة والإتصالات ليست سوى شىء ضئيل فى عمل القيادة الحقيقية فيه هى الجوهر.

وكانت المطالب اليومية المحددة للمنصب تلقى عبئا متزايدا أكثر من أى وقت ، فقد كان كابيتول هيل أحياناً - محنة رهيبة ، فعليه عند عرض الميزانية السنوية على اللجان الرئيسية أن يجلس ساعات يصغى بينما أعضاء الكونجرس يستعرضون مواقفهم واحدا بعد الآخر حول القضايا المحببة . وعند انتهاء إحدى جلسات الإستماع هذه همس كراو لأحد معاونيه "لن أعرض نفسى لهذا مرة أخرى" . وتوجه إلى تشينى فى اليوم التالى وقال له أنه اتخذ قرارا نهائيا بالتقاعد.

وكان كراو يدرك أنه لو أن بوش قد أزال كل العوائق ، وأمره بالبقاء فقد لا

يكون أمامه خيار ، وكان عليه أن يجد طريقة يكون فيها حازما فى إبلاغ الرئيس ، دون أن يبدو رافضا لبوش أو لادارته.

وأخيرا ذهب إلى البيت الأبيض وجلس مع بوش ، وبعد أن أوضح أنه هو وزوجته شيرلى قد اتخذا معا قرار التقاعد قال للرئيس "سأندم على هذا القرار فى بعض الأحيان ... أنا على ثقة من ذلك ... ولكن دعنى أقول لك إننى لن أشتاق لخمسين أو ستين فى المائة من عملى ولو لخمس دقائق" .

وكان على كراو أن ينهى ربيع وصيف عام ١٩٨٩ قبل أن تنقضى مدته . وهناك عدد من المشكلات التى تتطلب اهتمامه ، وقرب قمة هذه القائمة كانت مسألة بنما ، فقد كان الجنرال مانويل أنطونيو نورييجا - الرجل القوى الذى يدير البلاد - مصدر ضيق شديد ، فهو متهم بالمشاركة فى عمليات تهريب المخدرات ، ويدير نظاما شديد الفساد . ورغم أنه كان ذات يوم أحد أرصدة وكالة المخابرات المركزية الرئيسية فى أمريكا اللاتينية فإن الإدارة تنظر اليه اليوم كخارج عن القانون وعدو للمصالح الأمريكية . ولما كانت قناة بنما ذات الأهمية الإستراتيجية ستنتقل من السيطرة الأمريكية إلى سيطرة بنما فى نهاية القرن ، بينما يعيش فى بنما ١٢٠٠٠ من العسكريين الأمريكيين وأسرهم ، فقد كانت إدارة بوش تريد خروج نورييجا .

وكان كراو يعرف أن رئيس هيئة الأركان المسئولة عن بنما (والتى تعرف بالقيادة الجنوبية) جنرال الجيش فريدريك ف . ورنر قائد القيادة الجنوبية قد اشتهر بأنه (خِرِع) . وكان كراو يحبه ويحترمه ، لكنه رأى أن ورنر - الذى لم يخدم أبدا فى منصب كبير فى البنتاجون - لا يفهم سياسة واشنطون ، فقد كان مساعد وزير الخارجية الجديد للشئون الأمريكية برنارد و . أرونسون يقود جهودا من أجل معاملة أشد لنورييجا ، ربما بالقوة العسكرية إذا كانت ضرورية . وكان

ورنر يعارض تدخلا عسكريا عدوانيا أمريكيا فى أمريكا اللاتينية . وبعد تولي بوش بقليل صرح ورنر علنا بأن هناك فراغا سياسيا فى واشنطون بشأن بنما . وأنب سكاوكروفت بنفسه ورنر قائلا "أريدك أن تعرف أن الرئيس قد شعر بالغضب من خطابك" .

وكان عدد من أعضاء الكونجرس الذين زاروا بنما لمراقبة إنتخابات ٧ مايو ١٩٨٩ يرون أن ورنر يكاد يكون مسالما ، مما يسمح لنورييجا بتهديد الأمريكيين . وكان العاملون فى القيادة الجنوبية يقولون متفكهين بأنهم حين يردون على الهاتف فى مقر ورنر يقولون " القيادة (الخرعة)" ، ورجال الكونجرس يحثون بوش على فصلة .

وكان كراو حاضرا فى إجتماع فى البيت الأبيض حين عرض سكاوكروفت الشكاوى .

قال بوش "اللعنة يا برينت . لو أننا غيرنا كل من يشكو منهم أعضاء الكونجرس ، فسأغادر منصبى خلال أسبوع" .

وضحك كل الحاضرين . وسعد كراو لأن يرى منصب ورنر آمنا فى الوقت الراهن ، وفيما بعد أجرى كراو ما اعتبره مناقشة من القلب مع ورنر ، أوضح له فيها أهمية تهدئة أعضاء الكونجرس الزائرين .

وفى يوم الأربعاء العاشر من مايو كان كراو يشاهد نشرة التليفزيون المسائية عن بنما . وقبل ذلك بثلاثة أيام كان المرشحون الذين انتقاهم نورييجا قد هزموا هزيمة ساحقة ، لكنه ألغى الانتخابات . واحتشد مرشحوا المعارضة الذين سلبوا نصرهم فى "ڤيا اسبانيا" بمدينة بنما فى مظاهرة إحتجاج إجتذبت الآلاف وتتآلف من سيارات تطلق أبواقها . كان عملا نادر الجرأة من جانب معارضة نورينجا المتهيبة عادة . وكان المتظاهرون يهتفون بالأسبانية "يسقط الأناناس"

مشيرين بذلك إلى نورييجا بوجهه الملىء بالبثور .

وردا على ذلك قامت الكتيبة المسماة كتيبة الكرامة (أو "الديجبات" كما تسمى فى البنتاجون) - وهى وحدات ستة عسكرية موالية لنورييجا - بمهاجمة مرشحى المعارضة .

وتلقى جويليرمو إندارا مرشح المعارضة للرئاسة - وهو رجل فى الثانية والخمسين يزن ٢٥٠ رطلا وله وجه طيب أشبه بوجه طفل حسن التغذيه - ضربة على جبهته بقضيب حديدى وجهها له أحد رجال "الديجبات" . ولقى حارس جويلير مو "بيلى" فورد - مرشح المعارضة لمنصب نائب الرئيس مصرعه بطلقة رصاص . وظهرت صورة فورد نفسه فى التليفزيون وهو يتلقى لكمة ثم أخرى ، فترنح خارج سيارته ، ثم سقط إلى جوار الرصيف ، والدم يملأ عينيه ويلطخ قميصه الأبيض . وإذ جاء رجل آخر وبدأ يضربه بعنف بماسورة أخذ فورد يضرب بذراعيه دون أن يرى" .

وعرض هذا الفيلم ، وفيلم آخر عن إندارا فى المستشفى ، مرة بعد الأخرى فى التليفزيون الأمريكى ، وأصبحت صورة فورد الأشيب الذى سرق منه المنصب الذى فاز به فى الإنتخابات ، وهو ملطخ بالدم ولا يرى ما حوله ، رمزاً قوياً لحالة الفوضى واللاشرعية فى بنما .

وهزت التغطية التليفزيونية كراو ، الذى توجه فى تلك الأمسية إلى البنتاجون فى ثياب مدنية . وكانت قد وصلت بالفعل خمسة تقارير غير مؤكدة عن مضايقات للجنود الأمريكيين . وسرعان ما تلقى رئيس الأركان كلمة بأن عليه أن يتوجه إلى البيت الأبيض ذلك المساء لإجتماع مع بوش وبقية فريق الأمن القومى.

كان كراو يشعر بالضيق الشديد من بنما فلا شيء قد نجح - لا إتهامات وزارة العدل لنورييجا بتهريب المخدرات فى ١٩٨٨ ، ولا المفاوضات الفاشلة

لإسقاط الإتهامات إذا تنازل نورييجا عن السلطة ، ولا العقوبات الإقتصادية ، ولا أعمال وكالة المخابرات المركزية المستترة الرامية إلى خلع نورييجا . وكان كراو قد واجه مشكلة حقيقية مع أيليوت أبرامز مساعد وزير الخارجية السابق فى ظل ريجان ، الذى كاد أن يصفه بالجبن حين عارض كراو إستخدام الجيش للإطاحة بنورييجا.

والواقع أن كراو كان يتشكك فى كل إستخدامات القوة ، لا فى بنما وحدها ، فهو يعرف أن للرؤساء أحياناً طموحاتهم ، وأفكارهم المغالية عن الأهداف التى يمكن أن يحققوها بالقوة العسكرية ، لكن الحرب فى نظر كراو شىء قذر لا يمكن التنبؤ به ، وليس شيئا يعامل على أنه مجرد أداة أخرى من أدوات السياسة الخارجية . إنه يحبذ الإستخدام المحدد بالقوة ، خطوات صغيرة تتخذ متابعة لأهداف محددة بوضوح وقابلة للتحقيق ، وقد كانت العملية العسكرية الجادة الأولى التى وفقت فى عهده هى الغارة على ليبيا فى ١٩٨٦ ، وهى لم تستغرق سوى دقائق وحققت فى يسر هدفها وهو تخويف القذافى ليعود إلى خيمته . وقد أيد كراو قرار عام ١٩٨٧ بحراسة الأسطول الأمريكى لناقلات البترول الكويتية فى الخليج الفارسى ، وهى مهمة ذات هدف محدد محدود هو حماية حرية تدفق شحنات البترول.

وفى أبريل ١٩٨٨ وافق كراو على بحث تفصيلى لخطط طوارىء سرية باسم "ايلوبوريت ميز" كانت هيئة الأركان تضعها تحت الطلب إذا أصبحت هناك حاجة إلى إستخدام الجيش فى بنما . وكان كل من كراو وورنر يشعر بأن هذه الخطط غير مرضية لأنها لا تعكس كل دائرة (السيناريوهات) الممكنة .

وقد دفع ورنر إلى وضع سلسلة أخرى من الخطط لبنما . وكان من مزايا ذلك أن يبين لاليوت ابرامز ولوزارة الخارجية أن البنتاجون مستعد .

وأعطيت الخطط الجديدة اسما شفريا عاما هو "كتاب الصلوات" ، وأن كان لكل منها أسمها السرى الخاص.

فقد كانت خطة "الوقت اللاحق" خطة لدفاع الولايات المتحدة وحدها عن قناة بنما فى أوقات الأزمات بوضع القوات على طولها حتى تظل تعمل ، وحيث تؤمن النقاط الحساسة مثل القناطر وسد مادين – وهو مصدر رئيسى للمياه والطاقة للقناة – بالقوات العسكرية .

أما خطة "مفتاح كلونددايك" فكانت تسمى "عملية الإجلاء دون أذن" وهى عملية إجلاء لغير المقاتلين دون إذن البلد المضيف . وهى خطة واسعة للسيطرة على مدنة بنما ، وإستخدام الطائرات العسكرية والمدنية – بما فيها حاملات الطائرات وما تحمله من طائرات هليكوبتر – لاجلاء المواطنين الأمريكيين . ونظرا للعدد الكبير من الأمريكيين غير المقاتلين فى بنما فقد كان كثير من كبار الخبراء يشعرون بأن هذه المهمة غير عملية ويصعب القيام بها ، لكن أحداث الشرق الأوسط كانت قد وضعت كل أفراد إدارة ريجان – بما فيهم الرئيس – على حذر من إمكانية الإحتفاظ برهائن وهكذا وضعت الخطة رغم كل الشكوك .

وخطة "المنطق الأعمى" خطة أصغر كثيراً ، هى توفير خبراء عسكريين ذوى مهارات فى الشئون المدنية لمساعدة أبناء بنما على إقامة حكومة جديدة . ولم تكن هذه الخطة لتنفذ إلا إذا طلبت حكومة مدنية جديدة المساعدة .

وأما خطة "الملعقة الزرقاء" فهى خطة عمليات عكسرية هجومية أمريكية ضد الجيش الذى يسيطر عليه نورييجا – "قوات الدفاع البنمية" – وستقوم بها فى

وكانت الأهداف فى بنما واضحة : حماية المواطنين الأمريكيين والمصالح الأمريكية ، وإقامة حكومة ديمقراطية صديقه لكن السؤال كان هو بأى وسيلة .

بنما قيادة الجيش الأمريكى المحلية التى ستتولى قيادة قوات خاصة مشتركة تضم وحدات من الأسلحة الأربعة .

* * *

فى إجتماع البيت الأبيض مساء ١٠ مايو رأى كراو أنهم يرون فى الغاء نورييجا لإنتصار المعارضة نكسة كبيرة للسياسة الأمريكية . وكان الرئيس بوش متحمساً للقيام بشىء لحل مشكلة نورييجا . لكنه أدلى بما أعتبره كراو النقطة الرئيسية : إن الولايات المتحدة لا تستطيع تحمل خطر أن تحول نورييجا إلى شهيد بين يوم وليلة .

وقال بوش إنه لو تصاعدت المضايقات للجنود الأمريكيين إلى هجات مادية على الأمريكيين شبيهة بالهجمات على المعارضين البنميين فسيكون وضعاً لا يمكن السماح به ، فصور التليفزيون لأمريكيين يضربون ويفرون وقمصانهم ملطخة بالدماء ستتطلب إجراء عاجلا.

وقال كراو أنه يريد أن يتأكد من أن القوات العكسرية فى وضع أفضل للرد .

وإذا كان كراو يعرف أن چيم بيكر هو الأكثر تأثيرا على بوش فقد أخذ يرقب ليرى ما هو موقف وزير الخارجية من مسألة بنما . وحين كان بيكر وزيرا للخزانة أيام ريجان كان يقول أن نورييجا لا يستحق كثيرا من الاهتمام . لكن بيكر أصبح فيما بعد مديرا لحملة بوش حين أتخذ المرشح بوش خطا علنيا أكثر تشددا إتجاه نورييجا ، معارضا لأى صفقة إستخذائية ، وأدى هذا إلى بروز قضية نورييجا ، وأوحى بأن بوش سيجد حلا عندما يصبح رئيساً .

وقال بيكر فى شبه سخرية "لو كنا نعرف أننا سنكسب الإنتخابات بهذه

الأغلبية لما كنا قد حفرنا لأنفسنا مثل هذه الحفرة العميقة" .

ورغم أن بيكر لم يكن ليشابه فى شىء ايليوت أبرامز فقد كان بوسع كراو أن يرى أنه أخذ يميل إلى اللون العنيف لوزارته ، حيث يبدو لكراو أنهم كثيراً جدا ما يرون فى الحلول العسكرية الملجأ الأول لا الأخير .

وقال بوش إنه يريد أن يستغل الشعور الواضح المناهض لنورييجا الذى بدأ يتصاعد فى بنما ، كما أنه يريد أن يعرف ما إذا كان من الممكن إستخدام أشرطة الفيديو عن ضرب بيلى فورد لخلق تأييد مناهض لنورييجا فى أمريكا اللاتينية .

وكان جو الإجتماع هو أن على الإدارة أن تجد خطوة رمزية محكومة ما .

وفى تلك الليلة قرأ مارلين فيتزووتر . سكرتير بوش الصحفى – بيانا عاما معتدلا من بوش يدين فيه العنف .

وطيلة الأربع والعشرين ساعة التالية حاول كراو وتشينى أن يصوغا توصية عسكرية للرئيس .

فقد كانت سلسلة "كتاب الصلوات" المحكمة ذات الأجزاء الأربعة – شأنها شأن كثير من الخطط العسكرية – غير صالحة للتطبيق فى الوضع القائم : فلم تكن القناة فى خطر ، ولا كان هناك ما يستدعى الإجلاء الكامل للمدنيين ، وليست هناك حكومة جديدة لمساعدتها ، كما أن شن عمليه هجومية ضد قوات الدفاع البنمية ستكون شيئاً بالغ التطرف.

وعرض كراو على تشينى أن يقترحا تعزيز القوات الأمريكية فى بنما بإمدادات تبلغ لواء من ٢٠٠٠ رجل إلى ٣٠٠٠ رجل . ويمكن أن يتم هذا وسط ضجة شديدة مما سيشكل رسالة سيكولوچية هامة لنورييجا ولقوات الدفاع

البنمية ، ووافق تشيني .

واتصل كراو بورنر بالخط التليفزيوني المأمون . وسأل أولا عما إذا كان ورنر يحتاج أو يريد إستكمالا للوائح الاشتباك - المبادىء التوجيهية للقتال ، التى تحدد متى يمكن إستخدام القوة وكيف - حتى يستطيع أن يضع قواته فى وضع أكثر هجومية .

فرد ورنر بالنفى ، قائلا انه لم تقع أبدا حالة خطيرة واحدة لاستخدام القوة من جانب قواته الأثنى عشر ألفا ، وأنه يريد أن يبقى القواعد بسيطة .

واقترح كراو ارسال لواء للتعزيز ، لكن ورنر قال انه لا يحتاجه . وحين حاول كراو أن يشرح أنهم يريدون أن يكون ذلك بمثابة رسالة قال ورنر أن تدفق آلاف من الجنود يمكن أن يكون عبئا لا حاجة اليه .

وقال كراو ان الأمور تسير بسرعة بالغة ، وقد يكون على ورنر أن يقبل حشد قوة ما لأسباب سياسية .

* * *

قرر كراو أن هناك خطوة أخرى يمكن اتخاذها إستعدادا ، إذ يمكن إصدار أمر بنشر سرى لقوات عمليات خاصة صغيرة من خيرة القوات ، فبعد فشل عملية إنقاذ الرهائن فى إيران عام ١٩٨٠ بقليل - عملية الصحراء ١- شكلت وزارة الدفاع قيادة مشتركة للعمليات الخاصة ("J - soc") للقيام بعمليات لمقاومة الارهاب ، يرأسها ميجور جنرال فى الجيش ، وقاعدتها فى فورت براج بكارولينا الشمالية ولديها عدة مراتب من العاملين ، تتألف المرتبة الأولى من ثلاثة من فرق دلتا التابعة للجيش وفرق "سيل" البحرية (بحر - جو - أرض) .

ويضم كل سرب دلتا من ١٢٠ إلى ١٣٠ رجلا يمتلكون قوة نيران كافية

لكى تصبح أى معركة شبيهة بصورة غير نووية للحرب العالمية الثالثة . وكانت مدة التكليف فى . فرق الدلتا خمس سنوات ، ومتوسط أعمار أعضائها ٣٠ عاما ، وكل منهم خبير قادر على التحرك سرا فى معظم البلدان . وفى الخارج يمكن أن يرتدى أفراد الدلتا ثيابا مدنية ، ويتحدثون باللغة المحلية ، ويطلقون شعورهم ، ويفعلون كل ما من شأنه أن يساعدهم على الامتزاج فى الثقافة أو الجيرة . وهناك دائما سرب على أهبة الإستعداد ، جاهز للتحرك خلال أربع ساعات .

أما الفريق ٦ من "سيل" - المعادل البحرى لدلتا - فهو أفضل فريق في فرق سيل الرهيبة الثلاث - إنه الأفضل بين الأفضل . ومتوسط سن أفراد الفريق ٢٠ سنة ، ولابد أن يكونوا دائما فى قمة لياقتهم البدنية إذ قد يكون عليهم أن يسبحوا طيلة أربع ساعات قبل أن يشتبكوا فى قتال برى . وقاعدة الفريق فى نورفولك ، وهو يتألف من وحدات تضم كل منها ٣٠ رجلا ، ويمكن نشر فصائل من ١٤ رجلا كلا على حدة . وهم مزودن بكل شىء ، من معدات التنفس تحت الماء التى لا تصدر عنها فقاقيع حتى أحدث معدات المراقبة ، ولا شك أن هذا الفريق سيضيف بعدا جديدا إلى قدرات الولايات المتحدة إذ تتأهب إنتظارا لحركة نورييجا التالية .

وسيوفر إرسال هذه القوات الخاصة إلى بنما للرئيس قدرا كبيرا من المرونة ، ويضع على المسرح أفضل فرق إنقاذ الرهائن فى الجيش . وإتصل كراو بقائد قوات العمليات الخاصة المشتركة بالهاتف المأمون ، ونبهه إلى أن الحاجة قد تظهر إلى بعض قواته .

ووافق تشينى على إقتراح كراو بأن يوصيا الرئيس بإرسال فرقة دلتا وجزء من فريق سيل ٦ إلى بنما .

وبعد ذلك اتصل كراو بفريد ورنر فى بنما . ومرة أخرى قال الچنرال إنه لا

يريد القوات الجديدة التى يريد البنتاجون إرسالها اليه . كانت هذه إحدى المرات القليلة التى يلتقى فيها كراو طيلة حياته المهنية بقائد يقاوم إرسال قوات اضافية ، وذكر كراو أن مجموعة من القوات تتألف من ٢٠٠٠ جندى إلى جانب فرقة دلتا ووحدة سيل قد تأتى إذا وافق الرئيس.

وشعر ورنر بالإضطراب من ضغط واشنطون هذا . ان خطة "الملعقة الزرقاء" الطارئة تنص على إرسال وحدة دلتا للقبض على نورييجا ، وها هى وحدة دلتا تأتيه ان الولايات المتحدة قد آقتربت خطوة من التدخل المسلح ، وهو تحرك يعارضه ورنر بشدة وأوضح ورنر أنه يحس بأن عملية إختطاف - تتم كجزء من "الملعقة الزرقاء" أو مستقلة ستكون خطيرة للغاية ، فلو أنها فشلت فستمثل تصعيدا كبيرا ، يعرض للخطر كل المواطنين الأمريكيين فى بنما .

وكان ورنر يرى أن إحتمال نجاح عملية الأختطاف بعيد . فمن الصعب على المخابرات الأمريكية - إقتفاء أثر نورييجا ، فورنر لا يعرف إلا لماما أين كان نورييجا ونادرا ما يعرف أين يوجد فى وقت ما ، ولا يعرف أبدا أين سيكون - وهذا شرط لالقاء القبض عليه.

ومن خلال مصدر سرى - هو الكولونيل جويلرمو ونج رئيس مخابرات نورييجا - عرفت القيادة الجنوبية أن لدى نورييجا خطتين للتنفيذ إذا هوجم شخصيا أو بحثت عنه القوات الأمريكية . الأولى هى اللجوء إلى التلال وشن حرب عصابات والثانية هى أخذ رهائن أمريكيين . وادراكا من ورنر أن عملية إختطاف غير ناجحة يمكن أن تطلق الكابوس الرهيب ، كابوس الرهائن ، فقد كان يرى أن خيار الإختطاف بأى شكل "عمل أحمق .

* * *

ورغم أن كراو كانت تنتابه الشكوك فى حكمة إختطاف نورييجا فقد كان

يعرف أن عليه أن يدرس هذه الإمكانية ، لكن عليه قبل أن يتوصل إلى نتائجه أن يحصل على فكرة أفضل عما يريده تشيني . وكان يشعر أنه لم يسد بعد الفجوة بينه وبين تشيني ولم يتمكن من معرفة الرجل الكامن خلف هذا المظهر الذى لا ينم عن شيء . وذات يوم أثناء مناقشة خاصة تخلى تشيني عن حذره وقال لكراو

"أتعرف أن للرئيس تاريخاً طويلاً من الأعمال السياسية الإنتقامية" .... ضايق بوش وستدفع الثمن ، وأورد أسماء عدد من الضحايا وقال : إن بوش قوى الذاكرة ولابد أن تأخذ حزرك .

أى فكرة هامة ... هكذا دار بخلد كراو "بوش قوى الذاكرة و لابد أن تأخذ حزرك" .كان قناع تشينى قد سقط عنه لحظة .أكان ذلك عمدا ؟ – وانذارا لكراو ؟ أم تذكرة لتشينى نفسه ؟ لم يكن كراو على ثقة من أى الأمريين . لكن من الواضح أن تشينى يخشى بوش .

ولم يكن يبدو على الوزير الجديد أنه يأنف من أنواع الأعمال العدوانية التى تجرى دراستها بالنسبة لبنما ، فأثناء الشهرين الأولين من توليه لمنصبه أصر على أن يحاط علما بإمكانية الثأر لعملية تفجير طائرة شركة بان أميريكان فى الرحلة ١٠٣ فى ٢١ ديسمبر ، والتى انفجرت فوق لوكيربرى باسكتلندا ولقى ٢٧٠ شخصاً مصرعهم . وكانت الشبهات تحيط بكل من ليبيا وسوريا وإيران . وقد وافق على خطط للرد الانتقامى إذا أمكن تتبع عملية التفجير إلى أى من البلدان موضع الشك . ورغم هذا المؤشر المبكر إلى إستعداد تشينى لإستخدام القوة فإن كراو لم يكن واثقاً من آراء الوزير بشأن إختطاف نورييجا .

وفى إحدى الجلسات ذكر كراو هذه الإمكانية لتشينى ، قائلاً إنها ستكون خطيرة للغاية وليست بالضرورة حكيمة . واستعرض تشينى تفاصيل هذا الخيار ، وقال أنه يحبذه إذا لاحت الفرصة إذا كانت هناك معلومات جيدة عن مكان وجود

نورييجا أو إذا قام هذا الأخير بشىء إستفزازى صريح ، لكنه لا يحبذه إذا كان من شأن هذا الاختطاف أن تكون له آثار سياسية سلبية.

وفى يوم الخميس ١١ مايو أنهى تشنيى وكراو عملهما فى إعداد توصية لبوش : الإعلان عن نشر قوات ، مع إرسال فرقة دلتا وجزء من فريق سيل ٦ سرا . ووافق بوش .

وظهر ذلك اليوم ظهر الرئيس لفترة قصيرة فى القاعة الصحفية فى البيت الأبيض ليعلن أنه سيرسل فى الأيام القليلة القادمة ١٨٨١ رجلا اضافيا من القوات الأمريكية إلى بنما . وحين سئل عما إذا كانت الولايات المتحدة ستنظر بعين العطف إلى محاولة إنقلاب ضد نورييجا تهرب بوش من الإجابة قائلا "لقد أكدت ما أهتم به فى هذه النقطة ، انه الديمقراطية فى بنما انه حماية حياة الأمريكيين فى بنما" .

وفى موجز أخبارى بعد ذلك سئل سكاوكروفت عما ستفعله القوات الجديدة بشأن تزيين الإنتخابات فأجاب "لا أذكر أن الرئيس قد قال أن القوات قد أرسلت إلى هناك لإعادة الديمقراطية" ، فارسالها ليس سوى مجرد "خطوة إحتياطية حذرة" .

وكان الاسم الشفرى للعملية هو "رقصة نمرود" وتتألف من ١٧١٦ من القوات البرية و ١٦٥ من البحرية .

وفى اليوم التالى - الجمعة ١٢ مايو - وافق تشينى رسميا على الجزء السرى من عملية الانتشار .

فقد قيل لأغلب المصرح لهم بالاطلاع على تفاصيل هذه العمليات الخاصة أن الوحدات أرسلت إلى هناك لإحتمال أنقاذ رهائن ، ولما كان نورييجا وكتائب

الكرامة قد يفعلون أى شيئ للأمريكيين في بنما فقد كان احتياطيا حكيما أن تكون هناك قوات جاهزة للقيام بعملية إنقاذ معقدة .

ولكن كانت هناك مهمة أخرى لسرب دلتا ، فقبل شهر كانت قوات الدفا ع البنمية قد ألقت القبض على أحد عملاء وكالة المخابرات المركزية – كيرت ميوس – بتهمة إدارة شبكة اذاعية سرية تمثل جزءا من عملية الوكالة المستترة لخلع نورييجا . وقالت تقارير المخابرات إن حارسا يحمل مدفعاً رشاشا يقف خارج زنزانة ميوس ولدية أوامر بأن يقتله إذا ظهرت أى إشارة إلى اعتداءات أمريكية . وكانت وكالة المحابرات المركزية تشعر بالقلق الشديد على ميوس ، وتريد تجنب تكرار عملية إختطاف ويليم جاكلى رئيس محطتها فى بيروت عام ١٩٨٤ ثم قتله فيما بعد . وفى تلك الحادثة أدي عجز الوكالة عن تحديد مكان أحد رجالها وانقاده إلى أن تبدو ضعيفة . وهكذا ضغط ويليم هـ . ويستر مدير وكالة المخابرات المركزية على تشنيى لكى يضع الجيش لإنقاذ ميوس تكون جاهزة للتنفيذ فور صدور الأوامر.

وكانت زوجة ميوس موظفة من موظفى وزارة الدفا ع الأمريكية فى بنما ، مما يجعل من ميوس أحد الرعايا ومن حقه بحكم المعاهدة استقبال زيارة منتظمة من محام وطبيب أمريكيين ، وقد ذكرا أن ميوس – الذى أودع سجن موديلو أمام مقر قيادة نورييجا المعروف باسم "كوماندا نسيا" – يعامل معاملة طبية – إلا أنه باعتباره رهينة أمريكية فى يد نورييجا عرضه للخطر.

ووضعت خطة خاصة – باسم شفرى "آسيد جامبيت" – لكى يقوم فريق دلتا بإنقاذ ميوس فى عملية لا تستغرق سوى تسع دقائق .

ومن زاوية العمليات فإن استخدام فريق دلتا أو سيل لإطلاق سراح رهينة أمريكية أو سجين أمريكى لا يختلف كثيرا عن اختطاف نورييجا من بين حراسه

المدججين بالسلاح .

* * *

رأي كراو أن الرئيس بوش - مدير وكالة المخابرات المركزية السابق - يشعر بالقلق الشديد على رجل الوكالة الأسير . كما أوضح بوش أنه يريد أن يكون الجيش قادرا على القبض على نورييجا والعودة به إلى الولايات المتحدة لمحاكمته . أن آثار دخول بلد ذى سيادة والقبض على قائده قد تكون هائلة ، لكن كراو لم ير أى أمارة على أن النتائج تدرس بعناية .

وقال رئيس هيئة الأركان المشتركة لقائد القيادة المشتركة للعمليات الخاصة فى الهاتف المأمون "لا أستطيع أن أتنبأ بما سيفعله الرئيس ، ولكن كن على إستعداد" .

* * *

وفى يوم السبت ١٣ مايو استقل بوش طائرة القوات الجوية رقم واحد إلى المسيسيبى لإلقاء خطاب فى حفل تخرج . وإستدعى الصحفيين الذين يطيرون معه إلى مقصورته ليقول أنه ليس بينه وبين الجيش البنمى خصومه ، وإنما خصومته مع نورييجا و " قرصنته" . ودعا بوش الشعب والجيش فى بنما - فى أعنف تعليقات علنية له حتى ذلك الحين - إلى الإطاحة بنورييجا وقال "أن عليهما أن يفعلا كل ما يستطيعان لإخراج نورييجا من هناك " . ولم يكن من المألوف أبدا أن يدعو رئيس جمهورية علنا إلى إنقلاب ، ويعلن صراحة عن مطاردة حاكم أجنبى . وحين سئل بوش عما إذا كانت هناك حدود لما يعنيه قال "لا ، لن أضيف أى كلمات تحفظ" .

* * *

بعث كراو رسالة شخصية سرية إلى الچنرال ورنر يقترح خطة لإجراء مناورات عسكرية أمريكية جديدة فى بنما توكد بحزم حقوق الولايات المتحدة بمقتضى معاهدات قناة بنما . وفى ١٧ مايو رد ورنر قائلا أنه مستعد.

وفى حديث على الهاتف المأمون أخبر كراو ورنر بأن الرئيس قرر التصريح بإجراء التدريبات وأضاف "ولكن ليكن مفهوما ألا تقوم بأى شىء استفزازى" .

لقد أصبح ورنر معتادا على تنفيذ سياسة بنمية تنتهى إلى سلسلة من الخفايا والتلميحات ففسر تعليمات كراو الجديدة على أنها تعنى أن القيادة يجب أن تكون مخيفة ، حازمة ، وإن تثير الشكوك فى ذهن نورييجا عن النوايا الأمريكية ، وأن تتصرف بتشدد ، ولكن دون أن تشعل نزاعا قد يثير ردا مسلحا من جانب قوات الدفاع البنمية .. وإنه لخيط رفيع .

وفى الأيام التالية تراجع نورييجا . وتلقى ورنر تقارير مخابرات - منها تقارير من المصدر السرى الكولونيل ونج - تبين أن نورييجا يأمر قواته بأن تكون شديدة الحرص أثناء أى مقابلات مع الأمريكيين ، فينبغى ألا يعطوا الأمريكيين أى ذريعة لرد عسكرى . وطبقا لأحد هذه التقارير قال نورييجا لقواته محذرا "لاتثيروا حنق الأمريكيين" .

* * *

أدرك تشينى أن ورنر خبير فى شئون بنما - ربما أكثر من اللازم ، ولم يرق للوزير سياق ردود فعل القيادة الجنوبية للأحداث ، فأينما أقترح شىء هجومى - مثل توزيع نشر القوات الجديد أو تأكد حقوق الولايات المتحدة فى المعاهدة - فقد كان يجادل ضده ، ودائما ما كان الجنرال يقوم أسبابا قوية ، لكن

قلبه على ما يبدو ولم يكن مع حل عاجل لمشكلة نورييجا وإستنتج تشينى أن ورنر قد أصبح وكأنه واحد من أبناء بنما .

وفى نظر تشينى فإن أمام الولايات المتحدة - إذا كان من الضرورى التدخل فى بنما - خيارين أساسا : تنفيذ عملية "الملعقة الزرقاء" الهجومية ضد قوات الدفاع البنمية أو إختطاف نورييجا . ولم يكن ورنر متحمسا لأى من الخيارين ، وفضلا عن هذا فلا يبدو أن هناك أى ظروف قد تدفعه إلى الحماس .

* * *

سمع قائد الجيش السابق جاك مارش أن لعبة كراسى موسيقية ستدور فى الصفوف العسكرية العليا ، فسيكون على تشينى أن يختار رئيسا جديدا لهيئة الأركان المشتركة . وفى ٣٠ مايو - حين جاء تشينى لبرافق مارش فى إحدى وجبات غداء الجيش الشهيرة من الأسماك - أراد مارش أن يتأكد من أن تشينى يفكر فى أحد جنرالات الجيش لشغل المنصب . وهكذا أخذ مارش يحدث تشينى بعبارات الثناء العاطر على أحد مرشحيه المفضلين - الجنرال ماكسويل ريد ثورمان .

(٨)

آية الله ماكس فى بنما

قبيل موعد الغداء فى يوم ١٣ يونيو اندفع رجل صغير الحجم ، متوسط الطول كبير الرأس فى ممر الحلقة E بالطابق الثالث ولولا حلته العسكرية الزرقاء ، والنجوم الأربع على كل من كتفيه ، لا عتقد من يراه أنه أحد محللى الميزانية فى البنتاجون.

إنه أعزب يقدس العمل ، ولايتردد فى أن يعمل هو نفسه ورجاله ليلا وفى عطلات نهاية الأسبوع ، وهو يتحدث بطريقة مباشرة نافذة ولا يتقبل أى أعذار ، ولعله لا يوجد فى جيش الولايات المتحدة رجل يفوقه في جديته.

كان الچنرال ماكسويل ثورمان (٥٨ سنة) قادما لغداء خاص مع چاك ارش وتشينى . وكان مارش هو الذى دبر هذا الغداء . كانت فرصة نادرة لثورمان وهو يقترب من نهاية حياته المهنية لأن يتحدث مع وزير الدفاع ، فهو قائد قيادة التدريب والتوجيه - عقل الجيش - منذ ١٩٨٧ ، وقد قضى حياته - ٢٨ منصبا في ٣٦ سنة - كضابط فى الجيش ، والسنوات الست الأخيرة كچنرال ذى أربع نجوم .

وكان مفروضا أن يتقاعد فى غضون شهرين ، وسيترك الخدمة كمعظم الضباط ذوى النجوم الأربع - دون أن يصعد إلى أحد المناصب اللامعة كقائد

سلاح أو رئيس أركان . وإذا كان يفتقر إلى الشهرة لدى الجمهور فقد عوض ذلك في الجيش ، حيث كان أشبه بأسطورة ، وحيث يعرف بعديد من الأسماء مثل ماكس المجنون ، وأية الله ماكس ، والامبرطور ماكسميليان.

وكان مكتب سكرتير الجيش كبيراً فى حجم مكتب تشينى ، وفى زاويته يوجد مكتب لينكولن العملاق ، الذى صنع خصيصاً لروبرت إبن أبراهام لينكولن حين كان يعمل وزيراً للحرب من ١٨٨١ إلى ١٨٨٥ ، وجلس تشينى أمام مائدة الطعام الصغيرة ، والتى تقع مباشرة تحت لوحة بعنوان"الفاريون المهلهلون" تصور الجنرال جورج واشنطون وقواته الكئيبة المغبرة في وادى فورج . وجلس مارش على رأس المائدة حيث تطل النافذة على مدافن آرلينجتون الوطنية ، لقد رأى دائما أن من المناسب تماما أن يطل سكرتير الجيش وسكرتير البحرية - ومكتبه فوقه فى الطابق الأعلى - على هذا المنظر.. منظر تلك الصفوف التى يبدو أنها لا تنتهى من القبور البيضاء ، تذكرة بالثمن الحقيقى الفادح للحرب .

وحين بدأوا تناول الغداء قال ثورمان منذ البداية أنه سيطرح أفكاره بصراحة وبدون تغليف أو تلوين دبلوماسى . وعرض كيف نظم حملة التجنيد الحديثة فى الجيش ، وكيف بنى القوات التى تتألف كلها من متطوعين ، وحول جيشا أجوفا فاقدا روحه إلى جيش يشعر بالعزة .

كان ثورمان يعرف أن تشيني يتعرض للضغط من عدد من الدوائر - ومن بينها البيت الأبيض - لاشراك الجيش بنشاط أكبر فى الحرب ضد المخدرات . وقال ثورمان "انظر .. اننى لا أعرف موقفك فى هذا الشأن ، لكن هناك فرصاً أكبر فى الحرب ضد المخدرات" . فقد كانت هذه مسألة يجر الجيش أقدامه فيها بتثاقل.

وقال ثورمان أن وزارة الدفاع يمكن أن تكون أكثر حزما فى الحرب ضد

المخدرات ، فقدرات المخابرات - كما يعرف تشينى جيداً - مذهلة ، فالقدرة على التجسس من أعلى بالأقمار الصناعية ، وعلى إختراق المعاملات المصرفية العالمية قدرة غير عادية ، وليس بوسع أى لورد من لوردات المخدرات أن يفكر فى المنافسة أطلقت قدرات الجيش على التجسس ، فعمليات الرقابة الروتينية بالرادار يمكن أن تعنى ضبط الكثير من شحنات المخدرات .

وفى الوقت نفسه يمكن لفرق العمليات الخاصة الأمريكية أن تعلم الشرطة بجيش المحليين كيف يتغلبا على أى مركز أمامى للمخدرات ، وقال ثورمان إن حرب الولايات المتحدة ضد المخدرات ليست حرباً يائسه . كل ما فى الأمر أن قراراً يتخذ بإستخدام ما هو موجود .

وزادت حماسة ثورمان وهو يلقى بمونولوجه المنفرد ، وقال إن المسألة مسألة جدية الهدف .

ورأى تشينى أن مارش كان على حق فى حديثه عن ثورمان ، فها هو رجل لا يتحدث هراء ، رجل صريح تماماً . ومن الواضح أن الكثير قد حدث حيثما كان ماكس يتولى القيادة ، فحيثما يرى كثير من كبار الضباط عقبات ، أو يقدمون أعذارا ، فأن ثورمان يرى الإمكانات . ورغم ثمة صفة ما فى الجنرال تجعل من الخطأ توليه الرئاسة فقد كان تشينى على ثقة تماماً ان قمة منصب رئيس أركان على وشك أن يفتح قبل الموعد المتوقع .

* * *

فى ٦ يوليو تلقى ورنر مكالمة من قائد الجيش كارل فونو الذى قال له أنه سيأتى إلى بنما ليرى ورنر . وسأله هذا لماذا ؟

لم يكن بوسع فونو - وهو صديق حميم لورنر - أن يفيض فى الحديث ،

لكنه أكتفى بأن قال أن الزيارة ستستمر نحو ساعة .

ودار بخلد ورنر "ساعة واحدة ؟ " لابد أنها أخبار سيئة ، لكنه طلب منه منذ شهر واحد فحسب أن يمد فترتة فى القيادة الجنوبية حتى صيف ١٩٩١ .

وفى مقر القيادة الجنوبية انتحى فونو بورنر فى غرفة صغيرة حتى يمكن أن يتحدثا على أنفراد .

قال فونو وهو ينظر فى عينى ورنر مباشرة "فريد .. لقد قرر الرئيس أجراء تغيير" .

وشعر ورنر بالألم ، وكأنه أصيب بركلة شديدة فى معدته ... أنها السنوات الأربع والثلاثين فى الجيش .. أنها حياته بأسرها ... "لماذا يا كارل ؟" .

أجاب فونو "لا أعرف ... لقد جاءنى سكرتير الجيش وأخبرنى ، وقال أننى أستطيع أن أبلغك" . وأوضح فونو إنه قال لمارش أن ورنر صديق حميم له ، أنه قضى سنوات طويلة من الخدمة المخلصة ، وأنه يستحق على الأقل مجاملة الاستماع اليه وجها لوجه قبل القرار ، لكن على ورنر أن يبقى الأمر سرا .

لكن ورنر زاد الحاحا ... لماذا يفصل ؟

وردد فونو "لا أعرف .. كل ما أعرفه أنه قرار لا رجعة فيه " وأقترح فونو أن يصطنعوا سببا - سببا صحيا أو عائلياً أو عرض وظيفة جديدة ... أى شىء .

غير أن ورنر رفض أى غطاء .. انه يعرف القواعد : انه يخدم حسبما يروق للرئيس ، ويحتاج إلى دعم رئيس الأركان وقائد الجيش . ورحل فونو بعد ٤٥ دقيقة ليستقل الطائرة إلى واشنطون .

واحتفظ ورنر بالنبأ الأليم سرا . لقد وعد بأن يحفظ السر ، وعلى أى حال فليس هناك من يريد أن يحدثه فى هذا الأمر ، ودار بخلده كم هى غريبة ألوان

القسم التى يكون على ضابط الجيش أن يفى بها .. وهل من المتصور أن يتعهد بأن يبقى طى الكتمان نبأ نهايته المهنية .

وحين تحدث ورنر أخيراً تليفونيا مع كراو تظاهر الرجلان بأنهما لا يعرفان النبأ . وقال كراو حين تأتى إلى واشنطون فلابد أن تمر علىّ .

كان القرار قد أتخذ وكراو خارج البلاد . وحين علم به قال لتشينى "أود ألا تفعلوا شيئا كهذا دون أن تأخذوا رأيى" .

وأجاب تشينى "أن البيت الأبيض هو الذى قرر" . وألقى باللوم فى حسم القرار وفى فجائيته على سكاوكروفت .

وبعد بضعة أيام كان ورنر فى واشنطون ، ومر على مكتب كراو .

قال كراو "فريد .. أعتقد أنك تعرف أن الرئيس قد قرر اجراء تغيير وكل ما أستطيع أن أقوله لك هو أننى لا أعرف شيئاً . فلم يؤخذ رأيى . وقد أتخذ القرار بينما كنت فى الإتحاد السوفيتى" . واقترح كراو أن يتوجها معا إلى الطابق الثالث لمقابلة وزير الدفاع .

وأشار تشينى إلى مقاعد الضباط الوثيرة أمام مائدة الإجتماعات الصغيرة . ثم أخذ مقعدا هو الآخر .

قال تشينى "لقد قرر الرئيس إجراء تغيير" .

ودار فى رأس ورنر ... هذه الجملة مرة أخرى ، كأنهم جميعا مبرمجون أنها قد تعنى الكثير ، وفى الوقت نفسه قد تخفى الكثير . وبدا تشينى مسترخياً ، إنه لا يتخذ موقف الأعتذار ، ولا الدفاع عن نفسه ، وهو ينظر إلى ورنر في عينيه مباشرة .

قال ورنر مستجمعا قواه "بعد أربعة وثلاثين عاما من الخدمة أعتقد أن من

حقى الحصول على تفسير " .

قال تشيني "ليس لهذا الأمر شأن بشخصك أو بأدائك . أنه قرار سياسى"
سأل ورنر لماذا ؟ وماذا يعنى هذا ؟

وجلس كراو صامتاً فى مقعده كأنه قد من الصلب ؟ .

وألح ورنر على تشينى .

وقال تشينى بحدة "لقد حان وقت التغيير" . وأيا كانت الطريقة التى يوجه بها ورنر السؤال فما كان تشينى لسيتطرد فى الحديث .

وقال ورنر "تستطيع أن تسمى الأمر بالطريقة التى تروق لك . أو فى نظرى فأنا أعزل ، وتلك هى المرة الأولى فى حياتى المهنية " .

ولم يقل تشينى شيئا . وحين أستنقذ ورنر كل الطرق التى يمكن أن يوجه بها السؤال قال تشينى أنه يريد أن يرتب جدولا زمنياً لتغيير القيادة .

واتفقوا على أن يكون اعفاء ورنر بعد شهرين .... فى نهاية سبتمبر .

ووقف كراو وورنر ليخرجا ، وكما يفعل الچنرالات دائما - كما دار فى ذهن تشينى - فقد تقبل ورنر اللطمة وحيا ، وفى النهاية كان مهذبا تماما .

ولم يتبادل كراو وورنر الحديث وهما يهبطان السبع والعشرين درجة إلى الطابق الثانى . ولم يقل كراو ما إذا كان يوافق أو لا يوافق . لقد اتخذ القرار ... لقد قرر الرئيس .. وتلك هى الطريقة . لكن كراو كان يحس بالمرارة . فكلما أراد هؤلاء المدنيون " فانهم يستطيعون أن يتجاوزوه فى مرح . كان لدى كراو مأخذه على ورنر ، لكن الفصل لم يكن عادلا ، فقد كان ورنر ينفذ . جوهر سياسة الرئيس ، التى كانت لا تزال هى تجنب المواجهة العسكرية مع نورييجا .

وإذا كان البيت الأبيض قد أعتزم تغيير السياسة فإن عليهم أن يواجهوا المسألة بصراحة ، بدلا من أن يدوروا حولها محاولين الإيحاء بأن قائدا يزعمون أنه متهيب هو المشكلة . لكن من الأسهل أن يفصلوا وزير ، ويلوموا وزير ويجعلوا من ورنر القضية ، ولهذا فان تشيني لم يستطع ان يقدم سببا وكان الأمر الذى يبعث القشعريرة فى جسد كراو هو تلك اللامبالاه التى يبدو أن وزير الدفاع ينظر بها إلى مستقبل جنرال ذى أربعة نجوم.

* * *

وفى وقت لاحق فى شهر يوليو توجه فونو قائد الجيش إلى ماكس ثورمان فى سانتا فى بنيومكسيكو . لم يكن قد بقى سوى أقل من شهر على الموعد المحدد لتقاعد ثورمان ، وكان يرسل الدعوات لحفل تقاعده ، ويحاول التأكد من أن الدعوات تشمل كل زملائه واصدقائه ومرشديه ومحمييه الذين جمعهم طيلة ٣٦ عاما من الخدمة .

وأوضح فونو أن ورنر سيغادر القيادة الجنوبية أسرع مما كان موقعا - "تقاعد غير مبرمج " كما يدعونه - فهل أنت على إستعداد لأن تذهب إلي هناك نحو عامين ؟

أجاب ثورمان "حسناً .. دعنى أفكر فى الأمر نحو عشر دقائق ثم أخبرك "

قال فونو "بل أخبرنى الآن" .

قال ثورمان "حسنا ... سأذهب"ورتب ثورمان إجتماعا مع ورنر ليتعرف على القيادة ، وقال لورنر "أريدك أن تعرف أنه لا شأن لى بالأمر" .

"لو ظننت أن لك شأنا لما كنت هنا" .

كان ورنر لا يزال يشعر بالصدمة ، لكن الوقت كان قد أتيح له لكى يتبين مشاعره ، وأدرك أن بعض هذه المشاعر متناقضة . انه يفهم اختصاصات الرئيس ويؤمن بها ، لكنه يشعر بالقلق لأن القضايا العسكرية فى بنما قد نسيت . مما يضع سابقة خطيرة . وهو واثق من أنه أدى عملا جيدا ، منفذا تعليمات بوش وتشينى وكراو بدقة .. لا أكثر ولا أقل .. ولو أن الوسيلة الوحيدة لبقاء قائد ما فى موقعه هى أن يتوقع الرياح السياسية التى تهب فى واشنطون ، ويحاول أن يستبق التغيير الرسمى فى السياسة ، فسيفسد الجيش تماما .

* * *

توجه كراو وتشينى إلى البيت الأبيض باقتراحهما بأن تبدأ القيادة الجنوبية سلسلة من التدريبات المكثفة ، مؤكدة حريتها فى الحركة التى تكفلها معاهدة قناة بنما للجيش الأمريكى . أن بعض الحقوق التى تكفلها المعاهدات لم تمارس منذ سنوات وقد حان الوقت لتوجيه رسالة واضحة إلى نورييجا . ومن سلطة ورنر اجراء تدريبات منخفضة المستوى تدعى الفئة الأولى والفئة الثانية – تحركات أعداد صغيرة من القوات الأمريكية . أما الفئتان الثالثة والرابعة ، فتعتبر أقوى أستفزاز ، وتنضم مئات من القوات الأمريكية ، وتتطلب اخطار الرئيس قبل ٢٤ ساعة .

وفى ١٧ يوليو وافق بوش على خطة تأكيد القيادة الجنوبية للحقوق الأمريكية بمقتضى المعاهدات بإجراء التدريبات الجديدة .

وبعد ثلاثة أيام أعلن تشينى أن الچنرال ورنر سيتقاعد وسيحل محله الچنرال ثورمان .

* * *

فى جناح مريح يغمره ضوء مشرق للضباط خلف نقطة أمن خاصة فى الحرم الداخلى لهيئة الأركان المشتركة في البنتاجون ، كان الليفنانت چنرال توماس و . كيلى يصيح فى تليفون على مكتبه . كان يؤنب واحداً من هيئة ضباطه المباشرين طالبا أن يكون أكثر حذرا . أن كيلى (٥٦ عاما) ذا الصدر المنتفخ والنجوم الثلاثة هو الرئيس التنفيذى لهيئة العمليات التابعة لكراو ولهيئة الأركان المشتركة . وكمدير لهيئة العمليات - أو چى - ٣ - كان كيلى يعيش فى عالم ما هو عاجل مباشر فإذا تحرك القذافى ، أو أختفى جورباتشوف عن الأنظار طيلة أسبوع ، أو حدث انقلاب فى أحدى جزر الكايبى ، فإن المشكلة تهبط أوتوماتيكيا فى (طبق) كيلى . وهو المسئول عن التأكد من أن الجيش الأمريكى يتخذ مواقعه بالقوات والخطط والموافقات الصحيحة للإستجابة لكل ما قد يحدث تقريبا .

وچى - ٣ مركز تنسيق ومعلومات ، وكمدير له كان كيلى يعيش موزعا بين كوارث تقع ، وفرص تلوح .

انه قائد دبابات بتدريبه ومزاجه ، يمكن أن يصر على شرب بيرته من العلبة ، وأن يستخدم عبارة "أهو أمك ! " فى أكثر حفلات الكوكتيل رسمية ، لكن له رغم كل حديثه الخشن الفج جانباً فكريا ، إنه من أبناء فيلادلفيا حاصل على شهادة دبلوم الصحافة من جامعة تمبل ، وقد كان كاتبا سلسا ، وعندما كان يحمل نجمة واحدة كان يعمل تحت امره كراو فى إيطاليا ، حين كان الكولونيل هورنيس أركان قيادة جنوب أوروبا . وحين اتصل كراو بكيلى هاتفيا ليجنده للعمل فى هيئة العمليات الخاصة التابعة لهيئة الأركان المشتركة قال كيلى "حسنا فأنا ضابط دبابات" .

فأجاب كراو "أن ما أريده هو رجل يستطيع أن يتهجى" .

وإذا أدرك كيلى أن اجراء تدريبات من الفئة الثالثة والرابعة فى بنما يمكن أن تشغل فوراً مواجهة قد تتطلب قرارات رئاسية فقد أبقى كل خطوطه مفتوحة . كان يعرف أن خطط بنما هى أهم الطوارئ فى الوقت الراهن ، ويأمل أن يقلل المفاجآت بالنسبة للجميع .

وعلى الرغم من بعض الحوادث القليلة غير ذات الشأن - والتى سماها كيلى "حماقات القيادة الجنوبية" - فان التدريبات الأمريكية لم تستثر فيما يبدو قوات نورييجا . ورغم كل محاولات كيلى ورجال مخابراته فانهم ما كانوا ليستطيعوا أن يشيروا إلى أى دليل إيجابى على أن قوات الدفاع البنمية أو نورييجا يتصدى عمدا للقوات الأمريكية . لقد شكت امرأة أمريكية قائلة أنها أغتصبت ، لكن لم يكن ممكنا نسبة هذا الأغتصاب إلى قوات الدفاع البنمية ، وأدعى بحار أمريكى أن قوات الدفاع البنمية أسرته ، وأجبرته على أن يركع ويتلو صلواته بينما يتظاهر شخص بأنه على وشك إطلاق النار عليه ، لكنه لم يستطع

أن يمر من جهاز كشف الكذب . وكانت هناك حوادث إطلاق رصاص قرب الاستحكامات الأمريكية ، ولكن تبين أنها طلقات صيادين ، واستخلص كيلى أن نورييجا يتحاشى أى مواجهة.

* * *

فى ٥ أغسطس اتخذ الليفنانت چنرال كارل وستاينر مقعده بين علية القوم فى قلعة مونرو بفيرچينيا ، وهى قلعة ساحلية تاريخية قرب تورفولك ، ومقر قيادة الجيش للتدريب والتوجيه . كان إحتفال تقاعد تورنتون قد تحول إلى مجرد تغيير فى القيادة ، واذ أنه سيذهب إلى القيادة الجنوبية . غير أن ستلينر - قائد فيلق الجيش الثامن عشر المحمول جوا فى قاعدة فورت براج - أراد الحضور رغم ذلك ، فثورمان صديق قديم ، وستاينر لا يود أن يفوته هذا التجمع غير الرسمى الذى يجرى بعد إحتفالات تغيير القيادات الكبيرة .

ان ستلينر (٥٢ عاما) - ابن تنيسى الأنيق - يقود واحدة من قيادات الجيش الأولى ، مكلفة بالإستجابة دون تسويف لأى أزمة فى أى مكان فى العالم . ويمكن لأي من رؤساء الأركان أن يستدعى قواته البالغة ٤١٠٠٠ رجل للمساعدة فى تنفيذ خطط طوارىء ، أو للاستجابة لأى حالة طارئة أخرى . وكانت قدرات النقل الجوى الحديثة للقوات الجوية ، الجاهزة لدى أول أخطار لنقل الفيلق الثامن عشر تعطى لرجال ستاينر ميزة هائلة على أى قوات أمريكية أخرى ، فهم يستطيعون التدخل فى أى أزمة بأسرع من أى قوات أمريكية أخرى ، ما لم يكن مشاة البحرية منتشرون بالفعل سفن الأسطول فى الجيرة المباشرة .

وقبل هذا المنصب كان ستاينر قائدا القيادة قوات العمليات الخاصة لهيئة الأركان المشتركة وللفرقة ٨٢ المحمولة جوا . وربما لم يكن هناك چنرال أخر فى الجيش الأمريكى أكثر خبرة منه فى الإستجابة الحربية السريعة .

وبعد الإحتفال تنحى ثورمان بعيدا عن المنصة واقترب من ستاينر وقال وهو يغمز باصبعه برفق صدر الجنرال ذى الثلاث نجوم "كارلوس .. انك رجلى فى بنما ، وأنا أعدك مسئولا عن أي خطط طوارئ وأي عمليات قتال" .

ولم يبد على ستاينر أنه فهم تماما .

واستطرد ثورمان قائلا "أننى أحتاج رجلا يضع خطط عمليات طارئة ينفذها هناك إذا تطلب الأمر تنفيذها . وأريدك أن تذهب إلى هناك وتلقى نظرة على الأمور . وترى القوات" .

رد ستاينر "لكن لديك بالفعل قوة خاصة مشتركة هناك" . وكان الجنرال ورنر قد عين جنرال ذا نجمتين فى بنما لقيادة القوات الخاصة ، التى ستستخدم أساسا القوات الموجودة هناك بشكل دائم للاستجابة لأى أزمة ، ثم تطلب ما تحتاجه من تعزيزات .

قال ثورمان "افهم ما أقوله ... ستكون مسئولا أمامى" .

"أنا أفهم ذلك يا سيدى" .

قال ثورمان "أن أمامى مسرحا بأسره ، وسأتولى كل واجبات رئيس الأركان وعليك أن تهتم بالتخطيط للطوارئ ، وتدريب القوات الموجودة هناك وإجراء العمليات "أنهم يتبعونك جميعا .. كل الأسلحة" .

ان ثورمان لم يقد قوات فى الميدان منذ ١٤ عاما . وهو وقد أصبح رئيسا للأركان كان يدرك أنه سيكون مديرا ومشرفا . وهو بحاجة إلى محارب ، وستاينر هو نموذج قائد المعارك المتمرس" ومن المهم بالمثل أن ستاينر كقائد للفيلق الثامن عشر يمتلك أفضل المعدات ، وهيئة عمليات تبلغ ثلاثة أمثال هيئة رئاسة الأركان فى بنما ، وقوة مخابرات كبيرة وأفضل الإتصالات.

سأله ثورمان "هل سمعت بأوليس جرانت شارب ؟" . كان الأميرال شارب هو رئيس أركان حرب المحيط الهادىء فى هاواى ، المسئولة عن القيادة العسكرية فى كل منطقة المحيط الهادىء بما فيها فيتنام عند نشوب المعارك هناك فى ١٩٦٤ .

"كلا يا سيدى" .

ومضى ثورمان ملحاً "هل سمعت بالأميرال ماككين ؟ " .

وكان ماككين هو رئيس أركان المحيط الهادى من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ .

"نعم." .

"وهل لاحظت أنه كان لدى الأميرال ماككين فتى يسمى ويستمور لاند يحارب فى سايجون ؟" .

"نعم يا سيدى." .

قال ثورمان "فأنا ماككين وأنت ويستمورلاند ، فأستعد لكل شىء ، ولا أستطيع أن أعطيك أى تعليمات ، ولكن إذا تم تثبيتى وشغلت المنصب وذهبت إلى هناك ...." .

أجاب ستاينر "نعم يا سيدى" .

* * *

أعد ستاينر قواته للعمل على الفور . إنه – مثل ثورمان وكيلى وباول – لم يذهب إلى ويست بوينت ، وهو يحمل شهادة فى الزراعة من معهد تنيسى .

أنه معروف بعدوانيته ودأبه ، وهو شخصية تثير الجدال كثيرا . وفى١٩٨٥ كان قائد العمليات الخاصة البرية حين إختطفت السفينة "آشيل لورو" . وحين كان

فى صقلية مع فريق دلتا الذى أرسل للقبض على المختطفين لم يكن ليتقبل اجلاءالإيطاليين حين رفعوا تسليمهم ، وكاد يطلق النار على القوات الإيطالية ، ثم حاصر بطائرته الطائرة التى تقل الخاطفيين إلى روما دون اذن الإيطاليين . وأثار هذا إحتجاجا شديداً من الحكومة الإيطالية ، وأدى إلى توتر العلاقات الإيطالية – الأمريكية فترة من الوقت .

ويرى كيلى أن ستاينر جندى ممتاز ، رغم افتقاره إلى اللباقة وصراحته الزائدة طالما أن ستاينر لم يعيين سفيرا فى فرنسا وإن من الممكن التعامل معه .

* * *

بعد أن ترك ثورمان قيادته واجه على مضض فترة مؤقته سماها – حسب التعبير البريطانى "عطلة فى الحديقة" ، فطيلة ٥٠ يوما حتى الموعد المحدد لأن يشغل فيه فكان ورنر ، سيظل چنرالا دون قيادة .

سأل ثورمان كراو بعد أن شغل مكتبا مؤقتا فى البنتاجون "ماذا تريدنى أن أفعل فى هذه الأيام الخمسين ؟ هل لديك أوامر لى ؟ " .

قال كراو "أريدك أن تلقى نظرة جديدة على كل شىء ، بلا أى حواجز ، نظرة جديدة ، وبعيون جديدة ، وأيا كان ما توصى به فسيكون عليك – بعد أن تقره فى هيئة الأركان المشتركة – أن تعيشه" .

وقال كراو أن اتجاه الأحداث فى بنما يشير إلى أن نورييجا قد بدأ ينحدر من فوق التل . وأن سلوكه غير متوقع ، وعملية الدفع والجذب التى يتبعها خطرة . وقال رئيس الأركان "ان نورييجا يثبت أنه أحمق . ومن الأرجح أنه سيكون عليك أن تقاتل هناك . وحين يكون عليك أن تقاتل – فمن الأفضل أن تكون على إستعداد " . وإقترح كراو أن يلقى ثورمان نظرة تفصيلية على خطط طوارىء

"كتاب الصلوات" ويفحصها بدقه ، ويقرر ما هو ضرورى .. كن مستعداً .

نعم يا سيدى .

* * *

ومضى كراو كذلك إلى تشينى واقترح أن توضع بنما فى وضع الحرب ، وأن أفضل طريقة لذلك هى نقل مقر القيادة الجنوبية بأسره خارج بنما إلى مكان ما فى فلوريدا فقائد القيادة الجنوبية لا يولى سوى أهتمام قليل لبقية القيادة خارج بنما ، ويمكن أن تترك فى بنما قيادة قتالية تركز فحسب على المشكلة هناك .

واجاب تشينى أن هذه مشكلة سياسية كبيرة ، فأيا كانت الصورة التى سيتم بها ذلك فسيبدو الأمر وكأن الولايات المتحدة تهرب . وقال الوزير لرئيس أركانه أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك أيا كانت مزاياه .

* * *

ومن وجهة نظر چى - ٣ كان كيلى يرقب وصول ثورمان بقدر من الدهشة وكثير من السرور . ويقول كيلى "لست بحاجة لأن تفعل شيئا لتعبئة ثورمان ، فهو معبأ حالما يستيقظ صباحاً ، أى فى منتصف الليل" . ولفترة من الوقت كان كيلى يعتقد أن فكرة الجنرال ورنر عن الابقاء على قوات خاصة مشتركة مقاتلة فى بنما فكرة بيزنطية ، فالقيادة الجنوبية لا تمتلك الطاقة أو العاملين أو الإتصالات الكافية لإدارة أى عملية طوارىء كبيرة ، وتصور كيلى أن ورنر قد أبقى على رقابة العمليات فى بنما حتى تتاح له فرصة أفضل لمنع إستخدام القوات العسكرية الأمريكية هناك .

وشرح كيلى هذا كله لثورمان حين جاء قائد القيادة الجنوبية الجديد إلى مكتبه . وسرعان ما تبين كيلى أنه يضيع وقته لأن ثورمان قال أنه قد قرر بالفعل

كيف سيتصرف .

سأله كيلى ... ستاينر ؟

- بالطبع .

وقال كيلى أنها حركة حكيمة تماما .

كان الرجلان يدركان أن أوامر بوش بإجراء تدريبات تأكيد الحقوق فى معاهدة القناة يمكن أن تطلق شيئاً فى ثانية ، وأراد ثورمان أن يعرف المزيد عن خطط طوارىء "كتاب الصلوات" وما يمكن للچنرال ستاينر أن يفعله حقاً . ولهذا توجه إلى فورت براج .

ولم يكن ستاينر هناك ، لكن ثورمان تمكن من ان يدفع ورنر إلى أن يرسل عددا من المخططين فى القيادة الجنوبية من بنما إلى فورت براج ، وقضوا معه نحو ثمانى ساعات يطلعونه على الأهداف التى ستضرب ، ومعلومات المخابرات ، وتتابع الأحداث .

شعر ثورتون بالأنزعاج ، فقد كانت الخطط قائمة حول القوات الموجودة ؛ أما التعزيزات - إذا ساءت الأمور حقا - فمن المتوقع أن تأتى فى خمسة أيام الأمر الذى يضمن نسف أمن العملية ، فسيعرف نورييجا بالتأكيد أن الأمريكيين قادمون ، وهذا أمر يتعارض مع الاشتراطين الأساسيين للحرب الناجحة : المفاجأة والسرعة لكن فترة الخمسة أيام للتعزيز كانت مقصودة - فكلها جزء من خطة ورنر الإستراتيچية . فقد كان ورنر يشعر بأنه إذا رأت قيادة قوات الدفاع البنمية وأن الولايات المتحدة تعبىء قواها لعمل هجومى ، أو تنقل قوات غزو ، فأن هناك إحتمال ٥٠ فى المائة أن تطيح بنورييجا بنفسها .

وحتى لو كان ذلك صحيحا فان نسبة الخمسين فى المائة ليست كافية لثورمان .

(٩)

باول هو الفائز فى السباق

نحو رئاسة الاركان

فى الشهور التى أعقبت مغادرة كولين باول للبيت الأبيض كان يحس أن حياته قد تحولت ، فبعد عامين من العيش فى قلب العاصفة السياسية ها هو يطفو فوق مياه هادئة بلا أحداث فى قيادة القوات فى أتلانتا . وحين تخلى باول عن منصب الأمن القومى لخليفته - برينت سكاوكروفت - فقد راعى تقليدا قديما فى الجيش - حين تعزل فانك تحيي ، وتترك المنصب ، ولا تتصل أبدا ، فلم يتصل بسكاوكروفت منذ ذلك الحين .

وكانت هناك دلائل من حين إلى آخر على أنه لم يُنسى ، ففى آخر مارس ١٩٨٩ تلقى مذكرة بخط اليد من الرئيس بوش فوق إحدى أوراق ملاحظات الرئيس السميكة خاطبه فيها بوش باسم "كولين" ببساطة ، كانت تهنئة من عبارة واحدة بمناسبة منحه "اللامعة الرابعة" ، فى اشارة إلى النجمة الرابعة التى نالها باول ... هذا هو بوش دائما : لا يفوته حدث شخصى هام ، مثل الوصول إلى أعلى رتبة فى الجيش ، فيرسل سطرا أو سطرين . ووضع باول البطاقة جانبا ليضمها إلى (ألبومه)

كان ينفق الكثير من وقته ذارعا البلاد ، حيث يزور مختلف وحدات قيادة

القوات ، وهى أشبه بمظلة تضم كل قوات الاحتياطى الاستراتيجى التى تتألف من مليون رجل عامل واحتياطى وحرس وطنى . وذهل باول حين رأى الأمور تمضى على ما كانت عليه ، وكأن شيئا لا يحدث فى العالم .. أن الشيوعية تنهار فى أوروبا الشرقية ، لكن ثلاجة الجيش لا تزال تنتج الثلج للحرب الباردة . وما كان بوسعك وأنت تصغى إلى القادة والضباط والقوات وهم يتحدثون وترقبهم وهم يتحركون ، إلا أن تعتقد أن الخطر السوفيتى لم يتغير قيد أنملة ، وما زال التخطيط والتدريب مركزين على سيناريو إمدادات كبيرة لأوروبا – على طراز ما حدث فى الحرب العالمية الثانية – مئات الآلاف من القوات الأمريكية لمواجهة غزو سوفيتى واسع .

وباول يعرف أن هناك نوعا من التخبط فى الإدارة حول مسألة التغيير فى الإتحاد السوفيتى . وكان تشينى قد تنبأ بأن جورباتشوف "سيسقط فى النهاية" والأرجح أن يحل محله زعيم أكثر عداء للغرب ، وأعلن البيت الأبيض صراحة خلافه مع ذلك.

أما باول فهو من ناحيته يرى أن حلف وارسو فى خطر ، أنه حلف غير مقدس ، وليس الجيش السوفيتى سوى قوات إحتلال ، وحتى الإتحاد السوفيتى نفسه قد تغير حتى لا تكاد تتعرف عليه . وقد قال باول فى خطاب القاه فى الربيع أمام مجموعة من ضباط الجيش انه "لا يراهن" على أن خليفة جورباتشوف سيتجه إلى تهديد الغرب "ان الدب يبدو مسالما ، ولو أننا فتحنا حلف الأطلسى صباح الغد أمام أعضاء جدد لتلقينا عديدا من الطلبات الجديدة خلال أسبوع – بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ، وربما استونيا ولاتفيا وليتوانيا بل ربما حتى أوكرانيا" .

وقال باول لبعض أصدقائه الحميمين ومساعديه أنه خاطر بالكثير فى هذا

الخطاب وخاصة لأنه يناقض خطاب تشيني . وكان باول قد أعتاد أن تفحص تصريحاته بحثا عن المعانى الخفية ، ولذا قال إنه يتوقع انتقادات ، لكن خطابه لم يثر أى موجة . وها هو يرى للمرة الأولى منذ سنوات أن كلماته لا تحدث أى أثر . كان هذا أمّرا يشعرك بالامتهان ، لكنه يشعرك كذلك بالتحرر .

وفى يوم الأحد ٦ أغسطس ١٩٨٩ وصل باول إلى "بلمونت هاوس" وهو مبنى خارج بالتيمور حول إلى قصر للمؤتمرات - لحضور إجتماع لكبار الجنرالات لمدة ثلاثة أيام يدعو اليه فونو قائد الجيش سنويا . وفى صبيحة اليوم الثانى قرأ باول بقدر من الضيق تحقيقا فى "نيويورك تايمز" بعنوان "سباق على خلافة رئيس هيئة الأركان المشترك" وإلى جانبها صورتا باول والجنرال روبرت هيريس نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة ، ويقول التحقيق إنهما المرشحان الرئيسيان للمنصب ويمضى ليضيف أن "الجنرال باول على إتصال مستمر بتشينى من خلال الكثير من الرسائل". وكانت الانطباعة هنا واضحة .. إن باول يشن حملة لينال المنصب .

لم يكن قد كتب لتشينى سوى رسالة واحدة ، كانت تقريرا روتينيا كل سنة إلى وزير الدفاع يطلب من كل رؤساء الأركان العشرة . وواضح أن بعض المسئولين كانوا يريدون الإيحاء بأن باول منهمك فى نوع من المغازلة لتشينى خارج القنوات الرسمية لكنه لم يكن يضغط لصالح نفسه ، بل ولا يشجع أحدا على أن يدفعه إلى الأمام وإن كان يدرك أن فرانك كارلوتشى كان يقترحه على تشينى وعلى كل من فى واشنطون بأعتباره المرشح المثالى.

وكان تقدير باول هو أنه خسر السباق مع هيريس ، الذى يسانده الأميرال كما أنه كان يرى أن سكاوكروفت لن يشعر بالارتياح إذا جاء مستشار الأمن القومى سابق رئيسا للأركان ، ولم يكن على ثقة من أن فكرة تشينى عنه طيبة

للغاية لقد عمل الإثنان معا فى ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ خلال مناقشات الكونجرس الكثيرة حول تأييد قوات الكونترا فى نيكاراجوا ، وتلك هى قضية تشينى المحببة . وكان باول قد أستخلص فى النهاية - كممثل للبيت الأبيض فى أيام ريجان - أنه ليس للكونترا أهمية عسكرية ، وتمكن من التوصل إلى حل وسط مع الديمقراطية ، وهو يشك فى أن تشينى قد يظن أنه لم يكشف عن الكثير من شدة البأس ، فالكونترا فى نظر يمينيين من أمثال تشينى هى أختيار ورقة عباد الشمس وتصور باول أنه ربما لم يجتز هذا الاختبار .

وهو بأعتباره قد راقب أو شارك فى إختيار العشرات للمناصب العسكرية .

والمدنية الكبرى ، بما فى ذلك أختيار رؤساء هيئة الأركان المشتركة الثلاثة الأخرين يعرف أنه ما من شيء علمي فى هذه العملية . لقد حضر إجتماعات فى مكتب وزير الدفاع أو البيت الأبيض حيث يشير شخص ما بعبارة عن أحد المرشحين لمنصب كبير - ربما انه "رجل طيب" أو أنه مسنود بشخصية هامة - حتى (تسمّر) هذه العبارة الحاضرين ، وتصبح على الفور أساس الاختيار ، وكثيرا ما لم يكن هناك أدنى شبه باصطياد المواهب.

ولما لم يكن باول قد سمع شيئاً من تشينى ذاته ، أو من اتصالاته الكثيرة فى واشنطون- فما من اشارة تلوح عن بعد - فقد استخلص أن المسألة قد انتهت .

* * *

كان تشينى يفكر فى باول كرئيس للأركان حتى قبل اختياره ، وزريا للدفاع ، فالرئيس الجديد سيكون هو اللاعب الخامس فى فريق الأمن القومى الذى يضم بوش وبيكر ووسكاوكروفت وتشينى ، ولا بدلهم أن يختاروا الشخص المناسب .

وتحدث تشيني مرتين مع فرانك كارلوتشي - أكبر أنصار باول - الذى قال أساسا أن باول واحد من أفضل حلالى المشكلات فى واشنطون . وأيا كانت المهمة كبيرة أو صغيرة ، روتينية أو غير عادية ، فسيكون باول هو الساعد الأيمن الذى يحقق النتائج ، وعادة دون أن (ينفش ريشه) ، ولعله لم يخط خطوة خاطئة كبيرة طيلة السنوات الست الأخيرة كمساعد عسكرى لواينبرجر ، ونائب لكارلوتش فى مجلس الأمن القومى ، ومستشار ريجان للأمن القومى . وما من أحد أكثر انغماسا منه فى السياسة الخارجية والقضايا العسكرية وقضايا الدفاع ، وقال كارلوتشى إن لدى باول آراء قوية يدافع عنها ، لكنه يعرف متى يطيع الأوامر ويسير فى صف مع رئيسه .

كما قال كارلوتشى أن باول لا يبدو عليه كلل أو يفقد حماسه ، ويتمتع بقدرة بارزة على الإحتمال ، ويستطيع القيام بقدر كبير من العمل ،

وكان تشينى - ككل الناس تقريبا - يجد باول شخصا ساحراً محبوبا . هو يذكر مفاوضات باول مع الديمقراطيين أثناء مناقشة مساعدة الكونترا . ورغم أن تشينى قد أختلف معه فقد شعر بأن باول إنما ينفذ رغبات الرئيس بوش لا رغباته هو . وهو يريد أن يعرف الآن المزيد عن باول ، ليتأكد من أنه سيكون عونا ه فى البيت الأبيض ، ومع العسكريين ، وفى البنتاجون .

كان قد بدأ يتأكد من ايمانه بأن ملء المناصب العليا قد يكون أكبر مهامه ، من مشكلات هذا المبنى كثرة عدد أولئك الذين ينفقون وقتهم - من كل المستويات - فى محاولة أداء عمل أشخاص غيرهم ، فكثيرا ما نجد العسكريين يحاولون داء وظائف مدنية والعكس بالعكس . ولا يريد تشينى رئيس أركان يحاول أن كون وزيرا للدفاع . وقد يكون هذا الإغراء قائما نظرا لخلفية باول البارزة فى كل ن مكتب واينبرجر والبيت الأبيض أيام ريجان.

ورتب تشينى أثناء الصيف زيارة قصيرة لباول فى فورت ماكفرسون بجيورجيا مقر قيادة القوات . وكانت إحدى المسائل التى تشغل ذهن تشينى هى ما إذا كان باول عرضة لم يسميه تشينى "مرض هيج" . ففى ١٩٦٩ ذهب كولونيل الجيش الكسندر هيج للعمل مع هنرى كيسينجر فى البيت الزبيض ، وبقى فى عالم السياسة أربع سنوات ، ثم عاد إلى البنتاجون جنرالا ذا أربع نجوم ، ونائبا لرئيس أركان الجيش ، ولم تلق ترقيه هيج السريعة بفضل رعايه كيسينجر والرئيس نيكسون - رضاء الجيش أو البنتاجون . فقد كان هيج يرتدى حلاته بالبيت كأنها وسام شرف ، تاركا انطباعاً قويا بأن السلطة قد خلبت لبه .

وقارن تشينى ذلك بتجربته الخاصة كرئيس سابق لعاملى البيت الأبيض أصبح عضوا جديدا فى الكونجرس . وقد رأى كثيرون فى ذلك هبوطاً ، لكنه لم ينظر اليه هذه النظرة أبداً . فقد كان مرتاحا كعضو جديد ، وحاول أن يجعل كل من فى كابيتول هيل يرون أنه لا يفتقد ماضية فى البيت الأبيض ، أو يعتقد أنه أكثر أهمية بسببه . وهو يريد أن يتأكد من أن باول راهن بالمثل عن نصيبه ، وليس مستشارا سابقا للرئيس ، ساخطاً متطلعا إلى أن يعود ثانية إلى مكانته السابقة .

وفى أتلانتا قدم له باول عرضا مثيرا يبين أنه مستغرق تماما فى الوظيفة التى يشغلها ، وبدا أن الناس من حوله يحبونه ، وأنه بتفاصيل منصبه كقائد للقوات - فهو يقضى وقته مع الجنود ، ويهتم بالحرس الوطنى والإحتياطى . وأثناء الغداء فى مقر باول الرئيس ناقش الرجلان مستقبل الجيش ، وفلسفات الدفاع العامة .

وأثناء الإستماع والمناقشة رأى تشينى أن باول يشعر بالإرتياح لعودته إلى الجيش ، وليست لديه أى مخلفات عن فترة واشنطون ، مثل ذلك الفضول غير

السليم حول ألاعيب السلطة فى الإدارة .

ولم بناقش الرجلان منصب رئيس هيئة الأركان .

* * *

لم يكن تشينى قد أستقر بعد على باول كلية ، فهو إذ يمعن فى التفكير قد أخذ يزن نواقص إختيار باول ، منها أنه ليس فحسب أصغر من فى رئاسات الأركان ، بل هو كذلك أصغر الجنرالات الخمسة عشرة ذوى الأربعة نجوم الذين يمكن الإختيار من بينهم وحتى لو لم يكن تشينى مصابا بمرض هيج فان تشينى يعرف أنه ستكون هناك بعض المعارضة بين العسكريين لاختيار رجل كانت معظم مناصبه الكبرى السابقة فى مهام سياسية ومهام إدارة العاملين . وبهذه المشكلة فى ذهنه أخذ يفكر فى بوب هيريس نائب رئيس الأركان لمرشح محتمل آخر . لكن كراو كان قد أوصى يهريس . ومع تساوى كل الاعتبارات الأخرى فإن تشينى تروق له فكرة أن يختار كراو عمليا خليفته ، فستزداد السيطرة المدنية لوا أن القادة عن المدنيين - الرئيس ووزير الدفاع - هما اللذان اختارا رئيس هيئة الأركان .

وفى النهاية إتخذ تشينى قراره لصالح باول . ولم يبد ذلك لأحد حتى أوائل أغسطس ، حين توجه بهدوء إلى البيت الأبيض وتحدث مع الرئيس . وكان هدفه تمهيد الأرض ، وتجنب صراع حاد داخل الإدارة حول منصب رئاسة الأركان ، فهم لم يكن يريد أن يأتى سكاوكروفت أو بيكر أو سونونو بأسماء أخرى . وقال للرئيس انه بحث كل دائرة المرشحين - كل رؤساء الأركان العشرة ورؤساء الأسلحة الأربعة ونائب رئيس هيئة الأركان . وأضاف أن قائمته القصيرة ضمت كلا من هيريس وباول . وأنه يوصى بأختيار باول .

وكان بوش بدوره مؤيدا لباول ، لكنه آراد أن يتأكد أن ترقية رجل كان منذ

ستة أشهر فحسب بثالثة نجوم لن يغضب أصحاب الرتب العسكرية العليا ، حيث تؤخذ مسائل الأقدمية هذه بجدية شديدة . وطلب الرئيس من تشينى أن يتحدث مع باول عن هذه المسألة بالتحديد .

وفى اليوم الثالث من مؤتمر قادة الجيش فى "بلمونت هاوس" كان باول فى إجتماع فى نحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر حين تلقى مذكرة تطلب منه الإتصال بالوزير تشينى . وفى الساعة الخامسة بعد الظهر كان باول جالسا فى مكتب تشيني وهو يرتدى ملابسا مدنية غير رسمية .

ومضى الوزير إلى الموضوع مباشرة ، قال لباول انك فى القائمة القصيرة للمرشحين لمنصب رئاسة الأركان ، قائلا إنه يرتبط فى ذهنة بوزيرى الدفاع فى عهد ريجان – واينبرجر وكارلوتشي وأوضح تشينى أن النظام جديد ، وإنه سيكون وزير دفاع مختلفا ، وأن إحدى السمات الرئيسية للبنتاجون فى عهده ستكون هى زيادة سيطرة المدنيين .

ولم يناقش باول ، ومن ثم فقد طرح تشينى السؤال : هل يهمك منصب رئيس الأركان ؟ أهذا منصب تريده ؟ .

رد باول بالإيجاب لكنه أضاف "إننى لا أسعى إلى المنصب ، فأنا سعيد حيث أنا ، ولو أنتقيت شخصاً آخر من القائمة القصيرة فلن يضايقنى هذا ، وإذا كنت أنت والرئيس تريدانى فسأفعل" .

وعدد تشينى ما يعتقد أنه مؤهلات باول للمنصب " (١) أنت تعرف البنتاجون (٢) وتعرف البيت الأبيض (٣) وتدرجت بشكل سليم فى الجيش ولديك (٤) وتعرف الحد من الأسلحة – وهو موضوع سيكون هاما فى السنوات القادمة (٥) وأنا أعرفك ، وعملت معك حين كنت فى قيادة البيت الأبيض .

كانت المشكلة الوحيدة هى أن باول أصغر الجنرالات ذوى النجوم الأربع المؤهلين . وسأله تشينى مباشرة هل ستواجه مشكلات إذا قفزت متجاوزا كثيرا من قدامى الضباط .

كان انطباع باول هو أن السؤال موجه من الرئيس . وأجاب بأن السؤال صحيح ، لكنه لا يعتقد أنه سيواجه مشكلة فى التعامل مع رؤساء الأركان ، فهو يعرف معظمهم معرفة جيدة ، وعمل معهم ، وقال إنه قد وزن القضية بعناية بالفعل ولو أنه يعتقد أنه ستكون هناك عقبة لا اجتياز لها لرفض المنصب .

ووافق تشينى ، وقال أنه يريد أن يشغل باول المنصب "وستكون هذه هى توصيتى للرئيس" .

وغادر باول البنتاجون وهو يشعر بأن العملية قد تمت ، فما كان تشينى ليضع نفسه فى وضع يقول فيه أنه سيحمل اسم باول للرئيس لو أن هناك أى أحتمال لأن يعود فيقول الرئيس قد رفض . ولابد أنه قد سوى الإختيار مع القائد الأعلى قبل أن يتحدث معه .

وعاد تشينى إلى البيت الأبيض ، وأبلغ اجابات باول لبوش . ووافق بوش على الأختيار .

واتصل تشينى بباول فى اليوم التالى - ٩ أغسطس ، ليقول أنه تحدث مع الرئيس ، وأن كليهما يريدان باول رئيسا لهيئة الأركان . وعرض تشينى عندئذ المنصب رسميا ، وقبله باول .

وكانت من أوائل مكالمات باول الهاتفية مكالمة لفونو قائد الجيش ، فقد كان الرجلان قد اتفقا من قبل على أن يخبر كل منهما الآخر إذا سمع أقل أشاعة بشأن المناقشة الدائرة حول منصب رئاسة الأركان .

قال باول "لقد اتفقنا على أن أتصل بك ، وها أنا أتصل" .

ان فونو الذى ظل رئيسا لباول طيلة الإحدى وثلاثين سنة الأخيرة سيصبح الآن مرؤوسا له .

قال فونو بعد أن هنأه " سيؤيدك رؤساء الأركان ، وكل ما يريدونه هو أن يعرفوا ما يدور . وكل ما عليك أن تفعله ، إذا أردت أن تخطىء فأخطىء ولكن على أن يعرف الرؤساء أيضاً" . وأخيراً باول أنه كرئيس للأركان سيكون هو الذى يحمل أحمال الرؤساء عبر النهر إلى البيت الأبيض . وسيعتمد عليه الرؤساء فى ذلك لأنهم لا يحضرون إجتماعات مجلس الأمن القومى بالغة الأهمية .

وفى وقت لاحق من ذلك اليوم توجه تشينى إلى (التانك) وأبلغ الرؤساء .. وسرعان ما تسربت أنباء عن تعيين باول فى كل أنحاء المبنى وإلى وسائل الإعلام.

وإتصل كراو بباول فى أتلانتا ليهنئة . ولما كان باول سيحضر إلى واشنطون فى اليوم التالى للإعلان الرسمى فى البيت الأبيض فقد دعاه كراو هو والما لتناول العشاء.

ووصل باول وزوجته إلى ٦ شارع كوارتز - المقر الرسمى لرئيس هيئة الأركان المشتركة ، وهو منزل عادى بالطوب الأحمر فى فورت ماير بڤيرجينيا - فى الساعة السابعة والنصف مساء - وإذا أخذوا يتحدثون عن التفاصيل الشخصية لحياة رئيس الأركان - البيت والمعاونين والأسرة والبرتوكول والروتين - بدا كراو فاترا ، بل نائما .

لكنه استعاد صحوته حين بدأ يتحدث عن صديقه المارشال آخروميف ، الذى أصبح الآن من كبار مستشارى جورباتشوف . وكان آخروميف فى الولايات المتحدة قبل أسبوعين فقط ليقدم شهادة أمام لجنة القوات المسلحة التابعة

لمجلس النواب ويلقى بعض المحاضرات . وبدأ كراو - الذى كان قد صاحب صديقه السوفيتى إلى شيكاغو - يعرض على باول بعض الأفكار عن المارشال ، وعن أهمية الإحتفاظ بخط مباشر مع العسكريين السوفييت .

وقاطعه باول قائلا "أوه ، لقد التقيت بآخروميف" ، وهز رأسه منحيا الموضوع . كان باول عازما على ألا يتعامل مع العلاقة السوفيتية بطريقة كراو - فلا رحلات داخل البلاد مع آخروميف - فلم يكن صحيحا من زاوية العلاقات العامة أن يتعامل رئيس الأركان علنا بود شديد مع مارشال سوفيتى فى وقت يحاول البنتاجون فيه تمويل أسلحة استراتيجية جديدة مثل قاذفات الشبح لمواجهة الخطر السوفيتى .

ودار بخلد كراو : ليس هناك الكثير الذى تستطيع أن تقوله لمستشار أمن وقومى سابق .

وفى أواخر الشهر توجه بوش إلي كنيبونكبورت ، بولاية مين ، فى عطلة لمدة أسبوعين ونصف أسبوع فى منزله الصيفى فى واكرز بوينت" . وأثناء وجوده هناك تلقى مكالمة هاتفيه ودية من ب . اكس كيلى ، قائد مشاة البحرية المتقاعد ، الذى كان يقضى بدوره عطله فى المنطقة ، ودعا بوش كيلى للعشاء فى "واكرز بوينت" ، وسأل العضو السابق فى هيئة الأركان المشتركة عن رأية فى الطريقة التى سيستقبل بها باول بين كبار الرتب العسكرية ، الضباط الذين تزيد أقدميتهم عن رئيس هيئة أركانهم الجديد .

وقال كيلى انه حين كان هو نفسه أصغر عضو فى هيئة الأركان المشتركة ، وكان يتولى نوبته فى رئاسة الأركان حين يكون الرئيس متغيرا ، كان بقية الرؤساء يقفون حين يصل إلى (التانك) ، وطمأن الرئيس قائلا "لا تقلق بشأن رؤساء الأركان" .

(١٠)

الاستعداد لدخول بنما

لا يزال أمام باول أربعون يوما قبل جلسة مجلس الشيوخ لتثبيته ، وقد رأى أنه ليس بحاجة إلى (خلوة) عسكرية ليدرس كيف

فى رئاسة الأركان ، فليست لديه خطط سرية للتغيير ، وهو لا يريد أن يندفع من البداية بأفكار جديدة ، لكن ما يريده هو أن يبحث العمليات الكبيرة التى قد تنفذ بعد توليه لمنصبه .

ورأى أن هناك عدة أزمات قد تقفز لتمسك به على غرة أو بانذار قصير . وأراد أن يبحث أى خطط عسكرية موضوعة على الرف لمعالجتها ، فالخطط ستكون هى رصيده فى منصبه الجديدة . وكان يعرف أن الصورة التى لدى بعض كبار الضباط عنه هى أنه جنرال تدلله واشنطون ، ولم يتبع إلا المسار السياسى السريع ، وأنهم يتساءلون ما إذا كان فتى البيت الأبيض يعرف شيئا عن تفاصيل العمليات الميدانية .

وإذ أدرك أن بنما أزمة عسكرية تنتظر الوقوع فقد طار إلى فورت براج ليدرس خطط بنما ، وأثناء وجوده هبت عاصفة رهيبة أبقته هناك يومين ، وأنتهز كارل ستاينر الفرصة ليطلع باول بالتفصيل حتى يدرك أن الفيلق الثامن عشر قادر على تعبئة القوات خلال أثنتى عشرة ساعة لأى أحتياج قد يظهر فى العالم تقريباً .

وهكذا استعرضا "كتاب الصلوات" عن خطط بنما ، بما فى ذلك خطة "الملعقة الزرقاء" لشن عمليات هجومية على "قوات الدفاع البنمية" . ودهش باول لأن حشد القوات يستغرق أياما طويلة ، فخلال يوم أو حتى ساعات يمكن أن تتغير صورة الأزمة بأسرها ، والخطط لا تأخذ هذا فى الأعتبار . وأوضح لستاينر أن على الفيلق الثامن عشر أن يكون قادرا على أن يتحرك بسرعة الأحداث ، وأن الجيش الحديث ، الأخف ،يمتلك هذه القدرة ، لكن الخطط القائمة لا تستغلها ، ولابد أن تتحرك الأمور بسرعة أكبر ، أكبر كثيرا .

لم تكن الخطط تتيح امكانية للمبالغة ، أو لغزو تحت جناح الظلام ، لقد وفرت نظارات الرؤية الليلية وغيرها من أدوات التكنولوجيا للقوات الأمريكية قدرة لا مثيل لها على شن عملية كبيرة ليلا ، وضرب عدة أهداف فى وقت واحد ، والعمليات الليلية هى الميزة الكبرى للجيش الحديث . وتساءل باول حسنا ، ماذا يمنعنا ؟ .

ولم ير حاجة ملحة إلى تغيير الخطط بين يوم وليلة ، لكنه قرر أنها بحاجة إلى مراجعة تفصيلية ، وأن عليهم أن يروا ما إذا كانوا يستطيعون أن يخرجوا بمفهوم جديد يركز على المفاجأة والسرعة والليل .

وسرعان ما أرسل ستاينر خمسة من أفضل ضباطه إلى بنما لمدة شهرين بالتناوب لاعادة النظر فى الخطط ، وزودهم باتصالات مباشرة عن طريق الأقمار الصناعية حتى يستطيع أن يتحدث معهم ، ويطلع على كل تعديل يجرونه .

* * *

فى أواخر أغسطس تلقى تشينى تقارير من أحد مصادر وكالة التحقيقات الفيدرالية تزعم أن بابلو ايسكوبار لورد المخدرات الكولومبى ، الميلياردير الذى يترأس كارتل ميندلين ، موجود فى بنما ، وربما يعتزم أن ينقل قاعدة عملياته إلى

هناك . وكان ايسكوبار – الذى عددته مجلة "فورشن" كواحد من أغنى عشرة رجال فى العالم – هو زعيم صناعة المخدرات غير القانونية فى العالم كله ، وتذكر التقارير أنه على ما يبدو يعتقد أن نورييجا يمكن أن يوفر له حماية أكبر مما يجده فى كولومبيا ، حيث يبدو أن المسئولين ، بدأوا يأخذون بجدية الأنقضاض على لوردات المخدرات . وتصور تشينى أن هذه المعلومات جيدة للغاية بالنسبة لمنطقة عادة ما تكون المعلومات عنها متقطعة فى أفضل الأحوال .

وكانت الإدارة على وشك أن تعلن خطة شاملة لجريها ضد المخدرات ، وسيوجه الرئيس خطابا إلى الأمة عن هذا الموضوع مساء يوم ٥ سبتمبر . وأحس تشينى بالضرورة الشديدة لأن يفعل شيئا للمساعدة فى مشكلة المخدرات ، فقد كان يرى احباط بوش يتزايد .

وكان من مظاهر عزم الحكومة على مواجهة المخدرات فتوى قانونية جديدة من ٢٩ صفحة أصدرتها وزارة العدل فى ٢١ يونيو ، وتقرر أن للرئيس السلطة القانونية لتوجيه وكالة التحقيقات الفيدرالية إلى إختطاف هارب يقيم فى بلد أجنبى إذا كان قد انتهك القانون الأمريكى حتى لو كان ذلك مخالفا للقانون الدولى العادى . وألغت هذه الفتوى فتوى أصدرتها حكومة كارتر فى ١٩٨٠ وتوصلت إلى النقيض تماما – أنه ليس من حق وكالة التحقيقات الفيدرالية إنقاذ القوانين الأمريكية فى الخارج .

ويمكن أن تنطبق هذه الفتوى على كل من ايسكوبار ونورييجا .

وبدت معلومات وكالة التحقيقات الفيدرالية الجديدة عن مكان وجود ايسكوبار .

وطلب تشينى من كراو أن يرى ما إذا كان بوسع هيئة الأركان المشتركة أن تضع شيئاً للمساعدة على ألقاء القبض على ايسكوبار . ورغم أن الجيش

بالطبع لا يستطيع القيام قبل هذه الاعتقالات فقد رأى تشينى أن بوسعه تقديم مساعدة كبيرة .

وأقر الرئيس خطة أولية قدمها له تشينى وريتشارد ثورنبورج المدعى العام لالقاء القبض على ايسكوبار ، ومرحلتها الأولى هى بث "عيون" فى المكان لاجراء عمليات استطلاع تاكنيكية لتحديد الموقع الذى يختبىء فيه ايسكوبار طبقاً لأقوال مرشد مكتب التحقيقات الفيدرالية . ويمكن لوحدة عمليات خاصة موجودة بالفعل فى بنما أن تقوم بذلك ، وأن تؤكد معلومات مصدر مكتب التحقيقات الفيدرالية ، وعندئذ يختطف ايسكوبار بسرعة ، ويقدم الجيش للاستخبارات والإتصالات والحماية ، أما عملية القبض نفسها فيقوم بها وكلاء لمكتب التحقيقات الفيدرالية أو لوكالة مكافحة المخدرات يصحبون الفريق .

وعرضت ثلاث حجج قوية لتأييد العملية ، أولها أن القبض على ايسكوبار سيكون انتصارا كبيرا فى الحرب ضد المخدرات ، تبرز أنه ما من مكان مأمون - خاصة فى بنما - لمهربى المخدرات . والثانية أنها ستفزع نورييجا تماما ، إذ يستطيع أن يتصور أنه قد يكون التالى . والثالثة أن كاتبى خطابات الرئيس كانوا يبحثون عن أمثلة ملموسة للإنتصارات فى الحرب ضد المخدرات للإشارة إليها فى خطاب الرئيس القادم ، وسيكون القبض على ايسكوبار مثلا لامذهلا .

ولم تنفذ العملية فى النهاية ، فقد كانت اتصالات مكتب التحقيقات الفيدرالية بمرشدة غير منتظمة ، ولم يقدم هذا المرشد سوى معلومات عامة عن المكان الذى يدعى وجود ايسكوبار فيه ، وبحثت وحدة العمليات الخاصة عن المنزل لكنها لم تستطيع العثور عليه . كما كانت هناك شواهد على أن نبأ وجود ايسكوبار فى بنما كان خدعة كجزء من عملية تضليل دبرها مكتب التحقيقات الفيدرالية ضد مهربى مخدرات آخرين .

وشعر تشينى بالضيق لأنه لم يستطيع أن يقدم معلومات فى حينها ، وأمر هيئة الأركان المشتركة بزيادة قدراتها الاستخبارية .

* * *

نتيجة عدم تنفيذ عملية القبض على ايسكوبار ظهرت فجوة فى الخطاب المقرر أن يلقيه الرئيس عن حرب المخدرات ، ولملء هذا الفراغ دفع أعوان بوش وكالة مكافحة المخدرات إلى إستدراج مهرب المخدرات حتى حديقة لافاييت المواجهة للبيت الأبيض لصفقة مخدرات على عتبة باب الرئيس . ووقف الرئيس أمام (الكاميرات) وبيده حقيبة مغلقة من البلاستيك ليقول للمستمعين فى ٥ سبتمبر : "هذا كوكايين" كرال ضبطه منذ أيام رجال وكالة مكافحة المخدرات على الرصيف المقابل للبيت الأبيض . وكان يمكن أن يكون هيرويين أو . أنه يبدو بريئا كالحلوى لكنه يحول مدننا إلى ميادين قتال تقتل أطفالنا" .

وسرعان ما كشفت "واشنطون بوست" أن صفقة المخدرات كانت مختلقة وكان هذا اكتشاف محرجا للإدارة ، وعادت كل الحملة المعتادة للمخدرات تركز أضواء هامرة أخرى على نورييجا ، كرمز بغيض لعجز أمريكا عن مواجهة المخدرات غير المشروعة .

وكان ورنر فى آخر رحلة له إلى واشنطون قبل أن يعتزل القيادة فى بنما قد زار وزارة الخارجية للقاء لورانس ايجلبرجر نائب وزير الخارجية . وطرح أروتسون مساعد الوزير الجديد لشؤون الدول الأمريكية أثناء المناقشة امكانية الحل العسكرى فى بنما .

وقرر ايجلبرجر بعبارات قاطعة ، استناد إلى ثلاثة عقود من الخبرة فى الشؤون الخارجية "لن تغزو بنما أبدا" .

وبعد إجتماع فى البيت الأبيض فى سبتمبر قال كراو لكبار أعضاء هيئة الأركان المشتركة : "لا أعلم متى سيحدث هذا ولا ما الذى سيسرع به ، لكننى على ثقة من أنه سيكون علينا أن نستخدم القوة العسكرية فى بنما لحل الوضع ، وينبغى أن تكون على إستعداد لذلك" .

* * *

صباح يوم مطير هو يوم الأربعاء ٢٠ سبتمبر ١٩٨٩ ، توجه باول إلى كابيتول هيل لحضور جلسة تثبيته فى لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ.

كان قد حدد فى ذهنه نبض الأهداف لهذه الجلسة . فاولا هو يريد للجنة أن تعرف أنه يدرك أن العالم قد تغير ، وثانيا يريد أن يقول أنه رغم هذه التغيرات لا يود أن يشرف على عملية تفريغ للقوات المسلحة نتيجة إستقطاعات الميزانية ، وثالثا هو لا يريد أن يتحدث ضد الأميرال كراو ... أنه يريد جلسة بلا أحداث .

قال السناتور نون لباول قرب نهاية الجلسة الخالية من الأحداث "لقد وضع الوزير وايينبرجر عدة معايير لإستخدام القوات العسكرية الأمريكية فى الخارج" .

وعلت وجه باول نصف ابتسامة ، فهو يذكر الأمر جيداً ، ففى ربيع عام ١٩٨٤ كان باول يعمل مساعدا عسكريا للوزير حين وضع واينبرجر مشروع خطاب كبير عدد فيه ستة معايير لإستخدام القوة العسكرية . وما أن وزع هذا الخطاب لكى تقرة الإدارة حتى دارت معارك دامية ، فقد كان كل الرؤساء – باستثناء الجنرال جون و . فيسى رئيس الأركان – يعارضونه بشدة . وأوقف روبرت ماكفرين – مستشار الرئيس ريجان لشؤون الأمن القومى فى ذلك الحين – الخطاب إلى ما بعد انتخابات الرئاسة .

وفى النهاية – وكما كان الشأن عموما – حقق واينبرجر ما يريده ، وفى ٨ نوفمبر ١٩٨٤ ألقى الخطاب أمام نادى الصحفيين الوطنى ، وشعر بأنه أهم خطاب فى مدة ولايته وكانت المعايير هى : (١) "ينبغى ألاتشرك الولايات المتحدة قواتها فى القتال فى الخارج إلا إذا أعتبر الالتزام أو المناسبة الخاصة حيوية لمصالحنا القومية ، (٢) ألا يتم الالتزام باشراك القوات إلا "بهدف واضح هو النصر" ، (٣) أنه ينبغى أن ينفذ "بأهداف سياسية وعسكرية محددة بوضوح ، (٤) "ينبغى أعادة تقييمة بإستمرار ، وتعديله عند الضرورة ، (٥) ينبغى أن "يحظى بتأييد الشعب الأمريكى وممثليه المنتخبين فى الكونجرس" ، (٦) ينبغى أن يكون هو "الملجأ الأخير".

ويعرف باول أن هذا الخطاب كان جزءا من معزكة واينبرجر الرهيبة مع شولتز وزير الخارجية ، فوزارة الخارجية كثيرا ما كانت تضغط من أجل حلول عسكرية لمشكلاتها . فى حين كان واينبرجر والعسكريون – الذين سيكون عليهم بالفعل تنفيذ استخدام القوة – أكثر حذراً .

وكانت هذه قواعد جيدة فى نظر باول ، لكنه لم يكن واثقا من أنه كان ينبغى اعلانها ، إذ أن من الممكن لذلك أن يحولها إلى صخور جامدة ، بحيث أنه أينما استخدمت الولايات المتحدة القوة فسيعترض شخص ما قائلا : انتظروا دقيقة ، انكم لم تتبعوا أحدى القواعد .

وسأل نون باول "هل تعتقد – كما يقول بعض الخبراء المزعومين – أن رؤساء الأركان فى ظل معايير واينبرجر يعارضون ويتمنعون أكثر مما يجب فى إستخدام القوات العسكرية فى الخارج فى بعض حالات الطوارىء" .

فأجابه باول "ان ما خبرته فى السنوات القليلة الماضية هو أن رؤساء الأركان كانوا على إستعداد تماما لأن يوصوا الرئيس بإستخدام القوة العسكرية

فى بعض الأوضاع" واستشهد بمهمة سفن الحراسة فى الخليج الفارسى ، وبليبيا وغزو جرينادا عام ١٩٨٣ .

واستطرد باول قائلا "ومن ثم فليس هناك تردد فى إستخدام القوات المسلحة كأداة سياسية حين تكون المهمة واضحة ، وحين تكون شيئا درس بعناية وبحث ودرست كل تشعبات استخدام القوة العسكرية" .

ومضى باول يقول "لا أشعر أنهم كانوا يتجهون إلى قائمة واينبرجر ويقولون "آها" . ان الشرط الثالث لم يستوف" ، فخطاب الوزير واينبرجر الشهير ومبادؤه هى مبادىء توجيهية مفيدة ، لكننى لم أر فيها أبدا سلسلة من الخطوات ينبغى استيفاء كل واحدة منها قبل أن توصى هيئة الأركان المشتركة بإستخدام القوة العسكرية" .

وأيدت اللجنة بالاجماع تثبيت باول . وبعد يوم أقر مجلس الشيوخ بأسره ترشيحه بمجرد رفع الصوت وهو الاجراء الذى يطبق فى أقل المسائل إثارة للجدال .

(١١)

مسألة بنما وعدم جدية الرئاسة الأمريكية

في يوم السبت ٣٠ سبتمبر تولى ماكس ثورمان القيادة الجنوبية في بنما خلفا لورنر . وحضر كبار الضباط الأمريكيون والملحقون في سفارات بلدان أمريكا اللاتينية الاحتفال بتغيير القيادة في مدينة بنما . وبعد ذلك اتجه ثورمان على الفور إلى العمل ، حيث تلقى عروضا - مستفيضة - "الأكوام" كما كان يسميها - عن كل بلد في منطقة مسئوليته الجديدة ، وعمل طيلة اليوم التالي وهو الأحد . وفي الساعة التاسعة والنصف مساء - وبعد العشاء - حول له أحد مساعديه مكالمة هاتفية . كانت محطة وكالة المخابرات المركزية تبلغه بأنها تلقت معلومات من زوجة ضابط كبير نوعا من ضباط قوات الدفاع البنمية - ولم يكن الاسم واضحا - بأن زوجها يخطط لإنقلاب على نورييجا في اليوم التالي . ويريد من القوات الأمريكية أن تسد بعض الطرق . وكانت معلومات المرأة غامضة .

قال ثورمان "أوكي .. عليك أن تنفذ عبر كل هذه النفايات لتصل إلى حقيقة من الذي يقول ، وماذا يقول ... تبين ماذا يجرى" .

ومضى ثورمان إلى مركز قيادته في "النفق" ، مقره المأمون على حافة تل في مرتفعات كوارى بمدينة بنما . ونحو الساعة الثانية صباحاً جاءه إثنان من رجال وكالة المخابرات المركزية .

قال أحدهما "لدى أنباء سيئة ... إننا لا نرتاح للشخص الذى يدبر الأنقلاب" . وأوضحا انه الميجور مويسيس جيرولدى ، وهو رجل هادىء فى الثامنة والثلاثين وعضو فى قيادة قوات الدفاع البنمية وقد التقى رجال المخابرات المركزية بزوجته أولا ثم به . وهو كميچور – وهى إحدى الرتب الكبيرة فى قوات بنما – فى وضع يمكنه من القيام بإنقلاب ناجح . لكنهم اكتشفوا أنه ساعد نورييجا على القضاء على إنقلاب قبل ١٨ شهرا فحسب ، أى فى مارس ١٩٨٨ . وقد سلّم جيرولدى المشاركين فى الانقلاب حيث سجنهم نورييجا وعذبهم . وها هو الرجل نفسه يطلب من الجيش الأمريكى سد طريقين رئيسيين فى مدينة بنما لوقف تحرك قوات نورييجا .

وشك ثورمان على الفور فى أن هذه محاولة لاستدراجه شخصياً إلى عملية حمقاء خادعه ، ودفعه إلى التقدم بالدعم العسكرى ، ثم فضحه كرجل ساذج ، وتحطيم مصداقيته فى الأيام الأولى من توليه القيادة .

وسأل ثورمان ما هى خطة جيرولدى ؟ وماذا يعتزم المخططون عمله بنوريجا ؟

أوضح أحد رجلى المخابرات "سيقنعونه بالتقاعد" .

إنفجر ثورمان قائلا "ماذا تقول ؟" .

سيقنعونه بالتقاعد ، ويأملون ألا يكون فى القيادة حين يقوم الأنقلاب" . وكان جيرولدى يخطط للإستيلاء على مقر قيادة نورييجا ثم الاتصال به واقناعه بأن حكمه قد أنقضى ، وأن من الأفضل له أن يتقاعد سلميا فى منطقة ريفية .

قال ثورمان "دعنى أرى ما إذا كنت قد فهمت جيدا ... أنه خارج مبنى القيادة ، وهم سيتصلون به هاتفياً ويطلبون منه التقاعد بهدوء ؟" .

"نعم" .

قال ثورمان أنه شيء لا يصدق . لماذا لا يمسكون به ويفعلون به شيئاً ؟ لم أسمع بشيء كهذا - انه شيء أبله" .

إنه لم يقض سوى ٢٤ ساعة فى القيادة وها هو يواجه مثل هذا الأمر . ورأى من الأفضل أن يبلغ واشنطون . واتصل بالچنرال كيلى فى منزله فى الساعة الثانية والنصف صباحاً على خطه المأمون .

قال ثورمان : "لدى نبأ لك .. أن انقلابا سيقع" . ولخص ما قاله رجلا المخابرات قائلا أن من المزمع أن يقع الإنقلاب فى الساعة التاسعة صباحاً - أى بعد نحو ست ساعات - وأن جيرولدى قال أن النبأ سيذاع قبل وقوعه بخمس عشرة دقيقة فى محطات التليفزيون المحلية .

سأله كيلى - وهو لا يحمل سوى ثلاثة نجوم فى حين يحمل ثورمان أربعة - "ما هى توصيتك ؟ .

أجاب ثورمان "بسيطة ... ان هذا شىء سيىء الدوافع سيء التخطيط - انهم سيسعون إلى أقناع الرجل بالتقاعد ، آلمين ألا يكون هناك - وسىء القيادة ، فهذا الشخص لا يعرف من سيشترك فى الإنقلاب ، إنها خطة محكوم عليها بالفشل ، وأوصى بأن تظلوا بعيدا عنها ... بعيدا عنها تماما" .

* * *

كان باول - الذى تولى رئاسة الأركان فى منتصف ليلة أول أكتوبر دون ضجة أو أحتفال - يقضى يوم الأحد فى منزله انتظارا لأول أيام عمله يوم الأثنين وكان نائما حين اتصل به كيلى .

قال كيلى لرئيسه الجديد "لدينا بعض المؤشرات على أن انقلابا سيقع فى

بنما" .

ووافق باول على مقابلة كيلى فى البنتاجون خلال ساعة ، لكنه أيقظ تشينى أولا ليخبره بالنبأ . ثم توجه فى ساعات ما قبل الفجر المطيرة ليبدأ أول يوم عمل له مبكراً أربع ساعات وحين وصل إلى مركز القيادة العسكرية الوطنية - الجزء المغلق من البنتاجون حيث يتوجه الوزير ورئيس الأركان وكبار مساعديهما لرصد العمليات وتجيهها . وداعب كيلى لايقاظه فى هذه الساعة المبكرة ، ثم وضعا حفنة من الضباط فى حالة استعداد كفريق أزمات لمتابعة الوضع و وتنسيق استخدام القوة .

وقـال باول بعد أن قرأ موجزا عن الانقلاب انه يبدو أمرا أحمقا ، وليس ثمة ما يدعو الولايات المتحدة إلى الموافقة عليه . ولم يكن باول ولا كيلى لتروق له فكرة التدخل المتعجل ، فالتخلص من نورييجا شىء يجب أن يتم وفقاً للجدول الزمنى الأمريكى ، وليس بأنقلاب غير ناضج على يد قائد أنقلاب غير ناضج كما قال باول .

ولأن باول كان يريد القيام بأدنى عمل ، وألا يورط الولايات المتحدة فى شىء أحمق ، فقد كان الطلبان المحددان يمثلان مشكلة ، ومن الممكن تدبير تدريب تقوم به سرية تضم عدة مئات فى أحد الطرق التى يريد المتآمرون سدها . وقد أوصى بهذا وأقره تشينى . أما المطلب الثانى ، وهو تأمين جسر الأمريكتين الذى يعبر القناة إلى مدينة بنما ، فانه سيصل بالقوات الأمريكية إلى مقربة من مقر قيادة نورييجا ، ولا يمكن تصويره على إنه تدريب روتينى . ولم يوصى باول به .

*　　*　　*

تحت غرفة مكتب باول بطابق واحد مباشرة كان الرير أميرال ادوارد د "تيد" شيفر منهمكا فى انتقاء المعلومات . كان شيفر (٤٨ عاما) نائب مدير وكالة مخابرات الدفاع لدعم هيئة الأركان المشتركة - أى ضابط مخابرات باول - كان قد قضى وقتا طويلا متخصصا فى مخابرات البحرية ، وله صلات طيبة بكل وكالات المخابرات العسكرية ، وبوكالة المخابرات المركزية وقد استخدمها فى ذلك الصباح لكى يعد تقييما لباول . وبلغة المخابرات فإن الميجور جيرولدى يمكن بسهولة أن يكون "طعما" - شركا أرسل للتضليل أو الخداع - وإضاف شيفر "ربما كان نورييجا . يحاول يجعلنا نظهر كحمقى " ويبدو أن جيرولدى يعد إنقلابا ضد مقر القيادة لا ضد نورييجا ورغم أن هذا قد يكون ابتكارا ، فإنه يستند إلى فكرة خاطئة هى أن الإستيلاء على مبنى يمثل الإستيلاء على السلطة . إنها فكرة حمقاء تمضى إلى حد احالة نورييجا إلى التقاعد فى الريف بمعاش كامل ، وأخبر شيفر رئيسه بأن وكالة المخابرات المركزية ليست على علم بالوضع .

وصحب باول كلا من كيلى وشيفر إلى غرفة مكتب تشينى . وكان البيت الأبيض يحاول ترتيب مؤتمر فيديو مأمون مع البنتاجون حتى يمكن إطلاع الرئيس بوش ، لكن المعدات لم تكن تعمل جيدا ، فإقترح سكاوكروفت أن يأتى تشينى وباول وكيلى وشيفر جميعا إلى البيت الأبيض فى الساعة التاسعة صباحاً للقاء الرئيس.

واستقل تشينى وباول سيارة ، وتبعهما كيلى وشيفر فى سيارة أخرى . وفى المكتب البيضاوى لخص باول الوضع : لا يمكن الثقة لا فى زعيم الإنقلاب ولا فى الخطة . وأوصى بألا يتخذ الرئيس موقفا ، وينتظر مزيدا من المعلومات . وقال باول إذا وقع إنقلاب فراقب تطوره قبل أن تتصرف .

ووافق الرئيس .

وحين لم يقع الإنقلاب فى ذلك اليوم . أبلغت زوجة جيرولدى أنه سيبدأ فى الصباح التالى .

ومضى تشينى وباول إلى إجتماعات مقررة من قبل مع ديمترى يازوف وزير الدفاع السوفيتى ، وأول وزير دفاع سوفيتى يزور الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية .

وتحدث باول مع كيلى قبل أن يغادر البنتاجون لمأدبة عشاء أقيمت تكريما ليازوف فى "أندرسون هاوس" ، وهو قصر قديم فى شارع ماسا شوسيتس أحياناً ما يستخدم للإحتفاء بكبار الشخصيات الأجنبية واتفق الرجلان على أن الإنقلاب ، ربما لم يكن أكثر من ثرثرة ، وذكر شيفر أن لديهم بالمثل معلومات غامضة عن إنقلاب آخر يدبر ، وسرعان ما كانوا يتحدثون عن الإنقلاب رقم ١ والإنقلاب رقم ٢ .

وقال كيلى "فى إعتقادى أنه لن يقع إنقلاب" .

* * *

صباح اليوم التالى فى بنما استيقظ ثورمان فى الساعة السابعة وأربعين دقيقة على أصوات طلقات عند مقر القيادة على بعد نحو ميل من مقر ثورمان فى مرتفعات كوارى . واتصل ثورمان بباول قائلا "يقال أن نورييجا هناك ، لكننى لا أستطيع أن أشهد بذلك لأننى لم أسمع صوته" ، فقد كان يحب الإستماع بنفسه إلى معدات التصنت .

وفى الساعة التاسعة صباحاً أصبح واضحاً لباول أن أنقلابا قد وقع ، ولكن لم تكن هناك بعد معلومات قاطعة عن وجود نورييجا فى مقر القيادة . وإتصل باول بتشينى – الذى كان يستقل أتوبيسا مع يازوف يطوف بهما ميدان موقعة

جيتسبرج فى الحرب الأهلية فى بنسلفانيا - ليخبره أن الإنقلاب قد بدأ .

وبعد الظهر مباشرة أغلقت القوات الأمريكيية الطريق أمام قلعة أمادور بحجة اجراء تدريبات روتينية . وكانت فرقة المشاة البنميه الخامسة المعسكرة فى أمادور هى أقرب وحدات قوات الدفاع البنمية إلى مقر القيادة . وبعد عشر دقائق أعلنت الإذاعة المحلية نبأ الإنقلاب .

ونحو الساعة الثانية عشرة و ١٨ دقيقة اخطر ثورمان بان ملازمين بنميين قالا إنهما ضابطا إتصال الإنقلاب جاءا لإجراء مفاوضات يقفان عند البوابة الأمامية فى فورت كلايتون ، فوافق على أن يتحدث معهما الميجور چنرال مارك سيسنيروس ، وهو چنرال بنجميتن يترأس قوات القيادة الجنوبية ، ويتحدث الاسبانية بطلاقة .

وقال الملازمان أن نورييجا وهيئة أركانه فى مقر القيادة تحت سيطرة قادة الأنقلاب ، الذين يبحثون عن وسيلة كريمة لبقاء نورييجا فى بنما .

وقال سيسنيروس أن الولايات المتحدة ستلقى القبض على نورييجا ان لجأ به إلى فورت كلايتون .

ورد الملازمان بأنهما لا يعتزمان تسليم أحد إلى الولايات المتحدة . وإنهما يريدان إغلاق جسر الأمريكيتين .

وإتصل ثورمان بباول على الخط المأمون فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

وكان باول قد تلقى تقريرا من المخابرات بأن نورييجا محتجز فى غرفة بها تليفون . وربما كانت الأمور لا تزال في يده . ورغم أن المتمردين على ما يبدو لم يضعوا نورييجا تحت سيطرتهم تماما فانه لم يظهر فى التليفزيون كما هو متوقع

لو أنه أحبط الإنقلاب ، ومن ثم رأى باول أنه ربما كان يعانى بعض المتاعب .

وقال ثورمان انه بدوره ليس واثقا مما يجرى ، وإن الأمر الوحيد الذى هو متأكد منه هو حدوث طلقات فى الصباح ، وأنه فى الوقت الحالى يتبع سياسة بوش الحالية وهى تجنب أى نزاع أو تصعيد مع بنوريجا أو قواته ، ولما لم يكن الإنقلاب بتدبير أمريكى فأنه يتساءل ماذا يستطيع أن يفعل ، وهل يستطيع القاء القبض على بنوريجا ؟ .

قال باول "إذا جاءوا به اليك تستطيع أن تفعل ذلك ، ولكن ليس من سلطنك أن تذهب إلى هناك وتأتى به" . أما تسليمه اختياريا فأمر مقبول .

اجاب ثورمان "حسنا !" .

ووضع باول مع ثورمان ثلاثة خيارات :

١- لو جاء المتمردون بنوريجا إلى إحدى القواعد الأمريكية فإن من الممكن أن يقبل "بحرارة" على حد قول باول .

٢- إذا أمكن استخدام قوات أمريكية فى تكتم شديد وخفية لمساعدة المتمردين على المجيء بنوريجا إلى قاعدة أمريكية ، فإن هذا أيضا أمر يمكن أن يقوم به ثورمان على مسئوليته ، وبوسع ثورمان أن يقول للمتمردين "إذا احتجتم مساعدة لإخراج بنوريجا دون أن يتضمن ذلك استعراضا لقوة الولايات المتحدة فسنفعل" . ،يعنى هذا إرسال جندى أو أثنين أمريكيين ، وليس أكثر كثيراً .

٣- إذا رأى ثورمان أن هناك فرصة للتوجه صراحة للقبض على نورييجا بقوة أمريكية صغيرة جداً فبوسعه أن يقوم بتخطيط ذلك . لكن هذا سيكون تصعيدا واضحاً ، يتطلب سياسة جديدة من جانب الإدارة . ومن ثم فإن خيار القوة الصغيرة هذا يتطلب موافقة الرئيس بوش . وقال باول "اننا نحتفظ بهذه

السلطة هنا ، وعلي أن أذهب إلى الرئيس" . وأضاف باول أن الإتصالات قائمة مع البيت الأبيض ، وأنه يستطيع أن يحصل على أذن الرئيس بسرعة إذا رأى ثورمان أنه قد يكون مفيداً .

* * *

بعد أن استشار باول رجال القانون في هيئة الأركان المشتركة اعطى تعليماته لثورمان بأن يتأكد من وجود أحد ضباط إنفاذ القانون الأمريكي - مكتب التحقيقات الفيدرالية أو وكالة مكافحة المخدرات - ليقوم هو بالقاء القبض ، وقال "فلتكن عملية جيدة" .

ورغم أن الإنقلاب كان مبشراً في ذلك الوقت فإن باول . لم يشعر بأن عليه أن يوصى بتقديم دعم أمريكي أكبر له ، على الأقل إلى أن يأتي ثورمان بمزيد من المعلومات ، وأوضح باول هذا كله لتشيني ، الذى كان لا يزال في البيت الأبيض مع يازوف ، وترك تشيني الوزير السوفيتي في مكتب خارجي وذهب لإطلاع بوش وسكاوكروفت وبيكر على الوضع . وحصل على موافقة الرئيس على الخيارات . ورأى كل من تشيني وباول أن الوقت قد حان للتصرف ، أرادا أن يتحققا من أن ثورمان على إستعداد - لأن يميل إلى الأمام ، ولكن ليس إلى الحد لذى يجعله يجتاز الخط الذى وضعه الرئيس أو يتغير فيه .

ونحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر بعث ثورمان بكلمة بأن الإنقلاب قد فشل . أدرك باول أن المسألة قد أنتهت وأنتهت كذلك الفرص - حتى لو كانت غير دقيقة أو زائلة . وسرعان ما شوهد نورييجا في التليفزيون البنمي ، وهو يندد بالمتمردين وبالولايات المتحدة لمحاولة "اقامة حكومة من العملاء" .

وتحرك البيت الأبيض بسرعة لينأى بنفسه عن الانقلاب ، مؤكدا أنه لم يكن عملية أمريكية أو برعاية أمريكية . وقال مارلين فيتزووتر المتحدث الصحفي أن

مسئولى الإدارة سمعوا "أقاويل" عن إنقلاب مدير ، لكنهم لم يبلغوا به بشكل مباشر .

وأضاف "وإذا كنا قد أبلغنا فإن الرئيس لم يعلم بذلك ولا وزير الخارجية ، ولا وزير الدفاع" .

عاد تشينى إلى البنتاجون بينما الموظفون يندفعون لملء أرض الإستعراض المطلة على نهر باتوما كانوا يتجمعون لمشاهدة التكريم الكامل لباول ، الذى يعد المقابل العسكرى لتنصيبه ، والذى حددت له الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكان الجو قد تحول إلى جو يوم صيفى صاف ، ورريح قوية تهب عبر النهر .

وهتف الحشد بينما كان تشينى يصحب باول إلى منصة الإستعراض . وخطا باول بخطوات سريعة وهو يستعرض قوات الشرف ، ثم قال تشينى للجمع المحتشد انه سيقضى من الوقت مع هذا الرئيس الجديد طيلة الأربعة أعوام القادمة أطول مما يقضى مع أسرته .

وبدا باول مسترخيا وهو يضع ساقا على ساق ، ولعل الإيحاءه الوحيدة بأن شيئا ما يشغل ذهنه هو حركة انقباض كفيه الكبيرين وفتحهما . وحين جاء دوره فى الحديث أخذ يصف لوحة معلقة على حائط درج فى البنتاجون ، تصور مشهدا داخل كنيسة "كنيسة كبيرة ، وضوء الشمس المشرقة يتدفق عبر نافذة جميلة من الزجاج الملون ، والكنيسة خالية إلا من أسرة واحدة تصلى أمام المذبح ، وضوء الشمس يسقط فوق الأسرة ، التى تضم الأم والأب وابنا وأبنة صغيرين ، والأب يرتدى الزى العسكرى ، وتعطى اللوحة إحساسا بأن الأسرة تصلى معا للمرة الأخيرة قبل أن يذهب الأب إلى الحرب .

"وفى كل مرة أمر بها بهذه اللوحة تثب إلى ذهنى صلاة صامتة من أجل كل أولئك الذين خدموا الأمة فى أوقات الخطر .

"وتحت اللوحة كتبت عبارة مأخوذة عن النبى اشعيا ، وتقول العبارة : "وسأل الرب : منذا أرسل ؟ من سيذهب عنا ؟ وجاء الرد : "ها أنذا .. أرسلنى ..." .

وفى مكان آخر من خطابه قال باول "وأنا أدرك جيداً كذلك أن الفترة التى ندخلها قد تكون أكثر الفترات تاريخية فيما بعد الحرب .

"لقد رسم الرئيس بوش والوزير تشينى المسار الصحيح - انتهاز كل فرصة مع التحلى بالفطنة والحذر .

"وإذا نجحنا فإن الرجال والنساء فى قواتنا المسلحة لن يدفعوا ثمنا إلا الإستعداد الدائم ، وليس التضحية المأساوية بالأرواح الغالية " .

وجاءته ماربيل بانچر مساعدته التنفيذية السابقة فى البيت الأبيض . كان والداها مريضين ، وطيلة الأسابيع الأخيرة كان باول وآرميتاج يتناوبان الإتصال بها ، بحيث يتصل أحدهما كل يوم . وكانت قد سمعت أنباء الإنقلاب فى بنما ، وإستطاعت أن تتبين أن باول عصبى .

سألته كيف تسير الأمور مع تشينى ؟ وكانت تعرف أن باول كان يشعر بالقلق بشأن تشينى أثناء تحقيقات إيران - كونترا ، فقد أثار تأييد تشينى غير المتحفظ لليفنانت كولونيل اوليفر نورث ضيق باول .

وابتسم باول ، وقال لها إن الإنقلاب كان هو بالتحديد ما يحتاجه هو وتشينى لازالة الحواجز ، وأضاف "ان عملية الارتباط تسير بنجاح ، فما من شيء

يمكن أن يقيم روابط جيدة مثل الأزمة" .

* * *

قضى بيت ويليامز وقتا طويلا فى مكتب تشينى فى ذلك اليوم بينما كان باول - يصحبه عادة كيلى رئيس عملياته وشيفر رئيس مخابراته - يتردد مرارا لتقديم معلومات جديدة مستوفاة للوزير - ولفتت دقة الملخصات انتباه ويليامز . فلو أن غريبا قد دخل الغرفة وقيل له ان أحد الحاضرين جديد فى منصبه لما استطاع أن يخمن أنه باول ، فقد كان رئيس الأركان الجديد مليئا بالثقة ، يسيطر على الغرفة تماما . إن به شيئاً ما كأنه يصيح "صيه ابتعد عن طريقى فأنا الرئيس" . ولاحظ ويليامز أن باول يعمل جاهدا للسيطرة على كل المعلومات التى تتدفق على تشينى .

وبعد واحدة من هذه الجلسات سأل ويليامز بينما يسيران عبر الممر "هل لديك خط "دوبلاين" معى ؟" . و(الدوبلاين) وصلة هاتفية أتوماتيكية تسمح لشخصين بأن يتصلا فيما بينهما فورا ، لأن الضغط على أحد الأزرار فى هاتف أحدهما يطلق رنينا وضوءا فى هاتف الآخر .

أجاب ويليامز "كلا ياسيدى" فرغم أنه من الناحية البروتوكولية چنرال بأربع نجوم فإنه يجب أن يبدى الإحترام حين يتحدث مع رئيس الأركان . ولم يكن لديه خط مباشر مع كراو ، ولم يكن ليخطر بذهنه أبداً أن يطلب مثل هذا الخط .

قال باول "سأهتم بهذا الأمر" .

* * *

طيلة اليومين التاليين - الأربعاء والخميس - هاجم كل من الجمهوريين والديمقراطيين فى الكونجرس الإدارة لأنها فشلت فى إستغلال محاولة الإنقلاب .

وقال لى أين عضو مجلس النواب الديمقراطى : "ينبغى أن تكون على إستعداد عند كل فرصة لإستغلال الإرتباكات والشكوك التى تظهر عن وقوع محاولة إنقلاب .... لكى نصنع شيئا بشأن نورييجا" .

ووصف السناتور چيس هيلمز – عضو مجلس الشيوخ الجمهورى عن ولاية كارولين الشمالية ، وأحد رؤوس حملة الكونجرس على نورييجا – الإدارة بأنها حفنة من "الجامدين" وقال "بعد هذا ليس لنا أن نتوقع أن يعمل أى فرد فى قوات الدفاع البنمية ضد نورييجا ، وفى يوم الخميس صعد هيلمز إلى منبر مجلس الشيوخ وألقى خطابا ادعى فيه – استنادا إلى مصادره أن قادة الإنقلاب عرضوا تسليم نورييجا لكن الولايات المتحدة رفضت .

وقال سام نون "ان علينا أحياناً أن نتنبأ بأن سياستنا فى تشجيع وقوع أنقلاب . قد تنجح ، وينبغى أن تكون على إستعداد" .

وقال عضو الكونجرس ديف ماككاردى – وهو ديمقراطى معتدل من ولاية أوكلاهوما – "ان ما حدث بالأمس يجعل چيمى كارتر يبدو رجلا حازما .. إن عنصر الضعف ينبعث من جديد" .

وشبهت الأفتتاحيات الحادثة بعملية كارتر لأنقاذ الرهائن فى إيران ، وبمهزلة الرئيس كنيدى فى خليج الخنازير .

وكان عنوان عامود چورچ ويل فى "واشنطون بوست" الذى ينتقد معالجة بوش لمحاولة الإنقلاب هو "رئيس غير جاد" .

وفى إجتماع البيت الأبيض فى نهاية الأسبوع قدم روبرت جيتز نائب مستشار الأمن القومى دفاعا حاراً عن وكالة المخابرات المركزية والمخابرات أثناء الإنقلاب ، فلأن الإنقلاب لم يكن بتدبير الولايات المتحدة أو برعايتها لم تكن هناك

وسيلة حينئذ لمعرفة ما إذا كان نورييجا قد أحتجز . ولم يعرف إلا الآن أن المتمردين قد وضعوا أيديهم على نورييجا لمدة ساعتين على الأقل .

وأدت الفرصة الضائعة إلى إعادة بحث أهداف الإدارة في بنما . هل الهدف هو الإطاحة نورييجا ؟ أم هو القبض عليه وإحضاره للولايات المتحدة لمحاكمته ؟ أو هو المساعدة على إقامة حكومة جديدة ؟

وأدرك باول أن من الواضح تماما أن عبارات چورج بوش الطنانة المناهضة لنورويجا لا تقابلها خطط أو إحتمالات محددة ، سواء من جانب وكالة المخابرات المركزية أو من جانب الجيش .

وكان چون سونونو ثائرا ، فقد كانت هذه المسألة مسألة تنسيق – وتلك هى مهمته الأولى كرئيس للعاملين فى البيت الأبيض – ولكن ليس هناك الكثير مما يمكن أن ينسقه ، فصب جام غضبه على الآخرين .

وقال بوش "لقد انقضى زمن الهواة" . وأوضح لمجلس الأمن القومى أن نورييجا سيسىء التقدير ذات يوم ، وأنه يريدهم أن يكونوا على أهبة الإستعداد . ولا ينبغى أن يترك شىء للصدفة ، وأضاف "أريد تخطيطا محكما" .

* * *

ظهر يوم الجمعة ٦ أكتوبر توجه بوش إلى مركز والتر ريد الطبى العسكرى لإزالة كيس غير خبيث فى أحد أصابعه . وبعد العملية سأله أحد الصحفيين "سيدى ، ماذا عن بنما ؟ وبعبارة بسيطة فإن كثيرا من النقاد يقولون إنك أضعتها" .

أجاب بوش "حسنا ... يبدو أن ما أراده البعض منى هو أن أطلق الجيش بأكمله ، وأذهب إلى هناك وآتى نورييجا . وأعتقد أن الإتهام صادر عن أناس

أصيبوا – مثلى – بالإحباط ازاء النتائج ، لكننى أعتقد أن هذا ليس سوى ادعاء . وهكذا فإن عليك أن تقول ، ماذا كان يمكن للقائد الأعلى أن يفعل ؟ وأفترض أنه كان بوسعك أن تلجأ إلى قيادة الجيش ، لكن هذا أمر لا يتسم بالحذر ، وليست تلك هى الطريقة التى أعتزم بها إدارة الشؤون العسكرية أو الخارجية لهذا البلد" .

وردا على سؤال عما إذا كان يمكن أن يستخدم القوة العسكرية للمساعدة أجاب "لن أستبعد أى خيار .. أى خيار .. ولكن عليك أن تنظر إلى الحقائق فى وقتها . وعليك أن تضع فى ذهنك أرواح المواطنيين الأمريكيين ، وأرواح قواتنا ، وماذا تحاول أن تفعل ، لكننى – وبالتأكيد – لن استبعد هذا" .

وواجه بوش مزيدا من الأسئلة عن بنما فى مؤتمر صحفى عقده صباح ١٣ أكتوبر .

"لن أتردد فى إستخدام القوة إذا كان ممكنا أن يتم ذلك بحذر .. وهو بعبارة أخرى فإننى لا أستبعد اللجوء إلى القوة فى أي وقت" .

وقال بوش أيضا "أن فى الميزان أرواح الفتية الأمريكيين ، ولن أدفع بهم بسهولة إلى معركة ما لم أكن راضيا تماما عن ذلك ، وما لم يشعر بالرضا أولئك الجنرالات الذين أثق فيهم ثقة مطلقة" .

وردا على سؤال "هل فصل أحد مؤخراً ؟" أجاب بوش "كلا ، ولن يفصل أحد لهذا السبب فقد قاموا جميعا بعمل جيد ... عمل جيد ... ولم أفقد الثقة فى كبار رجالنا الذين يتولون هذه الأمور بما فيهم – واود أن أكرر ذلك هنا – ضباطنا العسكريون فى بنما . إن أحداً لم يفصل ، وبالتأكيد لم يفصل الجنرال باول" .

ولم يكن باول – الذى يتابع عن كثب كل تصريح للرئيس – مرتاحا إلي

عبارة "لم أفقد الثقة" هنا فهو يعرف جيدا أن مثل هذه المشاعر لا تطرح إلا عندما تكون موضع تساؤل . وقال لنفسه "يا ألهى ! ما الذى صاب هذه المدينة ؟" . لقد شهد معاركا حامية فى السياسة الخارجية من قبل لكنها لم تتجمع أبداً بمثل هذه الحدة ، وعلى نطاق الالوان السياسية بأسرها ، وكأنما هو يشهد عملية مطاردة غوغائية ، انه لم يغب عن واشنطون . سوى ستة أشهر ، لكن شيئا ما قد تغير فيها .

ورأى أن هناك عدة أسباب لهذا الجو المحموم ، فقد كان الأسبوع بطيئا خاليا من الأخبار ، "صائد الأخبار" كما يصفهم باول يبغضون الفراغ ، ويجدون دائما ما يملأونه به . وكأننا فى بنما يكون هناك تناقض بين العبارات الرنانة - مثل تصريح بوش السابق "عليهم أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لإخراج نورييجا من هناك" - وبين العمل فان الصحفيين يتواثبون . وثالثا بلغ الضيق نورييجا ذروته . أما السبب الرابع - ولعله الأهم - فهو الشكوك التى ما زالت عالقة عن بوش بأعتباره مترددا . فبعد تسعة أشهر فى الرئاسة لم يحدد بوش صورته بعد ، وهذا العجز يترك سؤالا أساسيا مفتوحا : هل بوش فى جوهره غير حاسم ومتردد ؟

وشعر باول بأن من الخطأ الحكم على رئاسة بوش . بهذه القضية ، وبقدر من الإنفعال قال للرئيس "لم يكن هناك شيئ ما هنا" - فالمتمردون لم يكونوا حاسمين بالقدر الكافى ، ولم تكن لديهم خطة حقيقية ، لو شاركت الولايات المتحدة فلربما زادت الأمور سوءا .

وكتب صديق قديم لباول هو الكولونيل المتقاعد هارى ج سومرز - الذى كان قد شغل كريس الچنرال دوجلاس ماكارتر بالكلية الحربية التابعة للجيش - عامودا نشر فى عدة صحف تحت عنوان "التردد ازاء إنقلاب بنما هو أقل دواعى قلقنا" جاء فيه "فى الأسبوع الماضى- وسواء أدركنا ذلك أو لم تدركه - كنا على

شف الهاوية ، فقد اتضح أن عملية إتخاذ قرارات الأمن القومى لدينا - وهى قلب وروح دفاعنا القومى - تعاني الفوضى . وكان هذا اكتشافا مفزعاً .....

وإذا كان قادتنا الوطنيون قد ارتبكوا إلى هذا الحد فى أزمة صغيرة مثل بنما ، فما يمكن أن يصنعوا فى مواجهة تهديد خطير ؟ وهل سيظلون يتناولون الأوراق ، ويرتبون الخيارات بينما صواريخ العدو قد انطلقت ؟" .

وعدد سومرز بيكر وتشينى وباول باعتبارهم "الأفضل والأذكى" و "محنكين فى إدارة الأزمات على أعلى المستويات . ومع ذلك فقد فشلوا" . وأرجع ذلك إلى نهج اللجان فى أتخاذ القرارات "وتلك حالة تصلب شرايين خطيرة فى القمة - وهذه عرقلة قد تكون قاتلة للقيادة والتحكم العسكريين" .

وإقترح الكاتب أن يتعامل الرئيس - وهو القائد الأعلى - مباشرة مع العسكريين مثلما فعل روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولم يشعر باول بأن هذا ممكن . فلجان إتخاذ القرارات ، ومراعاة منظور كل الإدارات والوكالات ، قد وجدت لتبقى ، لكنه أقر بأن من الممكن القيام بالمزيد فى الجانب العسكرى ، للتحقق من أن الإتصالات بينه كرئيس لهيئة الأركان المشتركة وبين هيئات أركان الحرب والقادة المقاتلين الأخرين أكثر مباشرة .

واجتمع تشينى وباول لإجراء عملية فحص - وتساءلا عما إذا كانت هذه هى اللحظة المناسبة ، والإنقلاب الصحيح ، والإنقلاب الذى كان يمكن للولايات المتحدة ويجب عليها أن تؤيده لو كانت على أستعداد ؟ وكانت الإجابة للأسف هى كلا. ودار بذهن تشينى أنه إذا كانت الأمور قد بلغت من السوء حدا جعل ضابطا مثل جيرولدى - وهو حليف وثيق سابق لنوريجا - على إستعداد لأن يحاول

الإطاحة به فإن أخرين سيحاولون ثانية ، وقد حان الوقت للعودة إلى لوحات الرسم

*   *   *

فى مدينة بنما رفع ثورمان قدمه ، وتطلع من النافذة ، وحدد الخطوة الأولى فأذا حدث نزاع مع نوريجا فان عليه أن يخرج الرعايا الأمريكيين من بنما . وهكذا بدأ يرسل سلسلة من الطلبات لواشنطون لتخويله سلطة اعادة الرعايا الى الولايات المتحدة أو نقلهم الى القواعد العسكرية الأمريكية في بنما .

واستدعى ثورمان للادلاء بشهادته في اجتماع مغلق للجنتى القوات المسلحة في مجلس الشيوخ ومجلس النواب . و كان ثورمان يشعر بالثقة فى الادلاء له بالشهادة . لقد تعلم اهمية أداء واجبه المدرسى ، والقاء بعض الفتات للمشرعين . وخلال ثلاث جلسات منفصلة استغرقت كل منها ثلاث سنوات ووجه أساسا بسؤال واحد : هل أفلتنا فرصة ذهبية ؟ وكانت اجابته بالنفى . وعرض المعلومات التى كانت متاحة وقت الإنقلاب وتفاصيل التحقيقات التى أجريت بعد الحدث مع بعض شهود العيان فى مبنى القيادة وتمكن بالربط بين هذا كله فى قصة مترابطة من أن يبين أنه فى الوقت الذى كان فيه ضابطا اتصال الإنقلاب يتحدثان مع الچنرال سيسنيروس كأن الإنقلاب قد أنتهى داخل مقر القيادة .

وقال ثورمان لأعضاء مجلس الشيوخ "أننى عائد إلى بنما فأعطونى خطة طوارىء جيدة .

كان ثورمان قد قرأ الصحف ، وكان واضحاً أن أحداً – لا الرئيس بوش ولا تشينى ولا باول ولا هو نفسه لن يستطيع تحمل فشل آخر أو فشل متوقع .

وقبل ذلك بأثنين وعشرين عاما كان الميجور ماكس ثورمان قد مضى سنة

فى كلية القيادة وأركان الحرب التابعة للجيش فى فورت ليثيفورث . ومن الدروس التى تعلمها هناك أن للضابط وظيفتين : الأولى اطاعة أوامر رؤسائه الصريحة والثانية فهم المهام الضمنية التى تشكل جزء من هذه الأوامر ، والتحقق من انجازها بدورها . وكلما ارتفع منصبك زاد عدد المهام المتضمنة .

وكانت المهمة المتضمنة فى بنما بسيطة : إذا حدث هذا ثانية فينبغى أن تكون مستعدا وإستخلص ثورمان أن "هذا" ليس مجرد محاولة إنقلاب ، بل كل ما قد يوحى بأن جورج بوش وماكس ثورمان وكل من بينهما لم يكونوا على مستوى الأحداث .

وذهب ثورمان لرؤية باول .

وسأله باول هل تجرى دراسة الخطة وبكثافة جديدة ؟ .

ووعد تورتون بذلك . انه أكبر بست سنوات من باول . وحتى قبل أسبوعين كان أعلى منه مرتبة وثورمان يعرف القواعد ويحترمها ، لكن وقتا طويلا قد مضى منذ آخر مرة كان يتلقى فيها الأوامر من أحد .

سأله رئيس الأركان "هل تصقل خطتك وما إلى ذلك ؟" .

أجاب ثورمان : "بالتأكيد ، هذا ما نفعله ، وما نتقاضى رواتبنا من أجله . ونحن عاكفون عليها ، وحين ننتهى منها سأبلغك" .

(١٢)

منافسة بين المخابرات المركزية والبنتاجون

لتخليص بوش من مشكلة نورييجا

أمر ثورمان القوات الخاضعة لقيادته والتى تزيد عن ١٣٠٠٠ رجلا وإمرأة يأن يرتدوا يوميا ملابس القتال ذات اللونين البنى والأخضر غير المنتظمين ، وإزالة آلات المشروبات الخفيفة القريبة من مكاتب مخابرات القيادة حتى لا يتجمع عندها الضباط ، ويصبحون أهدافا لتجسس قوات الدفاع البنمية . وضاعف التدريبات من الفئة الثالثة والفئة الرابعة ، مرسلا ما بين ١٥٠ و ٥٠٠ رجل فى مناورات حول بنما بالزوارق وطائرات الهليكوبتر والدبابات والعربات البرمائية والطائرات . وبدا اجراء تدريب بطائرات الهليكوبتر مرة فى اليوم على الأقل . ورسمت هذه التدريبات بحيث تبدو كأنها عشوائية ، لكن كثيرا منها شملت أهدافا فعلية يمكن ضربها إذا تقرر فى أى وقت شن عمليات هجومية على قوات الدفاع البنمية .

وفى إحدى ليالى الأسبوع التالى للإنقلاب الفاشل وصل الليفنانت چنرال ستاينر إلى قاعدة هوارد الجوية فى بنما على متن طائرة سى ٢٠٠ . وكان هو ومخططوه وقادته الرئيسيون يرتدون الأزياء المدنية حتى يمكن ان يتحركو دون أن تعرفهم قوى الدفاع البنمية

وإجتمع ثورمان بستاينر ؟ وأخبره أنه يريده أن يصقل خطة "بلو سبون"

الطارئه حتى أدق تفاصيلها .

أجاب ستاينر نعم يا سيدى .

ثم عليك أنت ورجالك اجراء (بروفة) كل شهرين .

نعم يا سيدى .

كل شهرين طيلة السنوات العشر القادمة ، وأضاف "ولن أكون هنا ، ولكن شخصا آخر سيكون" .

وفى ١١ أكتوبر أقر طلب ثورمان نشر قوات إضافية من الشرطة العسكرية . وسرعان ما نظمة داوريات شرطة طيلة ٢٤ ساعة فى اليوم على طول الطرق الحساسة . وأصدر ثورمان أوامره لطائرات الهليكوبتر بأن تحلق حتى مقر الكتيبة ٢٠٠٠ لقوات الدفاع البنمية ، وهى قوة من ٨٠٠ رجل تعتبر أكفأ قوات نورييجا وأكثرها ضراوة ، تعسكر فى فورت سيمارون شرق مدينة بنما .

* * *

كان باول يعرف جيدا قيادة قوات الدفاع البنمية ، فقد أمضى ساعات طويلة عندما كان مستشار الأمن القومى لريجان يفحص ملفات المخابرات عن ضباط هذه القوات بحثا عن بديل لنورييجا ، وإستخلص أنه لا يوجد بديل ، فالضباط العشرة أو العشرون الكبار إنما يطمعون فى القوه الشخصية والثروة . ولا يمكن للولايات المتحدة أن تؤيد هؤلاء (البلطجية) وكان الكولونيل ادواردو هيرير هش – سفير بنما السابق فى إسرائيل – هو الإمكانية اللائقة الوحيدة فى نظر باول ، لكنه تلوث – فى نظر بعض البنميين – لإشتراكه فى عديد من خطط وكالة المخابرات المركزية الإنقلابية فى ١٩٨٨ والتى لم يقدر لها أن تبدأ .

أما تقدير الچنرال كيلى لقوات الدفاع البنمية فكان أقسى حتى من تلك ،

فقد كان يرى أن هناك من المعلومات ما يكفى لإستخلاص أن كبار قادتها جميعاً من القتلة أو المشاركين فى أعمال التعذيب .

ولم يكن باول على ثقة من أنهم جميعا بهذا السوء ، ولكن وقد أصبحت مكانة الرئيس بوش والولايات المتحدة فى الميزان فكيف يمكن للجيش أن يشارك – حتى بشكل غير مباشر أو ضمنى – فى تنصيب انتهازى آخر متعطش للسلطة ؟

لا يمكن له أن يفعل ذلك . وقرر باول أنه ليست هناك سوى اجابة واحدة : لابد أن تصبح خطة "الملعقة الزرقاء" أكثر طموحا ، وأن تكون أى عملية هجوم على قوات الدفاع البنمية كاملة ، وأن تأسر أو تطرد القيادة بأسرها ، وعندئذ يمكن أن يتولى المسئولية قادة سياسيون مدنيون شرعيون .

وأصدر باول تعليمات لثورمان تقضى بأن تكون القيادة الجنوبية على إستعداد للإستجابة لأى حالة طارئة فى بنما بالقوات الموجودة هناك فى ظرف ساعتين ، ولابد من تغيير خطة "بلوسبون" تغييرا جذريا للقيام بعملية هجوم على قوات الدفاع البنمية : فلن يمنح ثورمان سوى ٤٨ ساعة لتعبئة قواه لهجوم واسع – وليس فترة التعبئة السابقة التى تبلغ خمسة أيام .

* * *

أثناء الأسبوع الذى أعقب الإنقلاب أمر باول كلا من كيلى وشيفر بتكوين خلية تخطيط سرية فى البنتاجون ، تتألف من ضباط من وحدة العمليات التابعة لكيلى ووحدة المخابرات التابعة لشيفر ، على أن تعمل هذه الخلية فى تعاون وثيق مع ثورمان وستاينر ورجالهما لتحقق من أقتسام كل التفاصيل وتنسيقها .

وتقليديا كانت وحدات العمليات والمخابرات تعمل كل على حدة . أما الآن فإن باول يريدها .

فمن مفاتيح عملية الهجوم الخاطف التحقق من أن القوات الأمريكية تعرف كل شيء ممكن عمن يهاجمون ، وأين سيهاجمون ، إلى حد معرفة أى سرية ستدخل فى أى باب فى أى مبنى . وعلى المخططين أن يتحققوا من أن ملف أى هدف مفرد - المعلومات والخرائط والرسومات والصور وكل مواصفات الوحدات الأمريكية التى يعهد لها بضرب الأهداف - مستوفى ومشروح لكل من ينبغى أن يعرفوا . وسيكون هناك أكثر من عشرين هدفا .

* * *

فى يوم السبت ١٤ أكتوبر توجه كارل ستاينر إلى الكنيسة المعمادية فى معسكر بول بكنوكسفيل بولاية لويزيانا لحضور زواج ابنته . وأثناء الحفلة التالية استدعى لتلقى مكالمة من البنتاجون . كان عليه أن يتوجه إلى واشنطون صباح الغد ليقدم عرضا غير دورى لرئيس الأركان عما تحقق من تقدم حتى الآن فى مراجعة خطة "الملعقة الزرقاء" .

ووصل ستاينر إلى مركز القيادة العسكرية الوطنية وبصحبته الميجور چنرال چارى لاك (٥٢ عاما) وهو طيار ورجل مظلات تابع للقوات البرية قصير أشيب الشعر يتولى القيادة العامة لقيادة العمليات الخاصة المشتركة .

وأخبر ستاينر باول بأن تعديلات جوهرية تجرى فى خطة "بلوسبون" فأولا ستدمج القوات التقليدية وقوات العمليات الخاصة تحت قيادة واحدة - يتولاها ستاينر نفسه ، بحيث يعطى أوامره مباشرة إلى مختلف قادة الوحدات ، بما فيهم الچنرال لاك الذى سيعهد لقواته الخاصة بأشد معاقل قوات الدفاع البنمية خطرا ، ومنها مقر القيادة ، والكتيبة ٢٠٠٠ فى فورت سيمارون ، وسجن موديلو حيث يحتجز كيرت ميوز عميل وكالة المخابرات المركزية .

وإذا حصل ستاينر على الثمانية والأربعين ساعة للاخطار كاملة فانه قد

يستطيع جلب قوات اضافية تبلغ ١١٠٠٠ رجل إلى بنما لاستكمال الثلاثة عشر ألفا الموجودين فى القيادة الجنوبية ، فهو يرى أن من المهم أن ينطلق بقواه كاملة بما يسمح له أن يوجه ضرباته فى وقت واحد إلى الأهداف التى حددها مخططوه ، فالضرب فى وقت واحد سيخفض الخسائر و ويشرك كل وحدات قوات الدفاع البنمية ، ويكفل تحطيم قيادة هذه القوات . وقال ستاينر انه لا يعتقد أنه سيوجد مقاتلون كثيرون فى قوات الدفاع البنمية - فهو يعتزم استخدام فرق خاصة للعمليات النفسية لانزاع جنود هذه القوات وضباطها ، وتشجيعهم على الإستسلام .

وقال ستاينر ان الخطة معدة بحيث تنفذ ليلا وأن التعليمات التى لديه من ثورمان هى أن يجرى كثيرا من (البروفات) .

وسأله باول ماذا يحدث لو وقعت محاولة إنقلاب جديدة وقرر الرئيس تأييدها ، وقال أنه بحاجة ينبغى أنه يكون فى وسعه إلى أن يستطيع أن يقول للوزير والرئيس أن لدى الجيش القوات والخطة لإستلام نورييجا من قادة الإنقلاب المفترض أو لاختطافه .

وقال ستاينر أن القوات التى نشرت أثناء خطة نمرود دانسر" فى مايو يمكن أن تكون هى التى تتحرك بعد إخطار قصير ، وإن هناك بعض رجال العمليات الخاصة فى الميدان فى بنما يمكن أن يستجيبوا لأوامر الرئيس . لكنه أكد أن القوات الموجودة فى البلاد لن تكون كافية لأداء كل ما يلزم . وقال ثانية لباول أن توصيته هى المضى قدما بكل خطة "الملعقة الزرقاء" .

ووافق باول .

* * *

وفى اليوم التالى - ١٦ أكتوبر استدعى باول الميچور چنرال لاك إلى مكتبه فى الساعة العاشرة صباحاً حيث قدم عرضين مدة كل منهما ثلاثين دقيقة عن التدريبات وبعد خمس ساعات توجه باول ولاك إلى المكتب البيضاوى ومعهما تشينى لتقديم عرضين للرئيس عن خطتى عمليات خاصة سريتين للغاية .

وبدأ تشينى العرض قائلا أنه يريد للرئيس أن يعرف القدرات الخاصة التى يمكن أن تكون فى بنما بعد تسع ساعات من صدور أمره بنشرها : أربع ساعات للتجمع وخمس ساعات للإنتقال جوا .

وكان الاسم الشفرى لخطة العمليات الخاصة الطارئة الأولى هو "جابل آدر" وتبين كيف يمكن التوجه إلى بنما - أو إلى أى مكان آخر فى العالم - بقوة تبلغ نحو ٣٠٠ رجل يمكن استخدامها لإنقاذ الأمريكيين أو أى رهائن آخريين . كما يمكن استخدام هذا الفريق فى إختطاف واحد من لوردات المخدرات أو نورييجا ذاته ، وتخصصها هو أقتحام أى شىء ، من بلد معاد إلى ثكنة يوجد فيها رهائن .

ويشمل الفريق :

• سرب دلتا قادر على توجيه ضربات صريحة أو مستترة نهاراً أو ليلاً ، ويمكن آستخدامه جميعاً مرة واحدة ، أو نشر أقسام منه .

• مجموعة من ١٦ طائرة هليكوبتر باسم شفرى "سيلفر بوليت" .

• عناصر من الفريق ٦ من الوحدات البحرية الخاصة لأى عمليات تحت الماء أو عمليات أنزال على الساحل .

• فرق مخابرات خاصة لدعم القائمين بالتنفيذ ، وعلى سبيل المثال كان فريق من ثلاثة من خبراء الإستماع - اسمه الشفرى هو "روبن كوارت" - يتنقل ومعه

معدات متقدمة يمكن استخدامها فى التصنت على أجهزة الهاتف دون الدخول فى إسلاكها ، أو فى التصنت على المحادثات دون حاجة إلى تركيب

• وحدة طبية ووحدة إتصالات وهيئة قيادة ومراقبة .

وفى النصف ساعة الثانى عرض لاك خطة "آسيد جامبيت" الطارئة التى يمكن استخدامها لإخراج ميوس من سجن موديلو .

وقبل شهر كان بوش قد تلقى نداء شخصياً للمساعدة من ميوس ، وفى رسالة هربت فى كتاب . وكان باول يدرك جيدا تأثير مسألة الرهائن الأمريكيين على الرؤساء . وقد أصبح رد الفعل الزائد امام محنة الأمريكيين الأسرى فى الخارج هو النموذج . وكان نهج باول ازاء أوضاع الرهائن هو محاولة أن تبقى الإستجابة متزنه ، وإن أمكن وقف انفعال الرئيس لكن هذا كان أمرا صعبا . وكانت وكالة المخابرات المركزية قد مارست ضغطا شديدا على الجيش لوضع خطة إنقاذ ، وأوضح بوش أنه سيأمر بعملية إنقاذ إذا تبين أن حياة ميوس فى خطر .

وعرض لاك صورا جوية للسجن ، والطريق الذى يمكن أن يتخذه هجوم بطائرات الهليكوبتر . وقدم نموذجا تفصيليا للسجن فى صندوق يفتح من أعلى ، مبينا الحى الذى يوجد فيه السجن والسجن نفسه ، بما فيه مواقع الحراس ، والمداخل والمخارج ، والموقع الدقيق لزنزانة ميوس فى الطابق الثانى التى تبلغ مساحتها ٨ أقدام × ١٢ قدما . وقد احتجز ميوس فيها فى الحبس الإنفرادى منذ ستة أشهر .

وقدم لاك عرضا دقيقة بدقيقة ، وأحياناً ثانية بثانية ، للطريقة التى يمكن بها لقوات الدلتا أن تشن هجوماً متزامنا ، والتقدم إلى زنزانة ميوس بمباغتة الحراس وربما حتى بدون قتلهم . وسيتم تحرير ميوس ويستقل سالما طائرة هليكوبتر فى

تسع دقائق .

ولم يكن تشينى يوصى بتنفيذ خطة "آسيد جامبيت" . وإنما كان الهدف من عرضها هو أن يبين قدرته ، وأن البنتاجون قد استجاب لطلبات الرئيس ووكالة المخابرات المركزية بوضع خطة . وكان يعرف أن بوش يتعرض لضغط من ويليم وبستر مدير وكالة المخابرات المركزية فى قضية ميوس ، وأن وبستر بدوره يخضع لضغط من خبراء العمليات السرية . ويعرف تشينى أن الرئيس يتعاطف مع رغبة وكالة المخابرات المركزية فى أن تتجنب بأى ثمن تكرار اغتيال ويليم باكلى مدير محطة بيروت ، وكان يعرف كما يعرف باول - أن الرئيس يمكن أن يأمر بعملية إنقاذ إذا تعرضت حياة ميوس للخطر .

ورغم هذا فإن تشينى يعمل بدأب منذ شهور على تخفيف أى حماس لتنفيذ خطة "آسيد جامبيت" . والسبب الأول لذلك هو أن ميوس ليس معرضا لأى خطر كبير - وأنه يعامل معاملة طيبة . والثانى هو أن عملية الإنقاذ ستنبه كل من فى بنما إلى أن الولايات المتحدة تمتلك هذه القدرة على الإختطاف السريع ، وأنها على استعداد لاستخدامها . وكان يرى أن هناك أهدافا أكثر قيمة لعملية الإختطاف - مثل لوردات المخدرات أو نورييجا نفسه - وأن نسف هذه القدرة من أجل ميوس فقط لن يكون عملا حكيما .

وفضلا عن ذلك كان تشينى يعتقد أن عملية إنقاذ صريحة فى السجن الذى يجاور تماما مقر قيادة نورييجا ستكون مواجهة مباشرة للغاية لقوات الدفاع البنمية . وقد حذره مستشاروه القانونيون من أن آثارا غير متوقعة ستترتب على « قرار بانتهاك سيادة دولة أخرى لإطلاق سراح شخص واحد مقبوض عليه لخروجه على القوانين المحلية ، فقد تنشب حرب من أجل رجل واحد . ولو أن الشاغل الوحيد لحكومة الولايات المتحدة هو ميوس فقد تكون عملية الإنقاذ معقولة

، لكن هناك آلافا من الأمريكيين الآخرين فى بنما ، ويمكن أن يصبح أى واحد ، أو أى مجموعة منهم ، رهائن أو مسجونين .

* * *

كانت بعض العمليات الخاصة التى أرسلت إلى بنما قد أعيدت إلى الولايات المتحدة . وها هو ماكس ثورتون يريد الآن المزيد ، فلو كان عليه أن يختطف نورييجا أو ينقذ كيرت ميوس أو بعض الرهائن الآخرين ، بعد إخطار قصير ، فأنه يحتاج إلى قدرات على أرض بنما ، وليست مرابطة فى فورت براج فى إنتظار ارسالها ، وبحلول يوم الجمعة ٢٠ أكتوبر كان ثورتون قد طلب – ووافق باول – نشرا سريا لفريق عمليات خاصة إلى بنما بقيادة الميجور جنرال لاك . وحمل باول أمر النشر إلى تشينى ، الذى كانت موافقته مطلوبة لأى نشر جديد للقوات فى أى مكان فى العالم .

وكانت الأسباب المقدمة للنشر هى : الاعداد الطبيعى الحذر لمزيد من تدريبات الفئة الثالثة والفئة الرابعة ، والإستجابة لزيادة التوترات ، وزيادة القدرة على الإستجابة للحالات الطارئة . وفضلا عن ذلك فإن التدريبات التى ستجربها هذه القوات وغيرها من القوات الموجودة بالفعل فى بنما ، تعد (بروفة) رائعة للعمليات الفعلية .

وتعجب تشينى من التباين بين ثورمان وسلفه ورنر الذى لم يرد مزيدا من القوات .

وبدون مناقشة وقع تشينى أوامر عملية النشر الخاصة التى اتخذت اسما شفريا هو "نيفتى باكاج" وتتألف من : سرب من قوات الدلتا ، ومجموعة "سيلفر بوليت" التى تضم ١٦ طائرة هليكوبتر و متصنو المخابرات الثلاثة "روبن كوارت"

فضلا عن لاك وهيئة خبرائه . وكان الفارق الوحيد بين عملية النشر هذه القوات التى طلبتها خطة لاك "جابل آدار" للإنقاذ / الإختطاف هو أن " نيفتى باكاج" لا تضم فريقا من الوحدة ٦ من القوات البحرية الخاصة.

وابتهج ثورتون بوصول القوات الإضافية ، وإرسالها فى سلسلة من التدريبات الليلية المغامرة لم تؤد إلا إلى تلف بعض طائرات الهليكوبتر .

* * *

حرص فونو رئيس هيئة أركان القوات البرية على أن تكون له يده المباشرة فى التخطيط بشأن بنما ، فاستدعى ستاينر ولاك - وهما چنرالان تابعان له - إلى واشنطون فى ٢٧ أكتوبر لتقديم عرض كامل خاص عن التغيرات التى تدخل على خطة " الملعقة الزرقاء" .

وبعد أن أستمع فونو إلى العرض قال "ان لديكم خطة بالغة التعقيد هنا" ففى البداية ستحلق أكثر من ٣٥٠ طائرة وهليكوبتر على مقربة شديدة فوق الفضاء الجوى لبنما . ودعا ستاينر ولاك إلى التحقق من التنسيق بينها "ان عليكم أن تقوموا بأكبر عدد ممكن من التدريبات على شىء كهذا" .

أجاب ستاينر نعم يا سيدى إنه ينفق نحو ثلث وقته للتخطيط والتدريب من أجل بنما .

إن تحريك مثل هذا العدد الكبير من الطائرات فى مثل هذه المساحة الضيقة ليلا يستلزم تزويد كل طيار ومساعد طيار وفرد فى الطاقم بنظارات رؤية ليلية فائقة الحساسية تسمح لهم بأن يروا وكأنهم فى النهار ، وستمكنهم هذه النظارات من التمييز بين القوات الأمريكية الصديقة وقوات بنما ، تجنب خطوط الكهرباء والأبراج وغيرها من العوائق . ولمساعدة من يرتدون النظرات سيكون

هناك عدد من طائرات ايه سى - ١٣٠ المجهزة بكشافات عملاقة بالأشعة دون الحمراء ، تحلق بهدوء فوق الأرض ، وكل منها يضىء مساحة تبلغ مساحة عدد من ملاعب الكرة .

وقال ستاينر لفونو "سنمتلك الليل" .

* * *

فى يوم الإثنين ٣٠ أكتوبر وقع ثورمان وثيقة يبلغ سمكها ربع بوصه باسم "أمر العمليات رقم ١ - ٩٠ الصادر عند قائد عام القيادة الجنوبية "الملعقة الزرقاء" وتقوم الخطة على ثلاثة مبادىء - المفاجآت القصوى وأدنى حد من الخسائر الجانبية (خسائر الأهداف غير العسكرية) ، وأدنى حد من استخدام القوة .

وفى الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأربعاء توجه الچنرال كيلى ومخططوه فى إدارة العمليات إلى مكتب باول ، وقدما لرئيس هيئة الأركان عرضا تفصيليا لخطة "الملعقة الزرقاء" ، وكان هذا اليوم الثلاثون لباول فى منصبه .

وبعد يومين - فى يوم الجمعة ٣ نوفمبر - قدم ثورمان وستاينر ولاك عرضا لخطة "الملعقة الزرقاء" ، لرؤساء الأركان فى "التانك" ، شارحين كيف يمكن جلب قوة فى حجم فرقة خفيفة من ١١٠٠٠ رجل إضافى إلى بنما بسرعة للمساعدة فى القضاء على نورييجا وقوات الدفاع البنمية . وقال لاك انه لما كان واضحا أن خطة "آسيد جامبيت لانقاذ كيرت ميوس لن تنفذ وحدها فإنه سيدرجها فى خطة "الملعقة الزرقاء" . وأوضح لاك أنه إذا نفذت هذه الخطة فسيكون ميوس فى خطر ، وبالتالى فان انقاذه لابد أن يتم فى ذات اللحظة التى تبدأ فيها أى عمليات هجومية .

وفى ٣٠ نوفمبر أيضا أصدرت وزارة العدل مذكرة من ٢٨ صفحة موجهة

إلى سكاوكروفت ، مضت الى أبعد من الفتوى الأولى بأن من حق مكتب التحقيقات الفيدرالية إلقاء القبض فى الخارج . وقالت هذه المذكرة ان قانون "بوش كوميتاتوس" الذى يحظر استخدام العسكريين فى عمليات القبض فى الولايات المتحدة لا ينطبق فى الخارج . وبالتالى يمكن استخدام العسكريين فى القاء القبض على مهربى المخدرات والهاربين عبر البحار ، وأوضحت المذكرة أن مثل هذا التفسير "ضرورى لتنتفيذ بعض القوانين الجنائية ، وتفادى بعض القيود على سلطات الرئيس الدستورية" .

كما أصدر الرئيس فى الوقت نفسه تعليمات تخول لوكالة المخابرات المركزية إنفاق ما يصل إلى ٣ ملايين دولار على خطة سرية لتجنيد ضباط عسكريين بنميين ومنفيين للاطاحة بنورييجا والواقع أن وكالة المخابرات المركزية والبنتاجون كانا يتنافسان على من سيخلص بوش أولا من مشكلة نورييجا .

وفى الأسبوع التالى صحب باول مخططى العمليات إلى تشينى لعرض الخطوط العامة لخطة "الملعقة الزرقاء" .

وكانت من بين الأهداف قاعدة ريو هاتو ، وهى قاعدة على بعد ٧٥ ميلا جنوب غرب مدينة بنما توجد فيها قوات "ماشو دى مونت" الشرسة التى تدربت فى كوبا ، والتى أخمدت محاولة الإنقلاب فى أكتوبر . وطلبت الخطة من مقاتلات سلاح الطيران الشبح الجديدة اف - ١١٧ ايه القاء قنابل زنة ألفى رطل حول الثكنات مما يذهل ويشتت قوات الدفاع البنمية فى الداخل ، وتكلف كل واحدة من هذه الطائرات التى لم يسبق استخدامها فى القتال من قبل - ١٠٠ مليون دولار ، وقد صممت باستخدام أحدث المعارف التكنولوجية بحيث لا تراها عمليا أجهزة الرادار المعادية ، وتتمتع بقدرات فائقة على أصابة أهدافها .

وقال تشينى "ماذا ... طائرات الشبح ... هل ستستخدمون طائرات

الشبح ؟" . وكانت تدور فى ذهن تشينى الإنتقادات التى وجهت لعملية جريندا فى ١٩٨٣ حين بذلت كل إدارة جهدها للمشاركة فى العملية ، وقد تكون طائرات الشبح محاولة قوية من القوات الجوية للحصول على دور أكبر فى "الملعقة الزرقاء" ... وسأل تشينى بحدة "لماذا بحق الجحيم تريدون استخدام االطائرات ١١٧ فى المرة الأخيرة التى تفقدت فيها الوضع لم يكن هناك خطر دفاع جوى كبير" .

وأوضح باول والضباط الثلاثة أن ستاينر طلبها لأن طائرات ١١٧ توفر أفضل وأدق قدرة على القصف الليلى ، فهى تمتلك أكثر أجهزة التوجيه بالليزر تقدما ، بما يسمح للطيار بتوجيه قنابله إلى أهدافها المحدده بدقة تكاد تكون كاملة ، دقة متناهية .

وستستخدم طائرات اف ١١٧ ايه كذلك فى قصف أحد مخابىء نورييجا فى شرق مدينة بنما .

ووجه لهم تشينى كثيرا من الأسئلة حول هذه النقطة ، فسألهم ألا يستطيعون – إذا كان هذا الأمر سينفذ – أن يتحققوا على الأقل أولا مما إذا كان نورييجا فى شرق بنما أو فى غربها ؟ فإذا لم يكن فى الشرق فأنهم لن يكونوا فى حاجة إلى اصابة هذا الهدف .. أليس كذلك ؟

وفيما بعد أسقط هذا الهدف من القائمة .

* * *

أراد ثورمان ستاينر وضع مزيد من القوات فى بنما ، فقد أوضح الإنقلاب الفاشل أن الولايات المتحدة لا تستطيع بقواتها الموجودة وحدها أن تهاجم مقر القيادة بنيران كثيفة ، أو أن تمنع كتيبة نورييجا رقم ٢٠٠٠ من الزحف عشرة أميال من فورت سيمارون لانقاذه فى مقر القيادة . وفى أوائل نوفمبر طلب ستاينر

مجموعة من القوات تشمل :

- أربع دبابات شريدان .
- فصيلة مدرعة منقولة جوا .
- ست طائرات هليكوبتر ألف اتش - ٦٤ أباش القوية متعددة الإستخدامات والتى تشبه العناكب الطائرة ، وتمتلك قدرة على التحليق الليلى الدقيق ، وقد صممت هذه الطائرة باعتبارها قاتلة للدبابات ، وهى مزودة بصواريخ هليفاير وصواريخ أخرى ومدافع عيار ٣٠ مليمتر (تستخدم الذخيرة بطريقة المدافع الرشاشة) .
- ثلاث طائرات هليكوبتر كشافة طراز أو آتش - ٥٨ .

ووافق ثورمان وباول على الطلب ، وفى ٧ نوفمبر وقع تشينى أمر النشر الذى أعطى إسما شفريا هو "إلكوانت بانكويت" .

* * *

كان شبح الأنتقادات التى وجهت إلى غزو جرينادا فى ١٩٨٣ يلح على ذهن ثورمان ، ففى ذلك الحين كان ترتيب الإتصالات من السوء بحيث لم تكن الوحدات تستطيع التخاطب فيما بينها . ولم تتوافق المعدات والترددات والإجراءات بين كل من الإدارات. ولم تكن هناك خطة إتصالات مشتركة عامة . وهو الآن يقوم بنفسه بدراسة كتيبات الإتصالات وخططها وأوامرها فى "الملعقة الزرقاء" . وكانت تعليمات تشغيل الإتصالات الاليكترونية تشكل حزمة يبلغ ارتفاعها ثلاثة أقدام .

وقال ثورمان لمخططيه "علينا ألا نكرر أيا من هذه الأخطاء، فهيا إلى العمل" . وأصر على عمليات استيفاء منتظمة طيلة الشهر ، فقد كان يريد أن يتأكد من أن صهاريج القوات الجوية وناقلاتها والطائرات التاكتيكية قد اندمجت كلية فى

الإتصال بالقوات البرية ووحدات العمليات الخاصة . وحين انتهى كان قد بحث وراجع بنفسه كل صفحة ، وخفض حجم تعمليات تشغيل الإتصالات الاليكترونية إلى وثيقة يبلغ سمكها بوصة .

كما أقر ثورمان خطة لتخفيض عدد الرعايا الأمريكيين فى بنما إلى ٥٠٠ أسرة . على أن تجرى ابتداء من ١٦ نوفمبر إعادة كل الرعايا الآخرين إلى الولايات المتحدة .

* * *

أثناء الأسبوع الذى يبدأ فى العشرين من نوفمبر – أسبوع عيد الشكر – طار ستاينر وفريق من مخططيه إلى بنما لمراقبة التدريب والمناورات . ومرة أخرى وصلوا لبلادهم يرتدون الأزياء المدنية . وطلب ستاينر عرضا مفصلاً بكل الإجراءات التى أتخذت من كل واحد من القادة الأمريكيين – يغطى ما حدث كل يوم منذ زيارته الأخيرة ، ولا تكفى هذا الملخصات العامة . وأصغى بصبر ، ولا يبدو أن أى تفاصيل كانت تثير ملله . ولم يرض عن خطة الطيران للعمليات الليلية – وهى جزء رئيسى من خطة "الملعقة الزرقاء" .

ولم يكن ستاينر قد أحضر معه حتى حلة رسمية واحدة إذ كان يأمل أن يعود إلى فورت براج لحضور عشاء عيد الشكر . ولكن بعد وصوله بقليل أبلغت السفارة الأمريكية أن رجلا جاءها ليلا ، وقال أنه يعمل نهار لحساب كارتل ميدلين للمخدرات ، وإن الكارتل قد ضاق ذرعا بدعم الولايات المتحدة للحرب ضد المخدرات فى كولومبيا ، حيث كان الكارتل يتلقى ضربات قاسية ، وأنه يعتزم الثأر ، وكان تبليغة دقيقا للغاية : ان الكارتل يقوم بزرع أو أرسال عشر سيارات مفخخة إلى الإستحكامات الأمريكيية ، وستوجه القنابل إلى دائرة واسعة من الأهداف الضباط والجنود والرعايا .

وقال المرشد أن من بين الأهداف مستشفى جورجاس العسكرى الأمريكى ، وهى قريبة من مقر قيادة ثورمان فى مرتفعات كوارى . ولما كانت هذه المستشفى تقوم جزئيا على أعمدة على طول أحد الجبال ، وتحته موقف للسيارات ، فقد كان عرضة للخطر إذ يمكن لسيارة مفخخة واحدة أن تسبب دمارا كبيرا .

وأجرى على المرشد المتطوع اختبار الكذب للتحقق من أنه يقول الصدق . وجاءت النتيجة مبهمة ، فأجرى اختبار ثان إجتازه .

وحين تلقى ثورمان النبأ فى مقر قيادته اتصل بستاينر .

وقال ثورمان "انظر ، ان ما علينا القيام به هو أن نكون مستعدين من الآن" .

– نعم يا سيدى .

وقال ثورمان "أنك الآن فى وضع الإستعداد يا صديقى" – قاصداً بذلك انه يأمر بتحريك قوة ستاينر الخاصة المشتركة فى تلك اللحظة .. "واذن فابدأ العمل" . وأصبح ستاينر الآن هو القائد المقاتل لكل القوات ، وإذا حدث شىء وأمرت واشنطون برد عسكرى فانه هو الذى سيقوم به .

قال ثورمان "أنت مسئول عن كل شىء الآن" .

– نعم يا سيدى .

أضاف ثورمان "لو قتل أمريكى واحد فسننسف نورييجا ، ولابد من القضاء عليه" .

– نعم يا سيدى .

وبعث ثورمان برسالة إلى باول يبلغه بوضع القوة الخاصة المشتركة فى

حالة الطوارىء .

ولم يرق الأمر لباول ، فتحريك القوة الخاصة المشتركة مسألة يقررها تشيني وباول نفسه ، ان ثورمان يقود قواته فى بنما وبقية القيادة الجنوبية ، وليس فى أى مكان آخر ، لا يستطيع منفردا أن يضع ستاينر فى حالة استعداد ،لأن هذا الأخير يخضع لسلطة قيادة القوات فى الولايات المتحدة .

واتصل باول بثورمان على الخط المأمون وقال ساخرا "أى مراعاة لمشاعرنا ! ! لماذا لا تسألنى فى المرة القادمة ؟ وتتركنى آتخذ القرار هنا" .

وشعر ثورمان بأن تحريك القوة الخاصة أمر واضح في مواجهة خطر الكثير من السيارات المفخخة ، فبعد الإنقلاب الفاشل ، وبعد انتقادات الصحف ، وبعد كل تكهنات الكونجرس قبل سبعة أسابيع فحسب ، سيكون على الرئيس أن يرد عسكريا إذا إنفجرت قنابل – فأى خيار آخر أمامنا .

قال ثورمان لباول "انظر يا صديقى .. لو انفجرت قنبلة هنا فسيكون هذا حدثا يحرك كل شىء" .

وقال باول أن الأمر ربما كان كذلك لكن الرئيس ووزير الدفاع هما اللذان يقراره .

أجاب ثورمان "إذا انفجرت قنبلة لعينة هنا فسنواجه نحن أنفسنا مشكلة كبرى ، خاصة إذا لقى أمريكيون مصرعهم" .

ودار بخلد باول انه أمر طيب أن يكون لديك قائد مندفع ، لكنه سيكون عليه أن يراقب ثورمان عن كثب .

وأبلغ باول تشينى ، وشعر الوزير بالقلق من أن تتكرر حادثة بيروت ويلقى العشرات أو المئات مصرعهم ، فثمة خطر أكبر مع وجود ١٣٠٠٠ رجل فى بنما

وجودا دائما - وكلهم هناك لحماية المصالح الأمريكية ، وتساءل تشينى كيف يمكن ألا تأخذ على محمل الجد تقريرا عن سيارات مفخخة فى بنما تحت اشراف كارتل ميدلين . صحيح أن ماكس قد تصرف باندفاع ، ولكن ربما كان هذا ما يحتاجون اليه . وقرر أن يساند ثورمان تماما ، وإن تستمر القوة الخاصة المشتركة فى العمل .

ووضع ثورمان القوات الأمريكية فى حالة تأهب قصوى لمواجهة خطر ارهابى . وأعلنت القواعد تقريبا ، وتعرض كل شخص أو كل شىء يدخل من البوابات لما أسماه "عمليات التفتيش المتطرفة نوعا" .

كما تقدم ثورمان بطلب كل فرق الكلاب التى دربت على إكتشاف القنابل فى الجيش الأمريكى تقريبا ، وحصل على أكثرها . وأرسل إلى القيادة الجنوبية وكلاء فرقة التحقيق الجنائى وخبراء الأمن البدنى ، وأقر تشينى عمليات النشر الأمنية هذه فى ذلك الأسبوع باسم شفرى هو "بول تاكس" .

وتولى ستاينر قيادة كل قوات الأمن هذه ، وقال وهو يحاول تنفيذ طلب ثورمان بارسال الكلاب "اللعنة .. ليس من الضرورى أن يكون الكلب مدربا ، أن كلب من أى نوع يمكن أن يصلح" . وطلب فحص كل قنوات الإتصال وزيادة جمع المعلومات ، ومضاعفة التدريبات الليلية .

وفى مستشفى جورجاس العسكرى كانت القوات الأمريكية تقوم بعمليات تفتيش دقيقة للسيارات ، وأحتج أفراد كتائب الكرامة قائلين إنهم يعطلون ذهاب الناس إلى أعمالهم ، وحدثت عمليات تدافع واشتباك ، ولكن لم تطلق النيران . وكان لابد من ارسال قوات أمريكية لاخراج كتائب الكرامة .

وخلال هذا الوقت كان باول وغيره قد بدأوا يعجبون لهذا المصدر الذى جاء إلى السفارة الأمريكية بهذه الدعوى عن السيارات المفخخة . وبدأ باول يطلق

إحدى تسمياته المفضلة ، " مريب " ، على الوضع كله . فطيلة الأسبوع كان الرجل يأتى ليلة بعد ليلة إلى السفارة ، مؤكدا أنه كان فى مجالس الكارتل الداخلية طيلة النهار ، واستخلص باول أنه لو كان الأمر صحيحا لم كان الكارتل سيتركه يخرج ليلا على هذا النحو ، فهذا أمر غير معقول . لقد حشدت قدرة . مخابرات الجيش الأمريكى بأسرها ولم يظهر أدنى تأكيد لما يقوله .

و"أخضع" المصدر لاختبار الكذب للمرة الثالثة ، واجتازه بنجاح . واستخلصت كل الوكالات والإدارات أنه أما مجرد كذاب أو أن المسألة كانت مكيدة ، لارباك الولايات المتحدة أو افزاعها .

وفى نهاية نوفمبر ، وبعد التشاور مع باول ، حل ثورمان القوة الخاصة المشتركة وأعاد ستاينر .

* * *

كانت تدريبات الوحدات المفردة على خطة "الملعقة الزرقاء" تمض على نحو جيد ، لكن ثورمان قرر أن يجرى فى شهر ديسمبر تدريب استعداد مشترك يكون (بروفة) كاملة للخطة ، ويمكن لقوات العمليات الخاصة والقوات الموجودة فى البلاد أن تتدرب فى بنما ، أما معظم وحدات التعزيز فتتدرب فى الولايات المتحدة .

وبالإضافة إلى ذلك أجريت تداريب الإستعداد الليلى على فترات منتظمة فى بنما . وهو تدريب رأى ثورمان أنه سيساعد على إخفاء أى تحرك كبير للقوات إذا نفذت العملية فعلا .

وأجريت تدريبات خطة إنقاذ ميوس "اسيد جاميت" فى منطقة معزولة فى فلوريدا بإستخدام نموذج يبلغ ثلاثة أرباع حجم سجن موديلو .

* * *

وفى واشنطون كان الجنرال كيلى يتأمل التغير الجذرى الذى حدث فى القيادة الجنوبية خلال شهرين فقط ، فقد كان الجنرال ورنر القائد السابق يبدو عاجزا عن تصور استخدام القوة العسكرية فى بنما ، أما ماكسويل ثورمان فيبدو أنه يرى الحرب قادمة .

(١٣)

اكونيو تطلب مساعدة الأمريكان

لمواجهة التمرد

فى ساعة متأخرة من نهار ٣٠ نوفمبر وصلت إلى البنتاجون أنباء وثيقة عن أن ألف رجل من المتمردين قد استولوا على قاعديتن جويتين فى الفلبين ، وشعر باول - الذى كان قد قضى جانبا كبيرا من اليوم فى جلسات حول الميزانية مع الرؤساء وهيئات أركان الحرب - بالإنزعاج . فقد كانت هناك شائعات مستمرة عن أن هناك أحدا يدبر إنقلابا لإنهاء حكم كورازنو اكوينو رئيسة الفلبين المهتز الذى استمر ثلاث سنوات ونصف سنة ، أما الآن فهاهم المتمردون يستولون على الطائرات .

وتوجه باول إلى مكتب تشينى ومعه عدد من الخرائط وتقارير المخابرات ، وأبلغ الوزير أن الوضع غامض . وبعد استعراض آخر المعلومات توجه باول إلى منزله ليتناول العشاء .

وفى هذا الوقت كان إجتماع للجنة النواب المشتركة بين الوكالات قد بدأ فى البيت الأبيض وحضره نائب باول الچنرال روبرت هيريس ممثلا لهيئة الأركان المشتركة . وإستمر النواب فى رصد الأزمة حتى حلول المساء ، حيث رفعوا جلستهم فى البيت الأبيض ، لكنهم استمروا فى الإنعقاد عن طريق ڤيديو مأمون .

وفى لحظة ما طلب وزير الدفاع الفلبينى التدخل الأمريكى .

وقال هيرس أن القواعد الأمريكية ينبغى ألا تستخدم للتدخل فى نزاع مدنى ، كما كان روبرت جيتز - نائب سكاوكروفت - يعارض بدوره التورط العسكرى الأمريكى .

وبعد الساعة الحادية عشرة مساء بقليل عاد باول إلى البنتاجون للمشاركة فى اجتماع رسمى لمجلس الأمن القومى يعقد بالڤيديو بدوره . وكان دان كويل نائب الرئيس هو الذى سيرأس الإجتماع لأن الرئيس - ومعه بيكر وسكاوكروفت - كانوا فى طريقهم إلى مالطة للإجتماع بجورباتشوف .

وإذ بدأت التقارير تصل عن عمليات القصف التى يقوم بها المتمردون توجه باول إلى غرفة الأزمات فى مركز القيادة العسكرية الوطنية . وكان إلى يمينه هيريس ، وإلى يساره الأميرال هانتنجتون رئيس هيئة الأركان المسئولة عن الفلبين وبقية منطقة المحيط الهادىء ، وكان قد جاء الى واشنطون لحضور مناقشات الميزانية .

ولم يكن تشينى - الذى لزم البيت لاصابته بنزلة برد ألمت به أثناء رحلة طويلة فى أوربا - مشاركا فى الإجتماع بالفيديو ، لكن خطا مباشرا أقيم بين منزله ومركز القيادة حتى يطلعه باول على التطورات .

وفى غرفة العمليات فى البيت الأبيض كان كويل يجلس على رأس المائدة ، والى يمينه روبرت جيتز ، وإلى يساره ويليم كريستول رئيس هيئة عاملى نائب الرئيس . وشاشة الفيديو الكبيرة أمامهم مقسمة إلى أقسام ، قسم لباول ، وقسم لممثل وكالة المخابرات المركزية ، وقسم لمستشار قانونى من وزارة العدل ، وقسم لهنرى سى راون مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولى وقسم لممثل وزارة الخارجية لورانس ايجلبرجر نائب الوزير .

وقال ايجلبرجر "انظروا ، ليس أمامنا خيار ، فهذه حكومة ديمقراطية تحت رعايتنا ، وينبغي في واقع الأمر ألا يثور نقاش ، فلا يمكن أن يكون هناك جدال" . واقترح ايجلبرجر أن تعرض وزارة الدفاع كيف يمكن التدخل ، ولكن لا نزاع في أن من الضروري القيام بشيء .

وبعد نصف ساعة من المناقشات لم ينازع أحد جديا في نقطة ايجلبرجر الرئيسية ، فنظرا للدور الكبير الذي لعبته الولايات المتحدة في أبعاد الديكتاتور فرديناند ماركوس فإنها تلتزم بالوقوف خلف نظام اكوينو .

وكانت الأزمة فيما يبدو تزداد حدة ، فقد تلقى باول تقارير بان مقر رئاسة أكوينو في مانيلا يتعرض للقصف بوابل من القنابل . تبعتها سريعاً طلبات من الحكومة الفلبينية بأن تقوم قوة اف - ٤ الجوية الأمريكية المرابطة قرب قاعدة كلارك الجوية بقصف القاعدتين اللتين استولى عليهما المتمردون ، ويستخدمونها في الهجوم على القصر ، وصحبت الطلبات ادعاءات بأن التدخل لازم على الفور ، وأنه قد يقلب الموازين وينقذ أكوينو . وسرعان ما جاء طلب آخر يطلب هذه المرة بأن تقصف الولايات المتحدة مستودعا للذخائر يبدو أن المتمردين يستخدمونه .

وشعر باول بالقلق لأن الطلبات تفتقر إلى التحديد والدقة ، وكانت جميعاً تأتي إلى البنتاجون بالواسطة من خلال نيكولاس بلات سفير الولايات المتحدة في مانيلا ، وتعزى إلى السيدة اكينو أو فيديل راموس وزير دفاعها ، وأحس باول بأن الذعر يجتاح الفلبنيين .

ونحو منتصف الليل تلقى كويل تأكيداً من السفير بلات بأن طلب التدخل يأتي مباشرة من اكوينو .

وقال كويل ان عليهم أن يعدوا توصية للرئيس بوش ، واوضح أنه يرى أن طلب اكوينو مشروع ، وأن على الولايات المتحدة أن تلبيه ، ووافقت وزارة

الخارجية ووكالة المخابرات المركزية .

وأبرز باول أن الوضع غير مؤكد ، وأوضح عدة مرات أن لديهم تقارير لكنهم لا يستطيعون التحقق من أى شىء .

وسأل باول .. ما هو هدفنا ؟ فإذا كنا سنفعل ذلك فلابد أن أقول لرجالى ما هى المهمة .

وردت وزارة الخارجية والبيت الأبيض بأن المهمة هى دعم السيدة اكوينو والحفاظ على سلطتها .

فسأل باول ما هو الهدف المباشر الذى نسعى له بقصف المطارات . وأجاب بنفسه على سؤاله قائلا : لنمنع طائرات المتمردين من التحليق ، وقال أن هذه الطائرات الفلبينية من طائرات الحرب العالمية الثانية التدريبية القديمة طرازات – ٢٨ ، وهناك طرق أخرى لابقائها على الأرض ، وإن لدية بعض طائرات ف – ٤ النفاثة المقاتلة القاذفة التى يمكنها – دون أن تلقى قنابل – أن تفزع أى طيار يقود طائرة ت – ٢٨ ، وتدفعة إلى التفكير مرتين قبل أن يقلع ، وأضاف "أعتقد أننا نستطيع أن نفعل ذلك دون أن نوقع أنفسنا فى مزيد من المشكلات" .

وقال باول أن الطلبات الفلبينية غامضة بحيث لا يمكن ترجمتها إلى أوامر لطيارى طائرات ف – ٤ الأمريكية ، فليست لديه أى معلومات محددة عن الأهداف ، واستطرد قائلا "انك لا تستطيع أن تستدعى فتى فى الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين .. ثم تكتفى بان تقول له اذهب إلى هناك واقصف" . فالقنابل أشياء رهيبة وقاتلة ولا تميز .

ان باول يشعر بشعور عدم الثقة فى القوات الجوية الطبيعى لدى ضباط القوات البرية . فالقنابل الضخمة دائما ما تعد بانجازات كبيرة ، لكنه رآها تفشل

كثيراً – فى فيتنام مثلا .. لكنه أبقى هذه الأفكار لنفسه .

وقال باول أن المسألة لا تقتصر على ان أهداف القصف غير واضحة ، لكنه لا يستطيع أن يضمن من الذى سيساعده القصف ، فهاتان القاعدتان قاعدتان فلبينيتان استولى عليهما المتمردون ، ومن ثم فسيكون فيها متمردون وموالون فى كل مكان . وستنتهى الولايات المتحدة بقتل بعض الفلبينيين ، ولو أننا قتلنا فليبنيين فلن يغفر لنا ذلك أحد فى الفلبين .

فالعداء لأمريكا يغلى دائما قرب السطح فى هذا البلد ذى الأربعين مليونا ، وشديد الحساسية ازاء ماضيه الإستعمارى ، بل أن باول ليستطيع أن يتصور السيدة أكوينو وهى تحضر الإحتفال بذكرى الجنود القتلى – سواء من المتمردين أو الموالين – وتندد بالولايات المتحدة .

وأقترح باول "دعونا نحاول شيئا أقل من القصف ، فنحن لا نستطيع أن نمد أنوفنا إلي أبعد مما يجب فى نزاع عائلى" .

وبعد أن عرض أفكاره حدث صمت فى الفيديو . وإتصل بتشينى ليقول له أن شيئا غبيا على وشك أن يحدث ، ويمكن أن يسبب مشكلات سياسية وعامة خطيرة للولايات المتحدة ، فهناك كثيرون ممن لم يلقوا قنبلة من قبل على وشك أن يتخذوا قرارا بالقيام بذلك وقال باول إن بوسعه تقديم بديل .

قال تشينى أفعل ذلك بسرعة . وإتصل بطائرة السلاح الجوى ، رقم ١ مباشرة على الهاتف المأمون ، ودعاهم إلى انتظار توصية باول قبل أن يتخذوا قرارا .

وكان باول لا يزال يشعر بالقلق لأن المعلومات ليست جيدة ، وربما جاءت من فتى مفزوع هناك ، وبدأ فى إملاء بديل ، واضعا قواعد اشتباك جديدة تحكم

سلوك الطيارين الأمريكيين واستجاباتهم . وقد رسم المبادئ التوجيهية التالية :

القاعدة الأولى : يحلق الطيارون الأمريكيون فوق القاعدتين الجويتين الأسيرتين مبينين أقصى نوايا عدائية - وبعبارة أخرى عليهم أن يفزعوا طياري ت ٢٨ المتمردين على الأرض .

القاعدة الثانية : إذا بدأت طائرات ت - ٢٨ أو غيرها من طائرات المتمردين فى التحرك فعلى الطيارين الأمريكيين أن يطلقوا النيران أمامها - طلقة التحذير التقليدية .

القاعدة الثالثة : إذا أقلعت طيارات المتمردين فوق الممر فى أى وقت فعلى الطيارين الأمريكيين أن يسقطوها .

وكان باول على ثقة من أن شأن هذا أن يحقق نفس الغرض من طلب أكوينو : ردع طائرات المتمردين .

ووافق كل من الجنرال هيريس والأميرال هارديستى على الإقتراح .

ولم يكن لدى باول وقت لطلب مشورة أحد آخر كما يفعل عادة ، ولم يبحث اقتراحه مع أى لجنة مشتركة بين الوكالات ، أو يعرضه على أى مستشار قانونى ، وإنما أرسل على الفور القواعد المقترحة الجديدة إلى كل من تشينى فى بيته وكويل فى البيت الأبيض .

وكان كويل قد طلب اجراء مكالمة مع طائرة السلاح الجوى رقم واحد حتى يتحدث مع الرئيس ، ويقدم توصية .

واستؤنفت مناقشات مجلس الأمن القومى . وادراكا من باول أنه بحاجة إلى مزيد من الوقت من أجل بدائله فقد أخذ فى توجيه مزيد من الأسئلة والإعتراضات .

قال باول "إذا كان الغرض هو منع الطائرات من التحليق فلماذا يكون علينا أن ندمرها ؟" . وأضاف أن فى خطته ميزة اضافية هى تقليل المخاطر على القوات الأمريكية ، على الأقل فى البداية ، وتقليل امكانات اصابة أحد . إن ما تطالب به السيدة اكونيو ليس أقل من تدخل عسكرى جذرى من جانب الولايات المتحدة . وهناك خطوات أصغر ينبغى أن تتخذ أولا .

وقال باول "ان لدينا مصالح فى الفلبين تتجاوز السيدة أكوينو" ، فلنفترض أن الإنقلاب قد نجح ؟ لسنا بحاجة إلى علاقة سيئة مع قادته حتى قبل أن يستولوا على السلطة .

•

ووافقت المجموعة على أن توصى الرئيس بخطة باول .

وحين اتصل كيول بطائرة السلاح الجوى رقم واحد حدث بعض التوتر ، ويبدو أن سكاوكروفت كان معارضا لإسناد إدارة الأزمة لكويل ، وقال نائب الرئيس أنه لا جدوى من اعادة عرض الصورة التاكتيكية لمن يصحبون الرئيس فى مكان ما فى المحيط الأطلسى ، لأنه مسيطر عليها تماما فى غرفة العمليات فى البيت الأبيض .

وطلب كويل التحدث مع الرئيس ، وقال سكاوكروفت انه لا يريد أن يوقظ بوش الذى كان يستمتع ببضع ساعات ثمينة من النوم قبل إجتماعات مالطة مع جورباتشوف ، لكن كويل أصر وأذعن سكاوكروفت أخيرا وأيقظ الرئيس .

وقال كويل للرئيس ، وجيتز يستمع على الطرف الآخر فى البيت الأبيض : اننا نقدم لك توصية إجماعية بأن نتدخل ، وإنما بهذه الطريقة .. وبدأ يعرض قواعد باول الثلاثة ، ووافق بوش . وفى الساعة الواحدة والنصف صباحاً بتوقيت واشنطون أطلقت القوات الجوية طائرات اف – ٤ .

وجاء طلب من الفلبين بأن تقصف الولايات المتحدة بعض حاملات الجنود المدرعة التى تعتقد حكومة أكوينو أن المتمردين يستخدمونها .

وقال باول انه ليست هناك وسيلة لتحديد أى مدرعات يستخدمها الموالون وأيها يستخدمها المتمردون ، إذ ليس من السهل التعرف عليها كما هو الشأن مع طائرات ت -٢٨ .

وأوصى بالإنتظار .

وما أن بدأت طلعات طائرات اف - ٤ حتى لم تعد هناك أى تقارير عن وجود طائرات ت - ٢٨ فى الجو ، أو عن أى قصف جديد من جانب المتمردين .

وفى الساعة الثانية والنصف اتصل كويل بالرئيسة أكوينو . انه يريدها أن تعيد صياغة طلبها للمساعدة حتى يبدو أن الولايات المتحدة تقدم ما طلبته ، رغم أنها فى الواقع قد رفضت دعوتها الأولى بالقصف ، فسيسمح هذا لها بانقاذ ماء وجهها ، فى حين تستطيع الإدارة - التى تدرك جيدا أن دعم أكوينو أمر مقدس - أن تقول أنها لبت طلبها .

وجاء صوت السيدة أكوينو إلى غرفة العمليات .

قالت بصوت جهورى ملىء بالثقة "أهلا أيها السيد نائب الرئيس" .

وسألها كويل عما إذا كانت قد طلبت من الولايات المتحدة أن تبقى طائرات المتمردين على الأرض .

فأجابت نعم ، ان هذا هو ما أرادته ، وذكرت أن طائرات اف - ٤ قد نجحت حتى الآن .

قال لها كويل "إننا معك" .

ورأى بويدين جراى مستشار البيت الأبيض - الذى كان قد استدعى إلى غرفة العمليات لمعالجة أي آثار قانونية لأي قرار بالتدخل - ان أكوينو بدت اكثر سيطرة على الموقف من كويل ، لكن أهم أداء خلال ساعات الصباح المبكرة هذه فى نظر جراى كان هو أراء باول ، فهو لم يكن يكيح كويل فحسب ، بل أن صوته كان هو الصوت الوحيد الذى تحدى الإجماع المتزايد على الإستجابة لطلب السيدة أكوينو الأول بالقيام بعمليات قصف .

ويعرف جراى أن بلدا نائيا ما قد يقفز ليلعب دورا غير متناسب فى مصير رئيس أمريكى . فقد أنهت أزمة رهائن ايران فى ١٩٧٩ - ١٩٨٠ رئاسة كارتر ، وبعد ست سنوات كانت صفقة الأسلحة الإيرانية السرية هى أسواء لحظات إدارة ريجان . ورأى جراى أن بوش قد يهمه أن يسمع بما حدث الليلة ومن هو الذى تولى الأمر فى غيبة الرئيس .

وكان باول لا يزال قلقا بشأن غموض الوضع ، فهو يعرف من كل محاولات الإنقلاب الماضية فى الفلبين أن غالبية العسكريين وغيرهم من كبار اللاعبين ينتظرون ليعرفوا من سينتصر قبل أن يعنلوا انحيازهم لأى جانب ، والعسكريون الفلبينيون قوة سياسية هامة ، غير أن أحداً فى البنتاجون أو فى البيت الأبيض لا يعرف أين يقف فيديل راموس وزير الدفاع ، وحين طرح باول هذا السؤال اقترح كويل أن يتصل براموس مباشرة .

لم يكن ما يقلق باول هو أن يقف راموس فى صف التمرد ، فهو يعتقد أن راموس قد لا يتحرك أثناء الإنقلاب - وهو عمل سيكون - بقصد أو بغير قصد - قاتلا لاكوينو .

كان لدى مركز القيادة فى البنتاجون عدد من الأرقام الهاتفية التجارية لراموس وطلب باول من أحد القادة البحريين أن يمسك بخط الهاتف التجارى

ويبدأ فى طلب هذه الأرقام بانتظام واستغرق الوصول إلى راموس ٤٠ دقيقة .

وحرص باول على ألا يدخل فى مناقشة سياسية مع وزير الدفاع ، فطلب من راموس تقديرا للموقف . ورسم راموس صورة وردية - ان المتمردين مجموعة ضئيلة ، وقد أمسك الموالون بالزمام . وقال انه على الرغم من عمليات القصف الأولى فان السيدة أكوينو لا تفكر فى اخلاء القصر ، بل هى عازمة على البقاء .

وشرح باول القرار الأمريكى بمحاولة افزاع المتمردين ، ولاحظ أنه يبدو ناجحا حتى الآن .

ولم يثير راموس شكوى من عدم القاء القنابل كما كان مطلوبا ، وقال أن حكومة الفلبين تقدر جهود الولايات المتحدة .

ونحو الساعة الثالثة صباحاً كان كل شىء يبدو على ما يرام ، وتحول النقاش إلى ما ينبغى أن يقال للصحافة وللكونجرس ، وتولى باول الأمر مقترحا أن يركزوا على الصيغة الجديدة للطلب التى دفع كويل الرئيسة أكوينو إلى وضعها . وتقرر أن تكون هذه القصة هى التى تعلن بدلا من ذكر أن الولايات المتحدة رفضت طلب أكوينو بقصف طائرات المتمردين .

وفى الساعة الخامسة والنصف صباحاً رأى كويل وباول والآخرون أنه لم يعد هناك ما يقومون به ، فقد حل الظلام فى الفلبين ، وطائرات - ٢٨ لا تستطيع أن تعمل ليلا .

وتوجه باول إلى منزله لينام ساعتين .

* * *

غادر كويل ورئيس هيئة عامليه بيل كريستول البيت الأبيض بعدة انطباعات

عن عملية اتخاذ القرارات فى هذه الأمسية . كانت هذه أول فرصة أتيحت لكويل ليقوم بدور مدير الأزمة ، لكنهما كانا يدركان جيداً أن بوش هو الذى اتخذ القرار الأخير .

ولاحظ مدى حسن أداء هيئة الأركان المشتركة ، وخاصة باول . وكان كويل قد أيد بشدة تولى باول رئاسة الأركان مفضلا اياه عن هيريس ، الذى لا يحب مبادرة الدفاع الإستراتيجي وهى البرنامج المفضل لنائب الرئيس . وخلال ليلة القرارات الطويلة هذه سيطر باول وهيئة الأركان المشتركة على مدخلات وزارة الدفاع . ولدهشة كويل وكريستول كان باول - وليس هنرى روان ممثل تشينى المدنى - هو الذى سيطر حتى على مناقشة المسألة السياسية الخالصة المتعلقة بما يقال للصحف وللكونجرس . والأهم من ذلك أن باول قد خرج بطريقة أقل عدوانية - لكنها ليست أقل فعالية - لحل المشكلة العامة .

ووصل بيت ويليامز إلى البنتاجون نحو الساعة السادسة صباحاً ليرى ماذا سيقال لوسائل الإعلام ، وبعد أن اطلع على ما حدث قرر أن يتأكد من أن أحدا لن يروج القصة القائلة أن السيدة اكينو كانت تريد قصف شعبها . وسرعان ما بدأت المكالمات تأتى من الصحفيين الذين يحاولون أن يجمعوا أجزاء القصة معا . وكانت لدى البعض بالفعل روايات توكد أن أداء دان كويل كان قويا ثابتا وأنه استطاع أن يسد الفراغ محل بوش كمدير للأزمة .

وقامت التحقيقات الصحفية على هذا الموضوع . وبدأ مقال نشرته "لوس انجيلوس تايمز" فى اليوم التالى بالعبارة التالية "أشرقت شمس دان كويل بعد منتصف الليل بقليل" ، وأضاف المقال "كانت هذه فرصة لكى يلمع ، وقد أنتهزها بمهارة" .

ورأى باول أن الحادثة أكدت أفكاره عن إستخدام القوة العسكرية .

وأولى هذه الأفكار هى أن إستخدام القوة العسكرية لا يكون مشروعا دون هدف سياسى - ولم تكن فكرة القصف تستوفى هذا المعيار .

أما الفكرة الثانية ففكرة يرى باول أن خير من عبر عنها هو المؤرخ الأثينى تيوسيديس (٤٧٠ - ٤٠٠ ق.م) "من بين كل مظاهر القوة فإن ضبط النفس هو أشد ما يوثر فى *الناس*" . وقد بلغ من أعجاب باول بهذه الفكرة إنه وضعها تحت *اللوح الزجاجى* فوق مكتبة فى *البنتاجون* .

والفكرة الثالثة هى أن ابداء الإستعداد لاستخدم القوة - رفع حد السيف فى وجه شخص ما - كثيرا ما يكون فى فعالية القوة المباشرة ذاتها أو حتى أكثر فعالية ، فالتطبيق الجراحى المنظم للتهديد يمكن أن يصنع المعجزات .

* * *

كان باول يشعر بالرضا بعد شهرين فى منصبه ، فقد كانت الأجزاء تأخذ أماكنها الصحيحة وهو يشق طريقه فى الإدارة اليومية للمشكلات والأزمات . وكان هو - أكثر من أى شىء - ضابط الإتصال الذى يربط القوات العسكرية بالنظام السياسى ، ويربط النظام السياسى بالقوات .

وكانت القوات مدربة ومستعدة ، وكان باول يريد أن يتأكد من أن سنوات ما بعد ڤيتنام لن تتكرر وهو نفسه قد خدم مرتين فى ڤيتنام حيث شهد بعض العمليات لكنه عمل أساسا كمستشار وضابط إدارى . وفى أوائل السبعينات - وبعد أن عاد إلى الولايات المتحدة - كان يشعر بإحساس عميق بالرفض والدونية كضابط جيش محترف - فقد كانت البلاد وكأنها تقيم حاجزا بينها وبين الجيش . وكان البنتاجون حينئذ يتجه إلى تكوين قوات كلها من المتطوعين . ومن وجهة نظره كان قرار الغاء التجنيد الإجبارى يعنى أن البلاد تقول للعسكريين "اننا لا نريد أن نكون معكم *أيها الفتيان*" .

وقد انكفأ الجيش على نفسه فى السبعينات ، محاولا أن يحل مشكلاته . ولدى باول صورة واضحة عن هذا الجهد ، ففى ١٩٧١ انتدب للعمل محللا فى مكتب اللنيفنانت چنرال ويليم ، ديبوى نائب رئيس هيئة أركان القوات البرية . وفى نظر باول كان ديبوى هو العقل المفكر للجيش ، والرجل الذى نجح فى اصلاحه بعد ڤيتنام . كان ديبوى شديداً باردا ، لكنه كان متفتحا عقليا ، وعلى استعداد لأن يستمع ولم ير باول أبدا من يمكن أن يفضله فى حل المشكالت ، فهو يستطيع أن يحدد مفاهيمها ويضع الخطط ، وينظم تنفيذ الخطط ، ويشرف على التنفيذ ، ثم يشجع النقد الشديد للمشروع ولأرائه هو نفسه .

وفى وقت لاحق فى السبعينات وفى حين كان الكثيرون فى الجيش يعانون من الضيق ، كان ديبوى يشرف على وضع مشروع لمبدأ قتال جديد ، ووضعت معايير للتدريب على كل شىء من العدد الأدنى من التمارين التى يجب أن يؤديها الجندى ليحقق البراعة فى الرماية حتى الوقت الذى يقضيه فصيلة ما فى عبور نهر . وكان ديبوى يرى أن على الجيش أن يؤدى آلاف من المهام المتفرقة ، وكثير منها ممل ويتكرر ، لكنها تشكل جميعها النجاح أو الفشل ، والمفتاح هو التحقق من أنها تؤدى جيداً تحت ضغط ظروف المعركة .

أن التدريب القاسى هو قلب الجيش الجديد ، وفى نظر باول أن أهم نتيجة لتركة ديبوى هى أقامة مركز التدريب الوطنى على مساحة ١٠٠٠ ميل مربع فى صحراء موچافى جنوب وادى الموت . ومنذ عام ١٩٨١ تذهب وحدات الجيش المقاتلة إلى هناك لتقضى أسبوعين كاملين تقاتل فيهما - ليلا ونهارا - قوة معادية دربت خصيصا على التاكتيكات السوڤيتية ، وكانت واقعية المعركة والنيران الحية تصل بالجنود والضباط إلى أقرب ما يمكن من الحرب الحقيقية ، وكانت الأخطاء تشجع عملياً ، وأصبح "التعلم من الخطأ" الشعار غير المعلن لهذه التدريبات

الشاقة

ويرى باول أن ديبوى قد شن الحرب على الجيش القديم ، وأحاله إلى قوة مستعدة .

وكان ڤونو رئيس أركان القوات البرية – الذى عمل بدوره مع ديبوى – من المؤمنين بانجيل التدريب ، وفى كل شهر كان يقوم برحلة يقطع بها نصف البلاد إلى فورت ليڤينوورث فى كانساس ليحاضر الكولونيلات واللينفنانت كولونيلات الذين على وشك تولى قيادة وحدات برية كبيرة . وأمام جمهور من نحو ٧٠ شخصا كان فونو يحاضر طيلة ساعتين دون مذكرات . وقال فى إحدى هذه الدورات فى الخريف "أن سوء التدريب يقتل الجنود . وإذا لم يكن الجيش الأمريكى مدربا جيدا فانكم لا تستطيعون القاء اللوم فى ذلك على الكونجرس ، ولا على وسائل الإعلام ولا على كلمة "الآخرين المبهمة ، وانما الخطأ خطأكم ، خطأكم أنتم وخطئى لأننا لم نقم بدورنا . ولا يمكن أن نسمح بمصرع صبى أو صبية لأنه أو لأنها لم يتلق التدريب الصحيح ، لأنه لو حدث ذلك ، فأن مسئوليته تقع على ضمائرنا ، على أيدينا" .

ويرى باول أن من المفاتيح الأخرى لنجاح الجيش الفهم الناضج للعلاقات العامة والسياسة وكيفية إستخدامها . ففي ١٣ ديسمبر توجه بالحديث إلي ضباط جامعة الدفا ع القومى فى واشنطون – التى درس فيها ذلك بنحو ١٣ سنة وأفاض فى الحديث عن مسئولية ضابط الجيش الحديث عن فهم العناصر السياسية والإعلامية لوظيفته .

ووصف رئيس هيئة الأركان كيف عمل على تحسين علاقاته بالصحفيين بحيث يثقون فيه ، ويتقبلون شرحه للأحداث فقال "وما أن تحرك كل القوات و وتضمن اهتمام القادة بكل شيىء حتى يكون عليك أن توجه أهتمامك إلى

التليفزيون ، لأنك تستطيع أن تكسب المعركة ، أو تخسر الحرب إذا لم تطرح المسألة جيدا" .

وقال باول أن السياسة شيء أساسى "اننى انفق جانبا كبيرا من وقتى فى تحسس هذه البيئة السياسية . وأحياناً ما يقول الناس .. حسنا ... باول ، انه جنرال سياسى على أى حال . وواقع الأمر أنه لا يوجد جنرال فى واشنطون ليس سياسيا ، إذا كان يريد النجاح ، لأن هذه هى طبيعية نظامنا . وتلك هى الطريقة التى تعمل بها وزارة الدفاع ، تلك هى الطريقة التى نضع بها سياستنا الخارجية ، تلك هى الطريقة التى نحصل بها على الموافقة على سياستنا" .

(١٤)

غــزو بنــما

كان الكولونيل چنرال كيلى فى منزله مساء السبت ١٦ ديسمبر حين رن التليفون فى الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة . كان المتحدث هو البريجادير چنرال ويليم هرتزوج قائد العمليات الجنوبية يتصل من مدينة بنما . وكان يبدو منفعلاً .

قال هرتزوج "لدينا رجل أطلقت عليه النار . وربما يكون قد مات .

وطلب كيلى مزيدا من المعلومات .

وقال هرتزوج انه لينفنانت من مشاة البحرية كان خارج الخدمة ، وأضاف "إننا لا نعرف ماذا حدث بالدقة . ونحن نبحث المسألة" .

قال كيلى حسنا ، وأغلق المحادثة ، وبدأ يجرى إتصالاته .

كان باول فى منزله في ٦ شارع كوارترز ، فى جناح المعيشة فى الطابق الثانى ، حيث يوجد مكتب ، وغرفة للتليفزيون ، وقاعة طعام صغيرة . وكانت أسرة باول تقضى معظم وقتها هناك ، بعيدا عن الطابق الأول الرسمى الفسيح ، الذى يستخدم فى الحفلات الرسمية . وكانت كل المعلومات القادمة من المخابرات تشير إلى أن نهاية الأسبوع ستكون فترة هادئة فى العالم كله ، آلما باول تقرأ ، حين رن

تليفون رئيس الأركان الخاص .

رفع السماعة قائلا "الچنرال باول" .

وأبلغه كيلى بحادثة إطلاق النا فى بنما .

قال باول "اللعنة" . وطلب من كيلى أن يبلغه بأى تطورات .

وسرعان ما تلقى باول تقريرا بأن ضابط مشاة البحرية مصاب أصابة خطيرة ثم أعقب ذلك تقرير يؤكد أنه لقى مصرعه فى المستشفى ، وأسمه هو الليفتينانت روبرت باز .

وإتصل باول بتشينى فى منزله قائلا "لقد بدأت الأمور تتطور" .

وتوجه كيلى إلى مكتبه فى البنتاجون حيث لحق به نائبه لشؤون العمليات الجارية الرير أدميرال چولوبيز ، وهو رجل دءوب ، وضابط فى مدمرة . وشكل الرجلان فريق أزمة صغير من حفنة من خبراء هيئة الأركان المشتركة . وبدأوا العمل على الفور فى مركز القيادة العسكرية الوطنية وكانت قد وصلت تفاصيل جديدة عن الحادثة ، كان باز واحدا من أربعة ضباط خارج الخدمة غير مسلحين ، ويرتدون الأزياء المدنية ، توجهوا إلى مدينة بنما لتناول العشاء ، ويبدو أنهم دخلوا خطأ فى شارع يدعى آفينيو ايه قرب مقر قيادة قوات الدفاع البنمية . وقالوا أن جنود قوات الدفاع البنمية حاولوا أن يجذبوهم خارج السيارة ، وصوبوا أسلحتهم إليهم ، ولذا فقد حاول السائق أن يسرع مبتعدا عن الحاجز ، فأطلق الجنود النار ، وقد أصيب ضابط آخر بخدش فى ركبته من أحدى الرصاصات ، وأصيب باز ثم توفى فى مستشفى جورجاس العسكرية .

وكان كيلى لا يزال يتابع شخصيا كل حوادث الإساءة إلى الأمريكيين ومضايقتهم فى بنما ، لكنه لم يستطع أن يضع يده على شىء يقطع بأن نورييجا

أو كبار قادة قوات الدفاع البنمية يسعون إلى مواجهة مباشرة ولم تقتل قوات الدفاع البنمية جندياً أمريكيا ، وبعد أن قرأ كيلى التقرير رأى أن حادثة باز لم تكن حادثة واضحة لعدوان بلا سبب من جانب قوات الدفاع البنمية ، فقد أسرعت السيارة مبتعدة عن حاجز مشروع ، مما يثير نوعا من الشك .

وقبل ذلك فى الليلة نفسها كان الجنرال ثورمان قد وصل إلى قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطون فى رحلة سريعة حول المدينة - البنتاجون ووزارة الخارجية والكونجروس - وكان ثورمان يجب أن يوضح رحلاته إلى العاصمة بأن يدون على قطعة من الورق مجال مسئولة القيادة الجنوبية مرتبة حسب الترتيب الهجائى ، الأرجنتين ، وبوليفيا ، وكولومبيا .... حتى أوروجواى وفنزويلا ، ثم يضيف فى النهاية بحياء واشنطون ، التى يعتبرها آخر مجال لعملياته وربما أهمها .

وتوجه ثورمان من قاعدة أندروز إلى منزل شقيقه فى المدينة ، حيث تناول عشاءه ومضى إلى الفراش . وفى الساعة الحادية عشرة مساء أوقظ وأبلغ بحادثة إطلاق النيران ، فتوجه فورا إلى البنتاجون حيث إتصل ببنما ليتحدث مع هرتزوج . كانت معلومات المخابرات الآن قد أوضحت أن نورييجا يتولى بنفسه إدارة عواقب حادثة إطلاق النيران .

قال ثورمان لنفسه أن شيئا دائما ما يحدث حينما أغادر هذا المكان اللعين هناك وكان بوسعه أن يرى الأحداث تتطور ، فقال "حان الوقت لأن أعود" ، وأمر باعداد طائرته . وفى الساعة الواحدة صباحا - وكنا الآن فى يوم ١٧ ديسمبر - كان قد بدأ رحلة العودة إلى بنما التى تستغرق خمس ساعات .

* * *

وبحلول الساعة السادسة صباحا كان مزيد من التقارير قد وصل إلى مركز

القيادة العسكرية الوطنية ، وكانت حادثة أخرى مرتبطة بالحادثة السابقة قد وقعت عند نفس نقطة تفتيش قوات الدفاع البنمية ، فقد أوقف لينفنانت البحرية آدم ج . كيرتس وزوجته يونى قبل نحو نصف ساعة من إطلاق النار ، وطلب منهما أن ينتظرا للتحقق من هويتها . وأثناء الإنتظار شاهدا إطلاق النيران ، واقتيدا معصوبى العينين إلى مكتب قريب من مكاتب قوات الدفاع البنمية ، ثم إلي مبنى آخر تبين أنه مقر القيادة .

وأشرف ضابط كبير من قوات الدفاع البنمية - لا تقل رتبته عن الميجور - على تحقيق مع الزوجين استمر أربع ساعات ، تعرضا خلاله للضرب والإهانات ، وركل الينفنانت كيرتس مرارا فى مؤخرته ، وضرب على فمه . وأجبرا على أن يقفا أمام حائط زنزانة وايديهما فوق رؤوسهما وبعد نصف ساعة انهارت بونى كيرتس (٢٣ سنة) . وحين أحتج الينفنانت كيرتس حشى فمه بالورق ، وجاء جنود من قوات الدفاع البنمية وأخذوا يقولون : فلنقتلهما الآن ، فلنتخلص منهما . وضعت بندقية فوق رأس الليفنانت كيرتس . وداعب البنميون عنق بونى كيرتس وساقيها من الخلف ، وقيل لها أن الركلات المستمرة فى مؤخرة زوجها ستؤدى بالتأكيد إلى ألا يعود قادرا على معاشرتها . ووجهت لها تهديدات جنسية أكثر من مرة ، ووضعت على مقعد ودار التحقيق معها عن وظيفة زوجها ، التى كان رجال قوات الدفاع المدنية يزعمون أنها وظيفة فى وكالة المخابرات المركزية .

وتساءل كيلى عما إذا كانت قوات الدفاع البنمية قد بدأت تتحلل . هل وصل الوضع فى بنما إلى نقطة زعزعة خطيرة ؟ ففيما مضى كان نورييجا شديد الحرص على عدم وقوع مواجهة مباشرة تكشف عن مشاركة كبار ضباط قوات الدفاع البنمية وافتقارهم إلى الإنضباط . لم تكن المسألة هنا مسألة جاويش أو ضابط (أفلت عياره) ، بل أن النظام هو الذى (أفلت عياره) . فهل فقد نورييجا

سلطته على قواته . وهل قوات الدفاع البنمية فى طريقها لأن تصبح قوات مارقة ؟ .

وأبلغ باول وتشينى بتفاصيل أعتقال أسرة كيرتس واساءة معاملتها . وقال تشينى إنه يريد عقد إجتماع فى مكتبه فى البنتاجون فى الساعة العاشرة صباح الأحد لإستعراض الخيارات ، وإتصل بسكاوكروفت وأبلغه أنه يعتقد أن من الضرورى عقد إجتماع مع الرئيس فيما بعد فى اليوم نفسه .

ووصل ثورمان إلى بنما فى الساعة السادسة صباحاً ، وتوجه إلى مقر قيادته لإستعراض الموقف .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحاً توجه باول إلى البنتاجون ، حيث إجتمع بكيلى وفريق إدارة الأزمة . وقال كيلى أن نورييجا يتخبط حقا هذه المرة ، فقد أصدر بيانا ألقى فيه اللوم فى حادثة إطلاق النيران على الضباط الأمريكيين الأربعة ، زاعما أن الرجال قد أخترقوا نقطة تفتيش لقوات الدفاع البنمية بسيارتهم ، وأطلقوا النار على مقر قيادة نورييجا ، وأصابوا ثلاثة بنميين بينهم جندى وطفلة فى عامها الأول .

وإستجوب الضباط الثلاثة الذين كانوا مع باز بالتفصيل . وقال كيلى أن بيان نورييجا كاذب تماما ، وقد سمع رجال التصنت على الإشارات الأمريكييون نورييجا نفسه على الهاتف واللاسلكى وهو يلفق قصصًا زائفة لإلقاء اللوم على الأمريكيين .

وتحدث باول مع ثورمان على الخط المأمون . وكان ثورمان قد وضع بالفعل قواته البالغة ثلاثة عشر ألف رجل فيما يسمى حالة الطوارىء دلتا ، وهى ثانى حالة من حالات الإستعداد وتحد بشدة حركة العاملين والرعايا الأمريكيين . وقال ثورمان ان تصرفات نورييجا إستفزازية إلى أقصى حد . وذكّر باول بأن مجلس

النواب الذى اصطنعه نورييجا كان قد عين هذا الأخير قبل يومين "قائدا أعلى للتحرير" وأعلن أن بنما "فى حالة حرب" مع الولايات المتحدة . وقال ثورمان أن أوغاد قوات الدفاع البنمية قد تشربوا كل عباراته الطنانة ، وهم يعطونه كل ما يريده .

وأضاف ثورمان أنه يرى أن هناك ثلاثة خيارات : (١) عدم القيام بشىء عسكرى – والإكتفاء بالإحتجاج (٢) تنفيذ جزء من عملية هجوم "الملعقة الزرقاء" ضد قوات الدفاع البنمية ومحاولة اختطاف نورييجا (٣) تنفيذ خطة "الملعقة الزرقاء" بكاملها .

وقال ثورمان "إذا لم نفعل شيئا فسندفع ثمنا باهظا ، لأن كل ما سيؤدى اليه هذا هو رفع مكانته فى أعين سفاحيه الذين يساعدونه ويحرضونه" . فقتل باز عمدا يتطلب ردا .

وأضاف ثورمان معارضا الخيار الثانى أن عملية إختطاف نورييجا ستعرضك للخطر . إنهم يقتفون أثر نورييجا ويعرفون أين هو ربما فى ٨٠ فى المائة من الوقت . ولكن إذا هاجمه العسكريون الأمريكيون ولم ينجحوا فى الإمساك به ، فستظل لديه قوات الدفاع البنمية ، ولن يكون أى أمريكى فى بنما فى مأمن .

وأوصى ثورمان بالخيار الثالث – نفذوها كلها ، ودمروا قوات الدفاع البنمية وانتهوا من المسألة . وقال .. لقد تدربنا ... ولن تكون القيادة الجنوبية أكثر استعداد مما هى الآن . وبعد نحو عشر دقائق قال باول "حسنا ... كن على إستعداد ، ولابد لى أن أطلع تشينى ، وسأتصل بك فيما بعد" . وكان من الواضح أن باول يتحفظ فى ابداء رأيه .

وتوجه باول إلى مكتب تشينى حيث انفرد الرجلان قبيل الساعة العاشرة

صباحاً وكان باول يرى أن من المهم أن يعرف شيئا من تشينى عما هو ممكن ، فهو لا يريد أن ينطلق بتوصية عسكرية سترفض ، لأنها لا تتفق مع الخيارات السياسية المقبوله . لكن تشينى بدا كالعادة راغبا فى أن يستمع .

وقال باول أن هناك كثيرا من التعمد فيما تفعله قوات الدفاع البنمية بالأمريكيين "فليس هذا الأمر تصرفا ارتجاليا من جانب القوات الدفاع البنمية" . وأضاف رئيس الأركان أن خطة "الملعقة الزرقاء" خطة جيدة ، وأنهم تدربوا عليها مائة فى المائة ، وربما لن يكونوا أكثر استعدادا .

وأومأ تشينى برأسه بأنه لا يعترض ، وخلف لدى باول انطباعا بأنهما متفقان فى الرأى .

وقال باول أن من المهم أن يقوموا بهذه العملية - وبأى عملية عسكرية - فى الوقت الذى يحددونه . وأنه يؤيد التوصية بتنفيذ خطة "الملعقة الزرقاء" .

ولم يخالفه تشينى ، وبدا متفتحا على كل الإحتمالات ، لكنه قال انه يريد أن يسمع ما يقوله الآخرون .

وفى هذه اللحظة انضم اليهم هنرى راون مساعد الوزير وريتشار س. براون نائب مساعد الوزير لشؤون الدول الأمريكية ، وبيت ويليامز المتحدث الرسمى ، والرير أدميرال أوينز مساعد تشينى العسكرى ، وديف آرينيجتون ، مساعد تشينى المدنى الخاص ، وكيلى وشيفر من هيئة الأركان المشتركة .

وبعد عرض موجز لآخر التقارير عن مصرع الـليفنانت باز وضرب الليفنانت كيرتس وزوجته واساءة معاملتهما . قال تشينى انه يريد تقييمات وتوصيات وأخذ يتطلع إلى كل واحد من الحاضرين طالبا رأيه .

وإذ رأى كثير من المدنيين أن الأجراء العسكرى مطروح بوضوح للدراسة

فقد أبدوا تساؤلهم عما إذا كان هذا إجراء حكيما . وتساءلوا عما إذا كان قتل الليفتنانت باز - وهو القضية الإساسية فيما يبدو - تمثل غطاء كافيا لتبرير الإجراء العسكرى .

وقال باول "ان كل ما أعرفه هو أنه قتل" . وتلك أخطر حادثة فى بنما منذ خمسة وعشرين عاما .

وألح المدنيون "هل ستصمد الوقائع كما هى معروضة الآن للتمحيص الذى لابد أن يأتى ؟ وهل باول واثق من موقفه ؟ وأليس لإدعاء نورييجا أن الضباط الأمريكيين هم الذين بدأوا بإطلاق النار أى نصيب من الصحة ؟ وألا يعطى الإسراع بعيدا عن نقطة التفتيش مبررا لقوات الدفاع البنمية لكى تطلق النار ؟

وقال باول وغيره إنهم يبحثون الموضوع ، ولكن يبدوا أن أدعاء نورييجا قد ثبت عدم صدقه .

وواصل المدنيون ضغطهم . هل هذا هو الحدث الذى سيطلق العملية ؟ وهل يجب أن يكون كذلك ؟ .

وبدت الأغلبية متفقة على أن الإجابة تتوقف على صحة المعلومات .

وحين بدا أن كلا منهم قد أدلى بدلوه شكرهم تشينى بأدب .

وتبين ويليامز أنه أيا كانت النتيجة فإنهم فى أزمة ، وأخبر تشينى أنه تحدث مع ضابط الشؤون العامة فى القيادة الجنوبية ، الذى أبلغه أن الليفنانت كيرتس فى حالة طيبة ، وأنه يمكن أن يتوجه إلى التلفزيون ويشرح ما حدث له ولزوجته ، وقال أنه يرى فى ذلك امكانية تثير الإهتمام .

فقال له تشينى "دع المسألة تمر ، فنحن لا نريد تصعيد الأمور" . وطلب تشينى من ويليامز اعداد بيان يشرح بالدقة ما حدث لباز وكيرتس ، وأخبره أنه

يريد أن يرى هذا البيان قبل اصداره .

* * *

طلب تشينى من باول أن يتخلف عن الآخرين لأنه يريد أن يتحدث معه على إنفراد . كان يدرك الآن أن الأمريكيين فى بنما - عسكريين ومدنيين - يتعرضون لخطر شديد . وأن هذا يغير الوضع تماما .

ووافقه باول على ذلك .

وتحدثا عن الفوضى فى بنما . وقال تشينى أن الوضع كان كذلك منذ فترة طويلة ، لكن عليهم الآن - بصراحة - التزاماً إذا أرادوا المحافظة على رجالهم هناك .

وقال باول إنهم لا يستطيعون السماح بحدوث مثل هذا الأمر ، ولعل الوقت قد حان للتصرف .

قال تشينى - نعم .. وليس نورييجا وحده .. وإنما قوات الدفاع البنمية بأسرها . لقد وصلوا أخيرا إلى نقطة يمكن أن تبرر التدخل العسكرى الأمريكى .

وقال باول أنه يمكن أن يدعو رؤساء الأركان معا فى هدوء ، لمعرفه آرائهم ، والتحقق من أنهم جميعا يسيرون فى الركب .

* * *

رغم أن رئيس الأركان هو بحكم القانون المستشار العسكرى الرئيسى للرئيس ولوزير الدفاع فأن بقية الرؤساء بدورهم مستشارون للرئيس . وكان باول يريدهم أن يشاركوا بدرجة أكبر - لا أقل - فى النظام ، على أن تكون هذه المشاركة من خلاله ، فهو الذى يتوجه إلى البيت الأبيض ، ويبلغ بقية الرؤساء بما تجرى دراسته ، وينقل آراءهم إلى الرئيس .

أما الآن فان باول لا يعرف ما الذى يريده البيت الأبيض ، فهو لم يتحدث مع الرئيس بوش ، ولامع سكاوكروفت أو بيكر ، ومن ثم فانه ليس واثقا مما يمكن أن يأتى من أعلى . وقد حان الوقت لأن يعرف ما يمكن أن يأتى من أسفل .

ولم يكن باول يريد أن يستدعى رؤساء الأركان إلى البنتاجون ، حيث سيلاحظون بالتأكيد . وعقد إجتماع يوم الأحد لهيئة الأركان المشتركة لابد أن يلفت نظر الصحافة . وبدلا من ذلك فقد أرسل كلمة إلى كل منهم يخبره بأنه يريد أن يتناول معهم القهوة فى منزله فى الحادية عشرة ونصف وكان فونو يعيش على مقربة ، فى ١ شارع كوارتز ، وكان قد أخطر بالموضوع ، وتم الإتصال برئيس العمليات البحرية الأميرال كارل ترووست - الذى كان قد أبلغ بكل من قتل باز واساءة معاملة رجل البحرية وزوجته - فى كنيسة ناقى بارد فى واشنطون . أما قائد آل جراى فكان فى حالة استعداد ، كما كان الجنرال ويلسن يتوقع مشكلات .

واجتمع الرؤساء الأربعة فى مكتب الطابق الأول الخلفى فى ٦ شارع كوارتز . وكانت آلما باول قد بدأت إعادة (ديكور) الجدران ، واتخذت غرفة الزاوية الصغيرة لونا برتقاليا خفيفا أنيقا ، وعلقت على جدرانها صور وذكريات من حياة باول المهنية .

وحيا باول كلا منهم بحرارة - آل ولارى وكارل وكارل - واتخذ كل منهم مقعده وقدمت القهوة وعرض لهم كيلى الوضع فى نحو عشر دقائق ، مقدما آخر المعلومات عن اغتيال باز واساءة معاملة الزوجين كيرتس . وكان بوسعه أن يرى من نظرات الرؤساء وأسئلتهم أن محنة الزوجين كيرتس قد لفتت انتباههم أكثر من حادثة إطلاق النار . فهاهم رجال نورييجا يسيئون معاملة أسرة ، امرأة ، عزلاء . كان آل كيرتس بريئان تماما ، وهما لم يستفزا قوات الدفاع البنمية بأى حال ، وإنما تصادف أن شاهدا إطلاق النار على باز . وأوجز كيلى بسرعة خطة "الملعقة

الزرقاء" ، التى كان الرؤساء جميعا على علم بها ، إذا عرضت عليهم فى الشهر السابق .

وأخبرهم باول أنه قد التقى تشينى وهيئة مساعديه هذا الصباح ، وأنه والوزير يميلان إلى أن يوصيا الرئيس بعد ظهر اليوم بتنفيذ خطة "الملعقة الزرقاء" فقد دفعنا نورييجا إلى أبعد مما نستطيع أن نتحمل . لكنه وتشينى يريدان أن يعرفا آراءهم ، لا فى الجانب العسكرى فحسب ، بل فى الجانب السياسى كذلك ، فأى مشورة – فردية أو جماعية – يودون أن ينقلها إلى الوزير والرئيس ؟

وقال كارل ڤونو أن خطة "الملعقة الزرقاء" خطة جيده ، صحيح أنها معقدة – لكنها يمكن أن تحقق هدف اكتساح قوات الدفاع البنمية ، ويجب مقاومة أىمحاولة لتخفيف الخطة ، ولتنفيذ خيار أقل ، ان لديه ذكريات حية عن ڤيتنام ، حيث لم تكن القيادة المدنية على استعداد لاشراك القوات اللازمة لتحقيق الأهداف العسكرية . أما عملية بنما فلابد على عكس ڤيتنام من أن تنفذ كاملا ، وبالقوة الكافية لضمان عدم عجز القوات عن التقدم ، والقوات مستعدة ، ومدربه جيدة ، وأدت التمارين الكاملة . ولا تعانى الوحدات من نقص الرجال أو القادة أو الخبرة كما كان الشأن فى ڤيتنام .

وأضاف ڤونو أن العملية – من المنظور العسكرى – مقبوله تماما ، وكافية لتحقيق المهمة المحددة .

أما الچنرال آل جراى فكان يبدو متململا ، إذ قال "إن العالم فى نظرى ينقسم إلى أعمال مقبولة وأعمال غير مقبولة : وهذا أمر غير مقبول" . وأضاف بقوة أن الوضع لن يتحسن ، وقد حان الوقت للتصرف ، وهو يؤيد التصرف العسكرى تماما ، وعلى ثقة من أن الشعب البنمى يريد اقصاء نورييجا ، وأنهم سيرقصون فى الشوارع إذا تدخلت الولايات المتحدة لإبعاده .

ولاحظ كيلى فى صمت أنه وان كان جراى يبدو مؤيدا مائة فى المائة فأنه يتحدث بحماس مشوب بالمرارة .. إن مشاة البحرية التابعة لجراى تتنافس مع القوات البرية حول من يكون القوة المختارة للعملية – وحول المهام ، والتمويل ، والإحترام . وبنما مرشح تقليدى لعملية إنزال مشاة البحرية ، فهى بلد صغير ، يقع كله تقريبا على الساحل ، لكن خطة "الملعقة الزرقاء" تكاد تكون عملية قاصرة على القوات البرية ، فالمفاجأة والسرعة تفرضان عملية محمولة جوا ، أما مشاة البحرية الذين ينقلون على السفن فكثيرا ما يستغرق وصولهم وقتاً طويلا ، ومن الصعب اخفاء وجودهم وهم فى الطريق أو على الشاطىء .

وقال جراى وعلى وجهه تعبير خجول أن لديه وحدة طوارىء من مشاة البحرية تضم عدة آلاف ، وتتجه عائدة من هاواى ، حيث أنهت لتوها عملية انتشار ، ولا يمكن أن تكون أفضل تدريبا ، كما أنها قادرة على أداء العمليات الخاصة . وقال أن كل ما عليه أن يفعل هو أن يصدر الأوامر للسفن بأن تستدير فى طريقها ، وسرعان ما سيكونون جاهزين عند الأفق .

ويمكن لمشاة البحرية أن يكونوا أمام ساحل بنما فى عدة أيام .

قال باول "هذا أمر تسعدنى معرفته ، لكننى لا أستطيع أن أغير الجدول الزمنى أو الخطة الآن" .

وكان كل من فى الغرفة يعرفون أن وصول مشاة البحرية سيستغرق وقتا أطول مما يجب .

ورد جراى رداً اعتبره كيلى نوعـا من الإعلان التجارى عن مشاة البحرية ، يلح على قوتها المتنوعة القادرة على أن تحمل مؤنا تكفى ٣٠ يوما .

ولم يكن ضبط النفس هو فضيلة جراى ، لكنه حاول أن يضبط نفسه ، فهو

فى أعماقه يشعر بأن هذه القوات البرية الخفيفة التى تهبط بالمظلات من السماء ادعاء زائف - ومظهر للقوة البرية الجوفاء - صحيح أن مشاة القوات البرية من الخفة بحيث يستطيع أن تصل إلى هناك بسرعة ، لكنها أيضا من الخفة بحيث ستواجه مشكلات أن طال القتال أكثر من عدة أيام ، فهم لا يأتون إلى باحتياجات عدة أيام من المؤن والذخائر .

وقال جراى إنه إذا حمى القتال فى بنما فسيكون رجاله جاهزين .

وأوضح باول أن خطة "الملعقة الزرقاء" قد وضعت لضمان الإنتصار السريع : ٢٤٠٠٠ من القوات الأمريكية ضد ١٦٠٠٠ من أفراد قوات الدفاع البنمية ليس قادرا على القتال منهم إلا ٣٥٠٠ رجل ، ومعدات أفضل ، وقدرة على العمل ليلا والمفاجأة ، وجنود أفضل وكان باول يرى أنه عند ألقاء الأسلحة والرجال فى ميدان المعركة فسينتهى القتال إلى مبارزات بين الفتيان ، والفتية الأمريكيون أفضل كثيراً .

وكنقطة أخيرة أقترح جراى أن تنقل بعض السفن البرمائية محملة بمشاة البحرية إلى أمام ساحل المحيط الأطلسى فى بنما ، من باب الإحتياط ، وإذ ستكون هذه السفن فى الوقت نفسه أمام ساحل نيكاراجوا فإنها ستكون على إستعداد لو حاول الساتدينست شيئا .

كان الچنرال جراى هو أكثر من يتحدث .. وأخيراً قاطعه رئيس الأركان قائلا " حسناً .. أن هذا أمر واضح وسنضعه فى ذهننا" .

وقال الأميرال تروست إن لدى الأسطول سفنا فى البحر الكاريبى والمحيط الهادىء فى عمليات منع تهريب المخدرات ، ويمكن استدعاء هذه السفن ... أن ثمة جاذبية رمزية فى إستعراض قوة مجموعة حاملة طائرات أو مجموعة سفن برمائية لكنه لا يعتقد أنه ستكون هناك حاجة لهم ، أو أنه سيكون لهم تأثير كبير ،

ومن الممكن إشراك قوة رمزية من ٨٠٠ رجل فى عملية "الملعقة الزرقاء" ، ومن بينهم عدد من قوات البحرية الخاصة ، وقوات على زوارق صغيرة ، وكان من السهل على تروست أن يسلم بأن العملية أساسا عملية للقوات البرية والجوية .

ورأى رئيس العمليات البحرية أن الولايات المتحدة - من الناحية العملية يسيطر على بنما بقواتها الموجودة أصلا هناك والتى تبلغ ١٣٠٠٠ رجل . وأن المسألة لا تعدو ازاحة نورييجا وحفنة من كبار ضباطه ، وتحييد بقية قوات الدفاع البنمية . وهو يجد متعة خاصة فى أحد جوانب خطة "الملعقة الزرقاء" . إن الآلاف من رجال القوات البرية سيهبطون بالمظلات . وهو يفهم عمليات الإنزال الأولى بالمظلات ، لكن بقية القوات يمكن أن تصل بسهولة فى طائرات تهبط على الممرات التى تكون القوات الأمريكية حينئذ قد سيطرت عليها . والأميرال على ثقة كاملة من أن هذا الجانب قد صمم لضمان حصول أقصى عدد ممكن من القوات على شارات القفز بالمظلات ، وأخذ يحصى فى صمت الكثير من السيقان المكسورة بغير ضرورة فى عمليات الإنزال .

وكان واضحاً لتروست أن المسألة لن تكون قتالا متكافئا عادلا بأى حال . وذات مرة منذ سنوات ضرب ثعبانا بمجرفة ، وربما كانت المجرفة سلاحاً أكبر مما يجب ، لكنه أدت المهمة ، وهو لا يأخذ على الآخرين استخدامهم لمجارفهم .

كما خطر لتروست - وإن لم يقل ذلك - أن هذه العملية ستكون رداً على الإنتقاد الذى كثيرا ما يوجه إلى الرؤساء بأنهم حفنة من (الخرعين) لا يريدون القتال ، ولا يفكرون أو يخططون أبدا مقدما . وستكون "الملعقة الزرقاء" ردا على هؤلاء المدعين . وأكتفى تروست بان قال للآخرين إنه يؤيد "الملعقة الزرقاء" بقوة .

وأما الچنرال ويلسن فقد أخذ - كعادته - يصغى فى هدوء ، ولا يقول الكثير ويتوصل إلى استنتاجاته الخاصة . ودار فى ذهنه أن هذا إجتماع هام

للغاية ، فالرؤساء – وعن حق – يتحفظون تقليديا فى استخدام القوة العسكرية ، وهم عادة لا يؤيدون التدخلات المتعجلة ، أو ذات الطابع السياسى أساسا . وهو يعتقد أن تنفيذ خطة "الملعقة الزرقاء" سيتسم بالصفتين .

وقال ويلسن إنه يوافق على أن اساءة معاملة الزوجين أكثر دلالة على جو الفوضى من إطلاق النار على ضابط مشاة البحرية ، وأنه يريد أن يتأكد أن العملين لم يكونا من صنع بعض جنود قوات الدفاع البنمية المنحرفين .

ورد باول وكيلى بأنهما على أكبر ثقة ممكنة ، فما قاله الزوجان ، وكذلك الإشارات التى اعترضتها المخابرات كلها تبين أنه يقوم بنفسه بالتغطية على تنظيمه .

وأجاب ويلسن بأنه فى هذه الحالة فإن الخيار أمام الولايات المتحدة هو أما أن تخرج من بنما كلية أو تدخلها تماما . ونظرا للمسئولية الدولية عن حماية قناة بنما فإن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تنسحب إلى معادل بنمى لخليج جوانتا بامو – الجيب الوحيد المتبقى للولايات المتحدة فى كوبا . ومن ثم فليس هناك – بهذا المعنى – خيار .

وبعد وقفة قصيرة تعلقت بها أنفاس الحاضرين قال ويلسن انه مازال عليهم أن يتفهموا ويدرسوا عيوب الغزو الشامل

وبدا أن باول والآخرين يريدون أن يسمعوا ما يقوله .

وقال ويلسن إن العيب الأول هو أن عليهم أن يتوقعوا أن تقف الدول الأمريكية – على الأقل – ضد ما تقوم به الولايات المتحدة . وستتعرض سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة لنكسة طيلة سنوات ، والأرجح أن تشعل وسائل الإعلام القضية . وما من سبيل لأن تتوقع الولايات المتحدة واقعيا أى تعبير علنى

عن التأييد من أصدقائها فى أمريكا اللاتينية .

ورغم أن باول قد وافق على ذلك فقد رد بأن قادة أمريكا اللاتينية سيسعدون كغيرهم – فى أعماقهم – للتخلص من مشكلة نورييجا .

ومضى ويلسن يقول أنه على الرغم من ذلك فإن هذا العيب يجب مواجهته وفضلا عن ذلك فإن الأرجح أن يكون رد الفعل سلبيا فى البلدان الأخرى التى توجد للولايات المتحدة قواعد كبيرة فيها مثل الفلبين .

وإستطرد ويلسن قائلا أن العيب الثانى هو إحتمال أن تكون قوات الدفاع البنمية أكثر مقاومة مما هو متوقع . وعلى الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لتوفير أى قوات قد يلزم فى أى وقت لحسم الوضع . وقال أن خطة "الملعقة الزرقاء" تتضمن ما نعتقد أنه قوة كافية تماما . وقد يدفع هذا الرئيس أو أى شخص آخر إلى إستنتاج أن هذا هو الحد الأقصى للإلتزام . وقد تكون هذه مشكلة كبيرة . وهو يأمل ألا يكون أحد قد وعد بتسوية سريعة .

وذكر ويلسن أن العيب الثالث هو أنه قد يظهر نقاد يقولون إن وزارة الدفاع لم تعد تجد عدوا ، ومن ثم انتهزت هذه الفرصة لتبين الحاجة إلى القوة العسكرية والعيب الرابع هو مشكلة داود وجوليات – أي الإمكانية الحقيقة لأن يرى الشعور الشعبى فى نورييجا – وجزئيا بتأثير وسائل الإعلام هنا – الفتى الصغير الذى يقهر فى غير إنصاف .

وخامسا عليهم أن يتأكدوا – على حد تعبير ويلسن – من ألا يقعوا فى وضع شبيه بوضع خليج تونكين ، مشيرا بذلك إلى الغموض الذى أحاط بهجوم ڤيتنام الشمالية فى ١٩٦٤ على السفن الأمريكية ، والذى أدى إلى قرار الكونجرس بمنح الرئيس جونسون سلطة استثنائية فى الرد على فيتنام . أما فى هذه المرة – كما يقول ويسلن – فإن على« العسكريين الأمريكيين إن يتأكدوا من

أن الإستفزاز حقيقى ، وأن الوضع فى بنما وضع لا يمكن تقبله ، وإنهم . لا يستطيعون أن يطلبوا من رجالهم هناك تحمله . .

كانت هذه قائمة طويلة من السلبيات ، ولم يكن واضحا ماذا يريد ويلسن أن يصل إليه .

وأخيرا أوجز ويلسن أقواله .. فطالما أنهم يمضون وعيونهم مفتوحة على هذه العيوب ، وملتزمون بما يكفى للتغلب عليها مع تكشف الأحداث ، فأنه يؤيد العملية فليس هناك – كما قال – حل آخر .

وأخذ باول الكلمة فقال إنه وكيلى ذاهبان إلى لقاء الرئيس ، وستكون توصيته هى أن تنفذ خطه "الملعقة الزرقاء" ، وأريد أن أتأكد من أننا جميعا نوافق على ذلك" ، وأدار رأسه لهم ثانية طالبا توصياتهم الأخيرة .

وقال الرؤساء الأربعة إنهم يؤيدونه .

* * *

استقل باول وكيلى سيارة رئيس الأركان ، وهما يحملان خرائط كبيرة الحجم تبين نقاط الهجوم فى بنما ، وأخذتهما السيارة إلى البيت الأبيض .

كان يوم الأحد هذا يوم شتائيا جميلا ، وشوارع المدينة مزينة إستعداد لعيد الميلاد ... انه زمن السلام والأسرة ، ولعله كما دار فى ذهن باول – أسوأ موسم لتوصية الرئيس بشن عملية عسكرية هجومية .

وكان كيلى وباول يرتديان ملابسا مدنية مريحة وإرتقيا الدرج الى جناح الرئيس فى الطابق التانى من البيت الأبيض للقاء بوش فى الساعة الثانية بعد الظهر . وكان أحد إحتفالات أسرة بوش بعيد الميلاد – لأقرب الأصدقاء والأقارب هذه المرة – يدور فى الطابق الأول . وكان المنشدون فى زى القرن الثامن عشر

ينشدون فى أحد الجوانب ، وعدد قليل من الفضوليين ما زالوا يتباطئون .

ووصل تشينى - الذى كان قد حضر عدة حفلات عيد الميلاد منذ إجتماع الصباح فى البنتاجون ، كما جاء بيكر وسكاوكروفت وبوب چيتز ومارلين فينزووتر المتحدث الصحفى . وكان بوش يرتدى قميصا أبيض ، و (بليزر) أزرق ، وبنطلونا رماديا وحذاء بنيا ، وزوجا من الجوارب أحمر زاه طرزت على إحدى فردتيه عبارة "عيد ميلاد" وعلى الأخرى كلمة "سعيد" ورأى كيلى أنها أقبح جوارب شاهدها . [لاحظ باول أن اللاعبين الرئيسين الوحيدين الغائبين هما كويل نائب الرئيس وسونونو رئيس موظفى البيت الأبيض . ولم يكن باول فى العادة يذهب إلى مثل هذا الاجتماع دون معرفة سابقة بمواقف مختلفة اللاعبين ، لكن لأحداث دفعتهم إلى التحرك بسرعة بحيث لم تتح له فرصة لمعرفة أين يقف هؤلاء .

ولخص كيلى الوقائع التى جمعها بشأن مصرع اللنفينانت باز واساءة معاملة الزوجين كيرتس فى سبع دقائق . وقال أن الحادثة الأخيرة قد أشرف عليها ضابط كبير فى قوات الدفاع البنمية . وكان بوسع كيلى أن يرى أن بوش والآخرين أكثر انزعاجا من هذه الحادثة من إطلاق النار على باز ، وأكتفى كيلى - الذى يؤيد الغزو - بعرض الوقائع بأكثر ما يستطيع من موضوعية وقال أن هذين العملين لم يسبق لهما مثيل فى بنما ، حتى فى ظل نورييجا .

ولم يعرض باول على الرئيس سوى خيار واحد : "الملعقة الزرقاء" .

سأله بوش ولماذا لا نكتفى بالقبض على نورييجا ؟ قل لى لماذا لا نفعل ذلك بقوة أصغر .

وسرد باول كل حججه عن ضرورة تحطيم قوات الدفاع البنمية وقال إن الإستخدام الواسع للقوة هو فى الواقع أقل خطورة من الجهد الأقل . وأضاف ان هذا هو المسار الحريص . وأن الخيار عمليا هو بين أن يدفع الآن أو يدفع فيما

بعد . أن من الممكن أن تذهب إلى هناك لتأخذ نورييجا ، لكنك لن تكون قد أنجزت الكثير ، فسيحل محله فاسد آخر من قوات الدفاع البنمية .

وحذره باول قائلا "ان دماء أمريكية ستسفك" ، لكن لعل ما سيسفك من دماء لو استخدمنا قوة صغيرة سيكون أكثر مما لو وجهنا لطمة تحطم قوات الدفاع البنمية .

وقال باول انه سيحتاج إلى إخطار قبل ٤٨ ساعة على الأقل لإعداد القوات وإرسالها والنقل الجوى لخطة "الملعقة الزرقاء" . وأن ساعة الصفر المثالية هى الواحدة صباحاً ، حيث يمكن مباغتة قوات الدفاع البنمية ، وتكون أمامنا خمس ساعات قبل طلوع النهار لتحطيمها . كما أن الساعة الواحدة صباحاً ستكون قريبة من ارتفاع المد ، وتلك ميزة حقيقية لرجال القوات البحرية الخاصة ففى ساعة الجزر قد تكون بعض مناطق الإنزال موحلة قذرة إلى حد يشق معه حتى على أشد رجال القوات البحرية الخاصة خوضها . ومن المزايا الأخرى أن طائرة واحدة هى التى ستهبط فى مطار توريجوس الدولى - وهو أحد الأهداف الرئيسية - بعد الساعة الواحدة .

وستكون خطة "الملعقة الزرقاء" قضاء كاملا على قوات الدفاع البنمى والحكومة البنمية وأضاف باول مؤكدا أن هذه الخطة ليست ضربة جراحية ، أو عملية دخول وخروج بسيطة "اننا سنمتلك البلاد لعدة أسابيع" . وأضاف أن أمورا سيئة ستقع يا سيدى الرئيس . وستكون هناك خسائر - لديهم ولدينا ، من العسكريين ومن المدنيين "وستبذل كل ما نستطيع لكى نبقيها عند الحد الأدنى" .

وسأل سكاوكروفت عن مستوى الخسائر .

فأجاب باول "اننا سنؤدى البعض ، وستكون هناك خسائر فى الأرواح وفوضى . وسيكون علينا أن نتولى عملية إنقاذ القانون" . وتحاشى باول ذكر عدد

محدد . وقال انه يستطيع أن يضمن النجاح السريع ، لكنه لا يستطيع أن يعطى وقتا محددا ستستغرقة العملية.

ومضى باول يقول "لا تسألنا بعد يومين متى سنعود يا سيدى الرئيس ، فقوات الدفاع البنمية قد تستسلم عند أول انزال ، وترفع لافتات "مرحبا بكم أيها الأمريكيون" أو قد تدور معارك عنيفة طيلة أسابيع" .

وأخذ بوش يفكر . إن لديه كثيرا من الأسئلة التى تتحدى الخطة ، وبعضها محدد للغاية وعلى سبيل المثال كم وقتا سيستغرق الأنتقال من طريق إلى آخر ، وبعد فترة قال "حسنا ، اننى لا أعرف" .

وخشى باول من أن الأجتماع يتحرك كزورق شراعى يهتز أماما وخلفا عبر أحد الخلجان ، وهو لا يعرف إلي أين سينتهى . وبعد أن رد على الأسئلة التى وجهت إليه قال "ان توصيتى هى أن تمضى بالخطة كلها . وأستطيع أن أقول لك أن رؤساء الأركان جميعا يتفقون معى" .

وحين انتهى باول تحدث تشينى قائلا لبوش "اننى أؤيد ما أوصاك به الآن رئيس الأركان" .

وكان لدى كيلى انطباع بأن صمت تشينى النسبى يعنى أنه تحدث مع الرئيس على إنفراد قبل الإجتماع ، وشعر بأنه مادام موقفه قد طرح بالفعل فلا حاجة به إلى أن يقول المزيد .

لكن الواقع أن تشينى لم يكن قد تحدث على إنفراد مع بوش ، وإنما المسألة كلها أنه قد أصبح واضحاً أمامه بعد الإنقلاب الفاشل أن الرئيس يريد لهذه المشكلة أن تحل ، وشعر بأن باول هو الذى يستطيع أن يقدم الحل بأن يطرح الخطة العسكرية .

وقال بيكر "أعتقد أن علينا أن نذهب ، وكما تعرفون فقد كان هذا هو رأى وزارة الخارجية منذ وقت طويل ، لكن هذه هى عيوب القيام بذلك" .

واستعرض وزير الخارجية العالم كله ، متنبئاً بردود الفعل التى سيثيرها الغزو ، فمنظمة الدول الأمريكية ستشعر بأنها ملتزمة بأن تدين التدخل .. لكن هذا أمر متوقع ... وستشعر حكومات أمريكا اللاتينية المفردة ودول العالم الثالث بنفس الإلتزام . ومن المؤكد أن المكسيك ستعارض بشدة . وحتى الحلفاء – حكومات أوربا الغربية الصديقة – سيوجهون للولايات المتحدة بعض اللوم لمجرد أنها ستكون فرصة طيبة للنيل من العم سام ، أما السوفييت فسيصدرون بيانهم السلبى المعتاد . ولكنه بشكل عام لا يعتقد أن انتقاد أى دولة سيصدر عن قلبها ، وتوقع أن معظم هذه الحكومات سيرسل سرا كلمة بأنهم يقفون على الحياد أو حتى يشعرون بالسرور .

وقال بيكر أن وزارة الخارجية تستطيع أن تتولى عملية إخطار الحكومات الأخرى . الحلفاء والسوفييت . وأن على الرئيس بالطبع أن يقوم بعدد كبير من المكالمات .

ودخل سكاوكروفت الحلبة . ويعتقد باول أن سكاوكروفت كان (يصوّب) بدلا من بوش .

سأل سكاوكروفت ثانية بصوت مرتفع ماذا عن مستوى الإصابات ؟ .

وقال باول انه لا يستطيع أن يعطى رقما .

ومستوى الخسائر ؟ .

وهنا أيضاً من الصعب التنبؤ بشىء ، لكن من المخطط إرسال قوة كبيرة ، وستكون الخسائر كبيرة ، وإن كانوا لن يذهبوا إلى هناك وينسفوا المكان . فكل

نقطة من نقاط الهجوم المستهدفة قد آختبرت لسبب - تركيزات قوات الدفاع البنمية . المخابىء التى يمكن أن يوجد فيها نورييجا ، والمركز الرئيسى لتوزيع الكهرباء ، وسد مادين الذى يتحكم فى جانب كبير من مياه القناة وينبغى حمايته ، وخسارة سد مادين يمكن أن تجعل القناة غير صالحه لمدة تصل إلى العام وقد أختير كيرت ميون حل وكالة المخابرات المركزية لعملية الأنقاذ - فقد أدرجت خطة "آسيد جامبيت" للإنقاذ فى خطة "بلو سبون" .

هل سيؤسر نورييجا ؟ .

سيكون أفضل رجال عمليات الخاصة فى اثره .

وذكر سكاوكروفت أن أهداف الرئيس المحددة فى بنما تحقيق الديمقراطية . فهل ستؤدى العملية ذلك ؟ وكيف ؟ .

إن الخطة هى أن يؤدى انذارا - الفائز فى إنتخابات مايو - يمين الرئاسه سرا قبل الغزو مباشرة .

وسرعان ما تحولوا بعيدا عن خطة " الملعقة الزرقاء" نفسها ، وبدأوا يتساءلون عن اثارها . وعند هذه اللحظة دار بخلد باول أن الأمور تبدو أخيراً وكأن بوش على وشك أن يوافق ، لقد أنهى الزورق تأرجحه ، وأخذ يتجه مباشرة إلى غايته .

وسأل أحد الحاضرين عن رد فعل الرأى العام والصحافة .

وذكر مارلين فينزووتر - الذى لم يكن قد تكلم كثيرا - أنه يعتقد أن رد الفعل سيكون ايجابيا عموما ، وقال لبوش "بالطبع ستجد عناصر صحفية تنتقدك" لكنه لا يعتقد أنها ستكون مشكلة كبيرة .

وبعد ساعة وأربعين دقيقة قال بوش وكأنما ليلخص الرأى الذى برز عن

نورييجا "انه لن يتراجع وستزداد الأمور سوءا" .

ومن وجهة نظر باول كانت الأسئلة الستة الرئيسية قد طرحت وأجيب عنها . هل كان هناك استفزاز كاف ؟ يعتقد باول أن الإجابة بنعم . هل تغيرت قوات الدفاع البنمية وأفلتت من السيطرة ؟ نعم أيضاً . هل ستقلل الخطة الإصابات والخسائر ؟ نعم . هل ستجلب الديمقراطية ؟ نعم . وماذا عن رد فعل الرأى العام والصحافة ؟ الأرجح أن يكون إيجابياً .

قال بوش "حسنا . دعونا نمضى" . ونظر إلى باول وقال بهدوء شديد "سنمضى" .

"حسنا يا سيدى"

وشعر كيلى بالدماء تندفع إلى رأسه ، للمرة الأولى فى العامين اللذين قضاها مديرا للعمليات . انهم يرسلون الشباب الأمريكى للقتال ، وبعضهم سيلقى مصرعه ، لقد نزع الأمان من البندقية المحشوة .

ولأن "الملعقة الزرقاء" تتطلب إخطارا مقدما بثمانية وأربعين ساعة حددت ساعة الصفر بالساعة الواحدة صباح يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر .

وسأل أحد الحاضرين من الذى يمكن أن يعرف بالخطة دون أن يسىء ذلك إلى أمن العملية ؟ .

وكانت تعليمات بوش هى : الحد الأدنى من الناس الضروريين لتنفيذ العملية وأوضح أنه يعنى الحد الأدنى المطلق .

* * *

جلس باول وكيلى هادئين فى السيارة التى تقلهم عائدين إلى البنتاجون . وقال باول "أريدك أن تبلغ هذه المعلومات" مشيرا فقط إلى رجال العمليات

الرئسيين فى القيادات التى ستشارك . وأضاف "لا أريد نشر أمر ، وإنما أريدك أن تكتفى بالإتصال بهم بالهاتف المأمون" . وقال أن من الممكن ابلاغ الجنرال بوب هيريس نائب رئيس الأركان واللنفينانت جنرال ميكائيل ب . س . كارنز المدير الحالى لهيئة الأركان المشتركة فى اليوم التالى .

كان كل من باول وكيلى يفكر فى مدى طول المدة التى يمكن بها كتمان السر ، وأملا أن يستطيعا الوصول حتى نشرات يوم الإثنين المسائية دون تسرب بعض المعلومات المباشرة . وأعتقد أن شيئا سيكون قد تسرب بالتأكيد يوم الثلاثاء ، ولكن ربما كان التسرب متأخرا إلى حد كاف ، مهما يحدث تظل أمامهما فرصة لتحقيق نوع من المفاجأة فى ساعة الصفر .

وعند عودة باول إلى البنتاجون استدعى رؤساء أركان الحرب الأربعة الذين ينبغى أشراكهم فورا .

وكان أحدهم هو ماكس ثورمان ، وأخبره باول أن خطة "الملعقة الزرقاء" أقرت لكن الأمر الرسمى لن يأتى إلا فى اليوم التالى .

"حسنا" .

كما اتصل باول برئيس أركان قيادة العمليات الخاصة الجنرال چيمس } . ليندساى ورئيس أركان قيادة القوات الجنرال أدومن . پوربا .

وفى مقر قيادة النقل الأمريكية فى قاعدة سكوت الجوية بالينوار ، لم يكن الجنرال هاتسفورد ت ، چونسون يتوقع أمرا تنفيذيا ، كان قد ترك البنتاجون منذ عدة أشهر بعد أن كان مديرا لهيئة الأركان المشتركة فى أيام كراو ، وما زالت تربطه صلات جيدة فى واشنطون ، وفى ساعة مبكرة صباح هذا الأحد كان هو ورجاله قد تلقوا كلمة غير رسمية بزيادة طاقة تحميل الطيران لخطة "الملعقة

الزرقاء" . وكان بعض رجال هيئته قد أخبروه بأنهم لن يستطيعوا أن يجدوا طياريين بالسرعة الكافية للتنفيذ . لكنهم أبلغوه بعد الظهر أن شيئا لم يحدث وبأن يتصرفوا ، وحين جاءت مكالمة باول شعر چونسون بقدر من الدهشة لسماع صوت رئيس الأركان .

قال باول " خولنى الرئيس أن أبلغك بأننا سننفذ "الملعقة الزرقاء" .

قال چونسون – رغم التحذيرات بنقص الطيارين – "اننا على استعداد للذهاب" .

واتصل باول بكل من الرؤساء لإبلاغهم بموافقة بوش واعتذر لفونو لانه لم يتمكن من حضور حفله بعيد الميلاد بعد ظهر ذلك اليوم . كما لم يحضر تشينى بدوره .

وكشىء أخير فى تلك الليلة تحقق باول من أن وحدات العمليات الخاصة الرئيسية قد أرسلت . وربما كان سرب الدلتا – واسمه الشفرى "آزيتك باكاج" ومجموعة "سيلڤر بوليت" من طائرات الهليكوبتر ستترك فى الولايات المتحدة لمواجهة أي إرهاب طارىء فى أى مكان آخر فى العالم ، وفيما عدا هذا فإن جانبا كبيرا من قدرة وحدات العمليات الخاصة سترسل إلى بنما ، أى أكثر من ٤٠٠٠ رجل . وسيشارك الكثير منهم فى تتبع نورييجا والقاء القبض عليه ، ان سارت الأمور سيرا حسنا فى الساعات الأولى من العملية .

وصدر أمر بإرسال ٢٠ من كشافى العمليات الخاصة وطائرات هليكوبتر إلى بنما ، على أن تفرغ ليلا ، وتخبأ فى حظائر حتى ساعة الصفر .

* * *

يعرف كيلى طريقة واحدة لضمان سرية العمليات وهكذا فحين عاد إلى

مكتبه فى البنتاجون اتصل بفريق إدارة الأزمة وقال لهم أن يتوجهوا إلى بيوتهم . ثم إتصل بعد ذلك بضباط الشؤون العامة لهيئة الأركان المشتركة الكابتن أرولين إ . شارب ، وأخبره بأن يذهب فى عطلة عيد الميلاد المقررة .

وحين خرج الجميع استدعى كيلى "جولوبيز نائبه للمسائل الجاريه وأربعة من صغار الضباط في فريقه لأمريكا اللاتينية ، حيث جلسوا على الأرائك والمقاعد الجلدية في مكتبه .

وقال كيلى "اننا سننفذ خطة "المعلقة الزرقاء" . وطلب منهم جميعا التزام السرية المطلقة ، وإن تتخذ كل خطوة وفى أذهانهم فى المقام الأول قواعد السرية المطلقة .

وتلقى كيلى مكالمة من الجنرال ليند ساى رئيس قيادة العمليات الخاصة . وقال ليند ساى أنه يعتقد أن اسم العملية بغيض للغاية ، وسأل كيلى "هل تحب لأحفادك أن يعرفوا أنك كنت مشتركا فى "الملعقة الزرقاء" ؟ .

ودار بخلد كيلى أن الاسم كان يمكن أن يكون أسوأ ، فأحدى خطط الطوارىء بشأن بنما تسمى "المنطق الأعمى" . وثمة عمليات أخرى أعطيت أسماء غريبة بالمثل . فقد نفذ أحد الجنرالات عملية "العقبة الكؤود" ، وعملية "فول ليما" ، وأدار ذهنه بحثا عن اسم جديد مع چو لوبيز ، وقال مقترحا "ماذا لو سميناها العمل العادل ؟" .

فاَعترض لوبيز قائلا "ولماذا لا نقول القضية العادلة" .

واتفقا على أن هذه التسمية أفضل . وارسل الرسم إلى سلسلة القيادة ، وأقر .

وكانت رسالة فاكس قد وصلت من بنما تعرض استجواب إدارة التحقيقات

البحرية للنفينانت البحرى كيرتس وزوجته بونى . وكان عرض بونى التفصيلى لإساءة معاملتها أسوأ حتى مما أبلغ للرئيس بوش وتشينى وباول . وتقول المذكرة الموجزة التى تتألف من صفحيتن ونصف الصفحة ، والتى تحمل تاريخ أستلامها فى هيئة الأركان المشتركة فى الساعة الثانية عشرة وسبعا وثلاثين دقيقة يوم ١٧ ديسمبر عن التحقيق مع السيدة كيرتس مايلى : "ووجه لها المحقق عبارات بذيئة مثل إذا لم تذكرى لنا الحقيقة فسأضع أصبعى فيك .. آلا تريدين أن أدخل فيك بوصاتى التسع ؟" .

وعاد باول إلى ٦ شارع كوراتز حيث أجرى بضع إتصالات أخرى للتأكد من أن كلا من الرجال الرئيسيين يعرف ماذا يفعل الآخرين . وبعد المكالمات – وقد شعر فجأة بأن لديه الكثير من الوقت – أخذت ضخامة القرار تتضح له رويدا . أنهم سيدخلون الحرب ، وقد عرف شخصيا – وقرأ وسمع أكثر – عن مشاعر الشك التى يحس بها القادة عشية المعركة ، وها هى هذه الهواجس تنتابه بشدة ، وإعادة التفكير فى الخطة لا يضعف الشكوك أو يبددها . إن "الملعقة الزرقاء" خطة معقدة إلى حد لا يصدق ، تتطلب الدقة الشديدة – وأى خطأ قد يطلق سلسلة من الأخطاء الأخرى وكإنها كومة فتنهال فى الطريق .

أن طائرات إف – ١١٧ ايه ستصل من قاعدتها فى نيفادا لتقصف ريو هاتو ، وهى قاعدة رئيسية لقوات الدفاع البنمية ، قبل أن يهبط المشاة بدقيقة واحدة ، وتلك فترة بالغة القصر ، وتأخر الطائرات أو تبكير المشاة قد يعنى الكارثة . ولن يكون أمام بوارج ايه سى – ١٣٠ إلا عشر دقائق "لاعداد" مقر القيادة – أى نسفه – قبل أن يهجم المشاة ، وتدور التساءلات فى ذهن باول عما إذا كانت قوات العمليات الخاصة البحرية مترابطة جيدا ، ومندمجة فى بقية الخطة .

ثم أين نورييجا ؟ وهل يعرف ؟ هل يشك فى أى شىء ؟ هل سيكتشف الأمر ؟ .

(١٥)

اعتقـــال نـــوريـيجا

حين توجه باول إلى البنتاجون فى ساعة مبكرة للغاية صباح يوم الإثنين ١٨ ديسمبر كان يشعر بعدم الإرتياح ، وصعد الدرج إلى مكتب تشينى ليطلعه على التطورات . ولم يكن تشينى نفسه يشعر بتوتر شديد ، كان يعرف حين قبل منصب الوزير أن ذلك قد يتتبع استخدام القوة ، وإرسال رجال إلى مصرعهم . وحين وصل إلى البنتاجون طلب وقرأ التقارير السرية عن نتائج استخدامات الجيش الأمريكى الكبرى منذ فيتنام . وقد كان البيت الأبيض أيام فورد أثناء عملية الجلاء عن جنوب شرق آسيا فى ١٩٧٥ ، وأثناء حادثة "ماياجويز" فى العام نفسه حين أسر الكمبوديون سفينة تجارية أمريكية وأرسل مشاة البحرية لأنقاذ الطاقم . وحين جاء وقت الغزو كان الطاقم قد أطلق سراحه بالفعل ، ولقى واحد وأربعون أمريكيا مصرعهم فى العملية . وقد شهد بنفسه ميل من فى القمة – الرئيس ومستشار الأمن القومى ووزير الدفاع . إلى التدخل دون ضرورة وبشكل معطل فى العمليات العسكرية .

كما قرأ فى التقارير عن قصف بيروت ١٩٨٣ وعملية جريندادا المزيد عن هذا الميل . وقرر تشينى أن العلاج الوحيد هو وجود سلسلة قيادة واضحة وصريحة وأقصر ما يمكن ، وبدون تدخل من أعلى ... أبعدوا أيديكم عن رؤوسهم .

وباعتباره الوسيط الرئيسى بين العسكريين ذوى الأزياء الرسمية والبيت الأبيض كان يشعر أنه يستطيع أن يفعل الكثير لتقليل التدخل ، وإبقاء سلسلة القيادة قصيرة ، لكنه لن يجلس هادئا . ولابد له أن يتأكد من أنه فهم الخطة وأقرها حتى يستطيع الإجابة عن أى سؤال قد يأتى من البيت الأبيض .

وفى ذلك الصباح وجه تشينى الكثير من الأسئلة . وبدا لباول أن تشينى يريد أن يعرف كل التفاصيل ، حتى مستوى كل سرية .

وفيما بعد اتصل باول بكيلى ، وبدأ أسئلته هو ، فهو يريد أن يراجع كل عنصر ، وكل حدث مفرد من أحداث الخطة .

وسأل باول بلهجة متحدية للغاية "لماذا تفعل ذلك ؟" . مشيرا إلى أحد أهداف العمليات الخاصة .

قال كيلى فى نفسه : اللعنة ! لست أنا الذى سيفعلها ، أولا لأن شخصا هناك هو الذى سيفعل – ثورمان أو ستاينر . لكنه أجاب على أفضل وجه عن هذا السؤال ، وعن سلسلة بأسرها من الأسئلة التى وجهها باول وهو يستعرض الخطة

وكان باول يشعر بالقلق من أنهم ربما كانوا يفعلون شيئا لمجرد الإستعراض فبعد أن أوصى رئيس الأركان بأهمية وجود قوة كافية أو "كتلة" أثناء العملية أخذ الآن يبحث عن أى تجاوزات ، ويتحدث عن تخفيض الأخطار والخسائر.

وبدا الأمر لكيلى وكأن باول قد بحث فى مكتبه ، وأخرج فرشاة سلكية – وأخذ الآن يحك كل شىء وكل شخص ، بمن فيهم نفسه . ورأى كيلى ان هذا شىء ضرورى ولا معدى عنه ، فالخطر كبير . وخوف القائد الشديد قبل المعركة ليس مجرد خوف شخصى أو خوف من الفشل ، بل هو خوف آخر أكبر ، خوف

معنوى . وكان بوسع كيلى أن يرى ذلك عند باول .. أنها "مرض كاستر" أو شىء من هذا القبيل فباول يشعر بالخوف من أن يكون قد حكم على عدد من الناس بالقتل نتيجة الغباء .

وكانت لدى كيلى بدوره دواعى قلقه ، فهو يفكر فى تقاعده ، ولا يريد أن يتقاعد مجللا بالعار.

ووجدت فرشاة باول السلكية عددا من التجاوزات ، فكما كان تشينى قد قال أثناء استعراض سابق للخطة ليست هناك حاجة لمهاجمة مخبأ نورييجا على ساحل بنما ، فليس هناك ما يشير إلى أنه سيستخدمه .

وأراد باول أن يعرف المزيد عن مقاتلات الشبح اف - ١١٧ ايه وعن استخدامها المزمع ضد ثكنات قوات الدفاع البنمية فى ريو هاتو .

وقال كيلى أن قنبلتين زنة ٢٠٠٠ رطل ستلقيان على بعد نحو ٥٠ ياردة من الثكنات ، ومثل هذا القصف "غير المباشر" قد يؤدى إلى تحطيم بضع نوافذ ، ويذهل القوات الموجودة فى الثكنات ، وربما أدى إلى بضع حرائق كهربية ، لكنه لن يؤدى إلى كثير من الخسائر .

سأل باول من الذى يقول ذلك ؟

فأجاب كيلى أن هذا على أى حال هو ما يدعيه خبراء تأثير الأسلحة وهو يدرك أن هؤلاء الناس لا يمكن أن يعتبروا مسئولين عن النتائج . وكان كيلى قد تحدث مع كارل ستاينر عن القصف غير المباشر ، وهو يعرف أن ستاينر نفسه يعانى أزمة ثقة فى طائرات اف - ١١٧ ايه التى لم تختبر بعد ، فخمسين ياردة ليست هامش خطأ كبير .

وتبين باول أنه سيكون على الولايات المتحدة أن توقف بنما على قدمها

بأسرع ما يمكن بعد الغزو . وسيتطلب هذا تأييدا شعبيا من البنميين ، مما يعنى ضرورة ألا يقتل إلا أقل عدد ممكن من أولئك الذين سيكونون نائمين فى الثكنات - مثل جنود قوات الدفاع البنمية - والذين يأمل باول أن يستسلموا ، فأمر بزيادة بعد القصف زيادة كبيرة ، ونقلت أهداف القصف إلي نقاط تبعد نحو ٢٠٠ ياردة عن أحدى الثكنات و ٢٥٠ ياردة عن ثكنة أخرى .

وإذ مضى باول فى هذه العملية أخذ يشعر بقدر أكبر من الراحة . انه يعرف أنه إنما يتبع دروس خبرته العسكرية . وكان هذا الموضوع بالتحديد - العمليات والتخطيط - هو الذى قام بتدريسه فى مدرسة المشاة فى فورت بنيننج بجورجيا وهو ميجور جديد فى عام ١٩٦٦ .

لكن باول شعر هذا المساء باحساس رضاء عابر .

* * *

وصل ستاينر إلى بنما مساء ذلك الاثنين مرتديا كالعادة ملابسا مدنية . وفى الساعة العاشرة مساء جمع كل قواده حتى مستوى الكتيبة ، وكانوا ثلاثين ضابطا ، ووقف أمامهم قائلا "هذا كل ما فى الأمر إنها عملية ناجحة" . وأضاف أن للسرية أهمية قصوى ، وأنهم يستطيعون أن يبلغوا ضباط العمليات والمخابرات لديهم ، وبعبارة أخرى من يسمح لهم بالإطلاع على الأمور السرية للغاية وحدهم .

كان ستاينر يخشى من التسرب . فرجال ونساء الخدمة من الأمريكن يعيشون فى كل مكان فى بنما ، بل أن بعضهم يعيش فى نفس الإستحكامات التى توجد بها قوات الدفاع البنمية . وطلب توصياتهم عن الوقت الذى ينبغى فيه ابلاغ صغار الضباط والقوات ، على ضوء ضرورة السرية القصوى . واتفق على الأنتظار حتى الليلة التالية - فى الساعة الثامنة مساء بالنسبة للضباط ، اى قبل خمس ساعات فقط من ساعة الصفر ، والساعة العاشرة مساء بالنسبة للقوات ،

على أن يتم استدعاء الجنود ، وتبليغهم بالمهمام ، ثم عزلهم لكى يشحنوا الذخائر ويستعدوا للإنطلاق ، ولايسمح لأحد منهم بالإتصال بالهاتف . وأمر ستاينر بألا يكون هناك مستوى عال من النشاط ، وألا تبدو إشارة من أى نوع .

* * *

وكان تشينى بدوره يخشى التسرب ، فقرر ألا يدع بيت ويليامز يخطر المجموعة الإعلامية ، أى المجموعة الصغيرة من الصحفيين الذين سيغطون الغزو لكل مؤسسات الأنباء ، إلا بعد نشرات الأنباء التليفزيونية المسائية فى الليلة التالية أى قبل أقل من ست ساعات من ساعة الصفر ، مما يجعل من المستحيل على الصحفيين أن يذهبوا إلى بنما فى وقت يمكنهم من مشاهدة بداية عملية "القضية العادلة".

وطرح الوزير هواجسه لباول ، ولاحظ ان كل شيء تقريبا يتسرب . فما الذى يحدث لو انكشف الغطاء ؟ إذا شاع الموضوع ؟ وهل لدى ماكس – فى أرض بنما – القدرة على المضى قدما وبدء العملية ؟ فلو أننا فتحنا التليفزيون مساء الثلاثاء ووجدنا فيه نبأ عن أن الأمريكيين قادمون فهل يستطيع ماكس أن يبدأ ما فى يده مبكراً ؟

وراجع باول الموضوع ، ثم أكد لتشينى أنهم يستطيعون البدء مبكراً .

وفى ساعة لاحقة من ذلك المساء ، وبعد نشرات الأنباء المسائية ، جلس توم كيلى أمام مكتبه الكبير فى غرفة مكتبه الخالية من النوافذ ... ان كل شيء هادىء وما زالت هناك ثلاثون ساعة قبل أن تأتى ساعة الصفر . أن كل شيء يسير فى يسر ، وما من خطأ هناك . ومع كل دقيقة تمر كان يشعر بإحساس ينذر بالشر .

ان خطأ ما لابد وأن يقع . ورغم كل التدريب ، والتخطيط ، وكل الأموال ،

ورغم كل التفاصيل التى وضعت لمنع أى عثرة ، فان من المتوقع أن تحدث عثرة . وأدرك أنه يريد أن تقع مشكلة ، حتى يستطيع عندئذ أن يلقى بنفسه في المعمعة ، ويعود بالأمور إلى جادة الصواب ، ويصححها . وإلا فإن كل طاقته تبدد فى الإنتظار ، وإنه ليفضل العمل .

* * *

فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى – الثلاثاء ١٩ ديسمبر – أتصل باول بالكولونيل بيل سمولن كبير ياورانه للشؤون العامة ، وأبلغه بأن العملية ستنفذ ، وطلب منه التزام السرية .

قال باول "أريد أن تسير الأمور بصورة طبيعية بقدر الإمكان" . وحين ألقى نظرة على جدول مواعيده رأى أن عليه أن يتناول الغداء مع توم ديلى وهو ضابط صف فى الأكاديمية البحرية ، وكان ديلى قد راهن رئيس الأركان وديا – يوم مباراة الكرة بين القوات البرية والبحرية – على نتيجة اللقاء ، وقبل باول الرهان ، وفازت البحرية . وكانت جائزة ديلى هى الغداء مع رئيس الأركان فى البنتاجون ، وحدد الموعد فى هذا اليوم الذى يعد أسوأ الأيام الممكنة ، إذ يأتى قبيل أكبر عملية عسكرية أمريكية منذ سنوات . وقال باول لنفسه حسنا ... سأتحمل هذا الغداء" . واستمر الغداء ٤٥ دقيقة .

وكان جدول المواعيد يحوى كذلك موعدا غير مهم فيما بعد فى نفس اليوم ، مع تيفانى ستاركز هذه المرة ، الأبنة الشابة للنيفنانت كولونيل فى القوات الجوية من معارف باول . وكانت تيفانى قد اختارت باول كموضع لبحث فى مدرستها العليا طلب منها فيه الكتابة عن شخصية شهيرة . وقرر باول المحافظة على الموعد ، الذى كان مقررا له أن يستمر ١٥ دقيقة . وحين وصلت تيفانى وأبوها إلى مكتب رئيس الأركان فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر كان وقت باول قد أصبح

شديد الضيق ، وقال لهيئة مكتبه لا أستطيع أن أعطيها ١٥ دقيقة ، فلتخفضوها إلى ٥ دقائق ، ودخلت تيفانى ، وأجابها باول عن أسئلتها عما دفعة إلى البقاء فى الجيش ، وهل تصور يوما أنه سيصبح جنرالا .

وفيما عدا ذلك كان اليوم حافلا بإجتماعات ما قبل الغزو ، وتوجه تشينى وباول إلى البيت الأبيض لتعريف بوش بآخر التطورات . وردا على سؤال عن إستخدام طائرة الشبح اف – ١١٧ ايه المقاتلة قال بوش "إذا كانت هذه أفضل طائرة فاستخدموها" .

وطلب تشينى مزيداً ومزيدا من المعلومات . وحين خلف باول الجنرال كراو فى منصبه لاحظ أن كيلى وأعضاء هيئة العمليات البارزين قد إعتادوا أن يتوجهوا بإنتظام إلي مكتب تشينى ، ليقوموا بإطلاع بيل أوينز المساعد العسكرى على مختلف الأمور . وقد أوقف باول هذا الأسلوب ، موضحا أنه هو الذى سيقوم بتزويد الوزير وهيئة مكتبه بالمعلومات عن العمليات وغيرها . أما الآن وقبل ساعات فقط من ساعة الصفر فقد وجد باول نفسه مشغولا إلى حد لا يمكنه من الإستجابة لطلبات تشينى . فالعملية الآن أكثر أهمية من رغبته فى أن يكون هو قناة الإتصال الوحيدة مع الوزير .

وهكذا قال باول لرجال عملياته "اصعدوا له وأطلعوه على كل ما يريد أن يعرف" .

* * *

فى نحو الساعة الخامسة بعد الظهر جمع باول الرؤساء فى مكتبه لإجراء مراجعة عامة . وهبط تشينى من مكتبه لينضم إليهم . كانت اللحظة – فى نظر تشينى – لحظة رمزية مرضية ، فهى تبين أنه يشرك الرؤساء . وشعر بأن سلسلة القيادة سليمة تماما إذ تمتد منه إلى باول وليس إلى الرؤساء كلجنة .

قال جارى قائد مشاة البحرية لتشينى "لا تهتم بالتقارير الأولى ، فالعملية عملية ليلية ، ودائما ما تقع أخطاء . وهكذا ستقع أمور ، ولكن ستكون لديك فى الصباح عمليه ناجحة .

وكان باول سعيدا لأنهم فى النهاية كفوا عن التدخل فى الخطة ، فأدار انتباهه إلى قلقه بشأن الصحافة . كانت أنباء قد جاءت بأن لدى صحفيين السى بى اس والان بى سى أنباء عن أن عملية ما على وشك أن تحدث ، لكن أحدا لم تكن لديه فكرة عن أبعادها ، وفى قناة السى بى اس بدأ وان راذر النشرة قائلا "غادرت طائرات النقل العسكرية الأمريكية فورت براج بكارولينا الشمالية ، موطن فيلق قوات المظلات المحمولة جوا رقم ٨٢ . ورفض البنتاجون أن يدلى بشىء عما إذا كانت متجهة إلى بنما أولا . وكل ما قاله هو أن الفيلق الثامن عشر المحمول جوا - الذى يعسكر فى براج - يجرى ما يسميه الجيش "تدريبات الإستعداد للنقل جوا" .

وقال اد رابيل الصحفى فى قناة ان بى سى "حلقت طائرات سى - ١٤١ ستارليفتر الأمريكية فوق بنما بعد ظهر اليوم ، وكانت طائرة تهبط كل عشر دقائق وفى الوقت الذى كانت فيه هذه الطائرات تصل كانت اجراءات الأمن تشدد حول القاعدة الجوية ، وشوهد الجنود الأمريكيون وهم يرتدون زى القتال الكامل فى الطرق المحيطه بالقاعدة ، ولاحظ رابيل فى نهاية تقريره الموجز . أولا يستطيع أحد هنا أن يؤكد أن هذه الطائرات جزء من مجموعة غزو أمريكية ، لكن التوتر شديد هذا المساء على كلا الجانبين بشأن امكانية توجيه ضربة أمريكية" .

وشاهد باول أنباء التليفزيون . لقد اقتربوا من الحقيقة كثيرا ، ولكن دون افتضاحها . ودار فى ذهنه أنه يمكن أن يوجه الشكر لبعض هؤلاء الصحفيين .

وكان كيلى لا يزال مندهشا لعدم حدوث تسرب ، فقد كانت كمية كبيرة من

(الألومنيوم) تحلق بالفعل فيِ أجواء بنما .

وقال باول لزوجته – وكان قد عاد إلى منزله لتناول العشاء – انه سيعود إلى البنتاجون ولا يعرف متى سيعود . كان يعرف أنها لاحظت كل هذه الحركات والمكالمات الهاتفية ، لكنه لم يقل لها ماذا يحدث ، فهو لا يفعل ذلك أبدا ، فقد كانت سياسة آل باول هى ابقاء حياتهم العائلية أبعد ما يمكن عن الأعمال العسكرية .

وعاد باول إلى البنتاجون بعد العشاء ، وأغفى اغفاءة قصيرة .

كان المبنى هادئاً بشكل غريب ، وفى غرفة الأزمات بمركز القيادة العسكرية الوطنية كان هناك نحو ١٥ شخصا يعملون فى جو من الإنفعال المكتوم والتوتر . وفتحت خطوط الهاتف المأمونه مع القيادة الجنوبية . وفتحت التلفزيونات على الشبكات الثلاث وعلى قناة السى إن . إن . وعلى شاشة فوق أحد الجدران كانت آخر البيانات عن وضع "القضية العادلة" .

وجلس كيلى وشيفر فى منتصف المائدة الطويلة فى الغرفة . كان كيلى هو الذى يدير الأمور ، ويراجع الموقف بانتظام مع ثورمان ، الذى كان صوته ذو الخنة يتردد من مكبر للصوت حتى يستطيع أن يسمعه كل من فى الغرفة . وكيلى يضغط بقوة علي مفتاح الأسئلة سائلا عن مكان وجود نورييجا .. لقد فقدوا أثره فى نحو الساعة السادسة صباحا ... اللعنة ، اننا نريده .. هكذا كان يصيح كيلى .. أين هو ؟ ان الولايات المتحدة تقتفى أثر نورييجا منذ أكثر من سنة ، وهناك نحو ثلاثين أو أربعين شخصا فى بنما معينين خصيصا لإقتفاء أثر نورييجا . ومع ذلك فقد أفلت .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء أبلغ ثورمان من خلال مكبر الصوت أن نورييجا قد يكون فى مدينة كولون .. التى كانت آخر مكان رآه فيه متعقبوه .

واستيقظ باول من غفوته ، ووصل إلى غرفة الأزمات فى الساعة الحادية عشرة وأثنتين وخمسين دقيقه . كان يرتدى سترة سوداء خيطت أربع نجوم بكل من كتفيها وبنطلونه العسكرى الأخضر . وكان قميصه مفتوحاً عند رقبته ، تطل منه (فانلته) .

* * *

وفى بنما كان جنديان أمريكيان قد أفلتا بشكل من إسار ستاينر وسمعهما أحد متصنتى قوات الدفاع البنمية وهما يشيران إلى ساعة الصفر ، وأبلغ قيادته وصعد النبأ سلسلة القيادة حتى وصل إلى نورييجا .

قال نورييجا "لن يأتى الأمريكيون ، فلن يفعلوا شيئا كهذا" . ورتب لعقد إجتماع فى مقر القيادة فى الساعة الثامنة من صباح الغد لإستعراض الموقف .

وألتقط المتصنتون الأمريكيون جزءا من حديث قال فيه واحد من رجال قوات الدفاع البنمية "ستبدأ مباراة الكرة فى الواحدة" .

وكان ستاينر واثقا من أن الإشارة هنا إلى ساعة الصفر ، وأن العملية قد كشفت ، فرفع سماعة الهاتف المباشر مع ثورمان .

قال ستاينر "لابد أن نقدم التوقيت" . وأوضح أنه يبدو أن قوات الدفاع البنمية قد عرفت بالأمر .

سأله ثورمان" ما مدة التقديم التى تريد ؟" .

"ما رأيك فى ثلاثين دقيقة ؟" .

أجابه ثورمان "حسنا ، افعل ذلك" . ونقل المعلومات إلى واشنطون دون أن يطلب موافقتها .

ولكن كانت هناك تعقيدات ، فلا بد من التنسيق الدقيق بين عملية إنقاذ ميوس ومهاجمة مقر القيادة . كما يجب اقامة جسر متحرك فوق القناة حتى يمكن نقل أربع دبابات شريدان إلى أحد التلال الذى تستطيع منه إطلاق النيران المباشرة على مقر القيادة . وهناك سفينة فى أحد أهوسة القناة ولابد من ابعادها قبل أن يمكن نصب الجسر المتحرك .

واتصل ستاينر ثانية بثورمان قائلا "لا أستطيع تقديم الموعد ثلاثين دقيقة ، ما رأيك لو قدمناه خمس عشرة دقيقة ؟" .

أجاب ثورمان "أوافق على خمس عشرة دقيقة أيضا" .

وفى الساعة الثانية عشرة وسبع دقائق أرسل ثورمان رسميا أمره إلى مركز العمليات الخاصة بهيئة الأركان المشتركة بأن عليها أن تنفذ مهمة إنقاذ ميوس قبل خمسة عشرة دقيقة من ساعة الصفر أى فى الساعة ١٢ و ٤٥ دقيقة وفى الساعة الثانية عشرة وثمانى عشرة دقيقة أرسل نفس وقت تنفيذ الهجوم على القيادة لوحدة القوات البحرية الخاصة فى مطار بوسنتا بيتبلا ، حيث عليهم أن يصلوا إلى الشاطىء ، ويعطلوا طائرة نورييجا النفاثة الخاصة ، التى قد تكون إحدى وسائل هربه .

ووصل إلى باول والآخرون عبر مكبر الصوت فى غرفة الأزمات فى الساعة الثانية عشرة وتسع وعشرون دقيق نبأ عن اصابة واحد من رعايا الولايات المتحدة على أيدى قوات الدفاع البنمية فى محطة آلبروك للقوات الجوية التى تسيطر عليها الولايات المتحدة . وفى الدقائق الخمس التالية أصغوا إلى تقارير من ثورمان عن إطلاق المدافع فى فورت أمادور ، والمدافع الرشاشة عند جسر الأمريكتين الإستراتيجى عبر القناة ، وفى آلبروك .

وكان الرئيس بوش قد أبلغ تشينى وباول بأن نقطة اللاعودة ستحل حالما

يوافق انذارا على « أن يؤدى قسم رئيس بنما ويطلب من الولايات المتحدة التدخل وإذا لم يفعل اندارا ، فإن عليهم أن يرجعوا اليه هو شخصياً .

وسمع صوت ثورمان مرة أخرى فى الساعة الثانية عشرة وتسع وثلاثون دقيقة . لقد أدى اندارا القسم كرئيس لبنما .

ورغم أن بعض الوحدات كانت قد تحركت إلى مواقعها مبكرة فإن التنفيذ الرسمى لعملية "القضية العادلة" تم قبل ١٥ دقيقة من ساعة الصفر . وفى لحظة التنفيذ بالدقة جاء صوت ثورمان عبر مكبر الصوت ، مبلغا عن تبادل للنيران بجوار مقر القيادة ، فقد كانت قوات الدفاع البنمية تطلق النار على طائرات الهليكوبتر التى جاءت لإنقاذ ميوس من سجن موديلو المجاور .

كانت القوات التى أعدها ثورمان وستاينر بعناية لهذه اللحظة ، والمقسمة إلى وحدات مهام مثل الفريق وفريق بايونت وفريق سيمبر فى - قد أنطلقت فى حركتها فى مواقع فى بنما وحولها . وعلى سبيل المثال عهد الفريق بايونت بمهمة تأمين فورت أمادور ومقر القيادة ومواقع قوات الدفاع البنمية فى كل أنحاء مدينة بنما ، وكان فريق ريد مسئولا عن مطارى تورنجوس وتوكيوين المجاورين وعن ريو هاتو .

ونحو الوقت الذى بدأت فيه العملية وصل الرئيس بوش إلى المكتب البيضاوى مرتديا سترة زرقاء داكنة فوق قميصه وربطة عنقه ، ووقع أمرا قصيرا يخول القوات المسلحة القاء القبض على نورييجا وعدد من الأشخاص الآخرين الموجودين فى بنما حاليا لمحاكمتهم فى الولايات المتحدة على جرائم تتعلق بالمخدرات .

وفى الساعة الثانية عشرة وسبع وخمسون دقيقة جاءت أنباء عن إطلاق النيران فى الجانب الأطلسى من بنما .

وفى الساعة الواحدة صباحاً انتقل الجيش رسميا إلى أعلى حالات الإستعداد الدفاعى - والتى تسمى ديفكون ١ - بما يعنى أن المعارك تدور . وفى الوقت نفسه وصلت غرفة الأزمات أنباء تقول أن قائد المنطقة العسكرية الثالثة لقوات الدفاع البنمية لا يشارك فى القتال .

* * *

كان تشينى يعرف من خبرته فى البيت الأبيض أيام فورد رد الفعل الإنسانى إزاء هذا النوع من الأزمات . فالموقف يتصاعد .. وكل واحد يريد أن يبقى طول الليل ليسمع آخر الأنباء عن أحداث لا يستطيع أن يصنع شيئا بشأنها ثم عندما تأتى لحظة التصرف أو القرار يكونون جميعا منهكين وفى أسوأ حالات إصدار الأحكام . وهكذا ذهب تشينى إلى مكتبه بعد العشاء ونام فى غرفة صغيرة بجدارها سرير هناك واستيقظ بعد عدة ساعات ، وإستخدم للمرة الأولى حمام مكتبه .

وتوجه تشينى بعد ذلك إلى غرفة الأزمات حيث رأى أن باول وكيلى وشيفر قد احتلوا أماكنهم بالفعل . كانت الساعة الواحدة ودقيقتان صباحا . وجلس إلى جوار باول فى منتصف المائدة الطويلة .

وعلى الفور تقريبا جاء تقرير من القيادة الجنوبية بشأن قائد المنطقة العسكرية الثالثة لقوات الدفاع البنمى .. أخبار عظيمة : لقد أمر القائد جنوده بألا يحاربوا وكان لهذا الأمر دلالته ، لأنه يعنى أن عدة سرايا لن تشارك فى جانب قوات الدفاع البنمية.

وفى الساعة الواحدة وسبع دقائق جاء تقرير بأن القوات الأمريكية التى تستخدم مكبرات الصوت لتأمر قوات الدفاع البنمية فى مقر القيادة بأن تلقى سلاحها قد تعرضت بدلا من ذلك للنيران . وبعد دقيقيتين بالدقة أبلغت القيادة

الجنوبية أن القوات الأمريكية هاجمت مقر قيادة نورييجا .

وفى الساعة الواحدة واحدى عشر دقيقة استمع باول وتشينى عبر مكبر الصوت إلى نبأ بأن فريق دلتا قد هبط على سطح سجن موديلو . وبعد دقيقتين جاء نبأ إطلاق سراح ميوس .

وفى الساعة الواحدة وأربع عشرة دقيقة أعلن أن قوات الدفاع البنمية تتقهقر فى أحد ميادين المعركة – محطة القوات الجوية فى آلبروك .

وفى الساعة الواحدة وسبع عشرة دقيقة قالت القيادة الجنوبية أن قيادة نورييجا تطلب تعزيزات .

وفى الساعة الواحدة وتسع عشرة دقيقة أبلغ أن المشاة يهبطون بالمظلات فى المنطقة المستهدفة الرئيسية – ريو هاتو .

وأبلغ ثورمان فى الساعة الواحدة وثلاثة وعشرين دقيقة أن قائد الفرقة الخامسة من قوات الدفاع البنمية فى پالبو قد توقف عن القتال .

وقال التقرير التالى أن مشاة البحرية فى السفارة الأمريكية يتعرضون لنيران القنابل .

وقبل الساعة الواحدة والنصف تماما أصدرت القيادة الجنوبية بضع تقارير ايجابية ، فقد هبط كل المشاة إلى ريو هاتو ، وجسر الأمريكيتين مؤمّن .

وجاء نبأ يقول ان طائرة الهليكوبتر التى تقل ميوس من سجن موديلو قد سقطت ، ويبدو أن طاقمها وميوس لقوا مصرعهم . وبدت خيبة الأمل واضحة على وجه باول . ميوس هو الرجل الذى يقومون بإنقاذه من أجل الرئيس ، وها هى طائرته الهليكوبتر قد سقطت .

وفى الوقت نفسه تقريبا جاء نبأ يقول ان القوات الأمريكية قد أقتحمت

أرجح مخابئ نورييجا – وهو منزل على الساحل – ووجدته خاليا ، وضاعف هذا من التشاؤم فى الغرفة – انهم يعانون اخفاقا حقيقيا ، لا ميوس ولا نورييجا .

وكان باول يعرف أن هناك مخبأ آخر نورييجا فى شقته فى كولون ، ويشعر بأن وقتا أطول مما يجب قد أنقضى بين مهاجمة المنزل الساحلى ومهاجة الشقة ، فاتصل بثورمان ليطلب منه معلومات .

صاح باول قائلا "متى سنحتل الشقة ؟" .

أجابه ثورمان "اننا نعمل على ذلك" .

وسرعان ما عاد ثورمان يقول أنهم قد استولوا على الشقة ، لكنها بدورها كانت خالية .... لطمة ثالثة فى فترة قصيرة .

* * *

وفى البيت الأبيض فتح بوش جهاز التليفزيون فى مكتبه . وفى الساعة الواحدة وأحدى وأربعين دقيقة ظهر مارلين فيتزووتر على الشاشة "لقد وجه الرئيس قوات الولايات المتحدة لكى تنفذ فى الساعة الواحدة من صباح اليوم مهاما مخططة فى بنما لحماية أرواح الأمريكيين ، واعادة العملية الديمقراطية ، والمحافظة على معاهدات قناة بنما ، والقاء القبض على مانويل نورييجا" .

وقال فيتزووتر للصحفيين المتجمعين حوله "لقد أعلن نورييجا حالة الحرب مع الولايات المتحدة فى يوم الجمعة الماضى" .

وسأله أحد الصحفيين "هل ألقى القبض على الجنرال نورييجا

يا مارلين ؟" .

فأجاب فيترووتر "اننا لا نعرف كم ستستغرق العملية ، لكن هذا هو هدفنا

النهائى . وهو لم يتحقق بعد" .

وسأله صحفى آخر "مارلين .. هل تستطيع أن تقول لنا من الذى يتولى العملية ؟" .

"البنتاجون هو الذى يتولى العملية" .

* * *

وقبل الساعة الثانية صباحا تماما تلقى باول وتشينى كلمة من ثورمان بأن كل شىء هادىء عند السفارة الأمريكية ، وأن الأمور تسير سيرا حسنا فى مطار توكيومين وكانت المهمة فى توكيومين هى الإستيلاء على المطار وشل سرية قوات الدفاع البنمية المرابطة هناك . وقبل ذلك بساعة كانت طائرات ايه سى – ١٣٠ وايه اتش – ٦ قد فتحت نيرانها على مشاة هذه السرية . وبعد ثلاث دقائق هبط المشاة بالمظلات للقضاء على مقاومة قوات الدفاع البنمية .

وبعد دقائق جاءت أنباء بأن قائد المنطقة السادسة لقوات الدفاع البنمية أمر قواته بأن تخلى مواقعها قبل وصول الأمريكيين .

وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة صباحا جاءت أنباء بأن ميوس قد نجا من تحطم الطائرة . وأنه سليم . وعلى الفور امتلأ الجو مرحا بل بهجة ، فقد كان باول وتشينى يعرفان أنهما بذلك قد أنجزا هدفا رئيسيا .

ورفع باول سماعة الهاتف وإتصل بوبستر مدير وكالة المخابرات المركزية قائلا " أردت فحسب أن تعرف أن رجلكم قد خرج ، وأنه سليم" . وكان يمتلىء الآن تفاؤلا .

واتصل تشينى بالبيت الأبيض . وفى مكالمته الأولى عبر النهر – التى أجراها بعد قليل من وصوله إلى غرفة الأزمات – كان قد تحدث مع سكاوكروفت

، وبعد ذلك كانت كل مكالمات تشينى – بطلب من الرئيس – تحول مباشرة إلى الرئيس ، مرة كل نصف ساعة تقريبا . والآن يخبر تشيني الرئيس بأن ميوس قد خرج سالما ، وأكثر من هذا أن فريق دلتا قد أدى المهمة فى زمن قياسى ، أفضل حتى من وقت التدريبات .

وأبلغت القيادة الجنوبية فى الساعة الثانية وأربعين دقيقة أن مقر القيادة البنمية يشتعل .

وفى الساعة الثانية وتسع وأربعين دقيقة تجهم الجو حين سمع تشينى وباول ثورمان وهو يقول أن نورييجا ما زال هاربا ، وباستثناء هذه المشكلة الكبيرة كانت العملية عموما تبدو جيدة تسير فى طريقها المرسوم . وبعد الساعة الثالثة صباحا بقليل علموا أن قوات الدفاع البنمية فى كولون ومطار توكيومين وقرب ساحل كوستاريكا قد سقطت ، وأن هذه القوات تستسلم يمينا ويسارا دون قتال ، وخلال نصف ساعة كان الحريق فى مقر القيادة قد أطفىء .

كان باول يستمع ، ويدون ملاحظات ، ويتحدث بهدوء مع تشينى ، إن أيا منهما لم يكن يحاول أن يدير العملية بنفسه ، فكل منهما كان يشعر بأن عليه أن يترك ثورمان والآخرون يديرون مهمتهم . ورغم أن باول كان يشعر بالسرور لكل تقارير النجاح فانه يعرف أن الحرب – وخاصة الحرب التى تخاض فى الظلام – شىء غريب ، ومن المحتمل أن تكون الأخبار السيئة – وخاصة السيئة حقا – أبطأ فى شق طريقها عبر السلسلة حتى تصل اليه ، كما يدرك أن أول أنباء تصله قد تكون خاطئة .

وجاءت بالفعل أنباء سيئة ، فقد لقيت ثلاث فصائل من قوات البحرية الخاصة كانت قد أرسلت إلى مطار بوينتا بيتيلا قبل ساعة الصفر لتعطيل طائرة نورييجا النفاثة الخاصة مقاومة شديدة من قوات الدفاع البنمية . ومن بين فصيلة

الهجوم التى تتألف من ١٥ رجلا لقى أربعة رجال مصرعهم بنيران قوات الدفاع البنمية ، وأصيب سبعة أخرون . ورغم أن قوات البحرية الخاصة نجحت فى تعطيل الطائرة ، فإن مصرع مقاتلو الصفوة هؤلاء قد هز أولئك المجتمعين فى غرفة الأزمات .

وظلت مسألة نورييجا تلح على باول طيلة الليل . وفى الساعة الثالثة وتسع وثلاثين دقيقة تلقوا تقرير إشارات من المخابرات مؤداه أن الديكتاتور قد هرب وأنه ما زال سالما ، واستند التقرير إلى محادثة تليفونية اعترضت . وبعد ساعة ونصف ساعة قالت القيادة الجنوبية أن اعتراضا آخر أوضح أن نورييجا يختبىء فى مكان حصين موقعه مجهول .

واستمر تشينى يطلع الرئيس على آخر التطورات كل نصف ساعة . لقد تحول مقر القيادة إلى إنقاض ، وتمت السيطرة على الأهداف العسكرية الرئيسية ، وقضى على جانب كبير من المقاومة المنظمة لقوات الدفاع البنمية . وفى الساعة الرابعة صباحا توجه بوش إلى فراشه .

ونحو الساعة الرابعة والنصف بدأ باول يعد الجزء الخاص به - أى كل التفاصيل العسكرية - من عرض سيدلى به هو وتشينى بعد بضع ساعات . وتطلع إلى خرائط العمليات الكبيرة التى يستخدمونها فى مركز القيادة العسكرية الوطنية . ان الخرائط تحوى من التفاصيل ما لا يصلح لحديث يتألف من مجرد عرض موجز ، أو لغة الرهبان كما يسميها . كما أن مهام العمليات الخاصة التى لا ينبغى كشفها علنا واضحة فيها . وكان يعرف أن عرضه يجب أن يكون جيدا ، ولن تساعده هذه الصور فى ذلك ، فطلب باول من خبراء الخرائط فى البنتاجون اعداد خرائط مبسطة سريعة .

وأخذ الملاحظات التى كان قد دونها إلى غرفة صغيرة إلى جانب غرفة

الأزمات توجد على جدراها خريطة لبنما . وجاءه البريجادير چنرال توم وايت – مساعده التنفيذى – بقدح من القهوة . وجلس رئيس الأركان هناك ما بين ١٥ و ٢٠ دقيقة في نوع من النشوة يدون ملاحظاته تارة ، ويدرس الخرائط تارة أخرى . وقال لأحد مساعديه ان رأى الجمهور الأمريكى فى العملية سيبدأ ارتفاعه أو هبـوطه على أساس عرضه وعرض تشيني . وحين أنهى باول عمله هبط إلى حمام مكتبه ، وخلع سترته وارتدى سترة عسكرية ورباط عنق .

وكانت من مزايا تحديد ساعة الصفر بعد منتصف الليل أن الأدارة تستطيع أن تأخذ مكانا في البث التليفزيونى الصباحى وتقدم وصفها هى للعملية قبل أن يبدأ اليوم الإخبارى . ونظرا لتدفق القوات الأمريكية الواسع فإن هناك ضمانا بأن يتم إعلان بعض الإنتصارات المبكرة .

وكانت الخطة تتطلب أن يتوجه الرئيس إلى الأمة فى الساعة السابعة صباحا ، ويعقبه عرض ومؤتمر صحفى يقدمه تشينى وباول فى البنتاجون .

* * *

فى الساعة السادسة والنصف صباحاً عاد بوش إلى المكتب البيضاوى . كان خطاب من ١١ فقرة قد أعد . ولم يكن هناك وقت كاف لتسجيله على شاشة القراءة فكان عليه أن يقرأه من ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة ، دونت على هامشها ملاحظاته الخاصة ، وبحلول الساعة السابعة والثلث صباحا كان بوش أمام الكاميرات . وقدم عرضا عاما للوضع "لقد أثارت تهديدات الچنرال نورييجا الطائشة والهجمات على الأمريكيين فى بنما خطرا عاجلا على الخمسة وثلاثين ألف مواطن أمريكى الموجودين فى بنما" .

وأضاف "ان الولايات المتحدة تعتزم سحب القوات التى نشرت أخيراً فى بنما بأسرع ما يمكن" .

وذكرّ مستمعيه "تلك الصور الرهيبة لنائب الرئيس فورد المنتخب حديثا وقد غطاه الدم من رأسه إلى أخمص قدميه بعد أن ضرب بلا رحمة" .

وقال بوش "لم أقم بهذا العمل إلا بعد أن رأيت أن كل طريق آخر مسدود" .

وعقب ذلك مباشرة ظهر تشيني وباول فى قاعة الصحافة فى البنتاجون ليتحدثا للصحفيين ويردان على أسئلتهم . وقدم تشينى تصريحا من سبع فقرات رد فيه ما جاء فى خطاب الرئيس .

وصعد باول إلى المنصة بينما وقف كيلى إلى جوار الخرائط التى رسمت أخيراً .

قال باول "ثمة تفاصيل لا أستطيع أن أخوض فيها لدواعى أمن العملية" كان يتحدث دون ورقة ، واستغرق وقتا أطول من تشينى ، وتناول فى ثقة جغرافية بنما وتفاصيل العملية ، مقابلا بين الوحدات والمهام والمواقع ، واحتفظ بما يكفى من "لغة الرهبان" ليبين أنه يعرف قواته - لواء المشاة رقم ١٩٣ ، فرقة المشاة السابعة ، الفرقة ٨٢ المحمولة جوا ، لواء الشرطة العسكرية رقم ١٦ الخ ... - وقدم مالا يقل عن ١٦ إشارة إلى مختلف الوحدات .

وبدأ بعرض ما تحقق من نجاح ، لقد استولت القوات الأمريكية على السجن فى جامبوا "وكان بداخله عدد من أفراد قوات الدفاع البنمية الذين سجنوا اثر محاولة الأنقلاب فى أوائل الخريف ، ولدينا الآن سبعة وأربعيين أو ثمانية وأربعين سجينا سعيدا للغاية بالأفراج عنه" وأضاف أن مركز توزيع الكهرباء سليم ، وكذلك سد مادين ، وقد شلت سرية مشاة من قوات الدفاع البنمى فى الجانب الشمالى ، وتم الإستيلاء على جسر الأمريكتين عبر القناة ، وأمنت المنطقة المحيطة بقاعدة هوارد الجوية ، وكذلك ريو هاتو ، ومقر القيادة البنمية ومطار تورنجوس الدولى . وأضاف باول "كما اتخذنا اجراءات خاصة لشل أسطول قوات الدفاع

البنمية" وتجرى مراجعة التقارير عن الرهائن الأمريكيين .

ومضى باول يقول وهو يعض على نواجذه "اننا لم نحدد بعد مكان الچنرال لكننا من الناحية العملية قضينا على الديكتاوترية فى ذلك البلد . وهو الآن هارب ، وسيعامل بهذه الصفة" .

وقد أطلقت بعض النيران على السفارة الأمريكية ، لكن أحدا لم يصب .

وأضاف باول أن الأنباء الواردة حتى الآن تبين أن تسعة أمريكيين قد قتلوا أثناء العملية وأصيب ٣٩ آخرون .

ووجهت معظم الأسئلة إلى باول .

وردا على سؤال عن نورييجا قال باول "لقد كشف عن قدرة غريبة على تحمل الكوارث ، وسنرى مع الوقت هل يستطيع تحمل هذه الكارثة" .

كم قال باول "لقد انقضى حكم الأرهاب" .

ومضى يقول "لقد انتهى الجانب الأكبر من المقاومة المنظمة" . وأعلن أن أغلب من لا يزالون فى الشارع "مجرد قطاع طرق ودهماء" .

وطرحت أسئلة أخرى عن نورييجا .

"اننا نبحث عنه ، ولن يفلح فى الهرب ، لأننا نمتلك كل القواعد التى كان يمتلكها قبل ثمانى ساعات" .

وفى نهاية الجلسة ، وبعد أن انتهت الأسئلة ، توجه باول إلى الميكروفون وقال : "هل أستطيع أن أقول اننى آمل أن تكونوا قد أدركتم إلى أى حد كانت هذه العملية معقدة ، وبأى كفاءة نفذتها القوات المسلحة الأمريكية اننا جميعا - الوزير وأنا وكل مساعدينا - نشعر بالأسف العميق للأرواح الأمريكية التى

ضاعت . ولكن أحيانا ما يكون هذا ضروريا لتحقيق مصالحنا الوطنية ، وفى النضال من أجل الديمقراطية" .

* * *

لم تكن آلما باول تعرف أن زوجها سيظهر فى التليفزيون ذلك الصباح ، لكن أحد أفراد الأسرة اتصل بها تليفونيا لينبهها . وهى عادة ما تكون شديدة الإنتقاد لأدائه لكنها اتصلت به ذلك اليوم فى البنتاجون قائله "لقد كنت جيدا" .

* * *

بدأ باول يتلقى مكالمات من قادة الجيش فى كل مكان ، وكلهم يعرضون قواتهم ويبدون استعدادهم وحماسهم .

وكان من بين من اتصلوا قائد الفرقة ١٠١ المحمولة جوا فى فورت كامبل ، التى قد وضعت فى حالة تأهب سرى للتحرك نحو نيكاراجوا إذا حاول الساندينست أى حركة عسكرية . وكان باول سيتلقى انذارا مبكرا بمثل هذا التحرك يفضل برنامج يدعى "تنكاب" – الإستغلال التاكتيكى لآخر الإستخبارات – يوجه آخر معلومات المخابرات للإستخدام المباشر فى بنما . وكان بوسع ضباط المخابرات الأمريكيين استخدام الأقمار الصناعية وأجهزة الإعتراض اللاسلكى وغيره من الإتصالات وردود فعل كوبا ونيكارجوا ازاء عملية "القضية العادلة" ، لتحديد ما إذا كان من الممكن لهتين البلدين أن يهبا لمساعدة نورييجا .

وفضلا عن ذلك كانت صور الأقمار الصناعية والصور التى ، تجمعها طائرات التجسس ترسل من فورت براج عبر أحد الأقمار الصناعية إلى شاشات نهائية فى القيادة الجنوبية ، ويزود هذا الإتصال ثورمان وستاينر على سبيل المثال يصور عن مطار توكيومين ، وتقارير مصورة عن سائر المواقع الحساسة فى بنما

، بما فيها مقر القيادة البنمية وفورت سيمارون وريو هاتو .

وفى يوم ٢١ ديسمبر – اليوم التالى لعملية يوم الصفر + ١ كما تسمى فى البنتاجون ، كانت كل الأهداف الرئيسية للعملية قد تحققت تقريبا ، فادت مختلف الفرق الخاصة العمل الذى عهد اليها به ، وأمنت المواقع المستهدفة ، وأمرت هيئة الأركان المشتركة بتنفيذ عملية "المنطق الأعمى" – وهى خطة العمليات المأخوذة من "كتاب الصلوات" الأصلى للمساعدة على إدارة حكومة بنما المدنية الجديدة . وأعيد فتح القناة التى كانت قد أغلقت اثناء المعارك للملاحة النهارية . وحلّت فى هذا اليوم الثانى للعمليات عقبة خفية كانت قد لقيت اهتماما شديدا من وسائل الإعلام هى إحتفاظ قوات الدفاع البنمية برهائن أمريكيين بينهم بعض الصحفيين ، فقد استولى الجنود الأمريكيون على الفندق ، وأخرجوا الرهائن .

وثار تذمر دولى ضد تدخل الولايات المتحدة فى بنما – وفى مؤتمر صحفى عقد يوم الخميس – أى اليوم التالى للعملية – سئل بوش عن الإدانة السوفيتية الشديدة لعملية "القضية العادلة" . وقال الرئيس انه يود أن يرسل رسالة أو برقية إلى جورباتشوف يقول فيها "انظر .. إذا قتلوا واحدا من مشاة البحرية الأمريكية فهذا أمر سىء حقا ، وإذا هددوا وأساءوا معاملة زوجة مواطن أمريكى ، وهددوها جنسيا زوجة الليفتنانت وهم يركلونه فى مؤخرته مرة بعد أخرى .. فأسمح لى يا سيد جوبراتشوف ان عليك أن تفهم أن الرئيس لابد أن يفعل شيئا بشأن ذلك" .

* * *

أدى الفشل فى إلقاء القبض على نورييجا إلى جانب بعض المشكلات الأخرى ، ومن بينها نشوب حالة من السلب والنهب فى مدينة بنما ، إلى بعض التعليقات الصحفية السلبية عن العملية فى يومى الخميس والجمعة . وكان هذان

اليومان هما نقطة الجزر بالنسبة لباول ، ولكن عندما توجه إلى منزله مساء الجمعة - أى بعد يومين من العملية - كانت الأمور قد بدأت تتحسن . لم يكن نورييجا قد عثر عليه بعد ، لكن الوضع فيما عدا ذلك بدا تحت السيطرة . ولم يدهشه أن يرى أن كثيرا من التحقيقات الصحفية التى رآها فى نهاية الأسبوع - وخاصة يوم السبت - كانت متشائمة وقديمة ، فطيله سنوات من مراقبة وسائل الاعلام عرف باول أن الصحف عادة ما تتخلف ١٢ ساعة عن الأحداث . وقرأ مقالا حدده بالإسم باعتباره الرجل الذى أوصى بغزو بنما .

قال لنفسه - وهو ما بين الضيق والضحك - اننى أحاصر ، ان أحدا ما فى البيت الأبيض أو وزارة الخارجية يحاول أن يلقى على ظهره بموضوع بنما .

وفى يوم الأحد - حين نشرت قصص أكثر إيجابية - زار بوش البنتاجون وقال لباول "كولين .. لا شك أن الأمور كانت سيئة بالأمس ، لكنها تبدو الآن أفضل بالتأكيد" .

* * *

كان نورييجا الهارب الذى ما زال طليقا هو أخطر بقعة فى العملية . وأعلنت الولايات المتحدة أنها وضعت جائزة تبلغ مليون دولار للقبض عليه ، على أمل أن يتقدم أحد أفراد قوات الدفاع البنمية أو أحد البنميين الآخرين الحريصين على إنهاء عهد نورييجا . وبدأ باول يشير إلى القبض على نورييجا باعتباره "هذا الشىء الصغير الذى يثير الضيق" ، لكنه ظل يؤكد أن نورييجا قد قضى عليه كقائد ، وبدا يرى مطاردة الجنرال الهارب كحملة صليبية .

وجاءت أنباء عن العثور على مخابىء كبيرة للمخدرات وأدوات دينية غربية فى منزل نورييجا ، وبدأ باول يصف نورييجا بأنه "سفاح (شمام)" (وقد اتضح أن المخدرات المزعومة التى وجدت فى منزل نورييجا ليست سوى طعام

التامال المكسيكى وبه قصاصات من الورق كتبت عليها أسماء أعداء نورييجا . ويبدو أنها كانت جزءا من أحد الطقوس للقضاء على الأعداء ، وليست لها صلة ما بالمخدرات) .

وقبل العملية كان الرأى السائد فى البنتاجون هو أن نورييجا سيطلق النار حتى النهاية ، ولن يسمح بالقبض عليه حيا . وها هو القبض عليه يغدو الآن وسواسا .

وقال باول فى مكتبة يوم ٢٣ ديسمبر "اننا سندمر الصورة التى يحاول أن يعطيها لنفسه كروبن هود" . وردا على صحفى أخذ يلح عليه بالأسئلة عن أهمية القبض على نورييجا قال "انتظر" .

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر اليوم التالى - الأحد ٢٤ ديسمبر - توجهت سيارة إلى مقر المبعوث البابوى ، ممثل الڤاتيكان فى بنما ، وهبط منها الجنرال نورييجا يرتدى قميصا (تى شيرت) ويحمل بندقيتين ايه كى - ٤٧ نصف آليتين ، ودخل مبنى السفار البابوية وطلب اللجوء السياسى .

كان باول يعرف أن هذا لن يحل المشكلة على الإطلاق ، ففى وسع نورييجا أن يبقى فى المقر إلى مالا نهاية ، خالقا مأزقا دبلوماسيا .

وتوقع رئيس الأركان أن يخرج ثورمان وستاينر بفكرة ما ، ونبهمها إلى ضرورة الحرص ، لكنه رأى من الأفضل ألا يعرف ماذا قد يدبران .

ورأى ستاينر ان عليه أن يحترم الحصانة المزدوجة لمقر المبعوث البابوى ، كسفارة وكملكية للكنيسة . لكن هناك طرقا للضغط على الكنيسة . وتم اصطحاب أسقف كان فى زيارة إلى جولة فى بيت نورييجا ومكتبه . وعرضت عليه بعض الأشياء التى عثر عليها الجنود الأمريكيون هناك : مواد للسحر ، ومكتبة عن هتلر

، و"البومات" من الصور الفاضحة وصور التعذيب ، وملصق كبير يضم كل الكهنة الكاثوليك في بنما وغيرهم من كبار الكاثوليك فى أمريكا الوسطى بما يوحى بأنهم كانوا موضوعين فى قائمة الإغتيالات .

والتقى المبعوث البابوى الأب سباستيان لبوا بثورمان وستاينر ، وأعطاهما مذكرة مكتوبة بخط اليد بأنه إذا انطلق الرصاص من داخل المقر البابوى فان من حقهما أن يشنا هجوما طارئا لإنقاذ أكبر عدد ممكن ، وتقليل الوفيات والآلام .

ومضى ستاينر إلى مقر قيادته ، ورفع الخط الساخن بينه وبين كيلى فى البنتاجون ، وطلب منه أن يعطيه قواعد اشتباك تسمح لقواته بدخول المقر البابوى إذا طلب منها ذلك ، أو إذا بدأ اطلاق نيران .

ونقل الطلب إلى باول وتشينى اللذين وافقا عليه ، وخلال ساعة كان ستاينر قد حصل على سلطته الجديدة .

وفى اليوم التالى - الأربعاء ٢٧ ديسمبر - أمر ثورمان وستاينر القوات بأن تحيط المقر بأصوات صاخبة من الآلات المعدنية الثقيلة وغيرها من الآلات - الموسيقية ، لمنع أى أحد من التصنت على مفاوضات القيادة الجنوبية مع المبعوث البابوى . وكانت الأصوات تسمع من بعد كبير .

وبدأت قوات أخرى تتصرف وكأنها تستعد لمهاجمة المبنى ، وقطعت الحشائش والأشجار المجاورة لتحسين الرؤية ، وأطفئت مصابيح الإضاءة فى الشوارع ، ووضعت الأسلاك الشائكة ، وأخذت داوريات من اثنى عشر رجلا تطوف حول أسوار السفارة ، فى حين احتل جنود آخرون مواقعهم فى جاراج على بعد نحو ٥٠ قدما خلف السفارة ، وهبطت طائرة هليكوبتر من طراز الصقر الأسود مرارا على مقربة لتفرغ رجالا وعتادا ، وسدت الدبابات الخفيفة وحاملات الجنود المدرعة كل شوارع المنطقة .

ورغم هذا لم يتحرك نوريجا .

وفى يوم الجمعة ٢٩ ديسمبر كان باول يشاهد تقريرا لقناة السى إن إن عن دخول القوات الأمريكية مقر سفير نيكاراجوا فى بنما . وعرضت الكاميرا لافته بحجم كبير تبين بلا مجال للخطأ أن المكان هو مقر السفير ، وفى الممر الجانبى كان بوسع باول أن يتبين آثار ناقلات الجنود المدرعة الأمريكية المتميزة ، وثار غضبه : فإقتحام سفارة أمر غير مسموح به ، فالمعاهدات الدولية تضفى حصانة مطلقة على هذه المبانى ، التى تعدو ملكية وطنية . ولقد كان هذا ما فعله الطلاب الايرانيون فى ١٩٧٩ حين اقتحموا السفارة الأمريكية فى طهران .

واتصل باول بثورمان طالبا ردا .

وحين لم يصله رد عاجل عرف أن المسألة مدبرة ، وأثار الموضوع مع تشينى .

رد تشينى بهدوء "حسنا ، فلنبحث الأمر ، ولكن دون أن ننهال بشدة على رجالنا" .

وحين اتصل ثورمان أخيرا أوضح أنه تلقى تقارير مخابرات بأن المقر ملىء بالأسلحة ، وأن التفتيش أدى إلى العثور على أربع رشاشات أوزى و ١٢ بندقية ايه كى - ٤٧ ، وست قاذفات قنابل - من الطراز الصاروخى - و١٧ حربة . واضاف ثورمان أنه لم يكن واضحا أن المكان مقر دبلوماسى .

رد باول محتدا "هذا أمر لا يمكنك انكاره ، فقد رأيته فى السى إن إن ، فكف عن خداعى ، لقد فعلنا ذلك" .

كان باول يدرك أن ثورمان - متوتر للغاية ولذلك فقد كان يتسامح مع بعض تجاوزات القيادة الجنوبية ، لكن الأمور تفلت الآن من السيطرة ، وأجرى باول

محادثة من القلب إلى القلب مع القائد عن ضرورة الحرص على ألا يلوثوا عملية باهرة نتيجة بعض الأحداث الصغيرة فى أعقابها ، وبدأ باول يسحب بعض السلطات ثانية إلى واشنطون .

* * *

فى الساعة الثامنة وأربع وأربعين دقيقة مساء الأربعاء ٣ يناير ١٩٩٠ خرج نورييجا من المقر البابوى مرتديا زيه العسكرى واستسلم لأفراد قوة دلتا ، وحين وضع القيد فى معصمه وصاح وأخذ يسب المبعوث البابوى الذى كان يقف على مقربة ، وواضح أن نورييجا قد توقع أن يعامل معاملة رئيس دولة ، أو أسير حرب ، وهو الآن يلقى باللوم على المبعوث البابوى الذى خدعه . وبارك المبعوث نورييجا الذى حملته طائرة هليكوبتر إلى قاعدة هوارد الجوية حيث قام أحد رجال وكالة مكافحة المخدرات بالقاء القبض عليه .

وفى الساعة التاسعة مساء اتصل تشينى ببوش – وبعد أربعين دقيقة دخل بوش إلى غرفة الصحافة فى البيت الأبيض ليقرأ بيانا من ست فقرات يعلن القبض على نورييجا .

"ان عودة الجنرال نورييجا تمثل علامة بارزة هامة فى عملية "القضية العادلة" . لقد استخدمت الولايات المتحدة مواردها بطريقة تتفق مع المبادىء السياسية والدبلوماسية والأخلاقية ...

"وأود أن أعبر عن شكر بلدنا الخاص لأولئك الجنود الذين أصيبوا ، ولأسر أولئك الذين ضحوا بحياتهم ، فقد كانت تضحيتهم قضية سامية لن تنسى أبداً" .

وأخيراً تبدد الدخان بشأن تحركات نورييجا قبل أن يستسلم . كان الأمريكيون الذين يتابعونه قد فقدوا آثره فى كولون فى الساعة السادسة مساء .

وعرف باول أن الجنرال كان عند بدء "القضية العادلة" فى ماخور فى توكيومين . وحين سمع نورييجا الطلقات ارتدى سرواله وقفز فى عربة هاربا حيث اتخذ طريقا سريعا إلى مدينة بنما ، واختفى فى المدينة ، وأخذ يتحرك من مخبأ إلى آخر ، وإلى بيوت مختلف الأصدقاء والمساعدين .

وفى ٥ يناير توجه باول إلى بنما لزيارة القادة والقوات . وفى اليوم التالى أكد فى إجتماع هناك مع الصحفيين النتيجة السياسية للعملية "ان أهم رسالة أديناها هى أننا أعدنا البلاد إلى شعبها" .

سأله أحد الصحفيين "لماذا كل مثل هذه القوة الكبيرة ؟" .

"اننى دائما شديد الإيمان بأن من الضرورى ان تصل ومعك قائد بما تحتاجه لأداء المهمة ، وألا تتجلى بشىء" .

– ماذا تظن سيكون أثر العملية على الجدال الدائر حول تخفيضات ميزانية الدفاع ؟ .

قال باول بصوت جهورى "أشكرك على سؤالك ، وآمل أن يكون لها تأثير كبير ... وإذا نبدأ فى خفض الدولارات ، نشهد العالم يتغير ، فلا تخطىء فى فهم الأمور ... ولا تعتقد أن هذا هو الوقت لتسريح القوات المسلحة الأمريكية ، لأنه ليس كذلك ، فما زالت هناك أخطار فى العالم" .

كان يعرف أن هذا التصريح لن يلفت الإنتباه ، ورغم هذا فقد كان يشعر بأن بنما جاءت وكأنها منّ من السماء .

وعاد وهو يشعر بالسعادة لأن العملية لا تبدو مختلفة فى الميدان عما كانت تبدو عليه من البنتاجون ، فليس ثمة أمارات على أسرار مدفونة ، ولن يكون أمام الساسة ورجال الاعلام من بديل إلا اعلان نجاحها . وقد أوضح استطلاع للرأى

أذاعته السى بى اس فى ذلك اليوم أن ٩٢ فى المائة من البنميين يؤيدون العمل العسكرى الأمريكى .

وفى اليوم التالى - يوم السبت - كان باول فى الجراج الخلفى للمنزل ٦ شارع كوارتز يمارس إحدى هواياته المفضلة :إصلاح سيارة ڤولڤو قديمة .

عادت بنما إلى الظهور على السطح من حين إلى آخر فى الأسابيع والشهور التى أعقبت العملية وكثيرا ما جاء - ذلك فى شكل أنباء عن أخطاء لم تكتشف من قبل .

وبعد شكاوى الصحفيين الذين أبعدوا عن تغطية "القضية العادلة" أثناء سير العملية اعترفت هيئة الشؤون العامة بوزارة الدفاع بأنها أخطأت فى معاملتها للمجموعة الصحفية . وقال باول فى مذكرة إلى هيئات الأركان "وبدون ذلك فإن العمليات الناجحة لن تكون نجاحا كاملا مالم يتم تناول الجانب الاعلامى تناولا صحيحا" .

واتهم أحد رجال المظلات بالقتل غير العمدى لمدنى بنمى أعزل على أحد الحواجز فى اليوم الرابع من العملية ، لكن المحكمة العسكرية برأته .

وكانت أعداد القتلى التى أعلنتها القيادة الجنوبية فى منتصف يناير ٣١٤ قتيل عسكرى بنمى و٢٠٢ مدنى بنمى و٢٣ من القوات الأمريكية . لكن برنامج "٦٠ دقيقة" فى السى بى اس ذكر أن نحو ٤٠٠٠ مدنى بنمى قد لقوا مصرعهم فى النزاع إلا أن تحقيقات منظمات أخرى فى بنما والولايات المتحدة أوضحت أن القيادة الجنوبية لم تكن بعيدة كثيرا عن الحقيقة ، وان كانت ربما قد بالغت فى عدد قتلى العسكريين البنميين بينما قللت من عدد المدنيين . وقبلت أرقام القيادة الجنوبية بشكل عام .

وحين ذكرت "نيوزويك" أن ما قد يصل إلى ٦٠ فى المائة من الإصابات الأمريكية ربما يكون قد جاء من "نيران صديقة" ، من القوات الأمريكية ، أعلن البنتاجون للمرة الأولى أن النيران الصديقة مسئولة عن مصرع اثنين من القتلى الأمريكين الثالثة والعشرين واصابة ١٩ من المصابين الثلاثمائة وأربعة وعشرين .

عاد باول إلى وتيرته أيام السلام .. لقد أصبحت بنما – أكبر عمل عسكرى أمريكى منذ ڤيتنام – وراء ظهره ، وأصبح التركيز الآن على الاحتياجات العسكرية لعصر ما بعد الحرب الباردة . وقضى ساعات طويلة فى مكتبه يستمع إلى التقارير ، ويتصل هاتفيا ، لكى يخرج باستراتيچية للتغيير . وكان على ثقة من أن أفضل طريقة للسير هى أن يثق فى غرائزه ، لكن لديه أيضا مجموعة من القواعد والحكم يستخدمها كدليل عملى للقرارات اليومية . وكثير منها مدون فى قائمة كتبها ، وكان يعطيها لزواره ، ويضعها تحت اللوح الزجاجى فوق مكتبه .

قواعد كولين باول

١– ليست الأمور بالسوء الذى تعتقده ، وستبدو أفضل فى الصباح .

٢– اشتعل غضبا ، ثم تغلب على ذلك .

٣– تجنب الربط الشديد بين شخصك ومركزك بحيث يضيع شخصك حين يضيع مركزك .

٤– أنها يمكن أن تنفذ !

٥- انتبه لما تختار ... فقد تحصل عليه .

٦- لا تدع الوقائع المعاكسة تقف فى وجه قرار جيد .

٧- أنت لا تستطيع أن تختار للآخرين ، فلا تدع الآخرين يختارون لك .

٨- تحقق من الأشياء الصغيرة .

٩- تقاسم الثقة .

١٠- ابق هادئا ، وكن رحيما .

١١- فلتكن لديك رؤيا ، وتشدد فيها .

١٢- لا تهتدى بمخاوفك ، ولا برافضيك .

١٣- التفاؤل الدائم يضاعف القوة .

وعلى يسار هذه القائمة وضعت حكمة ليست للإستهلاك العام كتبها رئيس الأركان بخط يده على قطعة من الورق : أحيانا تعنى المسئولية إزعاج الآخرين .

وثمة مبدأ آخر كان باول يحاول أن يعيش به ، خاصة فى حياته المهنية . وأحياناً ما كان يسـرّ به ، لكنه لم يكتبه ، فهو ليس بحاجة إلى أن يذكر نفسه به : "لن تستطيع أن تعرف بم ستخرج .. ما لم تحاول" .

الجزء الثانى

(١٦)

صدام يتعهد بعدم الإعتداء على إسرائيل

ويطلب ضمانا أمريكيا للمعاملة بالمث

فى أوائل ابريل ١٩٩٠ تلقى الأمير بندر بن سلطان سفير العربية السعودية فى الولايات المتحدة مكالمة من عمه الملك فهد .

وقال فهد أن الرئيس العراقى صدام حسين قد اتصل به لتوه ليخبره بأنه يريد أن يأتى أحد إلى العراق ليلتقى به شخصيا ، ويناقش معه مسألة عاجلة تتعلق بأمريكا . وأراد فهد من بندر أن يتولى هذه المهمة ، فقد شارك بندر مباشرة فى مفاوضات الأمم المتحدة عام ١٩٨٨ لترتيب وقف إطلاق النار بعد حرب الثمانية أعوام بين إيران والعراق ، وقد وافق صدام حسين عليه كمبعوث .

كان بندر (٤١ عاما) يشغل مكانا فريدا فى واشنطون ، فمعظم السفراء يقضون وقتهم فى الإحتفالات وعلى حواشى السلطة الحقيقية . أما فهد فتربطه صداقات قديمة ببوش وبيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول .

وقد أتاح هذا للأسرة المالكة السعودية قناة إلى الصفوف العليا من الحكومة الأمريكية ، فإلى أن أصبح بندر سفيرا فى ١٩٨٣ كان السعوديون يعملون من خلال موظفين مغمورين فى وزارة الخارجية الأمريكية . أما بندر

فأصر على التعامل مع القمة ، وأقام علاقات شخصية مع أولئك الموجودين فيها بالفعل ، ومع وعشرات آخرين قد يشغلونها ذات يوم .

وفى عام ١٩٨١ - وقبل أن يصبح سفيرا - حصل على مساعدة بوش نائب الرئيس فى دفع الرئيس ريجان إلى اقرار صفقة أسلحة كبيرة للعربية السعودية .

وأثناء فترة رئاسة ريجان الأولى كان بوش وبندر يتناولان الغداء معا عدة مرات فى السنة . وشعر بندر بأن لدى بوش نظرة متوازنة عن الشرق الأوسط ، وليس مرتبطا عاطفيا أو متعصبا لمصالح اسرائيل .

انه (جاتسبى)[١] عربى ، يقيم حفلات رائعة ، ويتقرب من أى فرد أو مجموعة مهمة لبلده . وقد أخذ بندر بوش على محمل الجد حتى كان هذا الأخير يغفل باعتباره رقم اثنين الضعيف لريجان ، وفى عام ١٩٨٥ ، وفى وقت كان بوش يعرض فيه للإنتقاد الشديد لعدم فاعليته أقام الأمير حفلا لنائب الرئيس أحيته المغنية روبرتا فلاك بل لقد توجه بندر لصيد السمك مع بوش ، فهو يعرف أن العلاقات الشخصية تدفع الأمور فى مسارها بسرعة أكبر من أى شىء آخر . لقد ظل طيارا مقاتلا سعوديا طيلة ١٧ عاما ، وهو أحد المقربين من الملك فهد ، ومازال يمشى مشيه المقاتل المتأرجحة . وهو يتواءم تماما مع ذلك الجانب الخشن الأشبه برعاة البقر فى إدارة بوش ، ويتحدث الإنجليزية بطلاقة شديدة ويتشرب العادات الأمريكية . كان الأمير ناعما حريصا ، يجتذب الدوائر السياسية والإعلامية بالسيجار والهدايا والدعوات والقصص الخارجية والنكات العملية

---

(١) إشارة إلى شخصية جاتسبى فى رواية سكوت فيتزجرالد "جاتسبى العظيم" ، انظر "جاتسبى العظيم" ترجمة محمد مستجير مصطفى - القاهرة دار المعارف - ١٩٧١ .

(فذات مرة بعث لصحفى يهودى صادقه دمية بالحجم الطبيعى لامرأة عارية) .. وهو يبتسم بكل الطفولية والقسوة .

وكان طلب فهد الأخير يوحى بأن بندر ستتاح له فرصة القيام بالوساطة بين صدام والولايات المتحدة ، وتلك هى المهام التى تروق له ، فتوجه على الفور إلى العراق على ظهر طائرته النفاثة الخاصة . واستقبله السكرتير الشخصى لصدام حسين فى المطار يوم ٥ ابريل وأشار له إلى الطريق . ولكن رجال الأمن أبلغوا بندر والسكرتير أن صدام حسين موجود فى مكان آخر غير المكان الذى كان مقررا . وقال السكرتير الخاص لبندر إنهم لا يسمح لهم بمعرفة مكان وجود صدام ، وأن كبار المسئولين الحكوميين الأخرين - حتى أخو صدام رئيس المخابرات - لا يعرفون مكانه ، فرجال الأمن وحدهم هم الذين يعرفون مقدما أين يجدون الرئيس فى أى لحظة ، وهو ترتيب يجعل من الصعب - ان لم نقل من المستحيل - لأى عراقى رفيع الرتبة أن يطيح بصدام حسين .

وحين جلس بندر مع صدام قال الرئيس العراقى أنه طلب هذا الإجتماع لأن المسئولين فى الولايات المتحدة يبالغون بشدة فى رد فعلهم لخطابه فى أول ابريل . وكان صدام فى خطابه الذى نشر على شكل واسع قد ناقش قدرة أسلحته الكيمائية وهدد بحرق نصف اسرائيل إذا هاجمته . وقال صدام ان الغرب "يخدع نفسه إن هو تصور أنه يستطيع أن يعطى اسرائيل الغطاء لتأتى وتضرب ... « والله سنجعل النيران تأكل نصف اسرائيل إذا حاولت أن تفعل شيئا ضد العراق» .

وقد وضعت وزارة الخارجية الأمريكية الخطاب بأنه "ملتهب وغير مسئول وشائن" . وأصدر البيت الأبيض فى ٥ ابريل بيانا وصف فيه العبارات بأنها "مؤسفة وغير مسئولة للغاية" . وقال الرئيس بوش علنا فى اليوم نفسه "ليس هذا

هو وقت الحديث عن استخدام الأسلحة الكيميائية أو البيولوچية ، ليس هذا وقت تصعيد التوتر فى الشرق الأوسط . وأنا أرى أن هذه التصريحات سيئة ... وأقترح سحبها .

وقال صدام لبندر ان عبارته قد أسيء فهمها لتعى أنه يعتزم توجيه ضربة هجومية إلى إسرائيل ، وأعترف لبندر بأنه يود لو كانت عباراته مختلفة ، كان الخطاب قد ألقى أمام أفراد قواته المسلحة فى إجتماع عام ثارت فيه الإنفعالات ، والناس يصفقون ويصرخون . وقال انه - كما يعرف كلاهما - فان أحداً فى العالم العربى لا يضار من تهديد اسرائيل ، وهذا ما فعله ، ورغم هذا فانه لم يهدد بالهجوم إلا إذا هوجم ، فقيام اسرائيل بضربة مباغتة أمر ممكن دائما . وفى عام ١٩٨١ وجهت اسرائيل ضربة جوية وقائية ودمرت مفاعل الأبحاث النووية أو سيراك جنوب بغداد ، وأن ذكرى هذه الضربة ما زالت عالقة فى الأذهان . وهو لا يريد استثارة هجوم آخر .

وكان الزعيم العراقى يعرف كذلك أن اعدام الصحفى البريطانى - ايرانى المولد - فرزاد بازوفت مؤخراً قد أثار عليه انتقادات الغرب . لكن الصحفى كان يتجسس ، وقد وجدوا اتصالات مباشرة بينه وبين اسرائيل .

وقال صدام حسين "لو هاجمتنى اسرائيل الآن فلن أبقى ست ساعات ، فحين هوجمت فى المرة الأولى [١٩٨١] كنت فى حرب [مع ايران] وكان فى وسعى دائما أن أقول اننى فى حرب ، أما الآن فإذا هوجمت فلن يستطيع الناس أن يفهموا ذلك" ، وأن هجوما آخر سيحرجه ، فهناك اجتماع قمة سينعقد قريبا ، وبندر يعرف ان صدام رجل يعتز بنفسه .

وأكد صدام "أريد أن أطمئن الرئيس بوش وصاحب الجلالة الملك فهد أننى لن أهاجم اسرائيل" . وفى المقابل فان على الأمريكيين أن يسعوا لدى اسرائيل

لضمان عدم مهاجمتها للعراق .

ولما لم تكن للعراق ولا للعربية السعودية علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فإن صدام يطلب من بندر - وله اتصالات مباشرة منتظمة مع بوش - أن يبعث الرسالة ويتلقى ردا من خلال الولايات المتحدة .

سأله بندر "هل تريدنا أن نذكر ذلك لبوش كملاحظة من جانبنا أم أنها رسالة منك إلى الرئيس بوش ؟" .

فأجاب صدام "أنها رسالة منى إلى الرئيس بوش" .

وقال بندر انه سينقل الرسالة إلى الولايات المتحدة .

وتوقف الحديث فترة ، ثم أشار صدام فجأة إلى ما دعاه "المؤامرة الإمبريالية الصهيونية" .

قال صدام "وبالمناسبة ، فان علينا أن نكون حريصين للغاية من المؤامرة ، لأن القوى الامبريالية الصهيونية تواصل طرح نظرية هى أن لدى مخططات تجاه جيرانى ، وليست لدى مخططات ضد جيرانى" .

ولم يحدد صدام أسماء الجيران ، لكن بندر فهم أنه يعنى دول الخليج الصغيرة مثل الإمارات العربية المتحدة والكويت .

قال بندر "حسنا يا سيدى الرئيس ، ان أشقاءك ، وجيرانك ، لا يشكون فيك . وإذا كنت تقول لى الان انه ليست لديك مخططات فليس ثمة ما يدفع أيامنا إلى أن يقلق بشأن هذا أبداً" .

قال صدام "كلا .. كلا .. لكن من المهم ألا ندع لطاحونة الشائعات أو القوى الأمبريالية الصهيونية أن تتدخل فيما بيننا" .

وانتقل صدام بعد ذلك إلى تبرير هجومه اللفظى على اسرائيل وان ظل يؤكد أنه لن يهاجم الدولة اليهودية . وقال أن اسرائيل هى العصا الكهربية التى تستخدم لخلق جو الأزمة . وقد انقضت سنتان من وقف اطلاق النار فى الحرب العراقية الايرانية . وبدأ الشعب العراقى يسترخى "ولابد أن استحث فيهم نوعا من الحمية أو التعبئة العاطفية حتى يكونوا على استعداد لأي شيء يمكن أن يحدث" .

ورحل بندر بعد أربع ساعات ، وأعد مذكرة من ١٨ صفحة لسجلاته يلخص فيها هذه المناقشة مع صدام ، كما أبلغ الملك فهد الذى طلب منه أن يستغل علاقاته الشخصية بالبيت الأبيض وينقل الرسالة مباشرة إلى بوش ، دون وسيط .

ان العربية السعودية تشارك العراق أكثر من ٥٠٠ ميل من حدودها الشمالية . ووجود عراق صديق ومستقر فى صالح الملك فهد تماما . وطيلة سنوات ظل يكفل صدام الذى يهاجم المعسكر العربى المعتدل ، فالعراق - مثل سوريا وليبيا - دولة غير قانونية ، كثيرا ما ارتبطت بالمنظمات الارهابية ، وتتعرض لاتهامات بالانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان .

وكانت الحرب العراقية - الايرانية فرصة للعربية السعودية لكى تقرب العراق منها . وقام بندر بدور الوسيط بين العراق ووليم كاسى مدير وكالة المخابرات المركزية حتى تحصل العراق على معلومات الأقمار الصناعية السرية للغاية عن تحركات القوات الإيرانية أثناء الحرب . كما وقع السعوديون عقدا مع الفرنسيين لشراء طائرات الميراج النفاثة لتسليمها للعراق ، وقدموا خدمات أخرى كبيرة وصغيرة لا تحصى لصدام حسين .

وشعر بندر بأن صدام يقدر هذه المساعدة ، لكنه أحس كذلك أن صدام يكره الاعتماد على الآخرين .

وبعد أربعة أيام من اجتماع بندر بصدام فى أوائل ابريل كان بندر فى المكتب البيضاوى لمقابلة بوش .

بدأ بندر الحديث قائلا "أرسلنى صاحب الجلالة هنا لأنقل لكم رسالة جاءتنى من الرئيس صدام اليكم ، يؤكد لكم فيها أنه لا يعتزم مهاجمة اسرائيل" . وقال بندر ان الرسالة مباشرة وليست تفسيرا سعوديا ، ولا هى أفكار الملك فهد ، وإنما أفكار صدام وحده . وأن ما يقوله صدام هو أن سيرد إذا هاجمته اسرائيل ، لكنه لن يبادر بهجوم على اسرائيل .

وبدا بوش مذهولا "حسنا ، إذا لم يكن يعتزم ذلك فلماذا يقوله ؟" .

وذكر بندر الرئيس الأمريكى بهجوم اسرائيل على المفاعل العراقى فى ١٩٨١ . وقال ان صدام قد ضرب مرة من قبل ، وان بعض الاسرائيليين يقولون ان مفاعلا عراقيا جديدا قد بنى وينبغى ضربه ، وان ذلك سيتم عاجلا أو آجلا . ومن ثم فإن هناك أسبابا للعصبية.

إلا أن بوش ظل متشككا .

وقال بندر ان صدام يشك فى وجود مؤامرة ضده .

فأجاب بوش بأنه ليست هناك مؤامرة ضده ، وإن سلوكه هو الذى يثير قلق الناس .

وقال بندر ان صدام يشعر بعقدة الاضطهاد شأنه شأن معظم الديكتاتوريين العسكريين الحريصين على الأمن ، وأن الأشياء الصغيرة تتصاعد . وأخبر بندر بوش أن الصحفى البريطانى بازوفت كان يحمل فى جيبه رقم هاتف مسئول اسرائيلى عند القاء القبض عليه ، وأنه شوهد خارج مقر منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن يهاجمه الاسرائيليون . وعرض بندر النقاط الأخرى التى

طرحها صدام - قلقه من الاحراج فى القمة العربية . وقال بندر انه يرى أن صدام قد هزه رد الفعل الغربى وتصريحات بوش نفسه ، وأن العراقى يحاول الآن تهدئة كل الأمور ، والتصرف تصرفا صحيحاً .

وقال بوش انه سيفكر فى الأمر ، لكن المسألة الأساسية هى أنه ما كان ينبغى لصدام أن يوجه هذه الهجمات اللفظية.

وبعد يومين اتصل صدام بالملك فهد وبمحمد المشد سفير العراق فى الولايات المتحدة سائلا عما إذا كان هناك رد من بوش ، فالقائد العراقى وقد قدم تأكيدات بأنه لن يهاجم اسرائيل يريد تأكيدا صريحا من بوش بأن اسرائيل لن تضرب العراق.

وفى منتصف أبريل طلب الملك فهد من بندر أن يعود لمقابلة بوش.

وطلب بندر لقاء عاجلا فى اليوم نفسه . وكان بوش مشغولا جدا ، لكنه يستطيع دائما أن يجد بضع دقائق لبندر .

وفى البيت الأبيض لم يكن لدى بوش إلا وقتا قليلا للحديث فيما بين اجتماعين وهكذا انتحى رجلان جانبا واقفين.

قال بندر "اتعرفون يا سيدى الرئيس انهم جادون بالفعل فى هذا ، ويريدون أن يؤكدوه لك" ، ان صدام والعراقيين لن يهاجموا اسرائيل ، "هم يودون أن يتلقوا تأكيدا بأن اسرائيل لن تهاجمهم ، لأنهم يشعرون بالتوتر" .

قال بوش "اننى لا أريد ان يهاجم أحد أحدا" . ،ان كل ما يريده هو ان يستقر الناس ، فى المنطقة وفى غيرها ، وقال "سنتحدث مع الاسرائيليين ، وأرد عليك .. لكن على الجميع أن يهدئوا الأمور" .

وأوضح بوش كذلك أنه يشعر بالحيرة فى أمر صدام "إذا لم يكن هذا

الرجل يعنى ذلك حقا فلماذا بحق الله يقول هذه الأشياء ؟" .

واتصل البيت الأبيض بعد ذلك بالاسرائيليين الذين قالوا انه إذا لم يشن العراق هجوما عليهم فان اسرائيل لن تشن هجوما على العراق . ونقلت الولايات المتحدة عندئذ هذه التاكيدات الإسرائيلية لصدام مباشرة .

كما نقل بندر فهمه لهذه التاكيدات إلى الملك فهد الذى ابلغه لصدام.

(١٧)

لقاء جلاسبى - صدام

بعد ثلاثة أشهر ، وفى أوائل الأسبوع الذى بدأ فى ١٦ يوليو ١٩٩٠ كان رجل مليء أصلع حسن الهندام فى مكتبه فى الطابق الثانى فى الحلقة الداخلية للبنتاجون ، وهو يتصل بالهاتف كأنه سمسار بورصة . كانت التليفونات المؤمنة الحمراء والرمادية والخضراء تتيح له أن يتناقش بالشفرات باللغة السرية مع وكالة الأمن القومى ووكالة المخابرات المركزية ومركز مخابرات الصور القومى وغيرها من وحدات المخابرات الأمريكية داخل البنتاجون وخارجة.

كان والتر ب «بات» لانج - ٥٠ عاما - كولونيل الجيش المتقاعد هو مسئول وكالة المخابرات القومية لشئوون الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، وهو أكبر مسئول مخابرات مدنى فى البتاجون لهذه المنطقة . وكان مسئولاً أيام رئيس وكالة مخابرات الدفاع ، وهو جنرال ذو ثلاثة نجوم يشرف على نحو ٥٠٠٠ من العاملين المدنين والعسكريين يقومون بتنسيق مخابرات القوات البرية والبحرية والجوية ومشاة البحرية . وهذه الوكالة هى التى تقوم بوضع ملخصات موحدة للمخابرات ترسل الى هيئة الأركان المشتركة والى وزير الدفاع ، خالية من أى تحيز لوكالة أو أخرى وكان لانج أحد الذين يتلقون معلومات المخابرات الخام ويقيمونها ، ثم يرسلها فى شكل سائغ لأعلى المستويات فى البنتاجون ، بما فى ذلك تشيني وباول

. ولم يكن لانج ملما فقط بصور الأقمار الصناعية وأعتراض الاتصالات بل كان كذلك خبيرا فى شئون الشرق الاوسط ، يتحدث العربية بطلاقة ، وقد زار العراق كثيرا ، وعمل فى أوائل الثمانينات ثلاثة أعوام ملحقا للدفاع فى العربية السعودية .

وفى هذا الصباح كان لانج منكبا على صور الأقمار الصناعية الصباحية لهذه المنطقة . وحيثما كانت تبدو بالأمس الصحراء الخالية فى جنوب شرق العراق وشمال الكويت فانه يرى الآن بدايات لواء من الدبابات العراقية من طرازت – ٧٢ ، أحدث الدبابات الثقيلة التي زود بها السوفييت العراق . كما بينت الصور كل أنواع العتاد وهى تشحن في قطارات ، وهو عتاد لا يمكن أن يخص سوى الحرس الجمهورى ، صفوة وحدات الرئيس صدام حسين . وقد شكلت الوحدات فى البداية لحماية النظام فى العاصمة بغداد ، وعادة ما ترابط بالقرب منها فى وسط العراق . فلماذا نقلت الدبابات مئات الأميال ؟ كانت الصور القادمة من القمر الصناعى شديدة الدقة بالغة التفصيل الى حد أنه كان بوسع لانج أن يحدد أن هذه الدبابات تنتمى الى فرقة حمورابى – المسماة باسم ملك بابل الذى كان أول من وضع تشريعا قانونيا – وهو يعرف من متابعته لثمانى سنوات من الحرب العراقية – الايرانيه أنه لا توجد فرقة أكفأ منها فى العراق كله .

وكان العراق يشكو مر الشكوى من أن الكويت تتجاوز فى أنتاجها حصص النفط التى حددتها منظمة الدول المصدرة للنفط ، مما يؤدى الى هبوط الأسعار . ورغم أن الكويت كانت يوما ما جزء من محافظة البصرة العراقية فقد منحها البريطانيون الاستقلال فى ١٩٦١٠ واستمرت المنازعات والعداوات حول الحدود ، لكن العراق من الناحية العملية سلم بوضع الكويت كدولة حين وافق على أنضمامها الى الجامعة العربية فى ١٩٦٣.

وكان المنطق العسكرى هو الغالب لدى لانج : فتحركات هذه الوحدة تعنى

أن صدام يعتزم استخدام القوة بشكل ما . لكن لانج كان بحاجة الى أن يشاهد المزيد ، فلا تكفى صور يوم واحد لكى يطلق التحذير .

وجاءت صور الصباح التالى أكثر اثارة للانزعاج . فقد أصبحت كل فرقة حمورابى- بدباباتها الثلاثمائة ورجالها الذين يزيدون عن عشرة آلاف - على مقربة من حدود مدرعة أخرى من وحدات الحرس الجمهورى . وفى اليوم الثالث شوهدت فرقة ثالثة هى فرقة نؤمن بالله - وهى تدخل المنطقة القريبة من الكويت .

وبحلول يوم ١٩ يوليو كان أكثر من ٣٥٠٠٠ رجل من الفرق الثلاثة على بعد مابين ١٠ الى ٣٠ ميلا من حدود الكويت ، والدبابات تتخذ تشكيل الالتفاف التقليدى ، حيث تتجه جميعها الى الخارج لتوفير أقصى دفاع ، كما أن الالتفاف يجعل التزويد بالوقود والادارة أسهل.

كان لانج قد تابع العراق عن كثب طيلة سنوات ، وفى عام ١٩٨٦ أثناء الحرب العراقية الايرانية شهد العراق يتحول تحولا كبيرا من الناحية العسكرية . فلم يعد ذلك البلد المترامى الذى يضم ما يقرب من ١٨ مليون نسمة فى مساحة تزيد عن مساحة ولاية كاليفورنيا قوة عسكرية من العالم الثالث ، بل أصبح الآن قوة كبيرة من حيث الأسلحة التقليدية .

وقد خالفه معظم خبراء شئون الشرق الأوسط الآخرين فى وكالة المخابرات المركزية وغيرها من وكالات المخابرات ، اشتهرت وكالة مخابرات الدفاع بالمغالاة المبالغ فيها فى الخطر العسكرى الذى تمثله الدول الأخرى . لكن لانج شهر رأيه يتأكد فى ١٩٨٧ حيث خاض العراق حربا بالغة التقدم ، وقتل ما بين ٢٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ ايرانى فى معركة واحدة . وفى آخر معركة برية كبيرة فى الحرب قتل العراقيون ٦٥٠٠٠ ايراني وكان بوسع العراق عند هذه النقطة - فى رأى لانج - أن يحرك جيشه فى أى مكان فى ايران . غير أن العراقيين اختاروا أن يعززوا

مكاسبهم ، ويعقدوا السلام فى ١٩٨٨ ، عن حكمة فى نظر لانج.

لكن النقل الفجائى للفرق الثلاث نحو حدود الكويت كان يثير حيرة لانج . ففى خريف عام ١٩٨٩ كان تقرير سرى للمخابرات القومية ، يمثل تقييمات كل وكالات المخابرات الأمريكية بما فيها وكالة مخابرات الدفاع ووكالة المخابرات المركزية قد استخلص أنه وان كان صدام يريد أن يسيطر على منطقة الخليج إلا انه لن يستخدم جيشه في ذلك ، لأن حرب الثمانى سنوات قد أنهكت اقتصاد البلاد بشدة.

وكان هناك شيء آخر لا يبدوا مفهوما ، فأثناء الحرب العراقية الايرانية كشفت الأقمار الصناعية الأمريكية أن العراق يجرى تدريبات دقيقة على العمليات والمعارك فى مناطق خالية من الصحراء . ولم يستطع لانج أن يجد أي أثر للتدريبات توحى بأن صدام يرسل الفرق الثلاث التي تحركت لتوها نحو الحدود الكويتية إلى معركة أو ما يماثلها . وأوحى له ذلك بأن صدام لا يعتزم ارسال قواته إلى قتال عاجل . وهكذا ركزت ملخصات المخابرات التى رفعت لسلسلة القيادات فى ذلك الحين على الطبيعة غير العادية لتحركات القوات ، لكنها لم تتنبأ بأنها قد تستخدم .

وقرأ باول الملخصات التى تبين تحرك ٣٥٠٠٠ رجل من القوات العراقية فى ثلاثة أيام . ورأى أنها تثير القلق لا الانزعاج . وقال الجنرال كيلى في هيئة الأركان المشتركة أنه يبدو أن القائد العراقى يستخدم نشر القوات كتهديد فى المفاوضات الجارية حول النفط . وتصوروا أن العراق يمكن أن يحتل حقل نفط كويتي واحد . أو يستولى على الجزيرتين الصغيرتين اللتين يطالب بهما فى الخليج الفارسى .

وفى أوائل هذا الشهر كان رئيس الأركان قد قضى ستة أيام فى زيارة

للمغرب ومصر والأردن واسرائيل ، حيث قلل رؤساء الدول وغيرهم من كبار المسئولين من احتمالات نشوب معارك فى الشرق الأوسط فى المستقبل القريب ، وعاد باول مطمئنا إلى استمرار الاستقرار فى المنطقة .

لكنه كان لا يزال يشعر ببعض القلق ازاء العراق . فقد كان صدام قد حصل على موافقة البرلمان العاجز على اعلانه رئيسا لمدى الحياة ، وهو ما يذكره بنورييجا الذى عين نفسه زعيما أعظم . وأراد باول أن يتخذ بعض خطوات التخطيط التمهيدية ، فخلال الأعوام الثلاثة التي قضاها مساعدا عسكريا لواينبرجر كانت أحدى السمات الثابتة فى إدارة الأزمة هى عدم استعداد هيئات الأركان المشتركة ، فهى لم تكن تبدو أبدا مضبوطة ، كاملة الاستعداد ، ومن المؤكد أنها لم تكن أبدا جاهزة للوضع بما يسمح لها بتلبية احتياجات وزير الدفاع والرد على أسئلته .

واتصل باول بالچنرال هـ . نورمان شوارزكوف (٥٥ سنة) قائد القيادة المركزية الأمريكية ، وهى القيادة المسئولة عن الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا . ولأن بلدان الخليج لم تكن ترغب فى وجود أمريكى منظور فى المنطقة فقد كان مقر القيادة المركزية فى قاعدة ماكويل الجوية فى فلوريدا . وكانت القيادة المركزية أساسا قيادة على الورق ، فلدى قائدها هيئة من ٧٠٠ رجل ، ولكن عند حدوث أزمة ينبغى أن تسنده وحدات مقاتلة من كل أنحاء العالم .

ان شوارزكوف ضخم الجثة عدوانى ، ولاعب الكرة البارز السابق فى ويست بوينت (دفعة ١٩٥٦) ، والمعروف باسم "الدب" أو "نورمان العاصف" ، والذى يبلغ طوله ٦ أقدام و٣ بوصات يبدو أشبه بصورة طويلة للممثل كارول أدكونور بطل المسلسل التليفزيونى القديم "كل شىء فى الأسرة" . وكان قائد القوات البرية فونو يسميه "هـ . نورمان سيجار" – فقد كان فونو يشعر أن هناك

من الدخان قدر ما هناك من النار خلف مظهره الخارجى العنيف .

وهو رئيس مفزع ، ثائر دائما عندما يكون غير سعيد أو غير راض ، اشتهر بأنه يطرد الذين يجلبون له أنباء سيئة . كما كان شوارزكوف أحياناً ما ينفجر حين يقدم له مدنيون البنتاجون قليلو الخبرة العسكرية اقتراحات يراها غير صحيحة عسكريا . وحين اقترح نائب سكرتير الجيش من قوات تكوين مشاة من الرديوت وسيارات مدرعة موجهة باللاسلكي انفجر فى وابل من السباب .

وهو يعرف الشرق الأوسط ، فقد قضى عامين فى صباه فى طهران ، وكان الچنرال چورچ مارشال قد أرسل أباه - وهو چنرال ذو نجمتين - إلى هناك لتكوين قوة شرطة وطنية ايرانية .

كان باول فقد تعرف على شوارزكوف قبل خمس سنوات حين كانا يعملان فى فورت مايير ، بفيرچينيا ، وازدادا تقاربا بعد عامين حين كان باول مستشارا للأمن القومى وشوارزكوف نائب عمليات القوات البرية أو "الرئيس الصغير" . وكانت رئاسة أركان القيادة المركزية منصب يتبادله چنرالات القوات البرية ومشاة البحرية بالإتفاق بين الرؤساء . ولكن فى عام ١٩٨٨ حاولت البحرية أن تعين فيه أميرالا قائلة ان مهمة الأسطول البحرية - منذ أن بدأ حماية ناقلات النفط الكويتية عبر الخليج الفارسى - أصبحت هى العملية الرئيسية للقيادة ، وأن وجود چنرال فى فلوريدا يدير العمليات على بعد آلاف الأميال أمر أحمق .

ورأى باول أن من الخطأ أن تترك البحرية تتولى الأمر ، فقد أقيمت القيادة المركزية لتنسيق وقيادة عملية نشر سريعة للقوات البرية فى الشرق الأوسط . وعندما تظهر أزمة حقيقية ستكون المشكلة برية ، وهكذا قدم تأييده بقوة لمرشح القوات البرية - الچنرال شوارزكوف .

وكان شوارزكوف واحدا من عشرات الچنرالات ذوى الأربعة نجوم الذين

تخطاهم باول حين أصبح رئيسا لهيئة الأركان المشتركة ، لكنه أصبح بعدئذ أحد رؤساء الأركان المفضلين لدى باول . وكان باول يقدر مزايا شوارزكوف الفطرية ، فحين كان يرى أن باول قد أخطأ أو أنه أساء التصرف مع أحد كان يقول له ذلك .

وطلب باول من شوارزكوف تقييما لحشد القوات العراقية ، وقال الجنرال ان الأمر يبدو – على أكثر تقدير – وكأن العراق عازم على توجيه ضربة عقابية – لكنها محدودة – للكويت . وقال باول انه يريد من شوارزكوف أن يضع خطة ذات شقين لرد أمريكي محتمل على التحرك العراقي ضد الكويت التى تمتلك ١٠ فى المائة من احتياطات النفط فى العالم . الشق الأول هو ماذا تستطيع القوات الأمريكية أن تفعل للرد على العراق ، أما الشق الثانى فهو ما يمكن للولايات المتحدة أن تفعلة دفاعيا لوقف أي تحرك عراقى ، ووعد باول بأن يرسل إلى شوارزكوف مباشرة وعلى الفور أي معلومات يتلقاها فى واشنطون . واتفقا على أن يحددا يوما قريبا يأتى فيه شوارزكوف إلى البنتاجون ليقوم باطلاع رؤساء الأركان فى "التانك" .

وفى أفطار صحفى يوم ١٩ يوليو – قبل أن تتسرب أنباء المخابرات عن حشد القوات العراقية – سئل تشيني عن تهديدات العراق للكويت بشأن مسألة النفط فأجاب "إننا فى الواقع سنأخذ على محمل الجد أي تهديد للمصالح الأمريكية أو لأصدقاء أمريكا فى المنطقة" .

وفى الوقت نفسه طلبت الإمارات العربية المتحدة – الدولة النفطية الصغيرة فى الخليج الفارسى التى تعرضت بدورها للهجوم العراقى لزيادتها انتاج النفط مما يؤدى إلى انخفاض اسعاره . من الولايات المتحدة سرا أن تزودها بطائرتين كبيرتين من طراز كى سى – ١٣٥ التي تقوم بتزويد الطائرات بالوقود فى الجو ،

مما سيتيح للامارات العربية المتحدة ابقاء طائرات الحراسة فى الجو طيلة ساعات اليوم . وأوصى شوارزكوف وباول وبول ولفوويتز وكيل الوزارة للشؤون السياسية وتشينى بأن تستجيب الولايات المتحدة للطلب . وكانت وزارة الخارجية تعارض فى البداية ، لكنها اقتنعت أخيرا مساء السبت ٢١ يوليو ، وأعطى البيت الأبيض موافقته النهائية .

وأعلن عن قيام الأسطول الأمريكى بتدريبات سريعة مشتركة مع الإمارات العربية المتحدة ، وأرسلت سفينتان من الميناء لتلحقا بالسفن الأربعة الأخرى الموجودة فى الخليج . وكانت هذه التدريبات فى الأساس غطاء لارسال طائرتى الكى سى – ١٣٥ . وفى ٢٤ يوليو أكد بيت ويليامز علنا وجود طائرات الكى سى – ١٣٥ وكذلك التدريبات البحرية ، مصورا ذلك بأنه اشارة تأييد للامارات العربية المتحدة والكويت . وغضبت الامارات العربية المتحدة وأبرقت إلى واشنطون بأنها كانت تريد ابقاء هذه الاجراءات سرا ، دون اعلان رسمى . وواضح أن الدول العربية كانت لا تزال تتحرج من الاقتراب العسكرى الشديد مع الولايات المتحدة .

* * *

وخلال ذلك كان بات لانج يواصل رصده للعراق . كان صدام قد حرك خمس فرق اضافية ، بمعدل فرقة كل يوم تقريبا – أربع فرق مشاة وفرقة عمليات خاصة – إلى مواقع شمال الكويت . وخلال ١١ يوما كانت ثمانى فرق قد حشدت تحركت كل منها ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ ميل . وكانت شاحنات عتاد ثقيلة عملاقة تحمل الدبابات ، لحماية جنازيرها الحساسة إلى حين القتال . وبلغ مجموع قوات صدام حسين على الحدود ١٠٠٠٠٠ رجل . وتحريك مثل هذا العدد الكبير من الرجال والقوات يمكن أن يكون انجازا كبيرا لأى دولة . لأن هذه الوحدات هى وحدات المناورات التي تبقى عادة فى وسط العراق لاستخدامها فى أي حالة

طوارىء عند الحدود . وكان صدام يخاطر بعض الشىء باستخدامها فى هذه المهمة .

* * *

استدعى صدام أبريل جلاسبى سفيرة الولايات المتحدة فى العراق إلى مكتبه يوم ٢٥ يوليو فى غضون ساعة واحدة . ولم يكن لدى جلاسبى - الدبلوماسية المحترفة - فرصة للحصول علي تعليمات جديدة من وزارة الخارجية .

كانت سياسة الولايات الامتحدة تجاه العراق مشوشة ، فقد كان مسئولو ادارة بوش يستخدمون عبارات شديدة في حديثهم عن تهديدات صدام لاسرائيل ، وتحريك صواريخ سكود العراقية إلى أماكن أقرب إلى اسرائيل ، وجهود العراق لأن يستورد بشكل غير مشروع عناصر أسلحة نووية . وفى الوقت نفسه أوقفت الإدارة جهود الكونجرس لتوقيع عقوبات أقتصادية على العراق ، أو لتخفيض المساعدات الغذائية الأمريكية . وكان آخر تعليق لبيكر عن العلاقات العراقية الأمريكية متفائلا ، حيث قال ان هناك "امكانية للتحسين ، ونود أن تشجع هذه الامكانية" .

وكانت جلاسبى (٤٨ سنة) التى شغلت منصب السفيرة منذ عام ١٩٨٨ تشكك فى صدام ، وقد ادعت لزملاء لها أنها تعتزم أن تلزم "الفتوة" مكانه .

سأل صدام فى اشارة واضحة إلى تصريح تشينى بأن الولايات المتحدة ستقف مع أصدقائها فى الخليج - "ماذا يعنى الآن أن تقول امريكا أنها ستحمى أصدقاءها ؟ . ان هذا يعنى بجلاء موقفا عدائيا تجاه العراق . وهذا الموقف

إلى جانب المناورات وتصريحاتكم قد شجعت الامارات العربية المتحدة والكويت ....."* .

"وينبغي للولايات المتحدة أن تتوصل إلى فهم أفضل للوضع ، وأن تحدد بوضوح من هم اعداءها ، والبلدان التي تريد أن ترتبط بها بعلاقات" .

وقالت جلاسبى "لدى تعليمات مباشرة من الرئيس بأن أسعى إلى اقامة أفضل العلاقات مع العراق" .

سألها صدام "ولكن كيف ؟" .

فقالت جلاسبى ان مزيدا من المحادثات والاجتماعات سيكون مفيدا ، وذكرت أنها شاهدت برنامج ديان سوير فى الايه بي سى "وهو برنامج رخيص وغير عادل ، انه صورة لما تصل اليه وسائل الاعلام الأمريكية ، حتى تجاه الساسة الأمريكيين ، وتلك هى الأساليب التي تتبعها وسائل الاعلام الغربية ، وانى لسعيدة لأنكم أضفتم صوتكم إلى أصوات الدبلوماسيين الذين يواجهون وسائل الاعلام بشجاعة . وسيساعدنا ظهوركم فى وسائل الاعلام – ولو خمس دقائق – على تعريف الشعب الأمريكى بموقف العراق ، وسيؤدى هذا إلى تحسن التفاهم المتبادل . ولو أن الرئيس الأمريكي يسيطر على وسائل الاعلام لأصبحت مهمته أسهل".

وقالت جلاسبى خلال اللقاء "ولكن ليس لنا رأى فى المنازعات فيما بين العرب مثل خلافكم مع الكويت" . ومضت تقول ان الولايات المتحدة تصر

---

* أخذت الاقتباسات المباشرة عن ترجمة عراقية للإجتماع نقلا عن التسجيل . وقد قال مسئول أمريكى أن تقرير جلاسبى الرسمى عن الاجتماع إلى وزارة الخارجية يتفق مع الصيغة العراقية ، لكن جلاسبى قالت فيما بعد أن العراقيين لم ينشروا إلا ٨٠ فى المائة من الاجتماع.

على تسوية غير عنيفة ، واضافت "لقد تلقيت تعليمات بأن أسألكم - بروح الصداقة لا المواجهة - عما هي نواياكم" .

وقال صدام انه وافق - خلال تدخل الرئيس المصرى حسنى مبارك - على اجراء محادثات مع الكويتيين .

قالت جلاسبى "هذا خبر طيب .. تهانىء" . وأضافت أنها كانت تعتزم تأخير رحلتها إلى الولايات المتحدة في الأسبوع التالى ، لكنها مع هذا الخبر الطيب ستغادر بغداد يوم الاثنين .

* * *

شعر باول بالارتياح حين رأى البرقية التي أرسلتها جلاسبى إلى واشنطون عن أجتماعها بصدام ، فهى توحى على ما يبدو بأن هناك مجال للتفاوض بين العراق والكويت . ان كل هذه القوات العراقية على الحدود تشير بالتأكيد إلى أن ثمة شيئا غريبا يحدث ، لكن أيامه تبدو حافلة بأناس وتقارير تذكر أحداثا غريبة غير قاطعة . انه عالم يمتلىء من بعض النواحى بصور مشوشة ، ونهجه هو أن يترك للزمن مهمة ايضاحها .

وظل باول هادئا بشأن احتمالات ظهور مشكلات وهو يرقب تدفق المعلومات فهو يعرف ما ينبغي للجيش الميدانى أن يفعل لكى يستعد للقتال ، ولم يكن الجيش العراقى يتصرف وكأنه مقدم على الهجوم حقا ، فقد كانت هناك أربعة أشياء غائبة : (١) لم تكن شبكات الاتصال فى أماكنها - فقد أوضحت الاعتراضات التي أجريت ان مستويات الاتصال أدني مما يكفى لغزو (٢) لم تكن مخزونات المدفعية فى مكانها لعمل هجومى (٣) لم تكن هناك الذخائر الأخرى اللازمة (٤) كان "الذيل" اللوجستكى - أى خطوط الامدادات - غير كاف لتحمل هجمات

قوات مدرعة.

* * *

كان يوم الجمعة ٢٧ يوليو يوما روتينيا تماما بالنسبة لباول - عدة زوار أجانب ، واجتماع لهيئة تخطيط موارد الدفاع ، احدى اللجان السياسية والإشراف الكثيرة فى البنتاجون . كما سيحضر العرض المسائى الأسبوعى لمشاة البحرية وحفلا يقيمه آل جراى فى ثكنات مشاة البحرية ، وهو طقس معتاد مساء كل جمعة فى الصيف .

وكان الأمير بندر السفير السعودى قد طلب أن يمر ليراه فى البنتاجون فى الساعة الرابعة بعد الظهر . وباول وبندر يعرفان بعضهما منذ أكثر من عقد ، وقد لعبا الراكيت معا حين كان بندر رائدا فى القوات الجوية السعودية ملحقا بواشنطون قبل أن يتولى منصب السفير وكان باول فى منصبه الأول فى البنتاجون.

وكان باول يشعر بقدر من الحذر ازاء بندر ، الخبير فى الحلول والعلاقات الخارجة عن القنوات المعتادة ، ويحتفظ بندر فى مكتبه فى مقره الفاخر كسفير بما بين ١٥ و ٢٠ حقيبة أوراق مغلقة ،. تحوى تفصيلات عمليات خفية أو ترتيبات سرية مع أفراد وبلدان . وبصمات بندر واضحة على كل عملية إيران - الكونترا ، فقد كان الوسيط مع إدارة ريجان الذى رتب الخمسة وعشرين مليونا موضوع الجدال من التمويل السعودى للكونترا فى نيكارجوا ، وقد إشترك مع ويليام ج . كاسى مدير وكالة المخابرات المركزية أيام ريجان فى تدبير إغتيال زعيم إرهابى مشتبه فيه فى بيروت بسيارة مفخخة ، لكن العملية أدت بدلا من ذلك إلى مصرع ما يقل عن ٨٠ من المارة لا القائد الارهابى ، كما رتب صفقة شراء العربية السعودية سرا لصواريخ باليستية من الصين قيمتها ثلاثة مليارات دولار .

وقد عمل بندر جاهدا على أن يبقى على اتصال بالرجال الخمسة الرئيسيين فى الإدارة - بوش وبيكر وسكاوكروفت وتشينى وباول . وكان يشعر بأنه ما من مجموعة أكثر سياسية يمكن أن تدير حكومة الولايات المتحدة . والى حد ما وجد أن الرجال الخمسة يمكن أن يتبادلوا الأدوار - فكل منهم نصف رجل دولة ، ونصف محارب ، ونصف سياسى ، ونصف أى شىء آخر . وقد قال ذات مرة انهم حلقة داخلية قادرة على ان تلعب اللعبة السياسية على أرفع مستوى . ومن بين الخمسة كان يعتبر باول أكثرهم حذرا .

وبعد ظهر يوم الجمعة هذا قال بندر لباول أن كل الناس فى العراق وفى الشرق الأوسط يطمئنون الملك فهد إلى أن صدام لن يغزو الكويت ، كما أكد صدام شخصيا للرئيس المصرى حسنى مبارك والملك حسين العاهل الأردنى . وقال بندر بثقة أنه لن يحدث غزو ، وأن صدام يقول ان الأمر لا يعدو تدريبا عسكريا لفرقة المتقدمة . وأضاف أن استدعاء صدام للسفيرة الأمريكية جلاسبى علامة ايجابية . ومن الواضح أن ارسال طائرات الكى سى - ١٣٥ إلى الامارات العربية المتحدة قد لفت انتباه صدام . ورغم أن الموقف السعودى الرسمى - وقال بندر انه تلقى تعليمات بذلك من حكومته - هو أن الإمارات العربية المتحدة أخطأت بطلبها للطائرات ، لكن الحكومة السعودية تعتقد أن الولايات المتحدة - بعد أن طلب منها - قد تصرفت تصرفا صحيحا بالاستجابة . وقال بندر انه شخصيا يشعر أن الامارات العربية المتحدة قد تصرفت التصرف الصحيح .

ووافق باول على أن صدام حسين ينذر بالحرب ، فالمعلومات التى لديه تؤكد ذلك .

وقال بندر ان الأزمة بلغت ذروتها ، وستحل سلميا ، على الأقل فى الوقت الحالى ، هذا الأسبوع ، أو هذا العام ، لكنه يتوقع متاعب لاحقة من جانب صدام

كان بندر والسعوديون يشعرون بالاحتقار الشديد للكويت ، ويعتبرون الأسرة الحاكمة الكويتية فئة من المرتزقة بلا هوية وطنية ، فأرضهم مشروع تجارى أكثر منها دولة . وحين يكون بندر فى الخارج مع أصدقاء له ويريد أن يذهب إلى دورة المياه كان يقول : أريد أن أذهب إلى الكويت" .

ونتيجة للثقة فى أنه لن تكون هناك حرب كان بندر يعتزم السفر إلى أوربا فى الأسبوع التالى ومعه أسرته فى رحلة صيفية حول العالم ، يتوقف خلالها فى سنغافورة والصين ومالى وهاواى .

وقال باول انه بدوره يتوقع أن يكون شهر أغسطس شهرا هادئا ، وأنه يعتزم أن يأخذ عطلة قصيرة .

قال بندر "حسنا يا كولين ، تبدو الأمور طيبة . وبالطبع فانه إذا قام بالتصعيد فقد يكون عليكم مساعدتنا" . لقد أنفق السعوديون عشرات المليارات لشراء الأسلحة الأمريكية والمطارات الاضافية والاستحكامات العسكرية الضخمة . وكان الإتفاق الضمنى طيلة سنوات هو أن الولايات المتحدة هى الحامية .

قال باول "فلنضرع لله ألا يصعدها" .

"حسنا ... وماذا ستفعلون أن هو فعل ؟" .

ونحى باول السؤال جانبا ، وقد بدا الحرص فى عينيه

ألح بندر .. ماذا ستكون توصيتك ؟

قال باول "لا أعرف ، فهذا أمر متروك للرئيس" .

وسأل بندر مرة ثالثة ، متحسسا ومختبرا . كيف ترى الأمر كمستشار سابق للأمن القومى ، وكرئيس لهيئة الأركان ؟ هلم يا كولين .. قل لى .

قال باول "إذا افترضنا أننى سئلت هل ينبغى أن نمضى فسأقول لا ، ولكن اذا طلب منى فسأمضى ، وانما سأمضى لانتصر ، فأنا لا أحب أن أمضى لأخسـر

وقال بندر انه يأمل ألا تصل الأمور إلى هذا الحد .

"وأنا أيضا أمل ذلك" .

* * *

لما كان بوب جيتز نائب مستشار الأمن القومى بعيدا عن واشنطون فان لجنة النواب لم تعقد اجتماع بشأن الوضع بين الكويت والعراق . وقد دعا روبرت كيميت وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية إلى اجتماع للجنة النواب فى هذا اليوم - الجمعة ٢٧ يوليو - فى وزارة الخارجية .

واتسم الاجتماع بشعور عام بالتفاؤل ، فقد كان تفسير بندر الايجابى للمحادثة بين صدام وجلاسبى قد تداول . وأرسل الرئيس مبارك رسالة شخصية إلى الرئيس بوش ، مرددا نبوءته بأنه لا يتوقع مشكلات وشيكة ، ومحذرا الولايات المتحدة بأن تكف عن قول أو فعل شىء لمحاولة التأثر على الوضع . وقال مبارك دعوا العرب يحلون المسألة . وكان لهذه الرسالة وزن كبير فى البيت الأبيض ، حيث فسرها سكاوكروفت بأنها تعنى .. حسنا ، استريحوا .

ووضع مشروع رسالة مباشرة من بيكر إلى صدام ووزع .. كانت لهجتها محكومة ، تؤكد لصدام حسين أن الولايات المتحدة تسعي إلى التقارب مع العراق وتحاول أن تجد طريقا للعمل معه ، وأن على العراق أن يتعامل بالمثل .

واعترض بول ولفوويتز - باسم وزارة الدفاع - على الرسالة ، ودعا إلى كتابة رسالة أقوى . وقال انه إذا لم يكن من الممكن ارسال رسالة أشد فمن

الأفضل ألا ترسل رسالة . لكن الشعور العام كان هو أن صدام لن يغضب زميله العربى مبارك .

وقال ريتشارد كير نائب مدير وكالة المخابرات المركزية ان مستوى الحشد يجعل من الصعب استبعاد امكانية العمل العسكرى . لكن خبراءه لاحظوا الحجة القوية المضادة : ان عدو العراق الحقيقى موجود إلى غربها - انه اسرائيل . وأنه لم يسبق لدولة عربية أن هاجمت دولة عربية أخرى .

وأرسلت رسالة بيكر ذات اللهجة المحكومة .

وفيما بعد فى البنتاجون كان ولفوويتز يحاول أن يتصور كيف يمكن التأثير على الوضع تأثيرا غير مباشر ، فاقترح تحريك ما يسمى بسفن مشاة البحرية المستعدة ، والموجودة فى جزيرة رييجو جارسيا بالمحيط الهندى ، وهي أقرب قاعدة امدادات إلى الخليج الفارسى ، لكنها على أى حال تبعد ٣٠٠٠ ميل . وتحمل هذه السفن ذخائر ومؤن تكفى ٣٠ يوما لوحدة مشاة بحرية يزيد عدد أفرادها عن ١٦٠٠٠ رجل .

وعارض باول مثل هذا الاستعراض للقوة ..... لماذا ؟ وماذا سيحققه ذلك ؟ وما هى الرسالة ؟

ان رئيس الأركان يعارض عادة استخدام القوة كاشارة . ولا يريد لفكرة براقة من جانب المدنيين أن تورطهم دون هدف واضح يظهر في الأفق . كما أن باول لم يكن يريد أن يبدأ بهدف غامض ثم يقال للجيش فى منتصف المهمة ماذا تريد الادارة حقا أن تحققه ، وتحريك السفن سيكون مؤشرا لتورط القوات البرية ، ولا أحد يتحدث عن ذلك ، وارسال طائرات كى سى - ١٣٥ إلى الإمارات العربية المتحدة لم يحقق الكثير ، بل انه حين يسترجعه الآن يعتقد أنه كان خطأ ، فقد أدى الاعلان عنه إلى افزاع الامارات العربية المتحدة لا العراق . كما أن نشر

السفن سيتسرب إلى وسائل الاعلام ، وعندئذ سيكون على الادارة أن تقدم تفسيرا .

ورأي ولفوويتز أن هذا الموقف يقلل من شأن التأثير الذى قد يكون لهذا الاستعراض للقوة على اللحظة الدبلوماسية ، فثمة فوائد للغموض.

وقال باول ان الكويت لم تطلب أى مساعدة ، وأن سفن مشاة البحرية ليست حلا مقبولا ، فأين سيهبط مشاة البحرية ؟

وسلم ولفووتيز بذلك ، فقد كان السفير الكويتى قد جاء للقائه فى البنتاجون فى أوائل الأسبوع وحدثه عن مدى قلقه ، وأتاح ولفوويتز للسفير كل الفرص لطلب المساعدة ، لكنه لم يفعل .

وشعر باول بأن من الصعب أن تساعد أحدا لا يريد المساعدة ، ولم تقم الكويت بتحريك أحد من جيشها البالغ ٢٠٠٠٠ رجل لمقابلة العراقيين عند الحدود

ولم نرسل سفن مشاة البحرية .

* * *

فى يوم الاثنين ٣٠ يوليو جلس بات لانج يكتب رسالة سرية للغاية ترسل بالبريد الاليكترونى إلى الليفنانت جنرال هارى يا . سويستر مدير وكالة مخابرات الدفاع وغيره من رؤساء الأقسام فى الوكالة . ويوفر نظام البريد الاليكترونى الداخلى المأمون وسيلة سريعة ، تكاد تكون فورية ، للاتصال بالمدير عن طريق الحاسب الاليكترونى . ثم يقرر سويستر بعد ذلك ما إذا كانت ستتداول على نطاق أوسع .

وبدأ لانج يكتب على حاسبه الاليكترونى الزينيث ٣٨٦ "أخذت أتأمل نمط

التعزيز على طول الحدود الكويتية ، وهناك تحركات للمدفعية وتحركات لوجيستيكية ، كما تتحرك الطائرات . وليس هناك على الاطلاق سبب يدعو صدام حسين لأن يفعل ذلك ، فليس لهذا الأمر من معنى إذا كان هدفه هو تخويف الكويت . لقد وفر القدرة على إجتياح كل الكويت وكل الجزء الشرقى من العربية السعودية . ولو أنه هاجم فلن تكون لدينا – بحكم توزيع قواته فترة تحذير .

"ولا أعتقد أنه يقوم بخدعة ، وقد تابعت نمط شخصيتة ، وهو ليس من النوع الذى يخادع ، ولا يتمشى هذا مع سلوكه فى الماضى .

"وأخشى أن تكون الكويت متصلبة فى الرد على مطالبه ، وألا تحقق له مطالبه الدنيا .

"وباختصار فان صدام حسين قد حرك قوة لا تتناسب مع المهمة المطروحة إذا كانت المسألة خدعة . ومن ثم فليس هناك سوى تفسير واحد .. انه يعتزم استخدامها" .

ولم يكن التفسير القائل ان صدام يحاول التخويف ليتمشى فى نظر لانج مع المنطق البسيط ، فالكويت لا تمتلك قدرة المخابرات والأقمار الصناعية التى تمكنها من رؤية القوات الكبيرة على حدودها . والولايات المتحدة هى وحدها التى يمكن أن تعرف ذلك بشكل مؤكد . ولا يستطيع صدام حسين أن يعرف ما اذا كانت ستنقل هذه المعلومات . ومن ثم فإذا كانت القوات البالغة مائة ألف رجل قد حشدت لمجرد استعراض القوة فإنها لن تمارس تأثيرا على الجمهور الذى وجهت اليه – الكويت .

وأخيرا ضغط لانج المفتاح الذى يبعث الرسالة .

ان لانج يرى أن عددا كبيرا من الناس يشاركون فى إعداد أوراق

المخابرات ، التى تمر بأيدى ولجان أكثر مما يجب ، وتميل هذه الأوراق إلى تسوية كل الخلافات لتصل فى النهاية إلى وثيقة لا تقول شيئا ، والقاعدة العامة فى المخابرات هى ألا تخطىء أبدا ، وليس أي محلل ملزما بأن يكون على صواب ، لكنها لعنة كبيرة أن يخطىء ، ولهذا فإن الأوراق الرسمية والتقديرات الوطنية تتخذ احتياطاتها .

وأراد لانج لتحليله الجديد أن يكون بمثابة صيحة تحذير ، فهو يرى أن الحقيقة المفزعة هى أنه حين يكون فى أذهان واضعى السياسة فكرة أو تفسير ما فان تقديرات المخابرات ، وحتى صيحات التحذير ، لن تحركهم أو تغيرهم ، فعقد الذهن على عدم التصديق قد يكون قوة كبيرة . وهو على أى حال لا يستطيع أن يثبت أن هذه القوة ستستخدم .

وكان لديه دافع آخر ، فقد قضى فى وقت سابق من هذا الشهر يومين فى حلقة دراسية لمؤسسة راند بحث فيها المشاركون التهديد العراقى للكويت ، ورأوا أن الوسيلة الوحيدة الفعالة لمعالجة مثل هذا الوضع هى أن يحذر الرئيس الأمريكى صدام من أنه لو اجتاز الحدود فستنقض عليه الولايات المتحدة . لكن لانج لم يدرج هذا الاقتراح فى رسالته ، فهو ضابط مخابرات ، وليست مهمتة أن يقدم توصيات لواضعى السياسة.

وقال سويستر للانج انه لا يصدق تقديره ، إذ لم ير مدير وكالة مخابرات الدفاع أن من المتصور أن يقوم صدام حسين بمثل هذا العمل الذى مضى أوانه كاحتلال الأرض بالطريقة العتيقة ، فلم تعد البلدان تفعل شيئا من هذا القبيل . لكن سويستر كان يعرف أنه لا يمكن تجاهل رسالة لانج فأمر بارسال نسخ منها إلى تشينى وباول ، وأرفق بها هامشا يقول انه يريدهما أن يريا استنتاجات لانج .

واعتبر باول تفسير لانج مجرد تقدير شخصى ، فهو لا يستند إلى أى

معلومات قوية جديدة . وما زالت مستويات اتصالات العراق وذخائرها غير كافية ، ولا توجد هناك قوة جوية عراقية لدعم هجوم برى .

وقال كير نائب مدير وكالة المخابرات المركزية بدوره لباول ان من الممكن أن يُشن هجوم ، لكن الوكالة لم تضع هذا التقدير بعد فى تقرير مخابرات مكتوب . وأوحى هذا لباول بأن المسألة مجرد تخمين ذكى ، فهنا أيضا كان واضحا أنه استنتاج شخصى ، ولم ير باول أى وقائع ثابتة تسانده .

وبعد أن بعث لانج رسالة أرسل ليطلع السفير الكويتى على الحشد العراقى ، فوصف له الوضع بتفصيل شديد ثم سأله "حسنا ، هل ستفعلون شيئا ؟"

فأجابه السفير "وماذا نستطيع أن نفعل ؟" .

* * *

فى مؤتمره الصحفى الدوري ظهر يوم الثلاثاء ٣١ يوليو سئل بيت ويليامز عن تحقيق نشر فى الصفحة ١٦ من "واشنطون بوست" فى ذلك اليوم "هل نقل العراق مائة ألف جندى إلى حدود الكويت ؟".

قال ويليامز "ان هذا يدخل فى معلومات المخابرات التى لا نستطيع أن نناقشها هنا" .

وألح الصحفى "انك لم ترفض فى الماضى تقديم مثل هذه المعلومات ، وانما رفضت أن تذكر كيف حصلت عليها . أفلا تستطيع أن تؤكد أن القوات هناك ؟ " .

رد ويليامز ، متابعا فى ذلك خط الادارة بالتقليل من شأن القضية "لقد رأيت تقارير عن وجود القوات هناك . لكننا لم نناقش أبدا الأعداد أو نعطى مزيدا من

التعليقات ، وأعتقد أن لوزارة الخارجية لغة اعتادت أن تستخدمها وهى أننا نشعر بالقلق الواضح من أى حشد للقوات فى المنطقة ، وأن تستعرض - كما استعرضنا هنا - مصالحنا فى الخليج ، لكننا لم نتناول أبدا أعدادا كهذه أو نقدم هذا النوع من المعلومات" .

* * *

حين وصل لانج إلى مكتبه نحو الساعة السادسة صباح الأربعاء أول أغسطس كان بعض أفراد مكتبه في انتظاره حيث أطلعوه إلى آخر صور وصلت وكالة مخابرات الدفاع للحدود العراقية الكويتية .

لقد تخلت الفرق المدرعة الثلاث عن وضع الالتفاف ، وتحركت إلى الأمام ثلاثة أميال داخل الحدود الكويتية ، كانت عملية باهرة ، ومناورة عسكرية رائعة ، واتخذت فرقة "حمورابى" وفرقة "تؤمن بالله" مواقعها قرب الطريق الرئيسى ذى الأربع مسارات الذى يقود إلى قلب الكويت.

كانت مئات الدبابات مصطفة - وكلها موجهة نحو الكويت وبين كل دبابة وأخرى من ٥٠ إلى ٧٥ ياردة . انه خط موت حقيقي ، يمتد أميالا . وتحركت المدفعية خلف الدبابات .

أما فرقة "المدينة المنورة" فقد تحركت نحو الجانب الغربى من الكويت . وكانت دباباتها بدورها مصطفة ، تمتد عدة أميال .

واتخذت دبابات القيادة وضع المعركة التقليدى ، فى مؤخرة الخط فى منتصف كل فرقة .

وأدرك لانج أنه أخطأ حين قال انه ليس هناك انذار سابق ، فها هو الانذار ، ان صدام واضح تماما . وحين طافت عينا لانج بالصور تبين أن الوحدات

المدرعة ، لا يمكن أن تكون أكثر جلاء فى الإعلان عن نيتها ، كان الأمر أشبه ببندقية شحنت ووجهت ووضع الأصبع على الزناد . كان الأمر يمضى أمام عينيه وكأنه بالتصوير البطىء .

وأوضحت الصور كذلك أن العراقيين نقلوا نحو ٨٠ طائرة هليكوبتر إلى قرب الحدود فى وضع الهجوم الجوى - البرى التقليدي .

ووضع لانج رسالة تحذير عاجلة سرية للغاية يصف منها الوضع ، ويتنبأ بهجوم فى تلك الليلة أو فى الصباح التالى ، وأرسلت نشرة سرية للغاية إلى كبار المسئولين فى البنتاجون ، ودار الهمس فى المبنى بين كل من أبلغوا .. ستكون الليلة طويلة للعاملين فى شؤون الشرق الأوسط .

وقرأ باول فى ذلك الصباح تقريرا لوكالة المخابرات المركزية يقول ان كل المؤشرات تبين ان صدام مقدم على الغزو ، ويعرف باول أن مثل هذا التحديد للنوايا مسألة خطيرة ، فوكالة المخابرات المركزية تحاول تجنب الإكثار من التحذيرات . وها هى تحذيرات وكالة مخابرات الدفاع على مكتبه ، فلم يحرك صدام دباباته فى طابور فى ليلة واحدة فحسب بل ان الاتصالات والمدفعية والذخيرة واللوجستيك والقوة الجوية كلها فى أماكنها ، لقد بلغ الوضع عسكريا مفترق الطرق . إلا أن باول يدرك أن الطريقة الوحيدة للتحقيق من النوايا - فى نظام شمولى - هى معرفة ما يدور فى رأس الزعيم . وليس لدى وكالة المخابرات المركزية ولا وكالة مخابرات الدفاع مصادر انسانية جيدة في الحكومة العراقية ، انه لا يرجم بالغيب ، لكن جيشا ميدانيا ذا قدرة كبيرة قد برز أمام أعينهم ... الكويت .. يالله .. لقد كان بوسع العراق أن يرسل قوة الشرطة المحلية للإستيلاء عليها .

وبعد فترة فى الصباح نفسه حضر باول اجتماعا مع تشينى عن القيادة

والتحكم فى مجال الأسلحة النووية . وكانت من المواضيع التى نوقشت اجراءات خالية من الخطأ على النطاق العالمى لدى الجيش الأمريكى للتحقق من عدم انطلاق الأسلحة النووية دون تصريح . وبعد ذلك توجه باول لتناول الغداء ضيفا على رئيس توجو – البلد الصغير فى غرب افريقيا – الذى كان يزور الولايات المتحدة .

وقدم شوارزكوف عرضا للوضع لرؤساء الأركان وتشينى فى (التانك) بعد الظهر . وعند عرضه لوضع المائة ألف جندى عراقى قال انهم يتخذون مواقع تتيح لصدام حسين كثيرا من الخيارات – وليس مجرد الهجوم . ولم يتنبأ بغزو أو بعبور الحدود .

ووافق تشينى على أن كل ما على صدام حسين أن يفعله للإعداد للغزو هو بالدقة ما عليه أن يفعله لو كان كل ما فى نيته هو افزاع الكويتيين . فليس هناك وسيلة للتمييز بين الحالتين ، إذ لن تكون الخدعة قابلة للتصديق إلا إذا قام صدام حسين بكل ما قام به : فك التفاف الدبابات ، وتحريكها فى طابور ، ونقل كل الإتصالات والذخائر للوجستيك ، فقد يشك صدام حسين فى أن الولايات المتحدة ستنقل معلومات مخابراتها إلى الكويت ، كما أن رقم المائة ألف جندى قد ذكر فى "واشنطون بوست" بالأمس .

وقال شوارزكوف انه لا يستطيع أن يقوم بالكثير ، فليس فى المنطقة سوى عشرة الاف جندى أمريكى ، كلهم تقريبا من القوات البحرية ، وليست لدى القيادة المركزية قوات برية قريبة .

وأشار شوارزكوف باختصار إلى خطة عمليات القيادة المركزية ٩٠ – ١٠٠٢ ، وهى خطة طوارىء بالغة السرية لنقل ١٠٠٠٠٠ من القوات البرية إلى المنطقة فى ثلاثة أو أربعة أشهر . وترجع الخطة "عشرة صفر اثنين" – كما كانت

تسمى – إلى أوائل الثلاثينات ، حين وضعت هيئة الأركان المشتركة مشروع خطة نموذجية لمحاربة الاتحاد السوفيتي أو ايران ، وتشمل خطة تفصيلية للنقل واللوچستيك . وطبقا للخطة ترسل المقاتلات اف – ١٥ التاكتيكية إلى المنطقة فى اليوم الأول – وبحلول اليوم السابع تكون أكثر القوات البرية استعدادا – أى ما يسمى لواء الاستعداد الذى يضم نحو ٢٣٠٠ جندى من الفيلق ٨٢ المحمول جوا – قد وصلت إلى المنطقة . وفى اليوم السابع عشر يصل مشاة البحرية من الولايات المتحدة ، وتلحق بهم الذخائر والامدادات والمعدات التى ترسل على سفن مشاة البحرية المستعدة من رييجو جارسيا ، ولا تبدأ الدبابات الثقلية فى الوصول إلا فى اليوم السابع والعشرين .

وكانت هناك عقبة كبيرة ، هى أن هذا كله يفترض تحذيرا مبكرا يبلغ ٣٠ يوما للإستعداد قبل البدء الفعلى لعملية الانتشار .

ورأى باول أن تقدير القائد الميدانى متعقل . إلا أنه كان هناك كذلك جو من عدم التصديق يسود (التانك) . فمن الصعب تصور أن صدام حسين سيحتاج أو أو سيستخدم مائة ألف جندى لغزو الكويت ، التى يستطيع الاستيلاء عليها بقوات أقل كثيرا ، وأنه يعبىء الكثير جدا من أجل شىء قليل . ومامن أحد – وباول أيضا بالتأكيد – يستطيع أن يقول عن ثقة ماذا يعتزم صدام أن يفعل . وفى غيبة أى مؤشرات بدا أنه ليس هناك رد عاجل يستطيع الجيش الأمريكى أن يقوم به .

لكن باول نفسه لم يعد يؤمن الآن بأن صدام حسين يخادع ، فاقترح أن يحزر تشينى البيت الأبيض ، فتلك هى اللحظة لتعبئة الرئيس ، وربما دفعه إلى إصدار انذار رئاسى لصدام من خلال القنوات الدبلوماسية السرية . وقال باول لتشينى علينا أن نفعل شيئا .

وضغطا على البيت الأبيض . وفى حدود ما يعرف باول فأما أن البيت

الأبيض كانت لديه فكرة أخرى عن كيفية معالجة المشكلة ، أو أن الاقتراح قد سقط بين الشقوق .

* * *

كان الجنرال توم كيلى لا يزال يعتقد أن الغزو غير محتمل ، رغم المخابرات ولم تكن الخطة ١٠٠٢ - ٩٠ جاهزة ، إذ لم يقم باستيفائها سوى ضباط صغار فى هيئة الأركان ، ولم تحظ بما لقيته خطة بنما "الملعقة الزرقاء" من اهتمام وتحليل رفيعى المستوى . وكان كيلى ينفق نحو ٦٠ فى المائة من وقته فى حرب المخدرات ، وفى كل يوم كانت هناك أوامر انتشار صغيرة - ارسال رجلين أو ثلاثة إلى بلد ما كحلقة اتصال أو تدريب أو للقيام بنشاط سلبى أساسا لمساعدة الدول الأخرى على مكافحة تهريب المخدرات . ولم يكن قلب كيلى - الذى سيتقاعد فى العام التالى - شغوفا بالتفاصيل الصغيرة لحرب المخدرات التى ليست عمله .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر توجه باول إلى حفل وداع وتكريم أقامة تشيني بمناسبة ثقل مساعده العسكرى الرير أميرال ميل أوينز الذى سيتركهم فى نهاية الأسبوع . كان أوينز يتخطى رتبة الجنرال ذى النجمتين ويحصل على ثلاثة نجوم ليتولى قيادة الأسطول السادس الشهير فى البحر المتوسط .

وعاد شوارزكوف إلى فلوريدا .

ولم يكن تشينى منزعجا ، إذ لم يأخذ تحذيرات وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع كحقيقة مطلقة ، فيبدو أن هناك سيلا مستمرا من هذه التحذيرات ، ففى كل أسبوع تقريبا تصل مكتبه رسالة تحذير من انقلاب فى الفلبين . وكل الناس في الشرق الأوسط - مبارك في مصر وفهد فى العربية السعودية وحسين ملك الأردن - يقولون أن صدام لن يقوم على الغزو ، وأن الأمر كله خدعة ، وحركة للحصول على مكاسب .

كما اثارت ضيقه استجابة الامارات العربية المتحدة للمساعدة التى قدمها البنتاجون . ان أصدقاء أمريكا فى المنطقة مثل الامارات العربية المتحدة يريدون الحسنيين – احمونا ولكن لا تدعوا أحدا يعرف ، ويبدو موقفهم وكأنهم يقولون .. فلتبقوا فى الحيرة ولكن أبقوا السفن والطائرات التى تحمينا خلف الأفق.

* * *

فى الساعة التاسعة مساء تلقي تشينى فى منزله مكالمة من الرير أدميرال أوينز . لقد عبرت القوات العراقية حدود الكويت على كلا خطى الدبابات ، ومئات الدبابات المقاتلة الرئيسية تندفع من الجنوب والشرق نحو مدينة الكويت .

ولم يصب تشيني بصدمة كاملة ، وطلب من أوينز أن يبقيه على علم .

وتلقى باول بدوره مكالمة فى بيته ، وقرر رئيس الأركان أن يبقى في منزله ، ويبلغ باخر المعلومات ، أما الأدميرال دافيد ارميا فقد ذهب إلى البنتاجون لقضاء الليلة . وتم الاتصال بالجنرال كيلى فى الساعة التاسعة وعشر دقائق مساء وبعد عشرين دقيقة كان في غرفة الأزمات يشرف على فريق من خبراء العمليات ومحللى المخابرات . وجلس فى منتصف المائدة الكبيرة في مقدمة الغرفة وأمامه ثلاث شاشات عرض كبيرة . احداها لوحة عداد زمنى يدور ليعرض الأحداث الرئيسية والاتصالات والمخابرات . والشاشة الأخرى مرتبطة بشبكة السى إن إن التى تعطى الأخبار لمدة ٢٤ ساعة لأن كيلى يريد أن يعرف ما يعرض علنا ، فهو يعرف أنه إذا لم يكن صحيحا فيريد باول اتخاذ خطوات لتصحيح الانطباع .

وأبقى كيلى خطا مأمونا مع شوارزكوف فى مقر القيادة المركزية في فلوريدا . ووصلت الدبابات العراقية إلى مدينة الكويت فى نحو ثلاث ساعات ونصف ساعة . وكانت وكالة مخابرات الدفاع قد أرسلت ضابطا برتبة ميجور ، متخصصا فى المخابرات ، إلى السفارة الأمريكية فى الكويت قبل عدة أيام ،

تمكن من ارسال أنباء بالإشارات وعن طريق رسل عن نهب المدينة . وشعر كيلى بالقلق على السفارة الأمريكية فى الكويت إذ كان القتال يدور حولها من كل ناحية. كان الجيش الكويتى الصغير يقاتل لكن العراقيين كانوا يفوقونه عددا إلى حد يثير اليأس .

وكان سكاوكروفت قد عاد بالفعل إلى منزله فى ضاحية ماريلاند حين تلقى مكالمة وشعر بالدهشة لأنه كان متأكدا من أن المسألة كلها جعجعة . كان صدام يتحدث بلهجة حادة منذ أشهر ، لكن الحديث كله كان عن النفط وأسعار النفط ، وعن بعض المنازعات الأقليمية القليلة ، وليس عن سيادة الكويت . ولم يكن فى آخر عبارات صدام الطنانة أو أهدافه المعلنة ما يوحى بأن العراق يعامل حكومة الكويت باعتبارها حكومة غير شرعية وتلك هى العبارات التى يمكن أن يتوقع استخدام صدام لها قبل القيام بمثل هذا العمل الدرامى ، وشعر سكاوكروفت بأن هناك بعض المثالب الواضحة فى غزو صدام لجارته ، وبأن رد الفعل العالمى سيكون قويا .

وعاد سكاوكروفت إلى البيت الأبيض ، وأبلغ بوش . وقال الرئيس انه يريد القيام بعمل ما على الفور ، ولما كان بوب جيتز في عطلة فقد دعا سكاوكروفت إلى اجتماع طارىء للجنة النواب عن طريق وصلة ڤيديو مأمونه ، ورأسها بنفسه من غرفةالعمليات.

ووضع مشروع بيان عام أعطاه سكاوكروفت لبوش لإقراره وفى الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة مساء صدر بيان يدين الغزو بشدة ويطالب "بالإنسحاب العاجل وغير المشروط لكل القوات العراقية" .

وأخذ سكاوكروفت ديويدن جراي المستشار القانونى ومسئولو الخزانة يعملون على وضع خطة لتجميد الأصول العراقية في الولايات المتحدة ، ومنع أى

تعامل مع المعتدى . ولما كان واضحا أن الكويت قد اجتيحت فقد وضع مشروع خطة ثانية لتجميد الأصول الكويتية حتي لا يستطيع صدام الحصول علي أى جزء من استثمارات الكويتيين فى الخارج والتى تقدر بمائة مليار دولار ، وأختزلت كلتا الخطتين إلى أوامر تنفيذية طارئة ليوقعها بوش .

ودعا سكاوكروفت لجنة النواب إلى المزيد من الاجراءات التي تبين أن الولايات المتحدة تأخذ الغزو العراقي على محمل الجد .

وسئل سكاوكروفت - ماذا عن القوات البرية ؟ فسيكون هذا هو أكبر ايضاح للجوية .

أجاب سكاوكروفت - كلا. إنه يريد شيئا (أ) يمكن أن ينقل بسرعة كبيرة جدا (ب) ولا يكون وجودا مباشرا منظورا . واقترح عرض سرب من مقاتلات القوات الجوية من طراز اف ١٥ - نحو ٢٤ طائرة - على العربية السعودية إذا قبلت المملكة ذلك .

ووافق الآخرون - كيميت من وزارة الخارجية وولفوويتز وارميا من البنتاجون وكير من وكالة المخابرات المركزية .

كما دعا سكاوكروفت إلى انعقاد مجلس الأمن القومى فى ساعة مبكرة من الصباح . وأبلغ البنتاجون أن الجنرال شوارزكوف في المدينة وقد يكون حضوره الاجتماع مفيدا كمصدر جيد لأنه يعرف وضع كل القوات فى الشرق الأوسط .

إلا أن شوارزكوف كان قد عاد إلى مقر قيادته فلي فلوريدا . ونحو الساعة الثانية والنصف صباحا اتصل باول بكيلى فى غرفة الأزمات وقال له اتصل بشوارزكوف وقل له أنى اريده في مكتبي في الساعة السابعة صباحا لأن هناك اجتماعا لمجلس الأمن القومى في البيت الأبيض فى الساعة الثامنة صباحا وأريده

أن يحضره .

رفع كيلى سماعة الخط المأمون بينه وبين شوارزكوف.

وقال كيلى "سيدى" أنا توم كيلى . لقد اتصل رئيس الأركان لتوه وقال انه يريدك في مكتبه فى الساعة السابعة صباحا .

فترة صمت طويلة .

"نعم .. هذا الصباح" .

فترة صمت طويلة .

"نعم .. خلال أربع ساعات ونصف ساعة" .

* * *

نحو الساعة الرابعة صباحا توجه سكاوكروفت للنوم فى مكتبه ، واستيقظ بعد نحو ٤٥ دقيقة ، وفى الساعة الخامسة صباحا كان أمام باب غرفة نوم بوش فى جناحه حتى يمكن توقيع الأوامر التنفيذية بتجميد الأصول العراقية .

ووصل باول إلى البنتاجون فى الساعة السادسة صباحا . ونحو الساعة السادسة وخمسين دقيقة ظهر شوارزكوف بدوره . وعقد الاثنان اجتماعا مغلقا حتى الساعة السابعة والنصف حيث توجها إلى البيت الأبيض .

واجتمع مجلس الأمن القومى بأكمله فى الساعة الثامنة في غرفة الاجتماعات ، وحضر إلى جانب باول وشوارزكوف تشيني وولفوويتز . وحضر كيميت بدلا من بيكر الذى كان في اجتماع فى سيبريا من نظيره ادوارد شيفرنادزه وزير الخارجية السوفيتية.

وقبل أن يبدأ الاجتماع طلب من شوارزكوف أن يبعد خرائطة وشرائحة

السرية للغاية ، فقد كان بوش سيجيب علي عدة أسئلة للمجموعة الصحفية حتى يمكن أن يظهر في التليفزيون وهو يعلن قلقه بسبب الغزو .

قال بوش للصحفيين "اننا لا نناقش تدخلا" .

سأله أحد الصحفيين "ألا تفكروا فى أى تدخل أو ارسال للقوات ؟" .

فأجاب بوش "لا أفكر فى مثل هذا العمل" .

ورأى سكاوكروفت أن بوش لم يكن يعنى ما تقوله هذه العبارة ، فقد كان يتحدث بطريقة ارتجالية . وواضح أن الوقت كان لا يزال مبكرا للغاية لاستبعاد أى شيء . وسيكون من الضرورى تصحيح التصريح فيما بعد .

وقال بوش انه ليس هناك شاهد على أن بلد آخر فى الشرق الأوسط يتعرض للتهديد ، لكنه أضاف أنه يريد "رد الغزو وخروجهم من الكويت" .

وأضاف بوش "أنا واثق أنه سيكون هناك نشاط دبلوماسى محموم ، وأعتزم أن أشارك في جانب منه بنفسى" .

ولاحظ باول مرة أخرى التباين الشديد بين بوش وريجان ، لقد اتفق بوش ثمانى سنوات يرقب ريجان وهو يعمل ويفوض سلطاته . وعلى عكس ريجان فإن بوش يريد التفاصيل ، كل التفاصيل . انه يريد أن يكون هو اللاعب ، أن يكون هو الذى يجرى أكبر عدد ممكن من المكالمات وقال باول لنفسه أن المسألة ليست أن أحد الأسلوبين جيد والآخر سيء ، وإنما هما فحسب أسلوبين مختلفين . وفى لحظة ما كان على باول أن يزكر نفسه بأن الشعب أنتخب بوش لا مستشارية . ومحصلة هذا هى أن دور باول المستشار العسكرى الرئيسى في ظل بوش كان أقل من دور باول مستشار الأمن القومى في ظل ريجان .

وحين خرج الصحفيون بدأ سكاوكروفت يضع جدول أعمال ، محاولا فى

لباقة توجيه العمل ، لكن الرئيس تولى على الفور زمام الإجتماع .

وافتتح وبستر مدير وكالة المخابرات المركزية الحديث بتقديم عرض لمعلومات المخابرات ، لقد اجتاحت الكويت قوات تزيد عن ١٠٠٠٠٠ ، وهو عدد يزيد كثيرا عما يحتاجه الغزو . وقد أعيد امداد القوات العراقية وتنظيمها ، وفى بعض الحالات على بعد عشرة أميال فحسب من الحدود السعودية ، وهي تستطيع بسهولة أن تواصل زحفها ، وتقتحم الدفاعات السعودية الضعيفة ، فالجيش السعودى يقل عن ٧٠٠٠٠ رجل . ولا تقف بين الوحدات العراقية وحقول النفط السعودية الواسعة إلا وحدة صغيرة واحدة . وقال ان الوضع خطير لكنه ليس رهيبا .

وتكلم كيميت بعده فلخص الجانب الدبلوماسى ، لقد اجتمع مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة طيلة الجانب الأكبر من الليل وأدان الغزو ، ودعيت الجامعة العربية للإجتماع ، لكن أحدا لم يشارك الولايات المتحدة بعد فى تجميد الأصول العراقية والكويتية .

وقال الرئيس ان عليهم أن يفكروا في عقوبات اقتصادية اضافية ، لقد تصرف سريعا لتجميد الأصول ، وقال برنة فخر أنه لا يعتقد أن صدام أو غيره – ممن تعودوا على بطء حركة البيروقراطية الأمريكية – كان يتوقع مثل هذا الإجراء السريع .

وأراد بوش – الذى كان مندوبا سابقا في منظمة الأمم المتحدة – أن يتأكد من أن هذه المنظمة تتحرك نحو اتخاذ تدابير اضافية . وقال توماس بيكرينج المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة – وكان قد وصل من نيويورك فى طائرة الساعة السادسة والنصف صباحا – بأنها ستفعل . وكان الرئيس وسكاوكروفت قد تحدثا مع چيمس بيكر الذى يعمل مع السوفييت .

وسأل بوش - الذي كان سفيرا سابقا فى الصين - عما إذا كانت الحكومة الصينية ستؤيد وأوضح أنه يريد بعض العون منها لأنه خفف انتقاداته لمذبحة الطلاب في ميدان تيانانمين فى العام الماضى .

وسيعمل سكاو كروفت ووزارة الخارجية في هذا الموضوع .

وقال بوش انه يريد أن تكون الجهود الدبلوماسية مكثفة ، وآمر بألا يدخر جهد لزيادة الضغط ، والمساعدة على تعبئة الرأى العام العالمى ضد العراق .

وبعد ذلك أوضح نيكولاس برادى وزير الخزانة أن العراق سيحصل على أرباح تغطية محتملة تبلغ ٢٠ مليون دولار يوميا من الانتاج الكويتى . وإجمالا فإن العراق يسيطر الآن على ٢٠ فى المائة من احتياطات النفط العالمية المعروفة . ولو استولى صدام علي العربية السعودية فسيسيطر على ٤٠ فى المائة .

وبدا بوش - رجل نفط تكساس السابق - فزعا من احتمال سيطرة صدام على العربية السعودية ... وانغمس في تحليل مستفيض عن أثر ذلك على توافر النفط فى العالم وأسعاره . هل يمكن للولايات المتحدة وغيرها فرض حظر علي النفط العراقى ؟ هل سيوقف صدام النفط العراقى الكويتى ؟ أم سيحاول اغراق السوق العالمى ؟ وماذا سيكون الأثر على احتياطات النفط الأمريكية .

ان صدام يستطيع - بمجرد عشرين فى المائة من النفط العالمى - أن يتحكم في الأسعار و يضع الولايات المتحدة وحلفاءها تحت رحمته . وستؤدى ارتفاع أسعار النفط إلي زيادة التضخم ، مما يؤدى إلى تفاقم الصورة الكئيبة أصلا للإقتصاد الأمريكى .

ودار بخلد باول أن هناك كثيرا من الأحاديث المبهمة والتكهنات عن النفط ، لكن بوش يمتاز عن كل الباقين لأنه كان رجل نفط و يعرف السوق .

واقترح سونونو أن عليهم أن يحالوا وقف العراق من بيع النفط الكويتى في السوق المفتوحة ، وتحقيق كسب فورى من غزوها .

وقال تشينى ان تسويق النفط لا يمكن وقفه عادة بالضغط الاقتصادي والسياسي ، وفيما يتعلق بالوضع العسكرى المباشر أبلغهم وزير الدفاع أن طائرات الكى سى ١٠ التابعة للقوات الجوية ، والتي تستخدم في تزويد الطائرات الأخرى بالوقود وهى فى الجو ، قد أرسلت إلى العربية السعودية .

وأضاف باول - مشيرا إلى سرب طائرات إف - ١٥ - أن مجموعة هجومية جوية قد وضعت فى حالة تأهب فى العربية السعودية .

وأوضح چيمس واركينز وزير الطاقة - وقائد الأسطول السابق - أن العراق ينقل نفطه فى أنابيب عبر تركيا والعربية السعودية . وذكر الأميرال المتقاعد أن خطوط الأنابيب قد تمثل فرصة هامة كأهداف ، فهى خطوط حياة صدام ، فهل يمكن ضربها جويا ؟ .

وقال باول أنها يمكن أن تضرب ، وأنه لا يعرف مقدار النفط العراقى الذى ينقله الخطان ، ولا مدى امكانية استمرار اغلاقها . لكنه لاحظ من الناحية العسكرية أن الأهداف المستقيمة مثل الطرق والسكك الحديدية وأنابيب النفط ليست أهدافا مرغوبة ، إذ من السهل للغاية اصلاحها واعادتها إلى العمل .

وطرحت مسألة امكانية اغلاق مركز صناعة النفط العراقى بأكملة وليس مجرد خطى الأنابيب ، وإنما كذلك معامل التكرير والمحطات النهائية ومحطات الضخ .

وقال تشينى ان هذا ليس أمرا معقولا ، فقد كان من بين ما استهدفه تحرك صدام فى الكويت محاولة العبث بأمدادات النفط العالمية ولا يمكن للولايات

المتحدة أن ترد بقصف امدادات النفط العالمية .

وأبدى سكاوكروفت قلقه لأن النقاش يتفرع ولم يعد مركزا ، وان من السهل أن يتحدثوا كثيرا دون أن يفعلوا شيئا ، وقال "اننا لا نملك خيار أن نبدو وكأننا لا نفعل شيئاً" .

وقال تشينى أن التزاوج بين الجيش العراقى الذى يبلغ مليون رجل و٢٠ فى المائة من النفط العالمى يمثل تهديدا كبيرا ، وان عليهم أن يميزوا بين الدفاع عن العربية السعودية وبين طرد العراق من الكويت ، وقال انه يؤيد مهمة الحماية .

وقال سكاوكروفت "واذن فان المشكلة ليست بعيدة الشبه عن "ابرنست ويل". مشير إلى عملية حماية ناقلات النفط الكويتية فى الخليج فى ١٩٨٧ - ١٩٨٨ .

أجاب تشينى "ولكن المتطلبات العسكرية ستكون أكبر" .

وقال باول ان الجيش العراقى أجرى عملية بارعة من الناحية المهنية ، ثم قدم الجنرال شوارزكوف الذى عرض خرائطه وأشكاله التى تصور المنطقة وطرق الهجوم العراقية .

وقال الجنرال ان هناك شكلين ممكنين للرد ، الشكل الأول ضربات انتقامية مفردة . ولما لم تكن لدى الجيش والقوات الجوية الأمريكية قوات في المنطقة جاهزة للعمل المباشر فان أى ضربات لابد أن تنقلها طائرات البحرية الأمريكية الموجودة على حاملات الطائرات فى المنطقة . ومن الأهداف الممكنة لمثل هذه الضربات الجوية الجيش العراقى فى الكويت والأهداف العسكرية والاستراتيجية فى العراق ذاته ، والأهداف الاقتصادية في العراق مثل خطى أنابيب النفط إلى تركيا والعربية السعودية ، وناقلات النفط العراقية فى البحر . وستكون هذه ضربات عقابية محدودة ، وهى لا يمكن أن تستمر طويلا وربما لن تنجز الكثير

من زاوية إصابة الجيش أو الإقتصاد العراقى .

واستطرد شوارزكوف يقول ان الشكل الثانى هو تنفيذ عملية ١٠٠٢ – ٩٠ للدفاع عن شبه الجزيرة السعودية ، وسيستغرق ذلك شهورا ، ويعنى أشراك ما بين مائة ألف ومائتى ألف جندى من كل الأسلحة . ولا يمكن تنفيذ ذلك إلا إذا سمحت العربية السعودية أو بلد آخر للولايات المتحدة باقامة سلسلة من القواعد – وهو احتمال غير متوقع على ضوء المعارضة العربية السابقة لذلك .

وظل سونونو يضغط فى اتجاه نوع من التحرك الاقتصادى وتساءل أليست هناك طريقة لمنع العراق لا من بيع النفط الكويتى فحسب بل ونفطه أيضا ؟ "من الذى يدفع للعراق ؟" .

قال ريتشارد ج . دارمان مدير الميزانية ان عمليات الحظر الاقتصادى لم تنجح تاريخيا ، فالنظام التجارى الدولى لا يستجيب للخطر أو أغلاق الحدود ، فالأسواق تستجيب للأسعار ، وعند فرض الحظر ترتفع الأسعار ، وتزيد حوافز انتهاك الحظر .

قال الرئيس ان هذا صحيح ، وأن العراق سيجد وسيطا اخر ، فحيثما يمكن كسب دولار سيوجد من بيع النفط ويشتريه "مثل أصدقائنا فى تكساس" .

وذكر كيميت أن من المهم دفع العرب المعتدين إلى المقدمة أثناء الأزمة .

وقال دارمان انه يعتقد أن هدفهم ليس واضحا ، فعلى ضوء ما قدمه شوارزكوف فقد تحقق غزو الكويت ، وهو لا يرى كيف يمكن ابعاد النفط العراقى عن السوق .

سأله بوش "ماذا تعنى" .

ولم يكن واضحا لدارمان ما إذا كان بوش يسأل عن تعليقه بقبول غزو

الكويت أو عن امكانية ابعاد النفط العراقى عن السوق .

ورد دارمان على مسأله سوق النفط قائلا ان الخطر يحتاج الية لتنفيذه ، وهو يعرف أن هذا يتضمن عملية عسكرية ، مثل استخدام الأسطول فى الحصار ، وربما كانت تلك خطوة أكبر مما يريد الرئيس اتخاذه .

قال بوش "لكننا لا نستطيع أن نقبل ما حدث في الكويت لمجرد أن من الصعب أن نفعل شيئا ازاءه" . ولم يكشف انه متحمس لاستخدام القوة العسكرية في هذا الأمر أو لأى غرض .

قال دارمان ان قطع خطوط الأنابيب سيكون له تأثير اقتصادى ، لكنه ينبغى أن يتم مبكرا .

وشعر باول ان كل شىء يترك معلقا فى الهواء فطرح سؤالا : "أليس ما نريده هو اتخاذ موقف حازم إلى جانب العربية السعودية ؟" .. فهنا تكمن المصلحة الأمريكية الحقيقية .

ولاحظ بيكرينج أن مثل هذا الموقف الحازم سيترك الكويت فى الجانب الآخر ، في أيدى العراقيين .

وانتهى الاجتماع بهذا الموقف غير القاطع .

* * *

غادر بويدين جراى الاجتماع وهو يشعر أن أمام العسكريين الآن فرصة حقيقية ، إذ بدا له أن بوش سيفعل شيئا بالتأكيد ، فطيلة سنوات شاهد جراى بوش مستشارا فى كثير من الأحيان - ومن ناحية ، يبدو أن هذه هي حالته الطبيعية - لكنه نادرا ما رآه مستشارا إلي هذا الحد . لقد انقضى الجو البطىء الرتيب الذكى كان سائدا ليلة أمس اثناء اعداد مشروع الأمر التنفيذى . ويكشف

بوش الان عن ملامح رجل محاصر فى زاوية . لكن هذا - فى نظر جراى - هو الوضع الذى يكون فيه الرئيس في أفضل أحواله ، كما يكون شأنه فى مباراة تنس حين يكون مهزوما ١ إلى ٤ فى المجموعة الأخيرة .

أما دارمان فرأى أن الوضع مأساوى ، فعلى ضوء مصالح الولايات المتحدة الحيوية فى المنطقة واعتداءات صدام السابقة كان من قبيل التقصير ألا تجد المخابرات الأمريكية مفتاحا يشير إلى أن هذا الأمر سيقع ، وليست لدى الجيش خطة طوارىء كافية مستوفاة . وحين رأى حلة الجيش الخضراء على باول وشوارزكوف شعر بالقلق لأن العسكريين سيريدون ارسال قوات برية إلي الشرق الأوسط . وخشى أن يؤدى هذا إلى فيتنام أخرى .

وأما بول ولفوويتز - الذى راقب واستمع من الخطوط الجانبية - فكان يشعر بالقلق من أنهم قد يكثرون من الكلام إلى درجة أن يشكوا أنفسهم ، فقمة حلقة مفرغة رهيبة فى الوضع : الإدارة لا تستطيع أن تفعل شيئا دون التأييد العربى ، وهم لا يحصلوا على التأييد العربى ، ومن ثم فانهم لا يستطيعون القيام بشىء .

وكان باول قد راقب بوش باهتمام ، ورأى أنه ليس واضحا على الاطلاق ماذا يريد أن يصنع ، وما إذا كان سيتقبل خسارة الكويت . وكان يعرف أن بوش سيتوجه إلى أسبن في كلواردو ليلقى كلمة فى وقت لاحق من اليوم ، ويلتقى بمرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ولا شك أنه سيكون لها نفوذ وتأثير قوى على بوش .

وكان تشينى بدوره يشعر بالحيرة ازاء ما قد يفعله بوش ، وشعر الوزير بأنه إلى حد ما غير مستعد ، فليست لديه خيارات عسكرية عملية يضعها أمام الرئيس أما سكاوكروفت فكان منزعجا ، فالعراق تهديد كبير لمصالح الولايات المتحدة

الحيوية . وهذا أمر يرجع إلى مبدأ كارتر فى ١٩٨٠ حين قال الرئيس كارتر فى تقريره عن "حالة الاتحاد" أن "أى محاولة من قوة أجنبية للسيطرة على الخليج الفارسى ستعتبر هجوما على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، ومثل هذا الهجوم سيرد عليه بكل وسيلة ضرورية بما فى ذلك القوة العسكرية" . ولم يكن صدام أقل عداء أو تهديدا من أى قوة خارجية ، ويبدو أن المبدأ ينطبق هنا .

ورأى مستشار الأمن القومى مبدأ آخر - أكبر - معرضا للخطر ، إن شبح فيتنام حى قائم - فالعسكريون لا يريدون أستخدام القوة ما لم يوافق الجميع وتجسد شروط واينبرجر الستة لاستخدام القوة العسكرية هذا الشلل ،، فشروط واينبرجر تستلزم عمليا اجراء استفتاء شعبى قبل أن يصبح استخدام القوة ممكنا ، وشن الحرب مستحيل دون حدث مثير مثل بيرل هاربور أو دون حملة اخلاقية أو عاطفية .

ويرى سكاوكروفت أن الولايات المتحدة يمكن أن تغص بمثل هذه التعاليم ، فالحرب فى نظر سكاوكروفت أداة من أدوات السياسة الخارجية ، لا أكثر ولا أقل . وقد أوضح الرئيس بوش هذا فى بنما ، فلم تخرج الحكومة طالبة التصويت ، أو محاولة تعبئة التأييد ، وإنما استخدم بوش سلطته كقائد أعلى للقوات المسلحة . وجاء تأييد الرأى العام والكونجرس بعد ذلك .

وبعد الاجتماع عاد سكاوكروفت إلى المكتب البيضاوى مع الرئيس .

ورغم أن سونونو ودارمان وبعض الآخرين قد أعربوا عن قلقهم بشأن الآثار الاقتصادية للغزو فقد أوضح سكاوكروفت للرئيس أن من الواضح أن الاجتماع قد فاتته علي ما يبدو قضايا السياسة الخارجية الأوسع .

وقال سكاوكروفت سيدى الرئيس أعتقد أنكم وأنا الوحيدين الذين مارسا هذا الأمر ممارسة حقيقية .

وقبل أن يستكملا مناقشتهما كان عليهما أن يسرعا بالتوجه إلى أسبن حيث سيلقي بوش كلمته . إلا أن الرئيس عقد قبل رحيله اجتماعا خاصا مع مستشاره . القانوني بويدين جراى ، فقد كان بوش يريد أن يتأكد من سلطته القانونية فى نشر أو استخدام الطيران العسكرى - خيارات الشق الأول .

* * *

كان على تشينى وباول أن يهرعا إلى كابيتول هيل لإطلاع سام نون وليز أسبن وستة اخرين من كبار أعضاء اللجان المرتبطة بالدفاع على "قوات المستقبل" وخطة البنتاجون لتخفيض القوات العسكرية بنسبة ٢٥ فى المائة في السنوات الخمس القادمة : وهى خطة أقيمت على مفهوم باول عن "قوة أساسية" ليس من المأمون أن تنخفض عنها القوات الأمريكية . ولقد أحس باول بأن دفع رؤساء الأركان إلى الموافقة كان أشبه بوضع قدم مقاس ١٠ فى حذاء مقاس ٢٨ لكنه نجح .

وبدا من سخريات الأمور لتشينى أن يأتى الغزو وجلسة عرض تخفيض القوات هذه معا فى صباح واحد . وقال لاعضاء الكونجرس أن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى الاستعداد لنزاع عالمى فى فترة انذار قصيرة ، فالضرورى الآن هو معالجة الطوارىء الاقليمية ، وها هى إحدى حالاتها - غزو صدام للكويت . وبدا أن قادة الكونجرس يميلون إلى الفكرة الجديدة عن قوات المستقبل ، وأعربوا عن موافقتهم ، لكن أغلب أسئلتهم دارت حول الغزو .

وفى مؤتمر صحفى اخر عقده بوش فى كلورادو بعد الظهر بدا أنه يبتعد شيئا . عن موقفه فى الصباح الباكر "اننا لم نتخذ أى خيار ، لكننا لا نستبعد أي خيار" .

وبعد ساعتين تحدث بوش مع الملك فهد العاهل السعودى ، وكان بوش قد

ارتبط بعلاقات طيبة بملوك الشرق الأوسط - أو "الأصدقاء الملكيون" كما يسمون فى وكالة المخابرات المركزية - أثناء عمله كمندوب للولايات المتحدة فى الأمم المتحدة وكمدير لوكالة المخابرات المركزية . وهو وفهد يعرفان أن أيهما يستطيع أن يرفع السماعة ويحدث الاخر .

كان الملك فهد (٦٩ سنة) بالغ الثراء مشهورا بأنه ملك شديد الحذر مناصر للغرب يتجه إلي تحقيق أهداف سياسته الخارجية عن طريق الدبلوماسية المالية - وبأختصار عن طريق المنح . وتحدث الرجلان نحو نصف ساعة . وطرح فهد الكثير من الأسئلة ، عما تعتقد الولايات المتحدة أن صدام يخطط له ، وماذا يستطيع بوش أن يفعل لمساعدة السعوديين . واتفقا على أن الهجوم على الكويت أمر غير مقبول ، لكنهما لم يتفقا على مسار للعمل .

وأثناء عودة بوش إلى واشنطون فى طائرة السلاح الجوى رقم واحد اتصل كذلك بالملك حسين ملك الأردن والرئيس المصرى مبارك وكانا مجتمعين معا فى الاسكندرية ، وتبادل الزعيمان سماعة التليفون خلال حديثهما مع بوش . وكانت رسالتهما هى أعطونا مزيدا من الوقت ، ودعوا العرب يحاولون تسوية المسألة .

* * *

كان بيت ويليامز يريد مزيدا من المعلومات ، ويعرف أن رجال هيئة الأركان المشتركة هم أفضل مصدر مباشر ، فهناك دائما شىء ما - خطة أو تحليل أو شخص قضى حياته يبحث المشكلة ، ولا تعدو المسألة أن يشق طريقه عبر التية البيروقراطى ، فمضى إلى مكتب كيلى بعد ظهر ذلك اليوم . وهو عادة ما يجد أن لكيلى طريقته فى أن يبرز أمامك مبينا أنه هو الرجل الذى يحمل النجوم على كتفيه ، وهو ينطق بأقواله باعتبارها حقيقة واقعة .

كان الجنرال كيلى متشائما "ليس ثمة ما نستطيع أن نفعله" فدون وجود

قوات برية - فرق دبابات - فى المنطقة ليس هناك وسيلة فعالة لمواجهة اندفاعة صدام . وقال كيلى ان العسكريين لا يريدون التورط فى حرب برية فى جنوب غرب آسيا .. وشكرا على أى حال .

وأضاف كيلى "ونأمل ألا تكونوا أيها الساسة تحلمون .. فلن تكون هذه هى بنما ... واذا كنا نفكر فى تحدى العراقيين بأي شكل فاننى أحذر" ، ان حرب المواجهة بالدبابات "أمر سيء للغاية" ، ومضى كيلى الذى قضى جانبا كبيرا من حياته المهنية قائد دبابات يقول "لا نستطيع خوض حرب برية" .

* * *

كان مفروضا أن يذهب تشينى إلى كلورادو مع بوش لكنه ألغى سفره . وبدلا من ذلك عقد اجتماعا فى مكتبه لكبار مستشاريه المدنيين والعسكريين ، وحضر الاجتماع ١٥ شخصا وهو عدد كبير غير معتاد فى اجتماعات تشينى ، الذى يفضل المجموعات الصغيرة من اثنين أو ثلاثة أو أربعة .

وبدأ الچنرال كيلى الحديث . قال : ها هى قصة استيلاء العراق على الكويت . وعكست رنة صوت كيلى اعجابه المهنى بالعملية العراقية السريعة الدقيقة الواسعة ، الباهرة من الناحية التقنية .

قال تشينى حسنا أيها الفتيان ماذا نصنع ؟

وأخبره باول أن رؤساء الأركان وشوارزكوف يبحثون الخيارات .

وبدا تشينى غير مصدق أن الخيارات قليلة إلى هذا الحد .

وقال باول ان المسألة صعبة ، فهم يتعاملون مع غزو ضخم سريع استكمل الآن ونجح ، فقد أنجزت مهمة صدام الأولى .

وزاد التوتر فى القاعة المزدحمة .

قال تشينى "أريد بعض الخيارات التى أستطيع أن أعرضها على الرئيس" .

وردد باول أنهم يبحثونها الآن . وهو وكيلى يريدان أن يكون واضحا أنهما لن يستطيعا أن يتقدما ببعض الاقتراحات غير المدروسة . انه لا يريد أن يقوم الجيش الأمريكى ببضع ضربات جراحية صغيرة ، إذ ماذا سيفعل بعد ذلك ؟ فليس هناك الكثير الذى يمكن القيام به من هذا البعد ، وسيبدو البنتاجون ضعيفا وعاجزا .

سأل أحد الحاضرين ماذا عن ضربات جراحية لخطوط أنابيب النفط فى العربية السعودية وتركيا ؟

وأجاب كيلى بأنها ستكون غير مجدية ، فالقصف لا يمكن أن يكون شديد الدقة ، ويمكن اصلاح الخطوط بسهولة إذا أصيبت ، وسيكون الخاسر فى هذه العملية هو العربية السعودية أو تركيا أو كلاهما لأنها ستؤدى إلى رد ثأرى ، فستكون عملية استفزازية وغير عملية ، وستوفر لصدام سببا لمهاجمتنا .

وقدم اقتراح بأن الوقت ربما يكون قد حان لتدمير تسهيلات صدام الكيميائية والنووية ، لأن هذا هو الخطر العراقى فى الأجل الطويل .

لكن الفكرة رفضت بسرعة كتصعيد خطير .

ووقف بيت ويليامز وديف ادينجتون - مساعد تشينى الخاص - وغادرا الاجتماع قبل نهايته ، آملين أن تكون هذه اشارة للجالسين فى المقاعد الخلفية إلى أن الوقت قد حان لمغادرة المكان ، فهما يعرفان أن تشيني لا يحب الاجتماعات الواسعة ، وخاصة إذا كانت معركة تتخمر .

وحين أصبح تشيني وباول وحدهما أخيرا قال الوزير انه يشعر بأنه محاصر ، فالرئيس ليس بحاجة إلى مشورة سياسية ، وأن ما يحتاجه هو وبوش

هو خيارات عسكرية ولا يبدو أنها قادمة .

قال باول سيدى الوزير ان المسألة على بعد أكثر من ستة ألاف ميل ، وليست لدينا قوات برية هناك ، ولن تكون أي ضربة جوية سوى نفخ فى الريح ، وقد تستثير مالا نريده - هجوما على العربية السعودية .

وكانت هذه واحدة من أكثر محادثاتهما توترا .

* * *

لم يكن كيلى يعرف ما هو المفروض أن يفعله . ان أول ما تحتاجه هيئة الأركان المشتركة ورجال عملياته هو تحديد الهدف والمهمة العسكرية . وما الذى يفترض أن يقدموا خطة له ؟ أعمال انتقامية ضد العراق ؟ تحرير الكويت ؟ الدفاع عن الدول العربية الأخري ؟ انه لم يتلق أى توجيه من المستوى السياسى - لا من الرئيس ولا من وزير الدفاع . وفى غياب تحديد المهمة تكون الخيارات مجردة للغاية . لقد وضع جدولا زمنيا يسمى قائمة الحراسة يسند للضباط نوبات عمل بالدور بحيث يصبح كبار العاملين فى العمليات الخاصة فى البنتاجون طيلة الأربع والعشرين ساعة يوميا . لكن سرعان ما كان هو ورجاله يجلسون عاقدين أذرعتهم ، فى انتظار تحديد مهمتهم .

وأخذ باول يراجع الملاحظات التى أبداها الرئيس بعد ظهر ذلك اليوم فى كلوران . كان من عادته أن ينقب فى تصريحات الرئيس العامة ، فلابد لرئيس الأركان أن يعرف سياسة الرئيس . وهذا الرئيس يميل إلى أن يطرح بعض أفكاره على الأقل فى خطاباته وفى تعليقاته الصحفية . وأحيانا ما تظهر السياسة مطروحة بعناية وبالتدرج ، وأحيانا أخرى كان باول يكتشف مفاجآت .

وبدت تصريحات أسبن متزنه ، فقد قال بوش انه تحدث مع الملك حسين

والرئيس مبارك وأنهما "طلبا ضبط النفس ، وطلبا فترة زمنية قصيرة يتطور خلالها الحل العربى ... [وقالا] دعونا نحاول الآن أن نحل المسألة كجيران وعرب . وقد أوضحت لهما ان المسألة تجاوزت كونها مجرد نزا ع اقليمى بسبب طبيعة العدوان الصارخة" .

* * *

كان تشينى مرتبكا ، فسقوط الكويت فى حد ذاته تهديد للمصالح الأمريكية ، ومن حق الرئيس أن تعرض عليه دائرة كاملة من الخيارات ، بما فيها الخيارات العسكرية ، واستدعى الأميرال بيل أوينز الذى كان فى اليوم قبل الأخير من عمله كمساعد عسكري لتشينى .

سأله تشينى "ماذا بوسع البحرية أن تفعل ؟" . انه يريد بعض الأفكار عن ضربة جراحية عقابية عاجلة للعراق ، وفى ذهنه شىء يمكن أن يكون حقا رسالة إلى صدام حسين ، شيئا يمكن أن ينفذ بأسلحة ثابتة تطلق من على بعد عشرات الأميال بحيث لا تصاب أى قوات أمريكية .

وقال أوينز ان لدى البحرية القدرة على اطلاق صواريخ توماهوك القاتلة ، ويمكن برمجتها للهجوم البرى لتصيب أهدافا فى العراق .

وقال تشينى انه يريد الأعداد والتفاصيل ، وأمر أوينز أن يستقصى الأمر مع أصدقائه فى البحرية فى الطابق الرابع ويأتيه بشىء .. على الفور .. انزل وحرك الجهاز ، وأعرف ماذا نستطيع أن نفعل ، وبأى سرعة نستطيعه . ان هناك دائما مادة تدور هنا وهناك ، وكل ما يلزم هو تحديد المكتب الصحيح أو خزانة الملفات الصحيحة ، فهيئة الأركان المشتركة ليست متجاوبة .

وطلب تشيني نفس الشىء من نائب مساعده العسكري كولونيل الطيران

جارى ر . تريكسلر ، موجها اياه إلى أن يجد خطط القوات الجوية أو أفكارها .

وكان تشينى يسمى هذا "جس نبض الجهاز" .. ان تحسس مختلف الادارات ، واستخدام الروابط غير الرسمية ، هو بالتحديد ما يثق تشينى من أن باول قام به كثيرا كمساعد عسكرى لواينبرجر . ويشعر تشينى بأنه كأى مسئول حكومى كبير يدير إدارة كبيرة يحتاج إلى مصادر متعددة للمعلومات ، وهو لن يترك نفسه بأى حال أسيرا لهيئة الأركان المشتركة أو لكولين باول .

* * *

حين عاد بوش وسكاوكروفت إلى واشنطون استأنفا مناقشتهما عن اجتماع مجلس الأمن القومى الذى لم يؤد إلى شيء هذا الصباح . ورأى سكاوكروفت أن هناك الكثير من التباطؤ - الاحساس بأن الأمر بالغ الصعوبة ، والمشكلة بعيدة فى طرف العالم ، والجيش والحكومة يعانيان مشكلات ميزانية ، ولكن ربما لم يكن الوضع بهذا السوء .

ووافق بوش على أن هذا أمر خطير .

قال سكاوكروفت سيدى الرئيس لا أعتقد أنك الرجل الذي يجب أن يتولى المسألة ، فدعنى أطلب العمل ، ثم لنر ماذا سيحدث .

وقررا عقد اجتماع آخر لمجلس الأمن القومى صباح اليوم التالى ، ومضى سكاوكروفت ليدون بعض أفكاره .

وفى تلك الليلة استضاف باول فى ٦ شارع كوارترز الأميرال البريطانى سير بنچامين باتهورست قائد قوات حلف الأطلسى فى القناة البريطانية ، فالاجتماع بالعشرات من كبار الضباط الأجانب والاجتماع والاحتفاء بهم جزء روتينى يستغرق وقتا طويلا من حياة رئيس الأركان . وحضر الحفل الأميرال

ارميا و ٣٠ ضيفا آخر . وفى لحظة ما أثناء ساعة الكوكتيل أحاط باول بذراعيه ارميا في عناق ودى ، وبدا سعيدا للغاية بنائبه الجديد ، كان يبدو هادىء الأعصاب ، لطيفا ، لكنه عند تبادل الأنخاب على العشاء قال ان الغزو العراقى منبه - "كأنه خرقة باردة ألقيت فى وجوهنا" .

وأكمل باول عشاءه دون اشارة واحدة إلى الأزمة ، وقص علي من على مائدته أنه تعرض للاحراج كثيرا في حياته ، فذات عطلة نهاية أسبوع وهو مستشار ريجان للأمن القومى كان يحضر حفل زواج ابنة صديقه فيرنون چوردان . وكانت الكنيسة مليئة بالساسة والصحفيين - أو صيادى الأخبار على حد تعبيره - وبعد أن شغل هو و ألما مقعديهما انطلق جهاز التنبيه اللاسلكى الذى يحمله لينبهه إلى أن يتصل بمكتبه ، فهرع خارج الكنيسة ، ولاحظ ذلك صيادو الأخبار وغيرهم ، لكنهم كانوا جميعا (أسرى) فى الكنيسة . ومضى إلى سيارته واتصل بالبيت الأبيض هاتفيا ليعرف بنبأ محاولة اغتيال الرئيس التركى تورجوت أوزال . وأجرى بعض الاتصالات ليتأكد من سلامة استجابة الجهاز .

وحين عاد إلى الكنيسة بعد نحو عشر دقائق كان الجميع يجهدون ليقرأوا على وجهه مدى خطورة السبب في استدعائه إلى الخارج ، فأدى دوره تماما ، واكتسى وجهه بملامح الجدية والأهمية ، وإذا هو يجلس إنحنت آلما لتسأله ماذا حدث ، فهمس لها باول بالنبأ السرى الساخن .

فقالت آلما "كولين .. لقد سمعت هذا النبأ فى الإذاعة منذ ثلاث ساعات ! !"
وبعد أن انتهت الضحكات قال باول ان الهواء فى المجال السياسى أحيانا ما يغدو خفيفا ، وأن من المفيد ان يكون إلى جانب راس المرء قناع اكسوجين خيالى صغير ، وعندما يرى أن كل شىء يسير على ما يرام ، وأنه متحكم فى الوضع ، يأخذ هذا القناع ليتنفس فيه قليلا لكى يعود إلى الأرض . أما اليوم فبدلا من أن

يكون لديه قناع اكسوجين فإن لديه صدام حسين .

*   *   *

فى اليوم التالى - الجمعة ٣ أغسطس - اجتمع مجلس الأمن القومى ثانية فى البيت الأبيض ، وبدأ سكاوكروفت الحديث وهو يمسك بمذكراته قائلا "علينا أن نبحث ما هى المصالح طويلة الأجل لهذا البلد وللشرق الأوسط إذا أصبح الغزو والسيطرة على الكويت حقيقة واقعة . وعلينا أن نبدأ مداولاتنا بحقيقة أن هذا أمر غير مقبول . صحيح أن من الصعب أن نفعل الكثير ، وهناك عديد من الأسباب لذلك ، لكن هذه هى مهمتنا" .

ويرى ولفوويتز أن سكاوكروفت هنا قد غير نقطة التركيز كلها ، بل بدا له أنه يوقف اتجاه سونونو إلى انتقاد أى خيار يجرى بحثه ، وطرح أى شكوك يمكن تحديدها .

وشعر دارمان أن مقدمة سكاوكروفت كانت نداء إلى الحكومة بالوحدة والتراص .

وأشار الرئيس إلى أنه يتفق مع مستشاره للأمن القومى . وناقش الحاضرون العقوبات الاقتصادية والوسائل التى يمكن للإدارة أن تعمل بها مع الحلفاء والإمم المتحدة لاقامة جدار يعزل صدام حسين .

كما ناقشوا تقريرا لوكالة المخابرات المركزية يرى أن الغزو يثير تهديدا للنظام العالمى الحالى ، وأن أثره على الاقتصاد العالمى فى الأجل الطويل يمكن أن يكون مدمرا ، فصدام عازم على أن يحول العراق إلى دولة عربية عظمى - توازن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان ، والسيطرة على ٢٠ فى المائة من النفط العالمى سيوفرد له وسائل أكثر من كافية . كما كان هناك تقدير منذر للقدرة

العراقية : فوكالة المخابرات المركزية تعتقد أن صدام يمكن بسهولة أن يحرك جيوشه فى الكويت جنوبا نحو الرياض عاصمة السعودية التى تبعد ٢٧٥ ميلا ، أى مسيرة ثلاثة أيام .

وذكر سكاوكروفت أنه لابد من من وجود مسارين . فأولا يعتقد أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تكون على استعداد لاستخدام القوة لوقف ذلك ، وأنها لابد أن توضح هذا للعالم كله . وثانيا لابد من الإطاحة بصدام ، وهذا ينبغى أن يتم بشكل مستتر من خلال وكالة المخابرات المركزية ، ولا يوضح للعالم .

وأمر بوش وكالة المخابرات المركزية بأن تبدأ تخطيط عملية سرية تؤدى إلى زعزعة النظام ، وكما يرجو إلى الاطاحة بصدام . إنه يريد جهدا فى كل الجبهات لخنق الإقتصاد العراقى ، ودعم مجموعات المقاومة المناهضة لصدام داخل العراق وخارجه ، والبحث عن قادة بديلين فى الجيش أو فى أى مكان فى المجتمع العراقى . وهو يعرف أن العمل السرى سيكون صعبا - ان لم يكن مستحيلا - لأن صدام حسين يدير دولة بوليسية ، ويقمع بوحشية أى سخط أو معارضة ، لكنه مع ذلك يريد أن يعرف ماذا يمكن عمله . فإذا كانت هناك حالتى تستدعى القيام بعمل سرى - من أجل المصلحة الوطنية ، فان هذه هى الحالة .

وقال بوش انه يريد أن يأتيه تشيني وباول وشوارزكوف إلي كامب دافيد فى اليوم التالى لاطلاعه على الخيارات العسكرية .

* * *

وفى البنتاجون ، فى وقت لاحق من ذلك اليوم ، قال أحد رؤساء الأركان لباول أن ارير أميرال أوينز وغيره من هيئة مكتب تشينى يتصلون باداراتهم السابقة ليبحثوا عن خطط ضربة جراحية للعراق يطلب من الوزير . واندفع باول إلى جناح الوزير فى الطابق الثالث ، ودخل مكتب أوينز ، المكتب الذى عمل فيه

هو نفسه طيلة ثلاث سنوات .

قال باول لأوينز - الرجل النحيل الهادىء الذى يقضى الآن آخر يوم له فى مكتب تشينى "أنا لا أحب العمل للحساب الخاص فى هذا المكتب . فلا تفعل ذلك ثانية " ، كان يلوح باصبعه فى وجه أوينز و إذا لاحت في مخيلته عمليات الكولونيل أوليفر نورث فى ايران بكونترا فها هو أوينز - مثل نورث - يخرج عن القنوات الرسمية ويستجيب لطلبات رئيسه قصيرة الأجل وانفعالاته ، انه طريق يمكن أن يقود كلا من رئيسه والبلاد إلى التهلكة ، ولا يمكن ليد الماضى هذه أن تمس باول إذا أمكنه منعها . وشعر أنه استطاع أن يحكم هذه النزوات حين كان فى هذا المكتب نفسه أيام واينبرجر ، لقد استطاع أن يجتاز ايران - كونترا ، وجاء إلى البيت الأبيض أيام ريجان فى أعقابها للمساعدة على تنظيف مجلس الأمن القومى كنائب لمستشار الأمن . وهو الذى لم تلوثه هذه الفضيحة عازم على ألا يترك بعض المعاملات المماثلة خارج القنوات تزدهر وهو رئيس للأركان .

ولم يقل أوينز - الذى وجد نفسه محصورا بين أقوى رجلين فى البنتاجون - أنه انما كان ينفذ أوامر تشيني .

قال رئيس الأركان "سنعطيك أي شىء هام تريد" ، وأضاف أن كل ما يريده هو أن تمر كل المعلومات والخيارات من الادارات إلى الوزير من خلاله وخلال رؤساء الأركان . وقال "ان آخر ما أفكر فيه هو أن أنفذ شيئا سمعته لتوى من خيال شخص آخر" .

وتقبل أوينز التعنيف بهدوء .

وبعد أن هدأ باول أوضح لأوينز أن على المساعد العسكرى أن يمتص الضغط الذى يمارسه عليه الوزير ، وقال موبخا لا ترتكب حماقات لتلبى حاجة عاجلة ، وإنما امتص الضغط ، ثم تصرف بشكل سليم . ان هيئة الأركان

المشتركة تعمل ورؤساء الأركان يعملون ، وشوارزكوف يعمل .

وكان باول لا يزال يعتقد أن استخدام القوة أمر محفوف بمخاطر هائلة ، ويستهجن الموقف القائل انك تستطيع فحسب أن تسقط بضع قنابل ، وتطلق بضعة صواريخ توماهوك ، وتبقى الهجوم "جراحيا" ومحدودا ، بل ان كلمة "جراحى" ذاتها والمفهوم الكامن وراءها يثيران حنق باول أنها الوهم العسكرى الحديث ، نهج التشدد الذى يريد البعض اتباعه والبلاد فى ورطة مع رجل مثل صدام : دعونا نطلق واحدا من هذه لنريه ماذا نستطيع أن نفعل ، ولن يصاب أحد من جانبنا .. أنه محض خيال .

واجتمع باول برؤساء الأركان بعد الظهر ، وكانت هناك دينامية جديدة ، فلم يكن الچنرال ميكائيل چ . دوجلاس رئيس أركان القوات الجوية الجديد ولا الأميرال فرانك ب . كيلسو رئيس العمليات البحرية الجديد قد قضا إلا شهر واحدا فى هيئة الأركان المشتركة . وأصبح فونو وجراى - رئيس أركان القوات البرية ورئيس أركان مشاة البحرية هما العنصران القديمان وكان السؤال الكبير المطروح للنقاش هو : ما هى النتيجة النهائية التى تريدها الولايات المتحدة كدولة ؟ ولم تكن هذه النتيجة واضحة لسبب بسيط هو أن الرئيس بوش لم يقرر ، أو لم يبلغهم بعد بقراره .

وقال باول ان على الرؤساء والإدارات أن يعملوا معا في هذه المسألة . اعملوا باجماع ، اعملوا مع شوارزكوف ، لا حل من إدارة واحدة ، لا عمل للحساب الخاص .

* * *

رتب سكاوكروفت بعد ظهر ذلك اليوم حضور الأمير بندر إلى البيت الأبيض .

وكان بندر فى لندن حين تلقى نبأ غزو الكويت قبل نحو ٤٠ ساعة ، فأمر على الفور باعداد طائرته النفاثة الخاصة ليعود بها إلى الولايات المتحدة . وأثناء جلوسه فى الطائرة التي تعبر المحيط الأطلسى من جديد حاول أن يستوعب ما حدث وعاد إلى ذهنه اجتماعه مع صدام حسين منذ أقل من أربعة أشهر وطلب صدام تأكيدا بأن إسرائيل لن تهاجم العراق . وحالما عاد بندر إلى واشنطون طلب منه هيئة مكتبه أن تعيد له المذكرة ذات الثماني عشرة صفحة التى يسرد فيها الاجتماع . وقال لنفسه وهو يقرأ ، ياالهى ، لقد كان هذا الرجل يعد المسرح للهجوم كان صدام قد سعى للحصول - وحصل فعلا - على تأكيدات أمريكية واسرائيلية بأنه لن يهاجم ، وهكذا فقد حمى جناحه الغربى مع اسرائيل ، مما يطلق يده فى أن يفعل ما يشاء فى الشرق مع الكويت ، واستخلص بندر أنه وإدارة بوش قد خدعا . وتعزز هذا الاستخلاص حين علم أن صدام لم يكن له جندى واحد فى الجناح الغربى .

كان بندر شديد القلق عند وصوله إلي البيت الأبيض ليلتقى بسكاوكروفت يوم الجمعة .

كانت نظرة سكاوكروفت لبندر أكثر إيجابية من نظرة باول ، فقد وجد - كمستشار للأمن القومى - فى بندر قناة واضحة ، فقد بين بندر مرارا أن له منفذا مباشرا إلى الملك فهد ، ويمكن أن يقدم قراءة شبه فورية لمواقف الملك . كما أنه فى النهاية يقف في الجانب الأمريكى فى معظم الأمور . ومن ثم فقد حرص سكاوكروفت علي أن يكون لبندر منفذ مباشر إلي بوش عند الضرورة .

وفى هذا الإجتماع قال سكاوكروفت انه يتحدث باسم الرئيس ، وان السعوديين لم يردوا على عرض الولايات المتحدة بارسال سرب من طائرات اف - ١٥ ، ويعرف سكاوكروفت ان عدم الرد يعنى - فى الوقت الحالى على الأقل -

رفضا سعوديا . وقال ان بوش مستعد لرفع الرهان ، فموقف بوش هو أن الولايات المتحدة تميل إلي المساعدة بأى طريقة ممكنة .

وذكّر بندر سكاوكروفت بأنه منذ عقد مضى - حين سقط شاه ايران قال الرئيس كارتر للسعودية دعونى أرسل سربين من طائرات اف - ١٥ إلى العربية السعودية كايماءة رمزية ووافق العاهل السعودى ، وحين كانت الطائرات فى الجو في منتصف الطريق أعلن كارتر إنها ليست مسلحة . وقال بندر ان النتيجة كانت وما زالت مدمرة للسعودية . وأضاف اننا بصراحة نشعر بالقلق ، هل لديكم الشجاعة أم لا ؟ "اننا لا نريدكم أن تمدوا يدا ثم تسحبوها ، وتتركونا مع هذا الرجل على حدودنا وقد تضاعف جنونه عما هو عليه الآن" .

قال سكاوكروفت "دعنى أقول لك اننا لن نفعل ذلك اننا جادون ، وسنقوم بكل ما هو ضرورى لحمايتكم" ، لكنه أضاف ان على السعوديين أن يبينوا أنهم بدورهم جادون ، وسيقبلون القوات الأمريكية .

وفى هذه اللحظة دخل الرئيس بوش مكتب سكاوكروفت .

قال بوش لبندر "أهذا هو صديقك ؟" ، وواضح أنه كان يشير إلى طلب بندر السابق تقديم ضمانات لصدام .

ضحك بندر فى سره .

سأله بوش "أتذكر ؟ ان هذا هو الرجل الذى جئت تقول لى أنه على ما يرام" .

قال بندر "لقد طفح الكيل يا سيادة الرئيس" . واعترف بأن السعوديين الولايات المتحدة قد خدعوا .

وانتقل بوش إلى المشكلة القائمة . وقال انه شعر بالضيق لأن الكويتيين لم

يطلبوا المساعدة من الولايات المتحدة إلا قبل نصف ساعة أو بضع دقائق من الغزو العراقى . وهو يخشى ألا يطلب السعوديون - الذين قد يكونون واردين فى قائمة صدام - المساعدة إلا بعد أن يكون الوقت قد فات ، ولا يعود فى وسع الولايات المتحدة تقديم مساعدة .

سأل بندر أي نوع من المساعدة يمكنكم أن تقدموا ؟ كم طائرة ؟ وأى أنواع من الأسلحة ؟ فإذا كانت هذه المسألة ستبحث فلابد أن يعرف الملك فهد بالدقة .

وقال بوش وسكاوكروفت إنهما لا يملكان هذه الاجابات وان على تشينى وباول ان يقدماها .

وألح بندر ، وألمح ساخرا إلى طائرات كارتر الاف - ١٥ غير المسلحة ، وبدا بوش وكأنه مجروح ، وكأن هناك بعض الشك ، وأن السعوديين يسترييون فى حسمه ، وبد أنه أخذ المسألة بصورة شخصية .

وأخيرا قال بوش لبندر "اعطيك كلمة شرف اننا سنسير معكم" . وشعر بندر وكأن شعر رأسه يقف . ان رئيس الولايات المتحدة قد وضع لتوه شرفه الشخصى في الميزان .

* * *

اتصل سكاوكروفت بتشيني وقال ان الرئيس يريد مساعدة السعودية ، أروه أفضل مالدينا ، الشق الثانى - خطة العمليات الواسعة "استدع بندر وأطلعه على ما نستطيع أن نفعل" ولا يريد الرئيس أنصاف اجراءات ، فقد أعطى كلمته . وهذا أمر فى جدية أي عمل آخر قد يضطلعون به ولإقناع السعوديين آراد الرئيس من تشينى أن يري بندر صور الأقمار الصناعية بالغة السرية ، فستبين المخاطر

القائمة وصدام يحشد قواته تجاه العربية السعودية .

واتخذ تشينى الترتيبات لحضور بندر إلى البنتاجون قبيل المساء ، ولكن كان عليه أولا أن يعقد ما أسماه اجتماع المصارحه مع باول حول ضرورة اعداد الخيارات العسكرية للرئيس .

وجلس وزير الدفاع ورئيس الأركان وحدهما . وقال تشينى انه لا يمكن أن يبقى هناك أى تلكؤ أو تثاقل أو حتى مظهرهما ، فثمة كلام خطير يأتى من البيت الأبيض ، ولابد من عرض البدائل العسكرية . لقد حان الوقت لمشورة عسكرية تتناسب مع خطورة الوضع . وما يحتاجه الرئيس هو مزيد من المشورة العسكرية ، وعلى البنتاجون أن يقوم بدوره .

أجاب باول "لا أستطيع أن أفعل ما لم أعرف ما هو الأسلوب المطلوب" .

وأوضح تشينى أن لديهما الآن هذا الأسلوب ، فقد اتصل سكاوكروفت منذ قليل ليقول ان الرئيس يريدهما ان يطلعا بندر على الشق الثانى – خطة العمليات ٩٠ – ١٠٠٢ . وبناء على أوامر الرئيس ينبغى أن يرى بندر آخر الصور الجوية بالغة السرية .

وسرعان ما اختفى التوتر ، فالرجلان يعرفان أنهما يحتاجان أحدهما الآخر

* * *

قبل جلسة اطلاع بندر جس تشينى نبض الجهاز مرة أخرى . وكان لانج خبير الشرق الأوسط فى وكالة مخابرات الدفاع قد كتب فى ذلك اليوم رسالة أخرى من رسائله الاليكترونية يستعرض فيها المحصلات المحتملة للأزمة ، وكان أبرزها هو أن السعوديين على الأرجح قد ينكفئون على أنفسهم ، ويرفضون المساعدة الظاهرة ، رغم أن بلدهم الواسع لا يحميه الا جيش يقل عن سبعين ألف

رجل ، فهم يرفضون طلبات بتحليق الطائرات العسكرية الأمريكية فى مجالهم الجوى ، كما رفضوا طلبا أمريكيا بزيادة تغطية طائرات الأواكس الأمريكية للمنطقة .

واستدعى تشينى لانج إلى مكتبه . كان لانج فيما يبدو وهو المحلل الوحيد الذى أخذ حشد القوات العراقية فى الأسابيع السابقة على محمل الجد الذى من الواضح أنه كان يستحقه . وقال تشينى انه يريد أن يتحدث عن العراقيين ، وأن لديه سؤالا أساسيا واحدا : "ما هى حقيقة هؤلاء الناس ؟" .

شعر لانج - الذى ظل يحدّث مجتمع المخابرات منذ سنوات عن الخطر العراقى - بالابتهاج للفرصة التى أتيحت له وقال "انهم رهيبون ، فلديهم جيش قدير ، وقاعدة صناعية متطورة ، وهم بلد حديث بالنسبة لبلدان العالم الثالث .. انهم خطيرون" . وعزز تحليله بالإحصاءات والأقاصيص .

* * *

عرف تشيني الأمير بندر منذ سنوات وأحبه ، وقد أثار اعجابه أن يكون لمجرد سفير مثل هذا التأثير الواسع على الحكومة الأمريكية وواشنطون والعالم ، كما كان بندر يقوم بدور العملة السعودية الفعلية مع تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية ، ومع السوفييت والصينيين ، لكن تشينى كان يشعر بالقلق لأن لدى بندر جدول أعماله الخاص ، وأنه لو ترك وشأنه لحاول أن يدير السياسة الخارجية للولايات المتحدة والعربية السعودية أو أى بلد آخر . وباختصار كان تشينى يعتبر بندر متجاوزا بعض الشيء ، وليس بالضرورة قناة خالصة مائة فى المائة للملك فهد ، وربما تحرف الرسائل لأغراض أخرى قد لا يستطيع تشينى حتى تصورها وحين وصل بندر إلى مكتب تشينى بعد ظهر يوم ٣ أغسطس ، أتخذ المقعد الثالث على مائدة المؤتمرات الصغيرة المستديرة مع تشينى وباول . كما حضر الاجتماع

بول ولفووتيز وريتشارد هاس خبير مجلس الأمن القومي لشؤون الشرق الأوسط .

قال تشينى "أمرنى الرئيس بأن أطلعك على ما تستطيع الولايات المتحدة القيام به لمساعده المملكة على الدفاع عن نفسها" . وأضاف أنه إذا تحركت الولايات المتحدة فستأتي بالكثير ، ووعد بأنه إذا دعيت للدفاع عن المملكة فسيكون هذا التزاما جادا إلى أقصى درجة . وقال أن من الواضح ان الولايات المتحدة قادرة على أن ترسل مجموعة من الطائرات من فوق أحدى حاملات الطائرات ، وتلقي بضع قنابل على رأس صدام ، لكن كل ما يمكن أن يؤدى اليه هذا هو أن يثير جنونه دون أن يحل أى مشكلة حقيقية ، فمفتاح المسألة هو وجود القوات على الأرض هناك .

كان تشيني يعرف أن بندر يتصل تلفونيا بالسعودية على الدوام ، وأنه على وشك أن يذهب إلى هناك ويتحدث مباشرة مع الملك ، فأرادا أن يتأكد من أن السفير قد تلقى الرسالة عالية وواضحة .

وتأكيدا للمشكلات التى يواجهها السعوديون أخرج تشينى وباول نسخا من الصور الجوية بالغة الدقة ، وأشارا إلى الفرق العراقية المدرعة الثلاث التى قامت بالإندفاعة الأولى إلى الكويت . وكانت احداها تتحرك عبر الكويت نحو الحدود السعودية ، ويمكن للأخريات أن يتبعاها ، ومازال المزيد من الفرق العراقية يتخذ مكانه خلف الوحدات المدرعة بنفس الطريقة التى كانت عليها قبل غزو الكويت منذ يومين . ان شريط الفرق أشبه بسيف موجه نحو المملكة ، التى تبدو في خطر شديد .

واستغرق باول نحو عشر دقائق فى تلخيص خطة العمليات ٩٠ – ١٠٠٢ ، ملاحظا أنها تشمل أكثر من أربع فرق وثلاث حاملات طائرات وكثيرا من أسراب الهجوم . وسمح لبندر بأن يلقى نظرة سريعة على كتاب كبير يحوى الخطة

والأشكال بالغة السرية التى تبين تحركات القوات على مر الشهور ، وأضاف "أنها قوة كبيرة حقا" .

سأله بندر "ما العدد الذى تتحدث عنه ؟" .

فأجاب باول ما بين مائة ألف ومائتى ألف فى مسرح العمليات .

وجذب بندر نفسه بصوت مسموع وقال "حسنا ، هذا على الأقل بين أنكم جادون وقد يوضح هذا لكم لماذا نرد سرب المقاتلات التاكتيكية" .

فأكد باول ان هذا أمر شديد الجدية .

وقال بندر محاولا أن تكون له اليد العليا "اننا نوافق على أن من الضرورى لكم أن تكونوا جادين" ، وأضاف أنه لو كانت مثل هذه القوة موجودة فى السعودية الآن لاستطاعت المملكة أن تتخذ اجراءات أكثر هجومية مثل أغلاق خط أنابيب النفط العراقى ، فدون قوة دفاعية فى هذا الحجم تصبح يدا صاحب الجلالة مكتوفتين لأن صدام يستطيع أن يأتي ويجتاج العربية السعودية . وقال بندر انه يوافق على الخطة ويحبذها ، ووعد بأن ينقل إلى الملك وإلى والده ووزير الدفاع ماذا يمكن عمله .

وأوضح بندر أنه وغيره من المسئولين السعوديين يحاولون أن يتحدثوا مع صدام ليحصلوا منه على تصريح عن نواياه ، وأنهم لم يحرزوا نجاحا كبيرا . وكما قال بندر فان الملك فهد لم يتمكن من الاتصال بصدام طيلة الساعات العشر الأولى بعد غزو الكويت . وحين تحدثا كان صدام يرد بالنفى قائلا ان تحرك القوات نحو الحدود السعودية ليس سوى تدريب ، ثم جاء نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى لمقابلة الملك فهد ، وأوضح أنه لا يستطيع أن يلقى الضوء على نوايا صدام" .

ووصف بندر حالة من الذعر المحكوم فى بلاده – وهو محكوم – كما قال – لأن الجميع يعرفون أن الملكية لا يمكن أن تنذعر ، وأضاف "ان رابطة الجأش هامة جدا فى حضارتنا ، حتى ولو كانت غير معقولة" .

وقال بندر ان ثلاث حوادث حدود خطيرة قد وقعت ، حيث زحف العراقيون خمسة أميال أو أكثر فى الأراضى السعودية . وقد أبلغ رئيس الأركان العراقى السعوديين بأنها كانت أخطاء من جانب قواته ، وتعهد فى المرة الأولي بأنه سيقطع ذراع أي جندى عراقى يضع اصبعه على الحدود . وبعد الحادثة الثالثة لم يستطع السعوديون الاتصال تليفونيا بأى مسئول عراقى على خط ساخن أقيم بين البلدين . وبعد احدى الحوادث انسحب العراقيون ، وانما بعد أن نسفوا جسرا استخدموه فى طريق واضح المعالم .

واذ وقف بندر مغادرا المكان قال تشينى انه اذا دعا السعوديون القوات الأمريكية ووافق الرئيس بوش فانهم قد يرسلون الجنرال شوارزكوف أو شخصا يقوم بالتنسيق ، ويتحقق مثلا من أن نفاثات القوات الجوية الأمريكية قد هبطت حيث يريدها السعوديون .

وأكد لهم بندر أنه سيدافع عن الانتشار الأمريكى العاجل ، ثم خرج .

وأعرب ولفوويتز عن دهشته من الجدية المفاجئة لدى الطرفين ، وقال ان عليهم أن يبدأوا بتنبيه القوات الأمريكية ، وخاصة القوات المحمولة جوا التى ستمضى أولا على ضوء تقبل بندر الواضح للفكرة .

قال باول "انه يطلق دخانا ، ولا أعتقد أن الوقت قد حان لتنبيه الفيلق ٨٢ المحمول جوا ، وعلى أي حال فان لواء من هذا الفيلق فى حالة تأهب دائم .

ووافق تشينى ، لكنه أخبر باول أنه يريد أن يأتى شوارزكوف بالقادة

الرئيسين من كل من اداراته إلى كامب دافيد ، فهو يعرف أن الإتصالات الشخصية أساسية لدى الرئيس ، فالناس لا يوجدون - فى نظر بوش - ما لم يتصل بهم . ومن المهم أن تتاح للرئيس فرصة المعرفة الشخصية للرجال الذين قد يريدون مثل هذه العملية . وطلب من أوينز أن يرتب قيام احدى طائرات هليكوبتر البيت الأبيض الضخمة بنقلهم جميعا إلى كامب داڤيد صباح اليوم التالي لتقديمهم إلي بوش .

* * *

وبعد بعض الوقت كان تشينى يحلق شعره فى محل الحلاقة فى البنتاجون حين جاءه أوينز هناك وقال ان مكتب سونونو رفض طلب الطائرة الهليكوبتر .

دار في ذهن تشينى ان هذه طبيعة سونونو المألوفة ، وهو يشعر أن سونونو قد أتخذ لنفسه دورا امبراطوريا كرئيس للعاملين . وحين شغل تشينى هذا المنصب فى أيام فورد حرص على أن يبقى فى الخلف ، ويتجنب عباءة مساعد الرئيس ، لكن سونونو ارتدى هذه العباءة . وذات مرة تأخر بوش عن اجتماع الحكومة فألقى سونونو بنفسه على مقعد الرئيس - خروج بسيط عن اللياقة ، لكنه يرمز فى ذهنه إلى الإحساس بالأهمية الذى يمارس به سونونو وظيفته .

وكانت لدى تشينى كوزير للدفاع طائرات هليكوبتر أكثر من أي أحد ، فأمر أوينز بأن يستخدموا طائراتهم هم فى هذه الرحلة .

* * *

اتصل بندر بالملك فهد ليبلغه ، وأراد فهد أن يتأكد من أن التهديد العراقي حقيقى أن الرجلين يعرفان أن الكويت تأخرت في طلب المساعدة من الولايات المتحدة لأن الكويتيين كانوا يشكون فى أن الخطر العراقى يستخدم ستارا لارسال

قوات أمريكية إلى أراضيهم .

قال بندر لفهد أن صور الأقمار الصناعية توكد حقيقة أن المملكة فى خطر شديد ، وأن التهديد حقيقى .

سأله فهد "هل رأيت بعينيك الصور الجوية ؟" .

"" نعم يا سيدى" .

"اذن فقل لهم أن يأتوا ومعهم الصور الجوية" .

(١٨)

مطلوب إقناع الملك فهد بدخول القوات الأمريكية للسعودية

فى صباح الغائم يوم السبت ٤ أغسطس توجه تشيني وباول وولفوويتز وشوارزكوف وعدد من كبار قادته إلى كامب داڤيد .

كان تشيني راضيا عن خطة العمليات ٩٠ - ١٠٠٢ ، فهى الخطة الوحيدة التى لديهم ، وهو لا يريد ابتداع شىء فى قلب الأزمة .

ومضوا جميعا إلى المسكن الكبير فى المنتجع بقاعة مؤتمراته الحديثة . وجلس بوش وكويل وتشينى وسونونو وويستر وولفوويتز عند أحد جانبى مائدة المؤتمرات التى يبلغ طولها ٢٥ قدما . وفى الجانب الآخر جلس بيكر وسكاوكروفت وباول وشوارزكوف وفيتزوويتز وريتشارد هاوس . ووضعت خمسة نماذج طائرات صغيرة فى منتصف المائدة .

وبدأ ويستر الحديث بتقرير جديد للمخابرات . ولم يكن مدير وكالة المخابرات المركزية يحظى عادة باهتمام كبير في مثل هذه الاجتماعات ، لأن معظم كبار المسئولين يشعرون بأن معظم عروضه لا تعدو أن تكون مجرد تلخيص لتقارير والتحليلات السرية التى وزعت عليهم بالفعل .

أما هذا الصباح فقد كان تقريره ناطقا بذاته : لدى العراق قوة كبيرة لا

تستدعيها الضرورة في الكويت تبلغ مائة ألف رجل . وبعض هولاء الجنود يقتربون ويحتشدون عند الحدود السعودية - وهو نذير كئيب بما حدث قبل غزو الكويت . وكل ما يقف بين صدام وحقول النفط السعودية الواسعة كتيبة من الحرس الوطني السعودى تقل عن ألف رجل ودعا تشيني باول إلى الحديث ، وقال هذا ان الجنرال شوارزكوف سيقوم عرضا موسعا لخيار الشق الثانى الذى نوقش فيما سبق ، أى خطة العمليات ٩٠ - ١٠٠٢ وأضاف باول "ان الخطة قابلة للتنفيذ ، وستنجز مهمة الدفاع أوردع الهجوم وإذا اتخذ قرار فيما بعد بالتحرك شمالا نحو الكويت" فى ظل الخطة نفسها فسيكون هذا أمرا "قابلا للتنفيذ لكنه مكلف" ، وفى كل الأوضاع "فسيحتاج الأمر إلى عدة استدعاءات [للاحتياطى] لتعزيز هذه القوة في الأجل الطويل" .

وأوجز حديثه قائلا "هناك جانب ردعى وجانب فعالى ، وكلما أسرعنا بوضع شيء فى الميدان للردع كان ذلك أفضل لنا . وأسرع ما نستطيع الوصول به إلى هناك هو القوة الجوية . والأسطول موجود بالفعل ، وهناك المزيد من تحركاته . وخلال شهر يمكن أن يكون لدينا جيش ميدانى كبير فى العربية السعودية ، ولكن سيكون من الصعب الابقاء عليه هناك لفترة طويلة ، إذا لا يتبقى الكثير للأماكن الأخري ، لو نشبت أزمة جديدة .

ونبههم رئيس الأركان إلى أن هذه العملية - نظرا لحجم القوات اللازمة لمواجهة التهديد ، والمسافة التى عليها أن ترحلها - ليست بنما جديدة .

سأله سونونو - الذى كان يجلس بين كويل وويستر - ماذا عن القوات الجوية العراقية التى تواجه القوات الجوية السعودية .

أجاب شوارزكوف أن العراق يمتلك ١١٢٧ طائرة ، لكن الطائرات الجيدة منها محدودة ، وأن القوات الجوية العراقية تستخدم أساسا فى الدفاع .

وقال الليفنانت چنرال شارلز هورنر قائدة قوات سوارزكوف الجوية ان لدى السعوديين ٦٠ طائرة أمريكية الصنع من طراز اف – ١٥ و١١٥ طائرة أقدم من طراز اف – ٥ . وذكر أن السعوديين قاموا أثناء الغزو بتزويد القوة الجوية الكويتية الصغيرة بالوقود لكنهم رفضوا إعادة تصليحها ، مما أدى إلى معركة جوية عقيمة إستمرت يوما .

وبدأ شوارزكوف عرضه قائلا انه وان كان لدى العراقيين جيش كبير "فانهم ليسوا عملاقا" وأضاف أن قواتهم تشمل :

• قوات برية يبلغ مجموعها ٩٠٠٠٠٠ رجل وتتألف من ٦٣ فرقة ، لكن ٨ فرق منها – فرق الحرس الجمهورى – هي التى تثيرا اهتمامنا حقا .

. ما يصل إلى ٥٧٤٧ دبابة منها ١٠٧٢ دبابة سوفيتية من طرازات – ٧٢ . ومعظم هذه الدبابات الأخيرة موجودة الآن فى الكويت .

. نحو ١٠٠٠٠ سيارة مدرعة خفيفة ، منها ١٦٠٠ فقط من النوع المتقدم .

. نجو ٣٥٠٠ قطعة مدفعية ، منها ٣٣٠ فقط ذاتية الحركة ، أما الباقى فينبغى أن يقطر .

. ما مجموعة ٣٠٠٠ ناقلة معدات ثقيلة لنقل الدبابات ، وهذا عدد مثير فكل ما يمتلكه الجيش الأمريكى منها ٥٠٠ ناقلة .

وقال شوارزكوف .

"ولن تثير القوة الجوية قلقنا بعد فترة قصيرة نسبيا ، أما الأسطول فلا يمثل مشكلة .

وأوجز الجنرال حديثه قائلا ان من الواضح أن قوة العراق تكمن فى حجم قواته البرية ، وأسلحتها الكيميائية التى استخدمت فى الحرب العراقية – الايرانية

كما أستخدموها فى عام ١٩٨٨ ضد مواطنهم من المتمردين الأكراد فى شمال العراق .

أما أوجه ضعفهم فتشمل : القيادة والتحكم المركزيين ، والاعتماد على دول أجنبية فى الحصول على قطع الغيار ، ونقص الخبرة فى العمليات العميقة بعيدا عن المعارك الأمامية لأنهم اعتادوا أساسا على الهجمات الأمامية كما حدث فى الحرب العراقية الايرانية .

وقال شوارزكوف أن الوصول بالجانب الردعى من الخطة كاملا – والذى يبلغ ما بين ٢٠٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠٠ من القوات البرية والبحرية والجوية ومشاة البحرية – الى المنطقة سيستغرق ١٧ أسبوعا .

وحذر من أن الجانب القتالى أو القدرة الهجومية شىء مختلف تماما ، فقادة الجيوش يتحدثون عادة عن أن النسبة المرغوبة لعدد المهاجمين الى المدافعين هى ٣ الى ١ ، أو ٤ الى ١ ، أو حتى ٥ الى ١ . وفى حالة الهجوم ستكون الولايات المتحدة هى المهاجمة ، وفى هذه الحالة تنص الخطة على ستة فرق وثلثى فرقة فى الميدان ، أى نحو ١٥٠٠٠٠ جندى فى الجانب الأمريكى . ولن يحقق هذا النسبة التقليدية فى مواجهة ١٠٠٠٠٠ جندى عراقى، لكن المعدات الأفضل ، فضلا عن التاكتيكات الأفضل ، والسيطرة على الجو والبحر ، وكثيرا من العوامل الأخرى– الحصار الاقتصادى ، واحتمال مشاركة قوات من دول أخرى – ستجعل الهجوم ممكنا .

وقال شوارزكوف أنه بالنسبة لهذا الجانب القتالى فسيستغرق وضع القوة الأمريكية اللازمة لطرد صدام من الكويت فى مكانها ما بين ٨ الى ١٢ شهرا .

ودار بذهن باول أن من المهم ذكر هذه المواعيد الطويلة ، فمن الناحية العملية يمكن أن يكون كل جيش صدام الذى يبلغ ٩٠٠٠٠٠ رجل جاهزا لمقاتلة

كل ما يمكن للولايات المتحدة أن تضعه على الأرض فى المنطقة . ومن ثم فان كلا من الجانب الردعى والجانب القتالى سيكون صعبا ، وربما أكثر من صعب . ولابد أن يعرف الرئيس ذلك صراحة ، فباول لا يريد أن يثير العسكريون أى أحلام وردية عن سهولة العملية .

واستطرد شوارزكوف يعرض القيود المفروضة على الولايات المتحدة ، فستون فى المائة من عاملى الدعم اللوجستيكى للجيش فى الاحتياطى. وستعتمد الولايات المتحدة على أمدادات الوقود من دول الشرق الأ وسط ، ويكمن توقيع عجز فى الذخائر إذا بدأ إطلاق النيران .

وتحولت المناقشة بايجاز الى حملة جوية ممكنة - العمل بالقوات الجوية وحدها ، وتلك هى الميزة الأمريكية الواضحة - فقال شوارزكوف آن من الممكن توفير مئات الطائرات لذلك ، وعرض كيف يمكن نقل هذه القوات خلال أيام وآسابيع.

وأوضح تشينى وباول أنهما لا يرتاحان الى استخدام القوة الجوية وحدها .

وشعر باول بأنه أنجز شيئا على الأقل : لقد أصبح تشينى مؤمنا تماما بالحاجة الى القوات البرية .

ففى ذهن تشينى كانت القوة البرية هى السند الرئيس للقوة الجوية ، وهو يرى أن من الضرورى أ تباع نهج متشكك اذاء كل عناصر أى عملية نشر قوات ، فسواء كانت العملية دفاعية أو هجومية فأن التفوق الجوى قد يحقق ما هو مطلوب بسرعة وحده ، وهو يأمل أن يفعل ذلك لكن أحدا لا يمكن أن يكون على ثقة ، وبالطبع ستقول القوات الجوية أنها تستطيع أن تتولى الأمر كله ، لكن تشينى لايمكن أن يقتنع بذلك ، أو يعرضه عى الرئيس . وعلى أى حال فإن أى دفاع أو هجوم لابد أن يشمل قوات برية مقاتلة .

ولفت تشينى أنتباهم ثانية الى امكانية الدفاع البرى وتساءل : ماذا عن الأسلحة الكيميائية العراقية ؟ وماذا تعنى محاولة العمل بأزياء الوقاية من الأسلحة الكيميائية التى سيكون على القوات الأمريكية أن ترتديها فى الصحراء السعودية خلال شهر أغسطس .

وقال شوارزكوف أن الوحدات التى قد تنشر قد تدربت جميعا فى مركز التدريب الوطنى فى صحراء كاليفورنيا فى ظروف صيفية مشابهة الى حد ما وأضاف « أن المعدات غير مريحة للغاية ، وهى تقلل من القدرة القتالية ، لكننا تدربنا عليها كثيرا »

وحين عادت المناقشة مرة أخرى الى امكانية الحملة الجوية حذر تشينى قائلا «يبدو من التاريخ السابق أن الحملات الجوية كثيرا مالم تحقق النتائج المتوقعة منها» .

وقال شوارزكوف «لست من دعاة القوة الجوية وحدها لكنه أضاف أن« هناك أربعة عوامل توحى بأن الجو قد يكون بالغ الأهمية هنا ، الأول أنها منطقة غنية بالأهداف - والرؤية فيها سهلة والثانى أنه ليست لدى العراق خيرة بالعمل تحت هجوم جوى" ، فأثناء حرب السنوات الثمانية بين ايران والعراق لم تكن لدى الايرانيين قوة جوية كبيرة يستطيعون استخدامها ، ولذا فقد اعتاد العراقيون العمل تحت سماء خالية .

وواصل شوارزكوف حديثه قائلا "وسيسبب هذا قدرا كبيرا من الفوضى والارتباك . والعامل الثالث أن لدينا ذخائر متقدمة بدقة لم تتوفر من قبل .

والعامل الرابع أن الهجوم الجوى سيكون له تأثير معنوى كبير على العراقيين فى المؤخرة الذين لم يتعرضوا أبدا لخطر في الماضي " .

وأضاف شوارز كوف أنه مع ذلك فليس هناك ضمان.

وقال باول انه يرى أن المسألة ردع - منع صدام من القدوم الى العربية السعودية - وأضاف " وإذا أردتم أن تردعوا فلا تقيموا دفاعا زائفا لاتخلقوا ردعا زائفا " ، فهذا واحد من أكبر الجيوش البرية فى العالم ، ولا بد من مواجهته بقوات برية . " فاذا كنتم ستفعلونها حقيقة وبالشكل السليم " .

وأعرب البعض عن القلق من أن يعرض القتال للخطر الأماكن الاسلامية المقدسة في العربية السعودية ، وهو تطور سيهز العالم العربى ، فكلا الحرمين الاسلاميين موجودان في العربية السعودية - مكة مكان مولد الرسول ، والمدينة التى دفن فيها وسأل سونونر : وأين تقع مكة ؟

وقيل له ان مكة تقع فى الجانب الأخر من العربية السعودية على بعد نحو ٧٠٠ ميل جنوب الكويت .

وقال سكاوكروفت " يشعر السعوديون بالقلق حول ما إذا كنا جادين حقا اننا نستطيع القيام بالكثير فى الجو ، لكن مانريده حقا هو قوة برية ، فالطائرات يمكن أن تهرع خارجة وهذه الخطة تعتمد أكثر مما يجب على الجهة الجوية .

وقال تشينى أن الأمير بندر كان يشعر بالقلق من أن يكون كل ما تفعله الولايات المتحدة هو ارسال سرب مقاتلات ، لكنه تأثر كثيرا لأن الخطة التى عرضت عليه في اليوم السابق بدت جادة.

وتدخل بوش فى المناقشة قائلا " ان ما يقلقنى بشأن السعودين هو أن يكونوا أول من يهرع بالخروج فى اللحظة الأخيرة ، ويبقلون قيام نظام دمية في الكويت وعلينا أن نسألهم عن مدى التزامهم "

قال سكاوكروفت " انها أشبه بمسألة البيضة والدجاجة ، فهم لايستطيعون

أن يجاهروا بموقفهم مالم يعرفوا إذا كان بوسعهم أن يعتمدوا علينا " .

أجاب بوش " لكنك حين يبدو وطنك معرضا للغرو تختطف مذراة وتذهب الى الحدود " .

قال سكاوكروفت " لكن هذا هو الشرق الأوسط " وذكّرهم بأن الكويتيين لم يعبئوا قواهم حين كانوا مهددين .

وسأل الرئيس : " ماذا عن هذا الاعلان عن الانسحلب ؟ " مشيرا الى بيان كان العراقيون قد أصدروه فى اليوم السابق يدعون فيه أن قواتهم ستبدأ في مغادرة الكويت خلال يومين .

وبدا أن كل الحاضرين متفقون على أن الاعلام قد يكون كافيا لدفع الدول العربية الى تطويق الوضع ، والقول بان كل شيئ سيكون على مايرام والإصرار على ان تبقى الولايات المتحدة بعيدة . وقال سكاوكروفت لا تقللوا من شأن صدام حسين ، فهو قادر عى أن يسحب لواء لكى يعطى للسعوديين ذريعة " وعاد هذا بالمناقشة الى الأسئلة التى لم تجد اجابات : ماذا يريد صدام حقا ؟ وماهى بالدقة تحركاته التاكتيكية ؟ وما هى أهدافه النهائية ؟

وقال سونونو " هناك ثلاثة أمور يريدها العراقيون من حكومة صنيعة ؟ الأول الأموال ، والثانى الاعفاء من الديون والثالث السيطرة على النفط .

وقدم شوراززكوف تصحيحا طفيفا قائلا ان من الممكن اختصار الشروط قبل الغزو على النحو التالى : تعديل الحدود بين العراق والكويت لصالح العراق ، والاعفاء من الديون ، ودفع ٤ مليارات دولار ، والسيطرة على جزيرتين كويتيتين صغيرتين تسيطر عليها الكويت هما جزرتين وربة وبوبيان ، في الركن الشمالى الغربى من الخليج ، ويريد صدام هاتين الجزيرتين غير المأهولتين لأنهما تغلقان

منفذ العراق على الخليج .

وردا على السؤال عما إذا كان العراق سينسحب قال شوارزكوف " لقد أرسلوا الكثير من القوات العراقية الخاصة في ملابس مدنية ، وقد يخططون لتركهم وراءهم "

وقال باول " حتى لو انسحب العراقيون تماما فسيكون هناك أمير مختلف ووضع مختلف" . وكانت فكرة باول هى أن رئيس دولة الكويت سيكون رجلا مختلفا ، وان الوضع القائم في الكويت وفي المنطقة بأسرها قد تغير الى الأبد .

وقال سكاوكروفت " ان هذا الأمر مدبر لكى يكون جذابا للجامعة العربية " فاجتماعات الجامعة العربية ترمى عموما الى اظهار الوحدة العربية والقبلات والمصالحات . وأضاف سكاوكروفت ان " الكويت ليست محبوبة بين العرب " وقال بوش في النهاية " وهذا هو السبب في أن الدفاع عن العربية السعودية ينبغى أن يكون بؤرة تركيزنا " .

وشعر باول بالابتهاج لأن الرئيس يبدو متفقا معه ، لكنه ظل غير متأكد مما قد يقرره بوش .

وأجل الاجتماع ، ولكن طلب من كبار المسؤلين - بوش وكويل سونونو وبيكر وسكاوكروفت وتشينى وباول ووبستر البقاء لاجتماع " للكبار فقط " وعرض على هذه المجموعة الصغيرة تقرير مخابرات أكثر حساسية عن العربية السعودية فجمع المعلومات عن أصدقاء الولايات المتحدة وحلفاءها من أخطر الأعمال التي تقوم بها مختلف وكالات المخابرات الأمريكية . لكن صديق اليوم يكون عدو الغد - والصداقات على درجات وعلى أى حال فان لدى وكالات المخابرات أوامر بتكون شبكة واسعة . وكثير ماتكون المعلومات عن الأصدقاء أكثر توافر من المعلومات عن المحايدين والأعداء لأن الولايات المتحدة تزود كثيرا من الحلفاء بالاتصالات

ومعدات الشفرة ، وسبب الاشتراك فى الموجات ، وقرب العاملين في المخابرات الأمريكية من الدول الصديقة . ولتجميع هذه المعلومات تستخدم الوكالات كل شيء ، من أبسط الأساليب ، مثل التصنت على التليفونات ، الى أكثرها اثارة مثل القياس الاليكترونى لذبذبات نوافذ المباني لالتقاط المحادثات الدائرة في الداخل ، الى المصادر البشرية داخل الحكومات الصديقة .

وأوضح تقرير المخابرات أن القادة السعوديين بدأو يشعرون بالخوف ، وأنهم على مايبدو يبحثون – كما فعلوا كثيراً في الماضى – شراء سلامتهم بعرض عدة مليارات من الدولارات من عائدهم من النفط على صدام . وقد كان السعوديون على استعداد لدفع أتاوة الابتزاز من قبل .

وساد المجتمعبن قدر من التشاؤم بشأن العرب عموما ، وألقى الجميع . اللوم عليهم ، فهم لايعتمد عليهم ، ويمكن أن يدفعوا للص الذى يتهددهم . بل لقد كان هناك حديث عن تنحية هذه الأزمة جانبا وتهدئتها ، فقوه الولايات المتحدة – على أى حال – محدودة ، وهى لاتستطيع أن تساعد من لايريدون مساعدة أنفسهم .

ورغم هذه النغمة السلبية التى انتهى بها الاجتماع فقد تقرر أن يتصل الرئيس بالملك فهد ليجس النبض ويعرض القضية .

وغادر نشينى وباول كامب دافيد فى وقت الغداء تقريبا . وتوجه تشينى الى مكتبه فى البنتاجون حيث كان بعض معاونيه يحومون متحرقون الى معرفة ماحدث ، فقال لهم شبه مازح "ماذا تريدون بحق الجحيم ؟ " ، ورفض أن يقدم أى تفاصيل . وحمل رزمة من الأوراق وتوجه الى منزله .

* * *

بقى سكاوكروفت في كامب دافيد مع الرئيس أثناء اتصاله بالملك السعودي لقد حان الوقت لقدر من الضغط . واخبر بوش الملك بأن صدام يحشد القوات على حدود الملك ، وأن على السعوديين أن يتصرفوا .

وقال فهد ان العربية السعودية لاتحتاج قوات برية للدفاع عنها ، وان السعوديين لايريدون الا مساعدة جوية وربما بعض المعدات . كما قال ان الأمير بندر أبلغه بالعرض الذى قدم له في البنتاجون في اليوم السابق . وقد فهمت أنكم سترسلون فريقا لاطلاعى على أخر الصور الجوية ، وعلى قدراتكم عل مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا . وسأل " أين هو هذا الفريق الذى سترسلونه ؟ ".

لم تكن لدى بوش أدنى فكرة عما يتحدث عنه الملك ، فلم يكن يعرف شيئا عن هذه الخطة ، ولم تكن قد نوقشت مع أي من مستشاريه .

قال بوش لفهد " لم أكن أعرف أنكم تنتظرون فريقا ، لكننا سنشكل واحدا " فقال فهد انه يريد فريقا ، فريقا تقنيا أو اداريا منخفض المستوى

وفيما بعد تبين بوش وسكاوكروفت أن فكرة الفريق هي كل ما إتفق عليه الملك وبوش . ولم يكن واضحا أى نوع من الفرق سيكون الأفضل . من الذى ينبغي ارسالة ؟ ولأى غرض بالتحديد ؟ ومتى ؟ ودارت سلسلة من المكالمات التليفونية حيث تباحث بوش وبيكر وسكاوكروفت مع الآخرين حول الامكانات . ورد تشينى بأن كل ماعرضه على بندر في اليوم السابق هو فريق تنسيق ، بحيث تصل القوات الأمريكية - إن هي دعيت - الى الأماكن الصحيحة.

وقال بندر انه يعتقد أنه ذكر فكرة الفريق لسكاوكروفت ، ولكن سكاوكروفت لم يتذكر.

وقال بوش لسكاوكروفت " أريد أن أفعل ذلك .. وأن أفعله (على كبير) ..الى

أكثرها اريد آن أرسل من يمثلونى شخصيا ، على أن يكون مفهموا أنهم لن يعودوا دون أن تكون قرارات قد اتخذت " . كان الرئيس يريد أن يستخدم الفريق لزيادة الضغط على الملك فهد .

وطرح بوش إمكانية ارسال سكاوكروفت ، فارسال شخص منخفض المستوى سيترك السعوديين فى وضع مريح لايكون عليهم فيه أن يتخذوا قرارا ، لكن سكاوكروفت ، أو فريقا رفيع المستوى سيجعل من الصعب على الملك أن يسوف أو أن يرفض . وقرروا أن يرسلوا عرضا لايستطيع الملك فهد رفضه .

وواصل بوش دبلوماسيته الشخصية ، فتحدث مع الرئيس التركي تورجوت أوزال ومع بريان مولردني رئيس وزراء كندا ، وهما رئيسان كانا قد أعربا بالفعل عن معارضة شديدة لغزو صدام .

كما تحدث الرئيس مع الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت ، وهو رجل صموت يقف على رأس الأسرة الحاكمة الكبيرة في الكويت منذ ١٩٧٨ . وكان الأمير قد فر بالسيارة الى السعودية قبل دقائق من وصل الجنود العراقيين الغزاة الى قصره ليأسروه أويقتلوه .

وكان حديث بوش مع الأمير متعاطفا وانفعاليا . وتعهد للقائد الكويتى المنفى بأن الولايات المتحدة ستساعده على استعادة بلاده ، وتضمن عودته الى السلطة .

* * *

حين سمع باول عن الحديث بين بوش وفهد عن " الفريق " شعر علي الفور بيد بندر .. ان الأمير يعمل وقتا اضافيا ... وهكذا تحول ميل بوش الى المساعدة واقتراح تشينى باستخدام شورازكوف في تنسيق عملية محتملة الى " فريق " يقدم عرضا للملك . واعتبر باول ذلك "خلطا مفيدا" من جانب بندر ، فها هو مرة

أخرى يلقى البلدين بذكاء في أحضان بعضها بعضا .

ولم تعد المسألة بالنسبة لبوش هي فحسب من سيرسل ، وانما كذلك ماذا يعرض بالدقة على فهد . لقد أبدى الملك بالفعل عدم استعداد لقبول قوات برية أمريكية ، وهي جزء رئيسي من خطة عمليات شوارزكوف ٩٠ -١٠٠٢ .

وخشي سكاوكروفت أن يفشل الفريق ، فأجرى سلسلة من المباحثات مع بندر ، وقال له انه إذا لم يكن الفريق سيحقق نتائج فان من الأفضل أن يرسل الرئيس فريقا من مسئولى الخارجية أو منخفضي المستوى ، أما إذا كانت أمامه فرصة للنجاح ، إذا كان في وسع مسئول أمريكى أن يقنع الملك ، أو يضيق هامش الخلاف ، فان بوش يمكن أن يرسل مسئولا كبيرا مثله هو أو مثل تشينى وفى الوقت نفسه أراد أن يعرف ما إذا كان من الممكن أن يقبل الملك القوات الأمريكية قبل أن يختار الرئيس من يرسله ، وبعبارة أخرى هل يستطيعون أن يعتبر المسألة منتهية قبل أن يرسل الرئيس رجله ؟

وأجاب بندر أن الملك ليس على استعداد بعد ، وأن مناقشات مكثفة تدور داخل الأسرة المالكة ، وأنه هو نفسه ذاهب الى العربية السعودية بعد الظهر للاشتراك فيها ، ولاضافة حججه في صف قبول القوات الأمريكية ، ووعد بأن يتصل بسكاوكروفت بعد أن يصل الى المملكة ويتحدث مع الملك.

وخلال هذا الوقت قرر بوش أن يرأس تشينى الفريق اذا قبله السعوديون ، فهو مسؤل كبير بما يسمح له بأن يعمل كممثل للرئيس ، كما أنه كوزير للدفاع يمكن أن يتكلم عن الشؤون العسكرية بصلاحية كاملة .

ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر اتصل سكاوكروفت بتشينى فى منزله وأوضح له أن بندر قد صاغ مناقشاته السابقة ووسعها الى فكرة ارسال فريق . لكن هذا قد يساعد الوضع بالضغط على الملك . إلا أنه لاتزال هناك فى الوقت

الحالى بعض الشكوك حول ما إذا كان الملك سيقبل رجلا رفيع المستوى مثل تشيني ، لأن قبوله قد يجعل من المستحيل عليه تقريبا أن يرفض.

وقال سكاوكروفت لوزير الدفاع ان عليه أن يبقى على استعداد . وقد يساعد صدام في الضغط على السعوديين باستمراره في حشد قواته عند الحدود ، ورفض تقديم تفسير لنواياه للسعوديين ، فصمت صدام يثير رعب السعوديين الشديد.

وبعد نحو ساعة اتصل تشينى ببيت ويليامز المتحدث باسمه - الذى كان في بيته ينظف سيارته - وطلب منه أن يعد حقائبه ، فهما ذاهبان الى العربية السعودية في اليوم التالى وأضاف " لست متاكدا من أننا سنذهب ، ولكن يبدو الأمر كذلك . وستعرف ذلك على سبيل اليقين في العاشرة صباح الغد"

* * *

حزم ويليامز حقائبه وتوجه الى البنتاجون صباح الأحد حتى يكون جاهزا لقرار الساعة العاشرة صباحا ، وقرأ صحف الصباح ، وشاهد برامج المحاورات التى تعرض يوم الأحد.

ووصل شوارزكوف - الذى استدعي من فلوريدا ثانيا - الى مكتب وزير الدفاع ، وفيما هما فى انتظار كلمة السعوديين جاء سكاوكروفت الى البنتاجون . وكان تشينى - الذى يواصل دراسته للعراق - قد دعا مجموعة من الخبراء لتعريفه ، ومنهم بات لانج ضابط المخابرات في وكالة مخابرات الدفاع وداقيد ج نيوتن السفير الأمريكى السابق في العراق وخبيران آخران

وركز لانج على الجيش العراقي ، وفى حين تحدث نيوتن عن الوضع الداخلي في العراق .

قال لانج " اذا قال لكم أحد أن العراقيين غير قادريـن فلاتصدقوه إنهم أشداء جدا ، ويستطيعون أن يمضـوا حتى الظهـران { مدنيـة نفطيـة على الساحل السعودى للخليج } وصدام لايخادع " . ولدى صدام قدر كبير من المعدات العسكرية حديثة الطراز .

وقال تشينى انه يريد ان يعرف ماهو العراق ومن هو صدام " أريد أن أعرف كيف تبدو المسألة من الجانب العراقي ".

وتحدث السفير نيوتن نحو ثلاثين دقيقة ، لقد عمل سفيرا في العراق من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٨ ويعرف الكثير عن البلاد . وهو يدرك جيدا أن تشينى وغيره من واضعى السياسة الأمريكيين يفتقرون الى المعلومات المباشرة عن كيفية اتخاذ صدامللقرارات.

ان لدى المخابرات الأمريكية مصدر في حلقة صدام الداخلية ، لكن لايحضر الإجتماعات المنتظمة لمستشارى الرئيس العراقي . فليست هناك معرفة حقيقية من الداخل.

وكان الغزو قد باغت نيوتن ، فعندما يقول قادة عرب آخرون مثل الملك حسين ومبارك بشكل قاطع .. أنظروا .. لقد أخبرنى صدام أنه لن يفعل ذلك .. فان هناك من الأسباب مايدعو الى الاعتقاد بأنهم يقولون الصدق ، فلدى العرب مايمكن تسميته بنادى رؤساء الدول الذى يميل أعضاؤه الى تصديق التصريحات الشخصية لبعضهم بعضا كحقائق مطلقة وقد استنتج نيوتن أن حشد القوات العراقية على الحدود كان نوعا من الدبلوماسيه العنيفة ، وهو يخشى الآن أن تقع الولايات المتحدة ضحية " لمرض الرجل العقلاني " وهو اتجاه الى تحليل القادة الأجانب باعتبارهم واضعي قرارات عقليين تماما . لكن هذه الطريقة ليست صالحة للتنبؤات في عملية يديرها رجل واحد كما هو الشأن في العراق .

وقال نيوتن لتشيني ان صدام " قائد صلب وقاس وعنيد وذكي ووحشى أحيانا اعتاد أن يفرض مسلكه " ، وتاريخه السياسي يؤكد اصراره ، وهو لا يسمح بالمعارضة السياسية ، وقد قتل بعض خصومه - وان كان نيوتن يرى ان بعض القصص عن اعدامات صدام مبالغ فيها . وأضاف أنه لما كان معظم العراقيين يؤمنون بأن الكويت جزء من العراق فان عملية السحق والاختطاف التى قام بها صدام ستحظى بالشعبية ، لكن الرأى العام على أى حال لايحدد مايفعله صدام .

ومضى نيوتن يقول ان صدام يؤمن بالاستخدام العملى للقوة ، وأنه لايبالي بآلام الأخرين . ويبرر أعماله بأنها تخدم الأغراض العليا للدولة العراقية ، وأنه بارد الأعصاب .

وقد يكون العراق منهكا من الحرب ، وراغبا في قدر من مكاسب السلام ، والجيش العراقي مليء بالمجندين المدنيين الذين أمضوا عشر سنوات من الخدمة ويريدون أن يعودوا الى بيوتهم ، لكن الجيش العراقي ليس بالخصم الهين .

وأضاف نيوتن - الذى التقى أربع مرات بالرئيس العراقى - أن صدام لا يعتبر أنه أصلب من الولايات المتحدة ، وأنه لا يحترم الديمقراطيات - كما قال الخبراء لتشينى وسكاوكروفت أن صدام لا يعانى من عقدة الماسادا ، وأنه ليس انتحاريا ، فهدفه هو السلطة ، ولديه المرونة ومهارات المناورة اللازمة لرجل يسعى إلى أقصى قدر من السلطة .

* * *

تحدث سكاوكروفت هاتفيا مع بندر الذى كان قد عاد الى العربية السعودية فقد شعر مستشار الأمن القومى بأن من المهم أن يرسل فريقا رفيع المستوى الى هناك ، ولابد له أن ينجح ، فلو أنه فشل فسيكون ذلك بمثابة دعوة لصدام الى

الغزو ، وسيبين للزعيم العراقى بشكل قاطع أن الولايات المتحدة والعربية السعودية لا تقفان معا ، وأن الولايات المتحدة لن تدعم السعوديين أو تدافع عنهم ، وأن السعوديين لا يريدون مظلة حماية أمريكية .

ونحو الظهر أوضح بندر لسكاكروفت أن الملك لن يقبل شخصا فى مستوى تشينى ، انه يريد شخصا أدنى مستوى ، ربما ليكون من الاسهل عليه أن يرفض وهذا بالتحديد مايخشاه سكاوكروفت .

لكن بوش قال اللعنة .. دعونا نرسل شخصا على أى الأحوال . واتفق على إرسال الجنرال شوارزكوف . ولما كان الجنرال سيقود الآن الفريق ، ولكى يكون مجرد دعم لمهمة تشينى فسيأخذ معه عددا من كبار ضباطه ومخططيه ، وعليه أن يسافر عائدا الى فلوريدا ، للمرة الثالثة خلال أربعة أيام ، ليأخذهم ويتوجه من هناك مباشرة بطائرته الى العربية السعودية .

وكانت المعلومات القادمة تبين أن صدام لا يسحب قواته من العراق ، بل ان مزيدا ومزيدا من القوات العراقية كان يصل الى هناك .

* * *

وفى العربية السعودية قيل لبندر ان الملك أمر بعض الكشافين السعوديين بعبور الحدود الى الكويت ليعرف ما إذا كانوا سيرون القوات العراقية التى ذكرها بندر . وقد عاد الكشافة قائلين انه لا يوجد شيئ ، وليس هناك أثر لقوات عراقية تتجه نحو المملكة .

وأوضح بندر مرة أخرى للملك أنه رأى الصور الجوية . ودار جدال بين الملك ومستشاريه . وأعرب الكثيرون عن الشك . وقال بندر ان على الملك أن يرى بنفسه ، وأن الشك ذاته سبب يدعو الى الموافقة على حضور الفريق الأمريكى

ليقدم عرضه وأن من الأفضل أن يقبلوا تشيني وليس ممثلا أدنى منه مرتبة.

وأخيرا وافق الملك فهد .

واتصل بندر بسكاوكروفت وقال ان الملك وافق على ارسال تشيني "فهلموا وارسلوه"

وسر سكاوكروفت ، لكنه تعجب من تغير قلب السعوديين ، وأحس بندر بأن سكاوكروفت قد ذعر ، فهذه الأمور يحتاج انجازها الى وقت ، وهناك دائما تقدم وتراجع .

وأتفق الاثنان على أن هذا لايعني بالضرورة أن الملك قد اتخذ القرار الأكثر أهمية بقبول القوات الآمريكية ، فلا يستطيع بندر أن يقدم تأكيدا مطلقا لذلك ولكن مع نهاية الحديث شعر سكاوكروفت بأن عليهم أن يخاطروا بأرسال تشيني.

ووافق الرئيس .

واتصل سكاوكروفت بتشيني ثانية قائلا « أنهم سيقبلونك ...، إنك ذاهب »

وحدد موعد الرحيل في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر ذلك اليوم ، على أن يصحب تشيني معه جيتز وشوارزكوف ونحو ستة آخرين .

وقبل أن يرحل تشيني تحدث مع بوش الذى كان لايزال فى كامب دافيد . لم يكن هناك وقت لتعليمات رسمية مكتوبة ، وحدد الرئيس الخطوط العامة للمهمة شفهيا . قال لتشيني أحصل من الملك على موافقة على قبول القوات الأمريكية احصل على هذه الدعوة ، أقنعه ، وأثبت له أن الادارة ستلتزم تماما بالدفاع ولن تتراجع. واذا وافق الملك فهد على دعوة القوات الأمريكية فان بوش سيرسل بها بأعداد ضخمة، وستبقى هناك طالما كان ذلك ضروريا، ولكن لن تبقى أكثر مما

يريد السعوديون .

لم يعرف بأول بأن تشيني راحل الى العربية السعودية ، إلا بعد أن أصبح هذا في الجو تقريبا، وإذ هو يستعرض في ذهنه أحداث الأيام الأخيرة لم يستطع أن يحدد بالدقة متى قرر الرئيس أن هذا النشر الواسع للقوات هو ما يريده .لم تكن هناك ورقة تحمل القرار أو البدائل أو الآثار . ولم يكن هناك تصريح واضح عن الأهداف . وانما الأمر الوحيد الواضح هو أن الرئيس معنى بعمق - بل بانفعال - بمصير العربية السعودية .

وشعر بأول بأنه لعب دوره الصحيح، وأوضح ضرورة أداء الأمر بشكل سليم - القوات البرية ، القوة الجوية، خطة العمليات ٩٠ - ١٠٠٢، وها هو شوارزكوف في طريقه الى العربية السعودية ومعه نسخته من «عشرة صفر اثين» التي توضح نشر ٢٥٠٠٠٠ من الجنود والطيارين والبحارة .

وبعد الظهر كان بأول يشاهد قناة السي ان ان بينما بوش يخطو خارجا من طائرته الهليكوبتر فوق حشائش البيت الأبيض . ومضى بوش الى الميكروفونات ليعلق على النشاط الدبلوماسي - الأحاديث مع القادة في تركيا واليابان وكندا وفرنسا وألمانيا ، ومع أمير الكويت المخلوع حاليا، وقال الرئيس « ان الأمر الذي يتضح الآن هو أنه لا أحد يبدي استعدادا لتتقبل ماهو أقل من انسحاب القوات العراقية الكامل من الكويت ، وبدون نظام صنيعة»

سأله أحد الصحفين « هل ستتحركون عسكريا ؟»

أجاب بوش بغضب واضح « لن أناقش معكم ماهي خياراتي أو ما قد تكون ، لكنها واسعة جدا ، وهذا ما أستطيع أن أؤكده لكم. لقد كذب العراق مرة أخرى ، فقد قالوا انهم سيبدأون التحرك اليوم ، وليس هناك شاهد على أنهم يخرجون»

وحين ألح عليه الصحفيون رد بوش حانقا « انتظروا فحسب ... انتظروا وتعلموا ».

وأخذ يلوح بأصبعه وقد ازداد غضبه بوضوح « أننى أنظر بجدية بالغة الى تصميمنا على رد هذا العدوان... لن يستمر هذا .. لن يستمر هذا العدوان على الكويت» قال باول فى نفسه « أوهوه إ» ان الرئيس يطرح الآن، بوضوح وبشكل قاطع ، هدفا جديدا .. لاردع الهجوم على العربية السعودية والدفاع عنها فحسب بل رد غزو الكويت. وذهل باول. إنه لم يشعر، ولم يتحدث مع بوش منذ اجتماع كامب دافيد صباح اليوم السابق .

صحيح أن بوش قال فى أول يوم بعد الغزو أنه يريد رده ، إلا أن هذا لم يحفر فى الصخر ، ولكن هاهو الآن .. تصريح شخص وانفعالى.

لقد شاهد باول من قبل رؤساء يخرجون من طائرتهم الهليكوبتر و ينفجرون على هذا النحو. وأحيانا ، ما كان هذا صدفة ، وأحيانا ماكان متعمدا ، وربما كان بيكر أو سكاوكروفت أوتشينى أو أحد آخر قد أشار على الرئيس بذلك أو أوصاه به، وربما كان شيئا يفكر فيه الرئيس منذ بعض الوقت. لكن باول يعرف أنه هو لم يكن بالتأكيد مشاركا فى ذلك . فلم يعقد اجتماع لمجلس الأمن القومى، أو تجرى مناقشات ، ولم يستطع رئيس الآركان أن يفهم لماذا وضع الرئيس هذا المؤشر الجديد ، مغيرا تعريف النجاح تغييرا جذريا فمنع صدام من دخول بلدان أخرى مثل العربية السعودية شيء ، ورد غزو تم بالفعل شيء مختلف كثيرا ، والفرق من الناحية العسكرية أشبه بالفرق بين النهار والليل ، فالدفاع عن العربية السعودية يمكن أن يتم دون قتال .. وقد قال شوارزكوف لبوش أن حشد قوات أمريكية على مستوى يكفى لطرد صدام من الكويت سيستغرق من ٨ شهور الى أثنى عشر شهرا ولعل رد غزو ماهو أصعب مهة عسكرية مقصورة ، ولم تتح

لباول - الرجل العسكرى الأول - فرصة لعرض تقييمه.

كان هذا التصريح الغاضب أكثر مما توقع باول من بوش ، وإن باول ليعجب للمسافة التى قطعها بوش فى ثلاثة أيام ، كان الأمر يبدو لباول وكأن بوش يمسك فى كل من يديه بمسدس ذى ست طلقات وأخذ يطلق النار

* * *

توجه باول الى البيت الأبيض هذا المساء لحضور إجتماع لمجلس الأمن القومى ، ورأي أن بوش مازال رئيسا حاسما ، لقدحسم أمره ، واتخذ قراره . واذا حصل تشينى على الدعوة فسيذهب الرئيس الى العربية السعودية .وحاول باول أن يكيف تعليقاته ومشورته مع هذه الحقيقة الواضحة .وطرح أربع نقاط فى الاجتماع.

* أن صدام لايريد حربا مع الولايات المتحدة ولا يتحملها ، انه قاس ولكنه عقلانى ويستطيع ان يرى أنه سيخسر أى حرب شاملة مع القوة العظمى الأمريكية . وعلى أى حال فان من المهم أن ندفع صدام الى التفكير فى انه لايريد حربا مع الولايات المتحدة ، ولذا فان عليهم أن يضعوا قوات هناك

* وكما سبق له أن قال فلابد أن ترسل قوات كافية ، لا دفاع زائف ولاردع زائف . وستكفل خطة عمليات ٩٠ - ١٠٠٢ السيطرة على الجو والبحر. وينبعى أن تشمل القوات البرية فرقا ثقيلة حتى تكون ردعا مصدقا وقوة قاتلة مصدقة

* ينبعى أن ترسل على الفور قوة رمزية - عناصر من اللواء الجاهز من الفيلق ٨٢ - كشاهد على الالتزام

* ينبغى أن يكون نشر القوات منظورا حتى يراه صدام ويعرف أن أي

هجوم على العربية السعودية سيدخله فى قتال برى مع الأمريكين .

وبدا أن بوش قد راقت له نقاط باول ولم يختلف معها ، وقال نفذوا المهمة أياكان ماتكلفه .شعر باول بأن التقارير القادمة من وكالات المخابرات تصبح أكثر وأكثر هيسترية ، وكلما ازدادت قلقا كان هو يصبح أقل قلقا ، فهو يؤمن بأن صدام يقامر .إن الزعيم العراقى قد اعتقد أنه يستطع أن يفلت بالكويت ، واعتقد أنها تستحق المقامرة ، فالكويت هى هدفه - صغيرة وغير محبوبة وثانوية فى المنطقة ، وثرواتها مصدر سخط فقراء العالم العربى ، لكن صدام يعرف أن العربية السعودية شىء مختلف تماما ، فمهاجمة العربية السعودية سيكون افراطا من جانبه ، إذ سيكون هجوما مباشرا على الغرب المعتمد على النفط .

ولاحظ بيكر - مثل باول - أنه لم يكن هناك نقاش حول مسألة نشر القوات ، وبالمثل هناك مناقشة عن مستوى القوات ، فنشر القوات قرره چورچ بوش ، ومستوى القوات قررته خطة العمليات ٩٠ - ١٠٠٢ .

وبيكر يحب أن يحل المشكلات بالمفاوضات والصفقات ، وهو في طريقه الى انهاء الحرب البارده بالمفاوضات ، ويأمل أن تتاح الفرصة سريعا لاستخدام الدبلوماسية في هذه الأزمة.

وفيما بعد اشتكى بيكر لعدد من أقرب معاونيه من أن البيت الأبيض يمضى متعجلا ، دون أن يفكر جيدا فيما يصنع . انه يؤمن بأن العربية السعودية مصلحة أمن قومى حيوية ، وتقارير المخابرات تبين أنها مهددة . لكن بيكر يعرف مدى تحريك القوات ، فأول الوافدين لن يتجاوزوا بضعة آلاف . وقد أبدى تحفظات شديدة " ان هؤلاء الشباب سيذبحون لو هاجمهم صدام حسين "

(١٩)

بـوش سـعيد جـدا بموافقـة السعـوديين على إنتشار القوات الأمريكية بالسعودية

أقلعت طائرة تشيني – وهي نفاثة حديثة مريحة شديدة الشبه بطائرة نائب الرئيس " القوات الجوية رقم اثنين " – من قاعدة أندروز الجوية نحو الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم الأحد . وكان بصحبة تشيني الجنرال شوارزكوف – الذي قام برحلته الرابعة الى واشنطون في خمسة أيام – وبوب جيتز من مجلس الأمن القومي ، وبول ولفوويتز وكيل الوزارة للشؤون السياسية ، وبيت ويليامز ، وشارلز و. فريمان السفير الأمريكي في العربية السعودية وهو رجل سياسة خارجية محترف يتحدث العربية ، وخبير من وكالة المخابرات المركزية من المركز الوطني لتفسير الصور ومعه آخر صور الأقمار الصناعية بالغة السرية .

وكان رجل وكالة المخابرات المركزية حريصا للغاية على الأمن حتى كان يتصرف وكأنه مرتبط جراحيا بحقيبة الصور على ركبتيه .

وقال تشيني انه يريد اجراء تمرين على عرضهم أمام الملك فهد . وقال انه سيبدأ بملاحظات عامة ، ثم يقوم رجل وكالة المخابرات المركزية باطلاع الملك على الطريقة التي أنجز بها العراق الغزو ، وعلى القدرات العراقية التي تحتشد قرب الحدود السعودية ، ثم يقدم شوارزكوف عرضه عما تستطيع الولايات المتحدة أن

تقوم به للمساعدة على الردع والدفاع ، ثم يختتم هو بتقديم ملخص.

وقال تشيني انه يعتزم أن يقول مايلى : أن الولايات المتحدة ترتبط بعلاقة قديمة العهد بجلالتكم وبالمملكة السعودية . ولن نأتى الا إذا أردتمونا أن نأتى : ولن نبقى الا قدر ماتريدوننا أن نبقى ، فنحن لا نأتى لاقامة وجود عسكرى دائم . وانما سنبقى قدر مانستطيع أن نؤدى المهمة . ولن يكون هذا الوجود ضعيفا أو جزئيا ، بل سيعكسة التزام الرئيس بالدفاع الكامل عن بلادكم ، ولن نتراجع ونتخلى عنكم .

وأخرج رجل وكالة المخابرات المركزية عددا من الصور وبدأ تفسيرا تقنيا لها ، فأشار الى صفوف من فئات الدبابات العراقية التى تتخذ مواقعا حصينة فى الصحراء ، وحول كل منها تحصينات رملية من الأمام والجانبين . وتثبيت الدبابات وتحويلها على هذا النحو تاكتيك دفاعي نموذجي ، لكن بوسع الدبابات أن ترجع الى الخلف ثم تتقدم الى الأمام في فترة قصيرة اذا قرر العراقيون شن هجوم سريع . وهناك نحو ٧٠٠٠٠ جندى عراقي قرب الحدود أو يتقدمون نحوها . كما أوضحت الصور سبع قاذفات صواريخ سكود أرض - أرض خارج مدينة الكويت ، وموجهة الى الجنوب نحو العربية السعودية.

وأدرك تشينى أن عرض رجل المخابرات لن (يفرقع)...فالفصل الأول من النظام العالمي الجديد ينبغى ألا يبدأ بتقني يستعرض مهارته في قراءة (الفنجال) من الصور الجوية ، فتفسير الصور موضوع غامض ، وليس شديد الاقناع ، والخبراء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يقولوا ماذا تعني البقع والنقط والظلال ، ولن يكون هذا عرضا يؤثر في الملك فهد .

قال تشينى فلنحذف عرض وكالة المخابرات المركزية ، على أن يقوم هو وشوارزكوف بدمج هذه المعلومات في ملاحظاتهما .

أما شوارزكوف فقد كان يحمل ملفا أزرق فاتحا سمكه ثلاث بوصات وعليه عبارة «سرى للغاية» يحوى خطة عمليات ٩٠ - ١٠٠٢ . وحين فتحه الجنيرال مضى تشينى الى مقصورته ، فهو يعرف الخطة من قبل .

قال شوارزكوف .. في اليوم الذى يضغط فيه الرئيس على الزر لتنفيذ الخطة فان هذا ما سيحدث .. فى اليوم الأول ترسل طائرات اف - ١٥ ، ثم توضع مختلف القوات البرية والبحرية والجوية في حالة تأهب وتنشر على دفعات يومية . وسيستغرق تنفيذ الخطة ١٧ أسبوعا وان كان من الممكن ايقافها في أى نقطة . وقال شوارزكوف " ان أحد دروس بنما هو : أرسل قوه كبيرة وانه الأمر بسرعة ، وبسبب بعد المسافة إلى الشرق الأوسط ، وحجم القوة اللازمة ، فيستغرق الأمر ١٢٠ يوما كاملا.

ولم يناقش شوارزكوف البدائل ، فلم يعرض أحدها . ولاحظ ويليامز أنه حالما فتح شوارزكوف هذا الملف الأزرق الصغير فانهم جميعا قد انكبوا عليه واتصل البيت الأبيض ليبلغ أن بوش أدلى بتصريح علني ويريد أن تكون مع تشينى نسخة منه ، فكتبه ويليامز ثم قرأه لتشينى ، كان هو التصريح الذى قال فيه الرئيس " لن يستمر هذا " ، أي تعهده برد الغزو .

قال تشينى في نفسه حسن جدا ، ولكن ليس لدينا أى قوات على الأرض تمنع صدام من دخول العربية السعودية ، وبالأحرى رد غزو اكتمل ، إن ذيل القميص الداخلي الأمريكي متهدل ، ويريد تشينى أن يركز على المشكة الراهنة - الدفاع عن العربية السعودية ، فقال بصوت خال من الانفعال " شكرا على المعلومات ، فمن المفيد أن نعرف ذلك " .

وأراد الوزير أن يصقل عرضه ، فدعا چيتز وولفوويتز ، والسفير فريمان الى مقصورته كلا على حدة ثم معا . وأكد كل منهم أن تشينى يسبح ضد التيار ، فلم

يسبق أبدا للسعوديين أن طلبوا قوات أمريكية . وقال ولفوويتز ان تشينى انما يطلب من السعوديين مواجهة قرار قضوا حياتهم يتحاشونه ، وسيكون تحولا جذريا أن يقبلو قوات بأى حجم .

وقال فريمان ان فهد أستاذ في التردد ، وان السعوديين يمكن أن يمضوا أياما وأسابيع يتجادلون فيما بينهم ، وأن مداولات الأسرة المالكة يمكن أن تجعل الكونجرس الأمريكي يبدو سريعا .

كما قالوا لتشينى ان أكبر مايقلقهم قد يكون هو أن يقبل السعوديون نشر قوات أمريكية وانما يصرون على حد أقصى لعدد هذه القوات ، ربما بما يقل كثيرا عن المائتين وخمسين ألفا الذين تتطلبهم خطة العمليات .

وقال تشينى انه سيضغط من أجل أن يبدأ الانتشار ، ثم يتناول بعد ذلك أى حدود قد يحاول السعوديون فرضها ، فخلال الحرب العراقية الايرانية أفزعت الولايات المتحدة السعوديين بتقارير لوكالة المخابرات المركزية تزعم أن ايران ستأتى عبر الخليج الفارسي الضيق لمهاجمتهم وطالبت ادارة ريجان رسميا السماح بنشر مقالات القوات الجوية الأمريكية لوقف هذا الهجوم المتوقع . ورفض السعوديون ، ولم تحدث الهجمات أبدا ، واستخلص السعوديون أن الولايات المتحدة قد استخدمت المخابرات لأغراضها السياسية والاستراتيچية الخاصة ، وأنها تستخدم هذه المرة لمحاولة الحصول على قاعدة للقوات الأمريكية في الخليج وبعد أن استمع تشينى الى كل هذه المشورات قال ان عليهم أن يتحلوا بالحرص ، فنحن لا نعرف أن صدام عازم على غزو العربية السعودية ، واذن فدعونا لنذهب الى هناك ونوحي بأن الغزو حتمى ، أو أن لدينا معلومات عن الأمر انه يريد التركيز على قدرة القوات الأمريكية التى يمكن أن ترسل ، وعلى التزام الرئيس السياسي ، وليس على تقارير المخابرات ، فغزو الكويت ينطق بأعلى صوت

باستعداد صدام لاجتياح جيرانه .

* * *

بعد ست عشرة ساعة من الطيران وصل الأمريكيون الى جدة في الساعة الواحدة بعد ظهر الأثنين ٦ أغسطس بالتوقيت السعودى واقتيدوا الى أماكن فاخرة : وكان الموعد المحدد للقائهم بالملك بعد ساعتين ،إلا أن كلمة جاءت من صاحب الجلالة - الذى يحب العمل ليلا ، بأنه يفضل تأجيل الموعد مابين ست الى ثماني ساعات ، فقد كان الملك فهد - وهو مالم يعرفه تشينى - يلتقى بالقادة الدينيين المسلمين ليرى ما إذا كانوا يتقبلون نشر قوات أمريكية.

وكانت الرحلة الى العربية السعودية التى تعادل عبور الأطلسي ذهابا وجيئه قد انهكت تشينى تماما ، فانتهز هذه الفرصه ليغمض عينيه بعض الوقت .

* * *

كان فهد بن عبد العزيز هو ملك العربية السعودية وحامي الحرمين الشريفين كما يفضل أن يسمى . ومملكة فهد منطوية محافظة ، تبلغ مساحتها ربع مساحة الولايات المتحدة ، ولايقطنها سوى ١٤ مليون نسمة . وكان الملك مستهترا في شبابه . وتقول تقارير وكالة المخابرات المركزية أن فهد اعتاد أن يصحب فتيات مراهقات في رحلات هوى على طائرته البوينج ٧٤٧. لكن الملك استقر أخيرا . وكان هو أساسا الذي يدير المملكة كولى للعهد في أواخر السبعينات قبل أن يرتقي العرش في ١٩٨٢.

وفي تلك الأمسيه اقتيد تشينى وجتيز وشوارزكوف وولفوويتز والسفير فريمان الى غرفة الاجتماعات الخاصة للأسرة المالكة فى القصر الصيفى . وكان هناك فهد وعدد من كبار أعضاء حكومته وأفراد الأسرة المالكة . وجلس الأمير

عبد الله ولي العهد جانبا .

وكان الأمير بندر هو الذى سيقوم بالترجمة بين الجانبين.

وتوقع تشينى أن الملك سيقول عند نهاية العرض : أشكركم كثيرا ، وسنعود ثانية اليكم ، ثم يصرف تشينى ليجلس وينتظر بينما السعوديون يحسمون أمرهم .

وبدأ الاجتماع بكلمة قصيرة من فهد عن علاقته الطويلة ببوش ، فحين كان بوش مديرا لوكالة المخابرات المركزية في ١٩٧٦ كان فهد - الذى تولى المخابرات السعودية ١٣ عاما كوزير للداخلية - يشرف على السياسة الخارجية السعودية كولي للعهد .

وعادة مايفتتح الملك مثل هذه الاجتماعات الملكية ببيان طويل .

لكنه في هذا المساء أعطى الكلمة لتشينى بسرعة نسبيا .

بدأ الوزير بتذكير مضيفيه بأن الولايات المتحدة جاءت لمساعدة العربيةالسعودية في ١٩٨٢ ضد اليمن ومصر . واستشهد بحماية شاحنات ناقلات النفط في الخليج في ١٩٨٧ - ١٩٨٨ كمثال آخر على مساندة الولايات المتحدة لحلفائها في المنطقة . وقال تشينى " ليس هذا التزاما نأخذه باستخفاف ، فالعربية السعودية تواجه مايمكن أن نقول انه أكبر تهديد في تاريخها " .

وتوقف قليلا ثم استطرد " ارسلنى الرئيس الى هنا لأؤكد ثانية ماقاله لكم في التليفون ، وهو يقف بشخصه خلف ضمانات الأمن الأمريكية ... لقد استخدم صدام حسين الأكاذيب والخداع والعدوان السافر لكى يغير بالفعل توازن القوى . واذا مضى بلا تحد فسيزداد خطورة ... وينهمك الرئيس في دبلوماسية نشطة ، فقد اتصل بكل كبار موردي الأسلحة " التى يستخدمها العراق .

وقد وافقت فرنسا والإتحاد السوفيتى والصين على اتخاذ اجراءات

وسيتوجه بيكر وزير الخارجية الى موسكو حيث سيصدر بيان مشترك ، وقد تحدث الرئيس بوش شخصيا مع قادة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وتركيا واليابانوايطاليا .

وقال تشينى " مالم يواجه هذا الأمر فستكون له أثاره الخطيرة على العربية السعودية وأثاره الجدية على الولايات المتحدة " . وقد اختار تشينى بعناية هاتين الصفتين - "خطيرة" بالنسبة السعودية و "جدية " بالنسبة للولايات المتحدة - لكى يبين أن السعودية هى المعرضة للخطر .

ومضى تشينى يقول " علينا جميعا أن نتعاون على افشال هذا الرجل " واقترح استراتيچية من جزأين : أولا التعاون للدفاع عن العربية السعودية ضد أى هجوم مقبل . وثانيا خنق العراق : " أن للتدابير الأقتصادية أهمتيها ، ولكن في الشهور التالية حين يبدأ صدام حسين يشعر بالضغط فقد يجن جنونه ويهاجم " . ومن ثم فان من المهم تنفيذ كلا جزأى الاستراتيچية على الفور : الدفاع والخنق ".

ثم قدم تشينى شوارزكوف ، فقام الجينرال باطلاع الملك فهد على صور الأقمار الصناعية لدبابات صدام وهي في طريقها الى الحدود السعودية وقال " واذا جمعتم هذا كله فستجد ان هذه فرقة من أفضل الفرق التي يمتلكها العراق . وفي موقع مابين هذا المكان " - وأشار الى نقطة على بعد ٥٠ ميلا - "وبين مدينة الكويت هناك فرقتان أخريان . فبعد أن استولى العراقيون على مدينة الكويت جلبوا وحدات جديدة ليحرروا هذه الفرق حتى تستطيع المضي الى الحدود . لكن الأمر الأكثر اثارة للقلق هو أن هناك ثلاث فرق أخرى تحركت من منطقة البصرة ونحن نراقب الأمر بدقة لنرى ماذا يجرى ، فهناك قدر كبير من اعادة التموين "

وبينت الصور بوضوح لماذا لم يستطـع الكشافة السعوديون الذين أرسلوا الى الكويت أن يجدوا القوات العراقية التى قال بندر انه رآها بعينيه في الصور

الجوية الأولى ، فالعراقيون – وهذا هو أسلوبهم – يحركون وحدات القيادة والتحكم والاتصال قبل حشود القوات ، وهى وحدات صغيرة جدا لم يستطع الكشافة رؤيتها

كما أوضحت الصور قاذفات صواريخ سكود وهي مصوبة نحو الجنوب.

وتذكر شوارزكوف أمر تشينى بالتزام الحذر فقال " اننا نعتقد أن صدام يستطيع أن يهاجم العربية السعودية في أقل من ثمان وأربعين ساعة . ونحن لانعرف ماذا يعتزم ان يفعل " . وأشار شوارزكوف الى أن لدى العراقيين " طائرة مشحونة للقتال في احدى القواعد الجوية ، الى جانب طائرات التزويد بالوقود التى تعطيها مدى اضافيا وقال " نحن لا نعرف ماهو الغرض من ذلك . وربما لم تكن موجهة الا الى الأسطول الأمريكى ".

وقال فهد انه لايرى : أى لبس " فلديهم قوات في مراكز لايحتاجونها للكويت وحدها ، وأذن فلا بد أن لهم أهدافا أخرى" . وبدا الاشمئزاز على وجه فهد " لقد كنا نعتقد أن صدام يقول الحقيقة . وقد أخبرنا ، وأخبر الولايات المتحدة ، وأخبر مبارك ، أنه لن يهاجم الكويت ، لكن العكس حدث . ومن ثم فاننا نعرف سوء نواياه . وطالما اتخذنا الاستعدادات الصحيحة للرد الصحيح في الوقت الصحيح فان هذه هى أفضل طريقة لصد هذه التصرفات العراقية وأنا شاكر لأن هذا مايتم ".

كانت الفترة التى تستغرقها الترجمة تسهل على الكتّاب . تسجيل محضر الاجتماع لكن المعنى الدقيق لعبارة الملك الأخيرة لم يكن واضحا ، وان بدا أن فهد يتحرك في الاتجاه الذى يريده تشينى .

قال تشينى " صحيح أننا لانستطيع أن نقرأ نوايا صدام حسين . وهو يستطيع أن يتحرك بأسرع مما نستطيع أن ندافع . وفي حالة الكويت راقبنا

القوات وهى تحتشد ، وانتظر الأمير إلى أن هوجم قبل أن يطلب منا المساعدة وإذا أنتظرتم حتى صدور إنذار لا لبس فيه فسيكون الوقت متأخرا جدا لكى نساعدكم . ولابد أن نكون أقرب للدفاع منه للهجوم "

" اننا لانرغب في بدء حرب أكثر من أى شخص آخر . لكننا نعتقد أن الاستعدادات هى أفضل طريقة لمنع الحرب . واذا نشبت الحرب فسنقف الى جانبكم دفاعا عن سيادة السعودية ،. وننقل الحرب الى العدو "

كما قال تشينى " طلب مني الرئيس أن أؤكد لكم أننا سنبقى طالما أردتم أن نبقى . وسنرحل حينما لاتعودون في حاجة الينا . سنبقى الى أن تتحقق العدالة لكننا لن نبقى دقيقة واحدة أطول . اننا لانبحث عن قواعد ، لكنكم بعيدون جدا عنا . ونحتاج الى اجراء استعدادات مشتركة الأن"

ووصف شوارزكوف قوات صدام . وقال مرة أخرى انهم ليسوا عمالقة لكنهم خصم عنيد . وأضاف أن العراقيين لايجيدون الدور الهجومي ، وأن وجه ضعفهم الرئيسى هو نظام القيادة شديد المركزية ، فالضباط على كل المستويات ينتظرون الأمر التالى " وفى الجيش نقول " اذا قطعت الرأس فلن يعمل الجسد " .

ان القوات البحرية الأمريكية في منطقة الخليج في حالة تأهب شديدة . ويعتقد شوارزكوف أن هذا ربما كان سبب وضع العراق طائراته في حالة تأهب . وناقلة الطائرات الأمريكية " اندبندانس " وعدد آخر من السفن في طريقها الى المنطقة.

وقال شوارزكوف ان احضار القوات الأمريكية يستتبع رحلة طولها سبعة آلاف ميل للقادمين جوا واثنا عشر آلف ميل للقادمين بحرا . وستأتى أسراب المقاتلات أولا ، تعقبها القوات البرية الخفيفة . وأخذ شوارزكوف يقدم عرضا للحشد أسبوعا بعد أسبوع . وفي الأسبوع السابع عشر ستكون قد حشدت قوة

كبيرة – كثير من طائرات السلاح الجوى وسفن الأسطول وفرقتا دبابات وفرقتان آخريان.

سأله ولى العهد الأمير عبد الله " ماحجم الفرقة ؟".

فقال شوارزكوف ١٨٠٠٠ رجل . ولم يسأل أحد عن المجموع الاجمالى للقوات ،ولذا لم يطرح شوارزكوف رقم المائتين وخمسين ألفا . ولكنه قال انه يعتقد بأنه بعد الأسبوع السابع عشر ستستطيع القوات هزيمة كل مايقف في وجهها.

" وبعد ١٢٠ يوما نستطيع أن نحشد قوة في وسعها – مع القوات السعودية أن تلقى بصدام في البحر أو في أى مكان آخر تريدونه ". ولم يعرض شوارزكوف تقدير الفترة من ٨ الى ١٢ شهرا لخيار الهجوم الشامل الذى كان قد عرضه على بوش قبل يومين فقط

ووجه الأمير عبد الله بعض الأسئلة عن الخرائط ، محاولا أن يميز بين مواقع القوات العراقية الفعلية والافتراضية .

وقال تشينى " لقد طلب منى الرئيس أن أؤكد أربعة أمور . أن الولايات المتحدة مستعدة لتقديم قوة دفاع للعربية السعودية تستطيع أن تؤدى مهمتها ، ورغم أن صدام حسين يمتلك جيشا كبيرا وقوة عسكرية هائلة فان الولايات المتحدة تستطيع أن تضع من القوات مايردع صدام حسين ، فان فشل الردع فان قواتنا معا ستكفي لهزيمته

" والنقطة الثانية التى طلب منى الرئيس أن أكررها هى : لكى ننجح لابد أن تكون لدينا قوى في المكان ، فلا نستطيع أن ننتظر الى أن يعبر العراقيون الحدود . فالوقت هو العامل الأساسى.

" والنقطة الثالثة هي : بعد أن يزول الخطر ستعود قواتنا الى بلادها ".

وهمس الأمير عبد الله بالعربية " نأمل ذلك " ولم يترجم بندر العبارة

واستمر تشيني يتحدث عن النقطة الثالثة " فبفضل تعاوننا ستكون قواتكم أقدر على الدفاع عن بلدكم بعد أن نرحل . وسنكون أقدر على الحضور بسرعة أكبر اذا احتجتمونا ".

قال فهد ، نعم ، ان الأمر سيكون أشبه بتدريبات مشتركة حيث تترك الولايات المتحدة المعدات خلفها - وهو الأسلوب الأمريكي النموذجي .

قال شوارزكوف مازحا " أعتقد أن علّي أن أفكر في ذلك بعض الوقت ".

وبدا أن فهد يتطلع الى نفع ملموس طويل الأجل من نشر القوات .

واستطرد تشيني قائلا " سيكون مركزنا أسهل كثيرا إذا كانت هناك معدات في الموقع ". ثم استأنف عرض رسالة الرئيس " ورابعا سيكون الانتظار أخطر كثيرا ، فاذا نحن لم نتصرف مع صدام حسين الأن فانه سيزداد قوة وتهديدا . وأود أن أحصل على موافقتكم لأبدأ بادخال القوات الأمريكية . ونريد أن نعمل معكم بحيث تكون هذه قوة دولية ، تضم قوات من بلدان في الاقليم ، لكنني أدعوكم ألا تنتظروا تنظيم ذلك قبل أن توافقوا على نشر القوات الأمريكية ".

قال فهد " ان تعاوننا مع الولايات المتحدة لايصدر عن رغبة في مهاجمة الآخرين أو في العدوان " ، وأضاف أن أساس هذا التعاون هو الخطر الذي تتعرض له العربية السعودية والمصالح المتبادلة . واستطرد وكانه يفكر بصوت مرتفع : " اننا لم نخلق المشكلة ، وانما خلقت لنا المشكلة . وعلى المرء أن يسأل لماذا أقام صدام حسين هذه القوات " . ولاحظ فهد أن صدام قد أنفق كل هذه الأموال على الأسلحة ، بدلا من أن ينفقها لصالح شعبه " ان أحد لايسعى الى اثارة مشكلة له ... وهذا يبين مدى سطحيته . لماذا يهاجم الكويت - البلد الصغير

- ويمارس الإضطهاد ؟

" أن المسألة ليست مجرد العدوان على الكويت لكنه يتطلع الى شيء أكبر... ولأنه مغرور فانه يعتقد أنه يعرف كل شيء . وانه ليخطيء خطأ كبيرا إذا اعتقد ذلك حقا ، وأظن أنه يعتقده .

"واذا كنا سنفعل شيئا مع أصدقائنا الأمريكيين فانما نفعله من قبيل الدفا ع عن النفس وليس كمعتدين - وهو مايبين مدى عمق العلاقة بين بلدينا . فهذا بذاته بين أن هذين البلدين يقدران مصلحة كل منها وأمنه

" اننا لانفعل ذلك لأغراض عدوانية . فالناس في العالم كله يتساءلون ماذا ستصنع الولايات المتحدة للعربية السعودية ؟ وانى سعيد للغاية لما سمعته الأن . وعلينا أن نعمل لتنفيذ ترتيبات تحقيق ذلك ". واستدار فهد عندئذ الى حاشيته وسأل " هل لدى أحدكم تعليقا ؟"

ودارت عندئذ مناقشة حارة بالعربية بين الملك والأمير عبد الله ولى العهد . ولم يقم بندر بالترجمة . وفى الجانب الأمريكي كان السفير فريمان وحده هو الذى يفهم ماقيل

قال فهد " علينا أن نفعل ذلك .. لقد انتظر الكويتيون أطول مما يجب ، والأن لم تعد هناك كويت "

فرد عبد الله " بل مازالت هناك ... مازالت هناك كويت "

أجاب فهد " نعم ، ولكن كل الكويتيين يعيشون في غرف فنادقنا ".

وبعد ذلك استدار الملك الى تشينى ، واستأنف بندر الترجمة " سيدى الوزير اننا نوافق من حيث المبدأ فلنتكل على الله ونقوم بمايجب أن نقوم به ، وسنبدأ في بحث التفاصيل ".

وأضاف الملك " لايهمنى مايقوله الأخرون ، فأهم شىء هو أن نبدأ في حماية بلادنا مع الأمريكيين ، وكذلك مع احضار بعض الأخرين من البلدان العربية الصديقة الأخرى "

قال تشينى " أعتقد أن هذا سيكون رائعا "

قال فهد " حسن جدا . لقد قال بعضهم في الماضي انهم مستعدون وجاهزون ، وبعضهم بلدان صديقة لكم ولنا ، مثل مصر والمغرب ".

قال تشينى " اننى سعيد للغاية بموافقتكم على خطتنا ".

وقال الملك انهم ليس لديهم فسحة من الوقت ، فهم يواجهون أخطارا عاجله وما ينبغى القيام به سريعا ينبغى أن يتم على الفور .

كانت هذه مفاجأة سارة لتشينى ، فقد كان يخشى أن تكون القوة الدولية التي تضم دولا عربية أخرى من الأهمية في نظر السعوديين بحيث يصرون على ضرورة تشكيلها قبل أى شىء آخر .

وقال فهد " ليس لدى الولايات المتحدة دافع خفي . لقد أخذنا هذا البلد وهو أحراش وأحجار وبنينا منها دولة لا يوازيها الكثير في هذا العالم . وقد استثمرنا مليارات الدولارات في بناء هذه الدولة ، وهى تبدو الآن وكأنما هى قائمة من مئات السنين ، لكن الواقع أنها لم تكن قائمة الا من بضع سنوات . وأود أن يكون لديكم الوقت لتروا بأنفسكم أننا بنينا أشياء في قلب المجهول . وتستطيعون أن تروا أين تذهب مليارات الدولارات من دخل النفط ، ولا يضايقنى ماقد تقوله وسائل الاعلام الأخرى ، فمن يرون الأمور بأمانة سيعترفون بما أنجزنا . ومايهمنى هو ما يعتقد شعب العربية السعودية . وطالما أنهم يعيشون بمستوى معيشة لائق فلن يضايقنى ماقد يقوله الآخرون عني ".

واستطرد حامي الحرمين يتحدث عن التاريخ ، نوع الخطاب الذى كان يمكن توقعه في بداية الاجتماع " منذ اثنين وعشرين عاما كان ماتجلسون فيه الآن صحراء . وكنت وزير التعليم ، ولم يكن لدينا أكثر من ٣٣٠٠٠ تلميذ ، وخمس مدارس عليا . أما الآن - وفي وقت قصير - فان لدينا سبع جامعات ، ٣٧ كلية وارتفع عدد طلبتنا من ٣٣٠٠٠ طالب الى ٢.٧ مليون طالب ... فمن كان يصدق ؟ ومن لاشيء الى ٢٢٠٠٠ مصنع ".

وتساءل الملك لماذا تحقق هذا النجاح ، وأجاب أن السبب أنهم دخلوا دائما في مشاريع مشتركة مع أناس وبلدان يعرفون مايفعلون " إننا لانخشى التعلم ممن هم أفضل منا ، ولا يشعر السعوديون بأى عقد ، ونحن نريد أن نتعاون مع الآخرين ". وعرض أن يرسل لتشينى بعض أشرطة الفيديو التي تصور هذا التحول ، كما شجع تشينى على أن يعود ليرى بنفسه.

وقال فهد أنه يسخر من الأقوال التى تذكر أن معظم دخل النفط السعودي يذهب الى الأسرة المالكة " قرأت في مكان ما أن دخلي السنوى يبلغ ٤٠ مليار دولار . لكن دخل البلاد كله ٤٠ مليار دولار . ان أشياء وقحة كثيرة تقال ، لكننى لا أبالى بما يقال فى الخارج ، فما يهمنى هو رخاء الشعب السعودي ورفاهتيه ".

وفي اشارة مباشرة الى الملك حسين ملك الأردن الذى يتتبع سلسلة نسبه الى النبى محمد مباشرة قال فهد " اننا لانزعم أننا من سلالة مقدسة. فلسنا سوى أسرة عادية من الشعب السعودى.

" ونحن نؤمن بالله أقوى الايمان ، ونؤمن بأنه يعرف الحقيقة ، وانه سيرشد خطانا .

" وأود في الختام أن أشكر الرئيس ونائب الرئيس وادارته ومجلس الكونجرس وانتم شخصيا . لقد جئتم هنا بهدف واحد هو مساعدة العربية

السعودية ، وآمل أن تنتهى هذه المشكلات في هذا الجزء من العالم ، وأنا ما أزال مدينا لكم بزيارة للولايات المتحدة ، وسأفى بها ".

وقال تشينى ان الرئيس بوش حريص على أن يقوم الملك بالزيارة ، وأضاف " لقد كان هذا اجتماعا تاريخيا حقا "

وأجاب فهد " لاشك في ذلك ".

وقال الوزير انه سيعود الى واشنطون فورا ليطلع الرئيس على مادار فى المناقشة ، " وسيعمل الچنرال شوارزكوف مع مسؤليكم على وضع التفاصيل . وسنترك فريقا خلفنا ".

" حسن أن تتركوا فريقا ، فكلما أسرعنا بالعمل كان أفضل ، وكلما قللنا ماتصرح به لوسائل الاعلام كان أفضل ".

وحين عاد تشينى الى غرفته قال لمعاونيه " لقد دعونا ". واتصل هاتفيا بالرئيس ، الذى تلقى المكالمة في المكتب البيضاوى ، حيث كان يجمع بتاتشر رئيسة الوزراء.

قال تشينى لقد قبل الملك فهد نشر القوات .

وبدا بوش سعيدا للغاية .

وقال تشينى انه يطلب من الرئيس رسميا الموافقة على بدء تحرك القوات .

قال بوش " اننى موافق ، فامضوا ".

* * *

اتصل تشينى بباول ليخبره بالتصريح ببدء نشر القوات .

ودهش باول حين سمع أن السعوديين قد وافقوا.

وكان الجنرال كيلى وهيئة عملياته قد قضوا جانبا كبيرا من عطلة نهاية الأسبوع في المبنى - فعملوا أولا في اعداد نشر القوات ، ثم انتظروا . وكان قد قيل لكيلي ان هناك تحركا على المستوى السياسي لكنه لم ينته الى شيء بعد . ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر جاءهم الأمر " بالدفاع ضد هجوم عراقى على العربية السعودية والاستعداد لاجراء عمليات أخرى حسب الأوامر ". وكان الأمر المباشر هو تنفيذ خطه العمليات ٩٠ - ١٠٠٢ .

وستكون أول وحدة ترسل ٤٨ طائرة اف - ١٥ النفاثة المتقدمة من جناح المقاتلات التاكتيكية في قاعدة لانجلي الجوية بفيرچينيا ، ويعقبها اللواء الجاهز من الفيلق ٨٢ المحمول جوا - وهى القوات الموضوعة في حالة أقصى استعداد - ويتألف من ٢٣٠٠ رجل.

ولن تستطيع الطائرات والقوات الأولى أن تصل قبل صباح اليوم بعد التالى الأربعاء ٨ أغسطس.

وكان باول يشعر بالقلق فهذا اللواء قوة حقيقية للغاية ، لاتزيد كثيرا في أعين بعض الخبراء العسكريين عن وحدة كبيرة لتأمين المطارات . ولم يكن اللواء والنفاثات المقابلة الثماني والأربعون ، والقوات الجوية التابعة للأسطول في المنطقة والجيش السعودى الصغير ندا لفرق صدام الست ، أنهم معرضون للخطر للغاية ، وهدف مناسب تماما لضربة صدام الأولى.

* * *

كان تشينى يدرك أن باول يؤمن بأن صدام لايريد أن يحارب الولايات المتحدة ، وأن صدام في أعماقه يشعر بالخوف ، وأنه يكن احتراما شديدا للقدرة العسكرية الأمريكية ، ومن ثم سيخلص أن الحرب ستكون انتحارا . لكن تشينى لم يوافقه فقد كان يعتقد أنه ربما كانت . لدى صدام مفاهيم مختلفة تماما عما

يعنى النصر ، ومن ثم فان الوقوف في وجه الولايات المتحدة ، أو توجيه ضربة الى أنف العم سام قد يكون مكسبا سياسيا هاما في نظر صدام ، وربما استحق حتى الثمن الذى سيدفعه في الحرب.

ودار في ذهن تشينى ان صدام ليس انتحاريا ، لكن درجة ما من النزاع مع الولايات المتحدة قد لاتكون بالضرورة شئيا سيئا بالنسبة له . ورأى أن موقف صدام قد يشبه موقف الرئيس المصرى انور السادات في حرب ١٩٧٣ ، التى بدأت حين شنت مصر وسوريا هجوما مفاجئا على اسرائيل ، فلم يكن السادات بحاجة الى هزيمة اسرائيل لكي " يكسب" الحرب - وكل ماكان عليه أن يفعل هو أن يعبر قناة السويس ويبدى أنه مستعد لأن يحاول استعادة شبه جزيرة سيناء من اسرائيل ، ومع أنها كانت هزيمة عسكرية لمصر فقد أعلن السادات النصر . وقد حقق مايريد ، وكسب مكانه كزعيم عربي . وكان تشينى على ثقة من أن القتال امكانية حقيقية على الأقل في الخليج.

وقبل أن يغادر تشينى العربية السعودية صباح اليوم التالى التقى ببندر وأبيه الأمير سلطان وزير الدفاع السعودى ليستعرضوا الأمر . وكان بندر قد أحيط علما بالفعل من شبكته وقال " أن صديقّي كيسينجر وكراو يتوقعان الفشل ". وأضاف أن السعوديين ظلوا ساهرين طيلـة الليل يناقشون المسألة.

وأستطرد بندر قائلا " انظر. ليس هناك تراجع عن القرار ، لقد عقد الأمر ، وليس فقط لأن الملك قال ذلك " . واقترح أن يحاولوا اخفاء الأمر مقترحا أن " يكتفى البلدان بالقول بأنه تدريب مشترك . وصدام ليس مجنونا ، انه خبيث وشرير ، ولكن دعنا نستخدم بعض تاكتيكاته ولانعلن عما نفعل ". وقال بندر انه يشعر بقلق شديد على القوات الأولى القادمة ، فسيكونون من القلة بحيث لايستطيعون الدفاع . أفلا يستطيعون أن يخفوا مايفعلون الى أن تصبح هناك قوات كافية

للدفاع عن المملكة؟

ورد تشيني بانه لايعرف كيف يمكن أن يتم ذلك ، فالرئيس لايمكن أن يضلل الشعب الأمريكي كما يعرف بندر . وهذا قرار خطير بالنسبة للرئيس ، وأفضل فرصة له هي أن يطرحه صراحة ، وإذا لم يفعل فان الأنباء ستتسرب مما يقضي عليه وأنت تعرف النظام الأمريكي ، ومثل هذا الأمر لن ينجح.

قال بندر انه مجرد تاكتيك " دعنا نتماوت مثلما تفعل حيوانات الصحراء ثم نهب ".

وبعد مزيد من المناقشات اتفق الجانبان على تأجيل الاعلان عن نشر القوات الى أن تصبح القوات الأولى في العربية السعودية فعلا - أى صباح الأربعاء في الولايات المتحدة ، وبعد ظهر الأربعاء في العربية السعودية . وكان تشيني يفكر وهو يستعد للرحيل في أن الاتفاق قد يكون هشا ، فمع بندر ، ومع السعوديين لا تعرف أبدا ما في يدك . وزادت مخاوفه حين اتصل شوارزكوف بالجنرال الكبير في وزارة الدفاع السعودية لبدء تنسيق نشر القوات ، فقد أراد الجنرال السعودى أن يعيد فتح المناقشات ، والحديث عما إذا كانت الولايات المتحدة سترسل قوات أصلا.

وأخبره شوارزكوف - وقد ساوره القلق من أن تكون الدعوة قد ألغيت - بأن المسألة في حدود فهمه قد تقررت ، وأن من المفروض أن يبدء نشر القوات على الفور وبدا السعودي متشككا وقال إنه سيتحقق ، وفعل ذلك وعاد إلى شوارزكوف وهو مندهش تماما ، فقد كان شوارزكوف على حق في مسألة نشر القوات . واخيرا غادر تشيني العربية السعودبة الى القاهرة ، حيث أخذ في طائرة صغيرة لمقابلة الرئيس مبارك في الاسكندرية . وأبلغ الرئيس المصرى بنشر القوات الأمريكية المقبل في العربية السعودية . وسأل مبارك أن يعطي الإذن لحاملة

الطائرات النووية الأمريكية " ايزنهاور " بعبور قناة السويس . وقال مبارك حسنا ، ولكن متى . قال تشينى الليلة . ووافق مبارك . ولم يوافق الرئيس المصرى على ارسال قوات ، لكنه وافق فيما بعد حين حدثه الرئيس بوش.

وغادر تشينى مصر عائدا الى الولايات المتحدة . وحين كانت طائرته تحلق فوق ايطاليا تلقى مكالمة مباشرة من الرئيس ، الذى كان لايزال يتصل تيلفونيا بالعالم بحثا عن مزيد من الدعم والقوات .

قال بوش " ديك ، لقد أنهيت لتوي مكالمة مع الملك الحسن ملك المغرب ، وأود أن تذهب الى هناك وتقابله"

وسرعان ماعلقت خرائط الهبوط في المغرب في طائرة تشينى .

ان بوش منذ السنة التى قضاها في وكالة المخابرات المركزية على صلة وثيقة بالملك الحسن الذى يحكم المغرب منذ ٢٩ سنة . ويدين الملك بطول بقائه على العرش جزئيا لوكالة المخابرات المركزية التى قدمت منذ وقت طويل المساعدة الأمنيه والتدريب لرئيس الدولة الصديق مما ساعده على البقاء في السلطة . ومقابل ذلك يسمح الحسن لعملاء وكالة المخابرات المركزية بحرية الحركة في بلاده التى تشغل مكانا استراتيجيا عند المدخل الغربي للبحر المتوسط .

وفي القصر التقى تشينى بالملك الحسن أولا في اجتماع جماعي ، ثم في اجتماع خاص . وفيما بين المناقشتين تلقى الملك مكالمة من الزعيم الليبى معمر القذافى . كان كل رؤساء الدول فى المنطقة يتحادثون فيما بينهم ، وحين انفرد تشينى بالملك لم يطلعه الحسن على ماقاله الزعيم الليبى . وأبلغ تشينى الحسن بأن السعوديين وافقوا على قبول عدد كبير من الجنود الأمريكيين ، وأن الرئيس يرحب بدعم الملك الحسن . وقال الحسن انه على استعداد لأن يرسل قوات مغربية فورا .

وبعد ذلك توجه تشيني وجيتز الى السفارة الأمركية في الرباط واتصلوا بسكاوكرفت على الهاتف المأمون لمناقشة الخطاب الذى يزمع الرئيس القاءه لاعلان القرار وكان سكاوكروفت يحاول أن يحدد بدقة العمل وأسبابه.

وقال تشينى ان الملك فهد طلب أن يوضح الرئيس بوش في أى تصريح علني أن السعوديين هم الذين طلبوا الوجود الأمريكي.

وأكد له سكاوكروفت أن هذه النقطة ستدرج في الخطاب.

وأخيرا وصل تشينى الى واشنطون في الساعة السادسة صباح الأربعاء ، أى قبل ثلاث ساعات من خطاب الرئيس . وكان مشروع الخطاب قد أرسل له بالفاكس وراجعه. وقد استند الخطاب الى بعض التشبيهات مع الحرب العالمية الثانية " لقد عصف العراق بالكويت في معركة خاطفة " و " التهدئه لاتؤدى الى نتيجة ، تماما كما حدث في الثلاثينات ". وطرح نشر القوات في سياق جملة أخلاقية مبدئية . وأوضح الخطاب بجلاء أن المهمة دفاعية.

* * *

في الساعة التاسعة من صباح ٨ أغسطس ظهر بوش على التليفيزيون الوطنى من المكتب البيضاوي ، وهو يبدو متعبا منهكا.

بدأ حديثه قائلا " في حياة الآمة ندعى أحيانا الى أن نحدد من نحن وبم نؤمن . وأحيانا مالا تكون هذه الخيارات سهلة ، لكننى اليوم أطالبكم كرئيس بتأييدى في قرار اتخذته لكيما أقف مع ماهو حق ، وأدين ماهو خطأ ، من أجل قضية السلام ".

كان صوته أجشا بعض الشيء وغير منتظم ولم تكن تعابير وجهه تتمشى مع كلماته السامية . وقال الرئيس – متمسكا بموقفه القائل " لن يستمر هذا " –

" اننا نسعى الى الانسحاب العاجل والكامل وغير المشروط لكل القوات العراقية من الكويت ".

لكنه أوضح أن الجيش لن يستخدم هجوميا لهذا الغرض " ان مهمة قواتنا دفاعية تماما . ونأمل ألا تستمر الحاجة اليها طويلا ، وهى لن تبدأ المعارك ، لكنها ستدافع عن نفسها وعن المملكة العربية السعودية وغيرها من الأصدقاء فى الخليج وصدرت عن بوش عدة إبتسامات عصبية فى لحظات لا تتناسب معها .

ولوح بقضيته فى الهواء حين تحدث عن "وحدة الهدف"

وفى مؤتمر صحفى عند الظهر ردد الرئيس ثانية فكرة أن المهمة العسكرية ليست هى طرد العراقيين من الكويت

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر ظهر تشينى وباول في مؤتمر صحفي في البنتاجون.

قال تشينى في صوت خفيض " على في البداية أن أؤكد لكم جميعا – وخاصة أولئك الذين يذكرون عملية بنما – أن هذا الوضع مختلف ". وقال انه لن يستطيع الاجابة عن كثير من الأسئلة عن أى الوحدات هى التى ستذهب " ومتى ستذهب ، ومدى قوتها ، لأنها تتعلق بعملية جارية . وعرض رحلته الى العربية السعودية في ست فقرات ، ثم ترك الحديث لباول.

ووجه باول نداء مباشر غير معتاد الى وسائل الاعلام " اننى أطلب كذلك بعض التحفظ من جانبكم عندما تكتشفون أخبارا ، على أن تقيسوها دائما أمام الحاجة الى أمن العمليات لحماية قواتنا . وينبغى – فى اعتقادى أن يكون هذا هو الاعتبار الأول في أذهاننا ".

وردا على سؤال عما تتعرض له القوات الأولى أسهب باول فى هذه النقطة

وقال أعتقد أنهم مؤمنون جيدا ". وأشار الى القواة الجوية من المجموعات القتالية فوق حاملتى الطائرات " اند يبندانس "، "ايزنهاور " ، والقوات المسلحة السعودية بطائراتها الأواكس ومقاتليها الممتازين " وأضاف رئيس الأركان " ولذا فاننى أثق الى حد معقول بأننا نستطيع أن نذهب في نظام جيد دون أن نتعرض للكثير ".

لكن باول - في داخله - كان لايزال يشعر بالقلق ازاء تعرض قواته الأولى للخطر . ان كثيرين في العالم - ويبدو أن صدام حسين من بينهم - يعتقدون بشكل ما أن الولايات المتحدة يمكن أن تنشر عشرات أو مئات الآلاف من الجنود في لحظه واحدة . وهذا بالطبع ليس صحيحا . بل ان باول لم يصل بعد باللواء الجاهز الذى يضم ٢٣٠٠ رجل الى العربية السعودية . وفى الأسابيع الثلاثة او الأربعة الأولى ستكون قواته عارية ومعرضة للخطر للغايه . وهذا سر ينبغى الاحتفاظ به بأى ثمن ، فحياة الناس تتوقف على ذلك.

* * *

أرسل بات لانج الضابط بوكالة مخابرات الدفاع لاطلاع الأمير بندر في مسكنه الأنيق الفسيح في ڤرچينيا . وصحبه رجال الكوماندوز البريطانيون السابقون - الذين يعملون الآن حرسا خاصا للأمير - الى غرفة شديدة الزخرفة حيث وضع خريطة للمنطقة . وطيلة ساعة أخذ لانج يتحدث بالتفصيل عما حدث أثناء غزو الكويت ، وكيف أن صدام يحشد نفس قوات الصفوة من ثماني فرق أمام الحدود السعودية.

وذكر لانج أن مايقرب من ٨٠٠ دبابة من طراز ت - ٧٢ تقف على خط النار ، ويمكن أن تتحرك دون عائق الى شرق العربية السعودية ، لتكرر نجاح الكويت ، وأضاف " اننا عاجزون عن وقفها ".

قال بندر " ياالهي .. ياالهي .. وهل يعرفون ذلك ؟ " ، هل يدرك صدام

حسين أنه يستطيع إجتياح العربية السعودية بهذه السهولة ؟ أجاب لانج " أعتقد انهم يستريبون في ذلك لكنهم لايعرفونه " وأجاب بأن قراءة مايدور في ذهن صدام حسين قد أصبح قضية اليوم . وقد رسب الجميع في الاختبار حتى اليوم .

* * *

لم يكن بيت ويليامز - وهو الذى يستطيع الاطلاع على أدق الأسرار وموضع ثقة لاتقل عن أى واحد آخر من معاوني تشينى - يعرف كم عدد القوات التي يخطط لنشرها بالدقة . وكان يسمع من غيره من كبار مسئولي البنتاجون المدنيين والعسكريين أن الرقم النهائي قد يكون ١٠٠٠٠٠ أو ١٥٠٠٠٠ ، لكنه لم يسمع الرقم الدقيق وهو ٢٥٠٠٠٠ ، فكلما كان يسأل باول كانت اجابات رئيس الأركان مبهمة ، بل لقد كان باول يبدو مصابا (بالبارانويد) حول أعداد القوات ومواقعها .

وفي البيت الأبيض طرح سونومو رقم ٥٠٠٠٠ جندي ، وهو مانشر يوم الخميس ٩ أغسطس ، منسوبا الى مسئول كبير في الادارة لم يذكر اسمه.

* * * .

حين رأى الجنرال فونو هذا الرقم الصغير شعر بالكآبة ، فالعملية - التى أصبح اسمها الآن هو درع الصحراء - يمكن أن تفسد من حيث التوقعات والمصداقية ، وترددت في سمعه أصداء ڤيتنام وهو يري البيت الأبيض والقيادة السياسية يخفيان الحقائق والأخطار ، ويثيران أمالا زائفة في عملية صغيرة قصيرة الأجل . وكان رئيس أركان الجيش يدرك أن خطة العمليات ٩٠- ١٠٠٢ ستقتضى من الجيش جهدا شديدا طويلا - شهورا وشهورا ، ان لم يكن أطول ، فلا أحد يعرف كم يمكن أن يستمر نشر القوات . واذا لم تشعر وسائل الاعلام - وبالتالي الرأى العام - بأنها لا تحصل على الحقائق فليس ثمة فرصة للأبقاء على

التأييد العام ، و مثل هذا النشر الواسع لايمكن اخفاؤه ، فقد كانت الأوامر تصدر لوحدات في عشرات الولايات

"والمسألة الرئيسية هي مسألة الارادة السياسية " كما قال لهيئة مكتبة . وسرعان ماسرب أحد معاونى ڤونو الرقم الحقيقي - وهو ٢٥٠٠٠٠ رجل ، - للأسوشيتد بريس التى نشرته .

كما لمح ڤونو بدايات رضاء عن الذات لدى هيئة عمليات الجيش فمضى لرؤيتهم ، ذاكرا للعاملين أنه إذا ما وجدت للجيش فرقة دبابات ثقيلة على أرض العربية السعودية فانهم قد يضطرون الى الدخول في حرب مواجهة مباشرة شديدة الحدة - وهي الحرب التى تدربوا عليها وانشغلوا بها في أوروبا منذ عقود.

وقال فونو " سيوضع الجيش موضع الأختبار "، وأضاف بجفاء استبقوا ونسقوا وتحققوا .

* * *

كان مفروضا أن يحضر ويلسن قائد القوات الجوية المتقاعد وزوجته يوم الخميس لزيارة وداع تستغرق ١٥ دقيقة لبوش ، كنوع من الشكر له على ٣٧ عاما من الخدمة . وحين وصل هو وزوجته سئلا عما إذا كانا يستطيعان البقاء لتناول الغداء مع أسرة بوش . ولحق برينت سكاوكرفت بالزوجين في جناح الرئيس.

وتحدث كل من بربارة بوش والرئيس بقدر من الاستفاضة عن أطفالهما وأسرتهما . ولاحظ ويلسن أن الرئيس يبدو مسترخيا تماما لقد راقب بوش طويلا بما يكفي ليدرك أنه حين يكون الرئيس على وشك اتخاذ قرار فانه يصبح متوترا غير متحفظ ، وكثيرا مايطلق حمى من التصريحات العامة . أمابعد اتخاذ القرار

فان بوش يستجمع قواه وترتخى أعصابه.

وكان ويلسن قد وضع جزءا من خطة الطوارئ للانتشار في الخليج في أوائل الثمانينات ، وكان يدرك جيدا أن الصحراء ستكون مرهقة للغاية وأن السعوديين سيفرضون الكثير من القيود ، انه سيكون نشرا على شاكلة " جاتوراد " لا" بودويزار ". وهو يحس أن مخاطر عدم الدفاع عن السعودية سترجح مخاطر ارسال القوات . لكن محاولة طرد العراقيين من الكويت ستكون شيئا آخر تماما ، فستتحول مدينة الكويت الى خرائب مثل بيروت . وأى محاولة لاستعادة الوضع القائم محكوم عليها بالفشل لأن الوضع القائم قد انقضى الى الأبد.

قال الچنرال ويلسن " ان ماتفعله صحيح ياسيدى الرئيس ".

ولم يتحدث بوش عن الخليج ، وفضل أن يتحدث عن أسرته وأعرب هو وويلسن وسكاوكروفت عن سعادتهم لوجود ضابط قوى مثل الچنرال ميكائيل دوجان كخليفة لويلسن في قيادة القوات الجوية.

* * *

في يوم الأحد ١٢ أغسطس ظهر تشينى في برنامج " لقاء الصحافة " الذى تقدمه شبكة ان بي سي . وقال وزير الدفاع – دون أن يقدم أى تحديدات . " واقع الأمر أن للولايات المتحدة قوة عسكرية كبيرة في المنطقة هذا الصباح ، وهناك المزيد في الطريق ".

وحين سئل عن الأعداد أجاب " لا أود أن أضع حدا أقصى هنا .. ولايمكن لأحد أن يفترض أن هذا أمر سهل ، أو يمكن انهاؤه بسرعة كبيرة أو دون مجهود كبير من جانب الولايات المتحدة ". وقد كان يعرف بالطبع الجدول الزمني الحقيقي – ١٧ أسبوعا للدفاع ، وربما من ٨ الى ١٢ شهرا للقدرة الهجومية الكاملة . لكن

أحدا لم يكن حتى يلمح الى أن البلاد قد بدأت السير في الطريق .

وقرر بوش أن يذهب الى البنتاجون . وفى يوم الثلاثاء ١٤ أغسطس أجرى تشينى وباول في (التانك) (بروفة) للعرض الذى سيقدمانه للرئيس استغرقت ساعة . وفي اليوم التالى - الأربعاء - زار بوش (التانك).

كان باول يشعر بالانزعاج لكل تلك القوات العسكرية التى بدأ يصبها في الخليج دون فكرة واضحة عن المدى الذى سيتوقف عنده الحشد . الى أين يقود هذا كله ؟ كان السؤال يلح على ذهن رئيس الأركان منذ بعد ظهر ذلك الأحد قبل عشرة أيام حين شاهد الرئيس يهبط من طائرته الهليكوبتر فوق حشائش البيت الأبيض ليقرر بجلاء " لن يستمر هذا ". وبدت له هذه لحظة حاسمة ، وربما تحديدا لمهمة جديدة ، فاذا أريد رد الغزو العراقي للكويت فماذا يعني هذا بعبارات عسكرية عملية ؟ وماهى القوة اللازمة ؟ وأى نوع من عمل ينبغى أن يخططوا له ؟

وبدا الأمر لباول وكأن الجيش يسيرفي طريق رئيسى دون أن يعرف أى منفذ جانبى عليه أن يتخذ . وبعد جلسة (التانك) توجه بوش وتشيني وباول الى مكتب تشيني .

قال باول للرئيس أريد أن أصف لك كيف يسير الحشد . كانت هذه فرصته الأولى للحديث مع بوش منذ الأمر بنشر القوات . وعرض على الرئيس خريطة تبين بوضوح - أسبوعا بعد أسبوع - القوات الأمريكية المتجهة الى الخليج ، وينتهى الشكل في أول ديسمبر ، نقطة نهاية المهمة حين تكون هناك قوات تبلغ ٢٥٠٠٠٠ جندى .

وقال باول أن مهمتنا هى أن نردع وندافع . وفى النهاية لن يكون هناك شك في أنك تستطيع الدفاع عن السعودية . وليست لنا مهمة أخرى . وهذا هو ماسيبدو عليه المستبل في أول ديسمبر ، حين تكون قواتنا قد استكملت . اننا

نتعرض للخطر الآن ، لكننا نستطيع الردع.

ومض باول يقول

" أما إذا أردتنى أن أقوم بماهو أكثر فان القوس يرتفع ، إذا أردت المزيد فاننى أريد أن أعرف هل تريد أن تقطع ميلين أو ثلاثة أميال عن النقطة التى سأتوقف عندها هنا "

وقال باول لبوش .. في وقت ماسيرسل لك شوارزكوف تقرير بأن المهمة قد أنجزت . ومانريده ياسيدى الرئيس هو أن تخبرنا قبل أن تنجز هذه المهمة ما الذى تريدنا أن نفعل بعدها - وإذا كان لدينا شىء في خط الامدادات العسكرية فهل نغلق الخط ، أم نبقيه مفتوحا ، أم ماذا ؟

لم يكن باول يطلب مهمة جديدة عاجلة من الرئيس .. لم يكن يضغط من أجل قرار ، وانما كان فحسب يتساءل هل لديهم أو أمامهم مهمة عسكرية جديدة .لم يجب الرئيس ، لكن باول شعر بأنه على الأقل قد نبه الرئيس الى أن من الضرورى أن يتخذ قراراً بسرعة .

وفيما بعد تحدث بوش الى موظفى البنتاجون عند المدخل المطل على نهر بوتوماك والى جواره تشينى وباول.

قال بوش :

"زعم صدام أن هذه حرب مقدسة للعرب ضد الكفار - ويأتي هذا الحديث من رجل استخدم الغازات السامة ضد الرجال والنساء والأطفال في بلاده ، رجل غزا ايران في حرب كلفت أرواح أكثر من نصف مليون مسلم ، رجل ينهب الكويت . لقد ارتكب جنود صدام وصنائعه فظائع ، والأنباء الواردة من الكويت تكشف عن صورة وحشيـة كئيبة "

كان الهجوم عنيفا ضد صدام وقال بوش وصوته يرتفع " لقد كان صدام هو الذي كذب على جيرانه العرب ، وهو الذى غزا دولة عربية ، وهو الذى يهدد الآن الأمة العربية ، .

دار بذهن تشيني وهو واقف بين الحشد أن الهجوم شخصي أكثر مما يجب ، وحاد ومبالغ ويستخدم عبارات طنانة أكثر مما يجب . كان نص الخطاب قد جاء من البيت الأبيض قبل ساعة واحدة ، ولم تكن هناك فرصة أمام تشينى أو غيره من البنتاجون لاقتراح تغييرات.

وفيما بعد أبدى تشينى قلقه لسكاوكروفت .. أن لدى صدام الآن ٢٠٠٠٠٠ جندى في الكويت مقابل ٢٠٠٠٠ أمريكي - أى بنسبة ١٠ الى واحد . وامكانية المذبحة ليست مستبعدة بعد ، وتشينى لايريد أى تلويحات تهديدية من الرئيس تستفز صدام .

ورغم أن بوش توجه الى كنيبونكبورت لقضاء عطلتة الصيفية فقد الغى تشينى رحلة صيد لمدة أسبوعين كان مفروضا أن تبدأ اليوم ، فلم يكن يتصور أن يأمر وزير الدفاع بنقل مئات الآلاف الى الصحراء السعودية ثم يذهب لصيد الأسماك

وفي نهاية الأسبوع وقع بوش " قرارا " سريا للغاية للمخابرات يصرح لوكالة المخابرات المركزية بالعمل على الاطاحة بصدام ،على ألا تخرج الوكالة عن الحظر المفروض على الاشتراك في محاولات الاغتيال ، بل تعمل بالأحرى على تجنيد متمردين لازاحة صدام من السلطة.

* * *

في يوم الأحد ١٧ أغسطس توجه تشينى الى العربية السعودية والى جولة

لمدة اربعة أيام في بلدان المنطقة الأخرى ، وكان يعتزم زيارة البحرين وعمان والامارات العربية المتحدة ومصر للحصول على مزيد من التأييد . كان يحاول أن يضاعف نجاحه مع السعوديين ، ويسعى الى حقوق هبوط وحركة للقوات الأمريكية ، وخاصة المقاتلات والقاذفات وطائرات الشحن.

وساد الذعر حين جاءت أنباء بأن الأسطول الأمريكي قد فتشت ناقلة نفط عراقية ، وشعر تشيني بالقلق من أن يقوم ضابط أسطول باشعال الحرب واستغرق الأمر نصف ساعة لكي يتصل بالبنتاجون لكي يعرف إن كل مافعله الأسطول هو اطلاق النار فوق قوس السفينة.

وحين زار تشيني الوحدات الأمريكية الموجودة بالفعل في العربية السعودية تنبه بشدة الى وضعها الحرج . كان الجميع يبدون مستغرقين في اللوچستيك والنقل ومجرد الاقامة ، والجو أشبه بالليلة الأولى في أحد المخيمات . فلنفترض أن قتالا نشب قبل أن تصل كل القوات الأمريكية الى مكانها ؟ وهل يفترضون أن النشر الأولي سيردع صدام ؟

واتصل تشيني بباول على الخط المأمون وسأله هل شوارزكوف على ثقه من أننا على استعداد لأى حالة طارئة تحدث بعد وقت قصير ؟ ماذا لو أن صدام تحرك قليلا الى الأمام ووصل الى العربية السعودية ؟ وماذا لو اتجه الى حقول النفط ؟

ووافق باول على أنهم عرضة للخطر ولكن إذا كان صدام سيتحرك داخل العربية السعودية فلماذا لم يفعل قبل ذلك ؟ وقال باول انه مع كل يوم يمر تصبح الولايات المتحدة فى وضع افضل .

وكانت هناك مشكلة اخرى قائمة في العربية السعودية ، فقد أرسل عدد أكبر مما يجب من الضباط والاداريين في الموجات الأولى ، ويطالب القادة بالحاح

بارسال مزيد من القوات والجنود الذين يستطيعون القتال .

وحين عاد تشينى الى واشنطون توجه هو وباول الى كنيبونكبورت يوم الأربعاء ٢٢ أغسطس ليطلعا الرئيس على الوضع ويناقشا معه الخطوات التاليه .

كان اليوم مشرقا مشمسا في " واكرز بوينت "، وهو مبنى جميل يطل على المحيط ، وانضم تشينى وباول الى بوش وسكاوكروفت وسونونو وچتيز ولارى أيجلبرجر حول مائدة حديقة صغيرة مستديرة وامامهم ساحل مين الوعر. كان بيكر في عطله في وايومنج يحاول أن يكتسب بعض السمرة المألوفة في أغسطس وطلب تشينى وباول موافقة بوش النهائية على استدعاء خمسين ألف من رجال الاحتياطي . كانت التخصصات العسكرية الحاسمة - مثل اللوچستيك والنقل والخدمات الطبية والبناء والمخابرات - مركزة في الاحتياطي ، فأمام شعور البنتاجون بالاحباط لرفض الرئيس چونسون التعبئة الكاملة للجيش في حرب ڤيتنام باستدعاء الاحتياطي قام عن عمد بتنظيم الخدمات بحيث يكون المتخصصون اللازمون لأى عملية نشر قوات كبيرة في الاحتياطي ، مما سيجبر الرئيس على استخدام الاحتياطى في اى عمل عسكرى كبير ، ويجعل من الصعب - ان لم يكن من المستحيل - الانزلاق ببطء في حرب دون مشاركه الرأى العام.

وبعد الارتباط بالعملية الكبيرة في الخليج كان بوش وباول وتشينى يعرفون أن استدعاء الاحتياطي أمر حتمي. وصرح بوش بالاستدعاء الآن .

كانت الأمم المتحدة تدرس الآن - وبعد أن وافقت بالفعل على فرض عقوبات اقتصادية على العراق - قرارا بفرض الحصار. وكانت المسألة المباشرة هى هل ننتظر الأمم المتحدة أم نمضى قدما من جانب واحد ونفتش السفن العراقية . وكان الأسطول قد أوقف بعض السفن العراقية لكنه لم يفتش بعد أيا منها.

كان بوسع تشيني أن يرى أن القرار خطير بالنسبة للرئيس ، فقد كان بوش حريصا على تأكيد حق الولايات المتحدة في أن تتصرف بنفسها ، ويريد أن يستعرض بعض العضلات . وقبل يومين كان أحد الصحيفين قد سأله هل هو مستعد لوقف ناقلات النفط العراقية ، فرد عليه باحدى عباراته الجريئة " ماعليك الا أن تراقب " ماعليك الا أن تراقب وترى " . ورغم هذا فقد أوصى تشيني الرئيس بالا يندفع الى تفتيش السفن ، بل ينتظر الأمم المتحدة.

وأوضح باول أن اطلاق النار على سفينة من أجل مكسب قصير الأجل أمر ليس بذى شأن ، فالسفينة جزء من نظام دقيق للامدادات وليست جوهر المشكلة . واتصل بيكر من ويومنج وأوضح أن هذا هو رأيه أيضا .

وكان بوش يتشكك في أن تتوصل الأمم المتحدة الى شيء ، فحين كان مندوبا في الأمم المتحدة في ١٩٧١ - ١٩٧٢ أوقف السوفييت كل ماحاولت الولايات المتحدة أن تفعله لكن هذا عصر جديد ، فقرر أن ينتظر صدور قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

وأبلغ باول الرئيس بأن الوضع لم يعد غير مأمون للمرة الأولى منذ بدء الانتشار ، فقد أصبح هناك نحو ٣٥٠٠٠ جندي في العربية السعودية أو في طريقهم اليها كما أن هناك ٢٠٠٠٠ بحار امريكي على ظهر سفن في المنطقة . وبالطبع لم يكن يكن الجنرال شوارزكوف مكتفيا ، لكن باول لايتوقع الاكتفاء أبدا من أى قائد . وكان هناك الآن ٢٠٠٠٠٠ جندى عراقي في الكويت ، والوضع يتحسن كل يوم الا أن أحدا لن يشعر بالراحة أبدا الى أن تأخذ دبابات الفرقة الميكانيكية الرابعة والعشرين مكانها تماما . وقال باول ان من الأرجح ألا يهاجم صدام الآن ، لأنه لم يغتنم الفرصة حين كانت له اليد العليا في الأسبوعين الأولين حين كانت القوات الأمريكية أقل كثيرا .

ومضى باول يقول انه رغم ذلك فان الجيش العراقي قادر على الحاق أضرار هائلة . كان قد جمع عديدا من الاستخبارات والمعلومات المستوفاة من هيئة الأركان المشتركة . ومن العوامل الكبيرة هنا صواريخ سكود - ب السوفيتية التي عدلت ليبلغ مداها ٦١٥ كيلو مترا. ولم تكن المخابرات واثقة من عدد ما يمتلكه العراقيون منها ، لكن التقديرات تشير الى ما بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ صاروخ ويمكن أن توضع أسلحة كيميائية في بعض هذه الصواريخ ولم يكن العراقيون يحكمون دائما تحديد النسبة بين الوقود والهواء مما يجعل أداء هذه الصواريخ متقلبا . ويتوقف أداء صاروخ سكود على عدد من العوامل ومن بينها ما إذا كانت الرياح تهب في الاتجاه الصحيح.

وكانت قوات صدام تحفر الخنادق ، واذ تجلب الولايات المتحدة قوات مدرعة ثقيلة فان جيشين من أكبر جيوش العالم سيتواجهان . واذا نشب القتال فسيكون حربا برية كبيرة ، لا تشبه في شيء تحرير جرينادا وبنما.

وسأل بوش باول عن رأيه وأضاف أنه لا يريد مشورته العسكرية فحسب بل رأيه فى المسار الذي ينبغى أن يتخذه العمل ، فهو يريد تقييما شاملا . وقال باول انهم على حق في الدفاع عن العربية السعودية.

ومع نهاية الاجتماع رأى باول أن بوش قد اعتدل بعض الشيء ، فلم يعد تحرير الكويت يبرز في المقدمة.

وفي الأيام التالية هدأ الرئيس هجماته العلنية على صدام.

وفي يوم السبت ٢٥ أغسطس أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرارا يعطى أساطيل الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الحق في استخدام القوة لمنع التجارة مع العراق . كانت هذه هى المرة الأولى في ٤٥ عاما من حياة الأمم المتحدة التى يرخص فيها لبلدان مفردة - وخارج مظلة قيادة للأمم المتحدة

- بفرض الحصار الدولي ، وكان هذا انتصارا دبلوماسيا غير عادي للأدارة الأمريكية.

وانتشى بوش بعد قلقة الشديد بشأن قرار الأمم المتحدة.

* * *

كان الچنرال كيلى يجرى - في هيئة الأركان المشتركة - تقييما للوضع بعد ثلاثة أسابيع من بدء الأنتشار . فاولا تستحق القوات الجوية نجمة ذهبية على أدائها لتحقيق مايبدو أنه تفوق جوي مبكر فى المنطقة . وكان مصدر قلق كيلى الرئيسى هو مايسميه " عناد هذا الوحش صدام ". كان قد استعرض تقارير المخابرات عن الحرب العراقية الايرانية . ورغم أنها لم تكن موثوقة تماما فقد كانت بها رنة صدق كئيبة ، فالى جانب الأنباء الشائعة عن أن صدام قد أعدم بنفسه عدداً من كبار المستشارين والوزراء الذين اختلفوا معه كانت هناك أنباء تبين كيف يعامل كبار قادته العسكريين ، فقد أعدم چنرالات الجيش العراقي الذين تراجعوا ٢٠ كيلومترا أمام الايرانيين أثناء الحرب العراقية الايرانية حسبما تقول تقارير المخابرات . وأعدم جنرالات في القوات الجوية لأنهم خسروا عددا معينا من الطائرات ، ومن ثم فقد حرصوا على عدم تحليق الطائرات كثيرا ، مما ترك العراق بطيـارين أغلبهم غير مجربين او مدربين

ولكن صدام يمكن نظرا لعناده - أن يستخدم أسلحته الكيميائية ، وهناك تقارير عن أنه سرعان ماستكون لديه أسلحة بيولوجية كذلك . واستخلص كيلي أن أكبر مشكلة هى أن صدام وجيشه والشعب العراقى قد إعتادوا على الإستغناء عن أى شيء واعتادوا الألم والمعاناة والحرمان طيلة ثماني سنوات من الحرب. والواقع أن كيلي رأى أن العراق يمكن أن يتحمل هذه الأمور أكثر من الولايات المتحدة.

* * *

توجه وفد من ١٦ من أعضاء مجلس الشيوخ وعشرة مساعدين وثمانية مرافقين عسكريين الى العربية السعودية في ٣١ أغسطس على ظهر طائرة نفاثة من طراز سى - ١٣٧ وفي اليوم التالى قدم لهم الجنرال شوارزكوف أول عرض في مقر قيادته المؤقت في الظهران . ووضع الجنرال خريطة على الجدار وقال هنا توجد وحدات الجيش ، ومشاة البحرية ، وسفن الأسطول ، والقوات السعودية والعراقية . ولم تدر مناقشة حول خطط أو خيارات الطوارىء.

وفيما بعد قال أحد كبار الجنرالات الأمريكيين الذين يقودون القوات فى الخليج فى أحاديث خاصة لبعض أعضاء مجلس الشيوخ أن الجانب الأمريكى ليس مستعدا للقتال ويحتاج عشرة ايام أخرى على الأقل لذلك . وقام أعضاء مجلس الشيوخ بعد ذلك بزيارة مشاة البحرية فى مواقع أمامية أقرب إلى الكويت وتناولوا الغداء هناك - أحدث نوع من وجبات الميدان ويسمى MRE (وجبات جاهزة للأكل) وكان الجنود يقولون مازحين ان هذه الحروف أنما تعنى وجبات ترفضهااثيوبيا .

وبعد الظهر توجه الوفد الى البحرين ، وحضرت مجموعة صغيرة وليمة العشاء التى أقامها الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة قائد الامارات الصغيرة . وتساءل الأمير لماذا تسمح الولايات المتحدة للعراقيين بالظهور في شبكة السى ان ان وانتقاد أمريكا والسياسة الأمريكية.

ويوم الأحد زارت المجموعة سفن الأسطول ومنها البارجة " ويسكونسين " ثم عادت الى العربية السعودية للاجتماع بالملك فهد ، الذى لم يكن لديه جديد او مثير يقوله . وكان مفروضا أن يلتقى أعضاء مجلس الشيوخ في المساء بكبار المسئولين الكويتيين ، لكن أمير الكويت - وكان في العربية السعودية - رفض مقابلتهم.

وثار غضب أعضاء مجلس الشيوخ ... فها هى الولايات المتحدة تقوم بهذا الانتشار الواسع للقوات جزئيا لمساعدة الكويت في حين يرفض قائدها المنفي أن يلتقى بمخلصيه المحتملين . ولم يصدق السناتور ويليم كوهين عضو مجلس الشيوخ الجمهوري عن ولاية مين أذنيه ، فلايمكن أن تكون أمام الأمير – وهو الذى سرقت منه بلاده – مسئوليات حكومية ملحة.

ورأى كوهين أن المسئولين الكويتيين الذين جاءوا لزيارتهم كانوا مسئولين من الصف الثاني . وأخذت (الكاميرات) تصور المناقشات ، ولم يعرف كوهين والآخرون هل يضحكون أم يبكون حين عرفوا أن الذى يقوم بالتصوير هى شركة هيل ونولتون الأمريكية للعلاقات العامة ،التى استأجرها الكويتيون لتلميع صورتهم وفي يوم الاثنين ٣ سبتمبر – عطلة عيد العمال في أمريكا واليوم الرابع من هذه الرحلة المرهقة – طار أعضاء مجلس الشيوخ ساعتين الى القاهرة حيث انضموا الى وفد من مجلس النواب للاجتماع بمبارك . وشن الرئيس المصرى حملة لمدة ساعتين على الملك حسين ملك الأردن ، الذى ابتعد عن الائتلاف العربي ضد صدام . وكشف مبارك كذلك أن صدام حاول أن يرشوه ليبقى مصر بعيدا عن الائتلاف المناهض للعراق وبعد الظهر طار الوفدان ١٥٠٠ ميل الى أبى ظبى عاصمة الامارات العربية المتحدة للالتقاء بالشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الامارات.

وألقى الشيخ (مونولوجا) طويلا عن شجاعة الكويتيين . وبدأ دانيال باتريك موينيهان السناتور الديمقراطي عن نيويورك – الجالس على أريكة جميلة الى جانب زملائه أعضاء مجلس الشيوخ – يشعر بضيق متزايد . وتحرك حتى طرف الأريكة بينما كان صاحب السمو يعرض أمجاد الكويتيين الشجعان وأخيرا صاح موينيهان وهو يرفع يده فى الهواء كما كان يفعل حينما كان مندوبا في الأمم

المتحدة " ياصاحب السمو " .. وعاد ثانية يقول بصوته الدرامي " ياصاحب السمو"

واتجهت كل الأنظار الى موينيهان الذى قال :" ياصحب السمو ، لقد ترك الكويتيون خلفهم زوجاتهم ، وتركوا خدمهم ، وأخذوا أموالهم وكدسوها في حسابات البنوك السويسرية .. وليست هذه في عرفي شجاعة ".

ولم يوافقه الشيخ ، وقال ان الكويتيين أبطال ، وأنهم يعانون الآن . وأخذت حاشية الشيخ تهز رؤوسها موافقة على مايقول ، وأضاف الشيخ أن الكويتيين قد أخذوا على غرة.

أجاب موينيهان " ياصاحب السمو .. ان أمة محاربة لايمكن أبدا أن تؤخذ على غرة ".

همس كوهين في أذن موينيهان " وماذا عن بيرل هاربور ؟" ، وذكره بأن الولايات المتحدة بدورها قد أخذت على غرة بالغزو العراقي.

وفي اليوم التالى عاد الوفد الى الولايات المتحدة . وبدا الأمر لكوهين وكأنهم كانوا في عرض للصوت والضوء ، فلم تكن هناك أنباء أو معلومات حقيقية عن الأمور الهامة حقا - القرارات أو الخيارات التى يواجهها الرئيس في عزلة ظاهرة، ومع حفنة فحسب من المستشارين.

* * *

في اليوم التالى - الأربعاء ٥ سبتمبر - دعا بوش ٣٠ من أعضاء الكونجرس - وأغلبهم زار الخليج في عطلة نهاية الأسبوع الماضى - الى البيت الأبيض.

وشعر تشينى - الذى حضر الاجتماع - بأن عطلة الكونجرس في

أغسطس كانت مفيدة للغاية ، فقد تمكنت الادارة من أن تقضى الشهر في القيام بما ينبغى عليها القيام به لا في تقديم شروح لكابتيول هيل . لكن بوش وتشينى – وكل منهما عضو سابق في الكونجرس – كانا يدركان أهمية تأييد الكونجرس.

وأثنى كل سناتور وعضو في الكونجرس تحدث في الاجتماع على معالجة بوش للأزمة ، وأعرب عن تأييده للتحركات العسكرية والدبلوماسية.

وقال كوهين حين أتيحت له فرصة الحديث " سيدى الرئيس ... نشرت صحيفة " نيويورك تايمز " صباح اليوم صورة لأحد مشاة البحرية وزملاؤه يساعدونه على السير ولست بحاجة لأن أقتبس عن شيكسبير لأقول انه لوأن هذا الرجل كان قد أصيب برصاصة لابضربة شمس لكان رد الفعل مختلفا في هذه البلاد.

" سيدى الرئيس .. أقترح أن تدعو لانعقاد دورة خاصة للكونجرس ، وأن تتناول موضوع الأرض في قانون سلطات الحرب ، وأن تستصدروا قرارا وانتم لاتزالون تتمتعون بتأييد الكونجرس لهذه العملية" .

وقال كوهين انه يتقدم بهذا الأقتراح لصالح الرئيس ، ولصالح الوحدة بين الأدارة والكونجرس ، ولصالح القوات الموجودة في الصحراء والتى تستحق حكومة موحدة ، ولصالح الكونجرس شديد المهارة في تجنب مسئولياته .

واضاف كوهين " سيدى الرئيس .. آمل أن تقاوموا النداءات التي تدعوكم لعمل هجومي " .

ومضى كوهين يقول " فحين نصل الى النقطة التى ستراق فيها الدماء في الرمال فان الكونجرس – الذى يتبع الآن ناخبيه – سيفعل ذلك ثانية ، وسيتبعهم في الاتجاه المضاد.

" لقد زرنا الكويتيين ، ورأينا الكويتيين ، وتبينا أن الكويتيين على استعداد للقتال - حتى يسقط آخر جندى أمريكي ".

وسلم بوش بأدب بما قاله كوهين ، وانتقل الى موضوع آخر .

(٢٠)

عـــزل دوجـان قــائد الســلاح الجـوى

استيقظ باول مبكرا صباح الأحد ١٦ سبتمبر. كان قد عاد في الليلة الماضية من العربية السعودية ، ومازال يشعر بالانهاك. وخلال جولته السريعة أمطره الجنود أمام الصحفيين بوابل من الأسئلة عن متى يعودون الى بيوتهم ، ولم يكن سعيدا بأنه لايمتلك اجابة مرضية . وفي الساعة السادسة صباحا شاهد نبأ في السي ان ان عن تصريحات للچينرال ميكائيل روجان قائد القوات الجوية عن خطط الحرب ضد العراق . وبدا النبأ- الذي يستند الى تحقيق نشرته " واشنطون بوست " صباح اليوم - غريبا ، وبحث باول عن " واشنطون بوست " على العتبة خارج ٦ شارع كوارترز لكنها لم تكن قد وصلت بعد.

وبعد نحو ٤٠ دقيقة جاءت الصحيفة ، وبدأ باول يقرآ التحقيق ، الذى نشر بارزا على عرض النصف الأعلى من الصفحة الأولى تحت عنوان " الولايات المتحدة تعتمد على الضربات الجوية اذا نشبت الحرب " ، وقرأ باول :" اتفق رؤساء الأركان على أن القوة الجوية العسكرية الأمريكية - بما في ذلك حملة قصف واسعة على بغداد تستهدف بالتحديد الرئيس صدام حسين - هي الخيار الفعال الوحيد لاجبار القوات العراقية على الخروج من الكويت إذا نشبت الحرب حسبما يقول الچنرال ميكائيل ج . دوجان رئيس أركان القوات الجوية ".

وبدهشة وانزعاج متزايدين قرأ باول ان دوجان قال ان بقية رؤساء الأركان فضلا عن الجنرال شوارزكوف يشاطرون دوجان رأيه أن " القواة الجوية هى الرد الوحيد المتاح لبلادنا لتجنب حرب بريه دموية ، يمكن أن تدمر الكويت "

قرأ باول " حتى الأسبوعين الماضيين جمع مخططو الآهداف الآمريكيون قائمة تقليدية الى حد ما للأهداف العراقية شملت - حسب الأولوية - الدفاعات الجوية العراقية ، والمطارات والطائرات العسكرية ، ومواقع الصواريخ متوسطة المدى بمافيها صواريخ سكود أرض - أرض ، ومراكز الاتصالات والقيادة ، والمصانع الكيميائية والنووية ومصانع الذخائر والتشكيلات المدرعة العراقية ...

وقال دوجان " هذه قائمة أهداف جيدة ، ويمكن أن أقبلها ، لكنها ليست كافية " وطلب دوجان من مخططيه مقابلة الأكاديميين والصحفيين و العسكريين السابقين والهاربين العراقيين لتحديد " ماهو فريد فى الثقافة العراقية مما يمثل مكانة رفيعة . ماالذى يمكن أن يؤثر نفسيا على السكان والنظام في العراق "، وأضاف أن نيته هى أن يجد " مراكز الجاذبية " التى يمكن للقوة الجوية أن تؤثر فيها وقت مبكر ".

" وقد أشارت المصادر الأسرائيلية الى أن " أفضل طريقة لايذاء صدام هى استهداف أسرته وحرمه الشخصي وزوجته . وأضاف دوجان أنه لما كان صدام " حاكما فرديا " " فاننا إذا اخترنا العنف ومتى اخترناه ينبغى أن يكون هو بؤرة جهودنا " - وتلك استراتيجية عسكرية تعرف باسم قطع الرأس.

وقرأ باول تعليقات دوجان عن القدرات العراقية " ان قوتهم الجوية ذات قدرة عسكرية محدودة " و" انهم لم يبرزوا في الحرب ضد ايران " ولديهم " جيش غير كفء ".

كانت غلبة القوات الجوية هى القضية الرئيسية ، نوع من الانتصار بسلاح

واحد ، من خلال القوات الجوية وحدها . ورغم اعتراف دوجان بأن " هناك كثيرا من الأمور لاتستطيع القوة الجوية إنجازها " وأن القوات الجوية " لقيت صعوبة كبيره في اخراج الناس من الأدغال " في ڤيتنام الا أنه أضاف أنه " ليست هناك أدغال كثيرة في المكان الذي نتجه اليه " . وأضاف المقال أن " مشاة البحرية والقوات البرية يمكن أن تستخدم لحرف الآنظار ، وفي هجمات جانبية ، ومنع توجيه العراق ضربة مضادة الى العربية السعودية وقال دوجان انه قد تكون هناك حاجة الى القوات البرية لاعادة احتلال الكويت ، وانما بعد أن تكون القوات الجوية قد حطمت مقاومة العدو بحيث يمكن للجنود أن يتقدموا الي الداخل " دون أن يحاربوا من بيت الى بيت "

واختتم الموضوع بتعليقات أدلى بها دوجان أمام أحد أسراب طائرات اف - ١٥ حول التأييد الأمريكي للعملية :" أعتقد أنهم سيؤيدون هذه العملية أطول مما تعتقدون ... فسيؤيد الشعب الأمريكى هذه العملية الى أن تصل أكياس الجثث الى الوطن ".

بدا الموضوع لباول أشبه بطلقة تحذير أمامه في مرحلة من أكثر مراحل الانتشار حساسية ، وضد الاجماع الذى عمل باول جاهدا لتحقيقه بين الأسلحة والرؤساء.

وكان الموضوع يقدم تقريرا عن انتشار القوات الأمريكية في المنطقة واستعدادها العام للقتال ، بما ذلك أعداد الطائرات المحددة وأنواعها - وهى تفاصيل سعى باول بكل جهده الى ابقائها بعيدا عن وسائل الاعلام .

ودار بذهنه أن المسألة ستسوء . ولاحظ أن " واشنطوان بوست ذكرت أن الحديث أجرى مع دوجان وخمسة من چنرالاته نحو عشر ساعات " أثناء رحلة الى العربية السعودية ومنها في الأسبوع الماضي ". والحديث مع الصحفيين مثل

هذه المدة الطويلة وفي مثل هذا المكان المغلق أمر خطر وأحمق ، هذا مايعرفه باول ويعرفه أى ضابط علاقات عامة صغير . ولم يستطيع أن يصدق أن دوجان قد فعل ذلك . كان باول يدرك جيدا أن دوجان قد شجع إصلاح العلاقات بين القوات الجوية ووسائل الاعلام ، التى يشعر بأنها تضررت أيام سلفه . وكجزء من هذه الحملة دعا دوجان رجال الشؤون العامة لديه الى طبع بطاقة كبيرة الحجم تحمل عنوان " قائمة الاتصال السريع " وتحوى أرقام هواتف ٣١ من كبار مسئولي القوات الجوية " لمساعدة الصحفيين والمحررين على اعداد تحقيقات دقيقة عن مواضيع القوات الجوية ". وفي الأسابيع الآخيرة هنأ باول دوجان عدة مرات بشأن سياسته الاعلاميه ، لكنه حذره أيضا مرارا بأن عليه أن يتذكر أن الرئيس هو صانع القرارات . ومن الواضح أن قائد السلاح الجوى قد أثارت عواطفه رؤية القوات ، ومضى الى أبعد مما يجب بصورة خطيرة في عهد انفتاحه الجديد.

واتصل باول بتشينى في الساعة السابعة صباحا ، فهو يعرف أن الوزير يستيقظ مبكرا حتى في أيام الآحاد.

سأله باول « هل قرأت " واشنطون بوست "؟»

ولم يكن تشينى قد قرأها.

وحدثه باول عن التحقيق الصحفى ، وقال انه يعتقد أن الأمرسيء.

وتناول تشينى نسخته من الصحيفة وقرأ التحقيق مرتين ، واتصل ببيت ويليامز في منزله غاضبا.

وتحدث تشينى كذلك مع سكاوكروفت ، الذى كان سيسجل حلقة في برنامج " واجه الأمة " في الساعة العاشرة والنصف صباحا.

ولم يكن سكاوكروفت على استعداد لأن يقول ان القوات الجوية يمكن أن

تكسب حربا كبيرة ، فهي لم تفعل ذلك أبدا ، وأزعجه أن يدعو قائد القوات الجوية الى هذا الخط ، وخاصة بهذه الطريقة المفككة ، التى تكشف عن افتقار الى الانضباط الذاتى . وكان بوسع سكاوكروفت أن يدرك أن تشينى غاضب ، وعن حق في رأيه.

قال سكاوكروفت لتشينى " كحد أدنى أعتقد أن على أن أقول إنه في هذه النقطة لايمثل الادارة ".

ووافق تشينى.

وفي برنامج " واجه الأمة " أوضح سكاوكروفت موقفه :" أن الچنرال دوجان ليس في سلسلة القياده ، ولا يتحدث باسم الادارة ". وخلال هذا الوقت توجه تشينى للسير ساعتين على قدميه على طول قناة " سى أند أو " المجاورة لنهر بوتوماك . كان من قبل يمارس رياضة الجرى، لكنه تركها حين ساءت حالة ركبتيه وأصبح المشى هو رياضته الرئيسية.

وتحدث بيت ويليامز الى باول . وأراد رئيس الأركان أن يعرف ماذا سيقول سكاوكروفت ؟ وماذا سيقول تشينى؟ وماذا سمع ويليامز؟ وماذا سيقول ويليامز؟ وكان واضحا أن باول يشعر بالقلق .

وحين عاد تشينى من المشي قرأ التحقيق الصحفي ثانية ، وكان لايزال ثائرا ، واتصل بويليامز الذى جاء ومعه نسخة من " لوس أنجيلوس تايمز " التى نشرت تحقيقا بقلم صحفي آخر كان في الرحلة . وقارن تشيني وويليامز القصتيتن ورأيا أنهما شديدتا الشبه . ولم يكن ممكنا أن يكون دوجان قد أسىء فهمه أو شوهت عباراته .

واتصل تشينى بالبيت الأبيض حيث كان بوش يلعب التنس ، فقال لهم ألا

يخرجوه من الملعب وترك رسالة . واتصل به بوش بعد المباراة ، كان قد قرأ التحقيق بالفعل فى "واشنطون بوست" ، وبدا له غريبا بعض الشىء ، لكنه ظن أنه قد يكون محاولة ماكرة متعمدة من البنتاجون لافزاع صدام

قال تشينى كلا .. من المؤسف أنها ليست مكيدة ، وأضاف أن التعليقات من التطرف الى حد أنه قد يجد من الضروري أن يعفى الچنرال دوجان وسأل " فهل تمانع في ذلك ؟"

أجاب بوش بالنفي . فكل مايريد تشينى أن يفعله سيحظى بتأييد بوش.

ولم يكن بوش يشعر بانزعاج شديد لماحدث ، لكنه كان يستطيع أن يرى أن تشينى يستشيط غيظا .

وفي تلك الليلة اتصل تشينى بالرير أميرال چو لوبيز مساعده العسكري الجديد وقال له استدع الچنرال دوجان الى مكتبي في الساعة الثامنة صباحاً . ثم اتصل بويليامز و قال انه يفكر في فصل دوجان وأضاف .

" فكر فيما ينبغى أن أقول ، وماذا قد يكون رد الفعل " .

كان ويليامز يرى دائما أن من الخطأ الشديد أن يقوم دوجان بمثل هذا الدور الشخصي القوى في التعامل مع الصحافة ، وتذكر قول دوجان " اننى الرجل الأول في ادارة الشؤون العامة للقوات الجوية ".. ان كبار المسئولين من أمثال قائد القوات الجوية بحاجة الى محترفين في الشؤون العامة كنوع من الوقاية ، وقد عارض عبثا في اصطحاب دوجان للصحفيين معه في الرحلة الى العربية السعودية . كما دهش ويليامز لعدم الرجوع الى المسئولين في النظام ، فلا باول ولاتشينى ولا ويليامز نفسه قد أحيط علما بهذه التصريحات مقدما . وأدرك أن هذا جزء من المشكلة - فقد كان مفروضا أن يرى شخص مافي القوات

الجوية الخطر المتحمل ، ويتصل بلباقة منبها .

*   *   *

فكر تشيني طويلا وبعمق ، فضبط الجنرالات ذوى الأربع نجوم جزء من عمله اليومي في ادارة المبنى . ولم يكن دوجان أول ضابط يخرج على الخط ، ولعله لن يكون الأخير . انه رجل جيد كان يبشر بالكثير كقائد ، وستكون هذه طريقة بالغة السوء لانهاء حياته الوظيفية المتميزة ، لكن تعليقات دوجان كانت خارجة عن الحدود كثيرا ، ومن الواضح أن القائد الجديد كان ذا لسان " منفلت" وملأ تشيني ورقتين بمقتطفات رئيسية من المقال ، ثم لخص حججه في ورقة ثالثه . وتحت عنوان " مشكلات " خط العبارات التالية :

١ – أبديت حكما سيئا .

٢ – مناقشة خطط العمليات وقائمة أولويات الأهداف.

٣ – أنك بذلك عينت نفسك متحدثا باسم هيئة الأركان المشتركة والقائد الميداني.

٤ – هذا مثال سيء للآخرين ، وخاصة في القوات الجوية.

٥ – انك تتناول مسألة الاصابات بطريقة لامبالية.

٦ – قلت أننا سنخرج على الأمر التنفيذي الذى يحظر الاشتراك في الأغتيال.

٧ – امكان الكشف عن معلومات سرية عن حجم قواتنا وتوزيعها .

٨ – قللت من شأن دور الأسلحة الأخرى.

٩ – أثرت مسائل دبلوماسية حساسة ، ومنها أننا حصلنا على معلومات

عن الأهداف من اسرائيل.

وقبل الساعة الثامنة صباح اليوم الثانى استدعى تشينى دون آتوود نائب الوزير وباول الى مكتبه ، وقال اننى أعتزم اعفاء دوجان.

ودارت مناقشة حول الأضرار والآثار ، فمن المؤكد أن الفصل سيلفت الأنظار الى بعض تصريحات لدوجان في المقال لم تلتقطها بعض منظمات الأنباء الرئيسية في الصباح : (فالخبطات) الصحفية يمكن أن تموت مالم يساندها رد فعل رسمي.

وأوضح تشينى أنه مقتنع بأن عليه أن يتصرف ، ولم يقدم آتوود ولا باول حججا قوية ضد ذلك .

وغادر باول المكتب وبقي آتوود.

وحين وصل دوجان استعرض تشينى النقاط الرئيسية في المقال نقطه نقطة وسأل دوجان عما إذا كان قد أدلى فعلا بالتصريحات المنسوبة اليه.

قال دوجان نعم انه في الجوهر قد قال هذه الأشياء.

وأخبر تشينى دوجان بأنه سيكون عليه أن يعفيه من مسئولياته كقائد للقوات الجوية . وحتى لا يكون هناك أى لبس عن الأسباب قرأ قائمة الأسباب التسعة لاتخاذه لهذا الاجراء ، كما قال ان ملاحظات دوجان ولهجته توحي بالتقليل من نوعية القوات العراقية.

وقال تشينى إذا كنت وأنت قائد القوات الجوية لا تأخذهم على محمل الجد فلست الرجل الصالح لقيادة القوات الجوية في المستقبل .. اننى أعفيك من منصبك.

ولم يتحدث دوجان كثيرا .

ولم تجراستشارة رونالد رايس سكرتير القوات الجوية ولا الجنرال شوارزكوف في هذا القرار.

واتصل تشيني ببوش الذى كان في اجتماع ، فطلب من سكرتير بوش أن ينقل الى الرئيس على الفور رسالة بأن دوجان قد أعفى ، فلم يكن يريد أن يفاجأ بوش. وفي وقت لاحق من صباح اليوم توجه تشيني للتحدث في اجتماع جمعية القوات الجوية ، وهى جمعية خاصة تضم ٢٠٠٠٠٠ عضو على نطاق البلاد . وقرر تشيني الا يعلن الاعفاء على هذه المجموعة ، فقد أراد أن يترك لدوجان بضع ساعات يتولى فيها بنفسه ابلاغ الخبر قبل أن يتسرب.

وكانت لحظة حرجة للغاية لتشيني حين دخل اجتماع الجمعية واستقبل بتصفيق حاد.

* * *

كان مقررا من قبل أن يحضر تشيني اجتماعا صحفيا في البيت الأبيض في الساعة الثانية عشرة والنصف . ووصل تشيني مبكرا واحتل مكتب بوب جيتز القريب حتى يستطيع أن يكتب تصريحا عن الاعفاء . وقام في البيت الأبيض ثم في البنتاجون فيما بعد بتلخيص أسبابه بعناية . ولم يوجه تشيني أى عبارات طنانة ضد دوجان ، مختارا أن يترك عملية الاعفاء تتحدث بذاتها . وأثناء العرض في البنتاجون استخدم عبارة بلا لون هى "غير مناسب" أربع مرات لوصف تصريحات دوجان . ورغم أن تشيني أوضح أنه تحدث مع بوش وغيره فقد قال إنه هو في النهاية الذى اتخذ القرار " انه في الأساس قراري ومسئوليتى ، وقد مارستها ".

* * *

كان الجنرال ويلسن في تقاعده يتلقى اتصالات من الضباط المتقاعدين وفي الخدمة . كان من الواضح أن السلاح قد أضير كثيرا . ولم يكن ويلسن يشعر بقلق بشأن الطريقة التى ستعامل بها بقية القوات الجوية دوجان ، ففد كان واثقا من أن أحدا لن يقول شيئا يجرحه ، فسيرعاه رفاق السلاح.

ولم يقل أحد في القوات الجوية " هذا التشينى اللعين " بشأن قرار الاعفاء ، لكن رجال القوات الجوية كانوا يطرحون بالفعل سؤالا كبيرا عن الحادثة : هل أدى قرار تشينى باعفاء القائد الى اضعاف الثقة الى حد ما بالقوات الجوية ؟

(٢١)

أم المعــارك والنهــب الشامـل للكـويت

في ٢١ سبتمبر - الأسبوع السادس من عملية الأنتشار الأمريكية - أصدر مجلس الثورة العراقى تصريحا عدائيا جاء فيه "لا مجال للتراجع ... وليفهم الجميع أن هذه المعركة ستكون أم المعارك".

وأوضحت صور الأقمار الصناعية وتقارير المخابرات الأخرى المقدمة للرئيس بوش أن العراق يخرب الكويت تخريبا شاملا ، وينهب البلاد باسرها ، فكل ماله قيمة ينقل الى العراق ، ويفرض على السكان الارهاب والجوع والضرب والقتل وقيل لبوش ان الكويت سرعان ماستصبح أرضا خلاء . وكان بوسعه أن يرى هذا بعينيه.

وادعت المخابرات الأمريكية أن لدى صدام ٤٣٠٠٠٠ رجل في الكويت وجنوب العراق ، وكانت قواته تحفر الخنادق ، وتتحرك الى مراكز أكثر دفاعية مما يجعل هجوم صدام على العربية السعودية أقل احتمالا ، إذا أن على العراقيين لكي يهاجموا أن يخرجوا من خنادقهم ، ويتحركوا الى مايسمى بمناطق القتل - وهى مساحات من الصحراء المكشوفة على إمتداد أميال حيث تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تقضى على القوات والدبابات بفضل القوات الجوية المتفوقة وقوات شوارزكوف البرية . ورغم أن قوات الولايات المتحدة كانت أقل من نصف

القوات العراقية في مسرح العمليات فقد قال تشيني وباول لبوش انهما يشعران الآن بالثقة الكاملة في أن بوسع القوات الأمريكية وقوات التحالف الدفاع عن العربية السعودية

وكان يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر هو يوم الأمير ، واستقبل بوش أمير الكويت المنفي - الذى كان يزور الولايات المتحدة للمرة الأولى - في المكتب الأبيض وانضم لهما سكاوكروفت في الاجتماع الذى استغرق ساعة . ورغم أن الأمير لم يطلب مباشرة التدخل العسكرى لتحرير بلاده فقد رأى سكاوكروفت أن هذه هى رسالته المستترة وأخذ بوش القائد المنفى بعد ذلك للقاء بأعضاء حكومته ثم لتناول الغداء معهم في جناحه في البيت الأبيض . وبعد الظهر التقى تشينى وباول بالأمير على حدة.

وفيما بعد قال بوش ان الوقت ليس في صالح الكويت ، فهى بالتأكيد لن تبقى كبلد إذا انتظروا الى أن تؤتى العقوبات ثمارها وبين كل من تشينى وباول أن الأمير نفسه وقصص التدمير التى تؤكدها تقارير المخابرات قد تركت أثراً ملموسا على الرئيس ، وكان بوش يشعر بانفعال شخصى وقال سيفشل العراق ، وستبقى الكويت .

وفي الوقت نفسه تبين باول أن شوارزكوف في العربية السعودية يزداد قلقا وكان قد صرخ في وجه كيلى فى الهاتف ذات مرة حين طلب منه الأخير بعض المعلومات خلال نصف ساعة ، غير أن كيلى لم يجفل ، وصاح به بدوره قائلا إنه انما ينقل أوامر باول " لست أنا الذى أعطيك الأمر وانما رئيس الأركان ". غير أن شوارزكوف كان يثير خوف الجميع تقريبا ، وكان بحاجة الى تهدئة لا بالنسبة لمدى صعوبة المهام التي قد تكون أمامه ، وانما بسبب عدم تيقنه مما قد تكون عليه أوامر واشنطون. وكان يزداد عصبية بشأن الحشد العراقي ، ويوجه أسئلة

حول أهداف الولايات المتحدة ومستويات القوة ، ورغم أن مهمته العسكرية المقررة كانت لاتزال هى الدفاع عن العربية السعودية فقط فقد كان يرى من تصريحات الرئيس المتكررة ان المهمة تزداد اقترابا من تحرير الكويت .

وفي بعض الأوقات كان شوارزكوف يطيل في محادثاته الهاتفية المأمونة مع باول في البنتاجون . كان شوارزكوف يبحث بانتظام عن مفاتيح – أو يوجه أسئلة مباشرة ، عن الخطوة القادمة . هل سيظلون يتمسكون بالمهمة الدفاعية ؟ أم أنهم سيحشدون القوات للقيام بما هو أكثر ؟

وظل باول يقول له "نورم .. أننى أبحث المسألة" .

وكان تشينى وباول ينفقان كثيرا من الوقت حول هذه المسائل فى إجتماعاتهما الدورية فى الخامسة بعد الظهر .

وقال باول لتشينى في أوائل اكتوبر " أتعرف ..ان من الضرورى أن نتلقى قرارا " ، ان على الرئيس أن يقول لهم ماااذا كانوا سيستمرون في حشد القوات او يتوقفون قبل وقت طويل من الموعد الفاصل في أول ديسمبر ، حيث يتوقعون أن تكون كل القوات وكل الامدادات اللازمة للمهمة الدفاعية في أماكنها . " حين أضع آخر قطعة في القمع فستصل بعد أسبوعين الى العربية السعودية ، وينبغى أن تعرف متى نتوقف عن وضع شيء في القمع ". وذكّر باول تشينى بأنه لم يشارك في استعراض أو مناقشة سياسية شاملة للخيارات ومزايا كل منها.

ولم يجب تشينى بالكثير.

وبدأ باول يخط بعض الملاحظات . كان يشعر أن الاحتواء أو الخنق يحدث أثره ، فقد تشكل ائتلاف سياسي – دبلوماسي غير عادي ، تاركا العراق دون حلفاء كبار – مهانا ومحتقرا ومعزولا ربما بصورة لم تحدث لأى بلد آخر في

التاريخ الحديث . وأوضحت تقارير المخابرات أن العقوبات الاقتصادية قد قطعت مايصل الى ٩٥ في المائة من واردات صدام ، وكل صادراته تقريبا،وأصبح صدام عمليا أسيرا في العراق والكويت . ولا يمكن قياس الأثر في أسابيع بل قد يستغرق شهورا . وقد يستغرق الأمر شهرا أوستة أسابيع قبل أن ينهي صدام آخر رطل من الأرز لديه ، وتطلق العقوبات نوعا من رد الفعل.

وقال بول ولفوويتز وكيل الوزارة للشؤون السياسية لباول انه يشعر بأن الخنق موقف يمكن الدفاع عنه طالما يعنى تطبيق العقوبات الى مالا نهاية . فينبغى أن يعرف صدام أنه يواجه الخنق الى الأبد . اما اتباع سياسة تقول – أو توحى – بأن العقوبات ستنفذ سنة أو ١٨ شهرا فان هذا قد يتيح للقائد العراقي نقطة يمكن أن ينتظر عندها الانقاذ . ولن يكون عليه الا أن يقول شعبه أن يتحمل هذا العدد من الشهور وقال ولفوويتز انه خيار صعب ، ربما بنسبة ٥٥ في المائة في جانب و٤٥ في المائة في الجانب الآخر.

* * *

توجه باول الى تشينى ليعرض دفاعه عن الاحتواء ، لم يكن قد اختزل حججه في ورقة رسمية ، فلم تكن هناك مذكرة ، ولا خطة ، ولاشىء مكتوب على الآلة الكاتبة ، وكل ماكان هناك هى ملاحظاته المدونة بخط يده . وقال باول ان من الصعب أن يدخلوا الحرب حتى يتحققوا من أن العقوبات والخنق قد فشلوا . واذا كانت هناك فرصة لأن تحدث العقوبات أثرا فقد يكون هناك التزام بالاستمرار في الانتظار – على الأقل حتى نقطة معينة . وسيكون القيام بشىء قبل الأوان بينما لاتزال هناك فرصة لتحقيق الأهداف السياسية عن طريق العقوبات خطأ خطيرا .

ورد تشينى " لا أعرف .. ولا أعتقد أن الرئيس سيوافق على ذلك " كان تشينى يعتقد أن الاحتواء ليس كافيا ، ولم يكن يرى أى دليل مقنع على أن

العقوبات يمكن أن تكفل النجاح ، فالاحتواء سيترك الكويت في أيدى صدام حسين ، وسيشكل هذا فشلا سياسيا ، وهو أمر لن يقبله الرئيس.

وكان باول بحاجة الى من يسانده ، فهو يشعر بالقلق لأن أحدا لايطرح البدائل أمام الرئيس ، وربما لم يكن بوش يسمع كل ماينبغى له أن يسمع ، ويجب أن تقدم له دائرة كاملة من الخيارات . وبعد عدة أيام عاد باول الى تشينى بعرض موسع عن الاحتواء.

قال تشينى دون تعليق "هيم ... انها بالتأكيد طريقة أخرى للنظر الى الأمر ".

وتوجه باول بعد ذلك الى بيكر ليحدثه عن الاحتواء . كان وزير الخارجية هو حليف باول الرئيسى في الصفوف العليا من الادارة ، فأفكارهما متشابهة في كثير من القضايا ، وكلاهما يفضلان عقد الصفقات على المواجهة أو النزاع ، وكلاهما يستغلان وسائل الاعلام بدأب لدفع وجهات نظرهما ، وطرحها في أفضل ضوء . ولم يكن بيكر سعيدا بالحديث عن استخدام الهجوم العسكرى أو تطويره ، فهو يريد للدبلوماسية – أى وزارة الخارجية – أن تحقق نجاح السياسة . وأبلغ باول أنه طلب من بعض معاونيه اعداد تحليل عن مزايا الاحتواء ، مما سيفرض مناقشة للاحتواء في دائرة بوش الداخلية ، أو على الأقل يطرح الموضوع علنا .

ولكن لم تعقب ذلك اجتماعات أو مناقشات في البيت الأبيض . كان باول يشعر أنه علق الفكرة في الراية لكن أحدا لم يحبها أو حتى يعلق عليها . وكان يستطيع أن يرى – بوضوح شديد – أن الرئيس ثابت ومستقر ومصر على تحرير الكويت . ولم يتزحزح بوش ، وكان من الواضح أن الاحباط يتصاعد في البيت الأبيض ، فبعد أكثر من شهرين لايبدو أن قرارات الأمم المتحدة أو الدبلوماسية ، أو العقوبات الاقتصادية ، أو العبارات الرنانة ،خففت قبضة صدام ، وكثيرا ما رأى باول إنفعالات الرؤساء تحرك السياسة ، فقد كان قلق ريحان

الشخصي على الرهائن الأمريكيين في لبنان خلف قضية ايران - كونترا . وقرر باول أن يذهب للقاء سكاوكروفت في البيت الأبيض.

وقال سكاوكروفت انه يواجه وقتا صعبا يمكن لباول أن يفهمه كمستشار سابق للأمن القومي ، فهو يحاول أن يدير ويحكم رئيسا بالغ النشاط ، فبوش يمضى مطلقا التصريحات ، عاقدا مؤتمرات صحفية كل يوم تقريبا ، مجريا مكالمات حتى الفجر ، حيث يتصل بقائد أو آخر من القادة العالميين ، عاقدا الاجتماعات ، بحيث يجد سكاوكروفت نفسه يلهث لمجرد اللحاق به ، ففى عطلة نهاية الأسبوع التى يفترض أنها للاسترخاء كان بوش يقابل أو يتحدث مع أشخاص عن عمله أكثر مما يفعل معظم الناس في أسبوع عملهم العادي.

وبعد أن أبدى باول تعاطفه انتقل الى مسألة الخطوات التالية في الخليج وقال انه يتساءل عن الاحتواء والخنق ، وعن مزايا العقوبات الاقتصادية.

وكان سكاوكروفت يعرف موقف باول إذ كان تشينى قد ألمح اليه. لكن باول كان يتحدث الآن بشكل غير مباشر ، فلم يقل بعبارات واضحة هذا هو وقفي.

أجاب سكاوكروفت " ان الرئيس يزداد اقتناعا بأن العقوبات لن تحدث أثراً ". وأوضح تماما أنه يفهم الرئيس جيدا ، فلم يكن تصميم بوش مستترا، وقد أغلق عمليا أى امكانية لتغيير أفكاره.

واستطاع باول أن يرى أن سكاوكروفت متفق مع بوش ، وأنه يدعم اتجاهات الرئيس بقوة ، فقد كانت هذه هي وظيفته كمستشار للأمن القومى ، وعليه كمشرف على كل سياسة الادارة الخارجية أن يعكس أراء الرئيس . لكن مستشار الأمن يتحمل كذلك مسؤلية التحقق من عرض كل دائرة البدائل.

كان سكاوكروفت أكثر استعداد للذهاب الحرب من باول ، فالحرب في نظر

سكاوكروفت أداة من أدوات السياسة الخارجية ، ولا يختلف باول في ذلك ، وانما هو يرى هذه الأداة عن قرب أكثر ، ولايراها تجريدا غير مجسد قدر مايراها في وجوه رجال ونساء حقيقيين - كثير منها وجوه صبية - يتطلع اليها في زياراته للقوات . ففي ذلك الجناح الغربي من البيت الأبيض الذى يجلس فيه سكاوكروفت يبدو البنتاجون بعيدا ، والقوات أبعد منه . وهذا أمر يعرفه باول ، فقد جلس في هذا المكان .

وقال باول لسكاوكروفت انه إذا كان هناك بديل للحرب فانه يريد أن يتأكد من أنه سيدرس دراسة كاملة ، واذا كان هناك أى طريق ممكن لتحقيق الأهداف دون استخدام القوة فلابد من استكشاف هذه الآفاق.

ونفد صبر سكاوكروفت ، وقال ان الرئيس يقوم بكل مايمكن تصوره

وغادر باول المكان ، لقد أخذ يضيق ذرعا باجراءات مجلس الأمن القومى واجتماعاته . وسكاوكروفت يبدو غير قادر - أو غير راغب - في التنسيق والافادة من كل عناصر سياسة الخليج - العسكرية والدبلوماسية والشؤون العامة والاقتصادية والأمم المتحدة . وحين يجمتع المسؤلون الكبار يحرص بوش على أن تعلو الإبتسامة وجوه كل من يحيطون يالمائدة - النكات والروح الرفاقية ومرح الأصدقاء القدامى ولاتناقش المواقف والبدائل مناقشة كاملة ، فالمقاطعات شائعة ، ونادرا ما تصدر قرارات واضحة وكثيرا ما كان باول وتشينى يعودان من هذه الاجتماعات ليقول أحدهما للآخر .. والآن ماذا يعنى هذا ؟ ماذا يفترض أن نفعل؟ وكثيرا ماكان عليهما أن ينتظرا ليسمعا الاجابة فيما بعد من سكاوكروفت أو من التليفيزيون.

وشعر باول أن العملية بحاجة الى مارشال ميداني - الى شخص من أعلى رتبة يتولى الادارة اليومية . ولايستطيع الرئيس - بحكم مسئولياته الداخلية

والسياسية الأخرى - أن يكون المنسق الرئيسي . وينبغى أن يقوم بذلك مستشار الأمن القومى ، وبدلا من ذلك أصبح سكاوكروفت المرافق الأول وزميل اللعب للرئيس في مباريات الجولف وصيد الأسماك وعطلاته الأسبوعية ، وهو يغفل بانتظام واجبه الأكبر في ضمان مناقشة السياسية وصياغتها بعناية.

أما سونونو فانه انما يزيد المشكلة سوءا إذ لايمارس سوى القليل من السيطرة على العملية كرئيس لعاملي البيت الأبيض .

ونتيجة لذلك ترك الرئيس محصورا فى الزاوية بتصريحاته المتكررة ، وكان تعليقه العاطفي الواضح بها يحول ملاحظات الرئيس الى سياسة ثابتة ، فقد أصبح الهدف الآن - أكثر من أى وقت مضى - هو تحرير الكويت بأى ثمن .

* * *

قال تشينى لباول يوم الجمعة " لماذا لاتأتى معي ، وسنرى ماذا سيظن الرجل في فكرتك ؟" . كان لدى تشينى اجتماع خاص مع الرئيس في المكتب البيضاوى . وكان هذا هو الوقت المحجوز لأعضاء الحكومة الرئيسيين - " للكبار " كما يسميهم باول في احاديثه الخاصة ، ولم يكن هو عادة مدرجا بينهم.

وفي البيت الأبيض توجه تشيني وباول الى المكتب البيضاوى لرؤية بوش وسكاوكروفت . وفي ذلك الاجتماع قدم باول عرضه دفاعا عن الاحتواء ، لكنه وقف عند حافة الدعوة اليه شخصيا[1] .

* * *

سرعان ماصحح باول أفكاره عن أن بوش لم ينبذ الاحتواء تماما ، ففي

---

(١) عرض هذا الاجتماع في التوطئة من ص ١٠ الى ص ٢٠

خلال أيام أخبر سكاوكروفت تشينى أن بوش يريد فورا عرضا عما يمكن أن تكون عليه عملية هجومية ضد قوات صدام في الكويت، وكان شوارزكوف وهيئة

أركانه في العربية السعودية يقومون بهذا التخطيط ، وهكذا أبلغ باول شوارزكوف

بأن يرسل أحدا الى واشنطون .

وأثناء عطلة نهاية الأسبوع ويوم كولومبوس ٦ - ٨ اكتوبر طار كارل فونو رئيس أركان القوات البرية الى العربية السعودية ليلتقي بشوارزكوف ، كانا صديقيين منذ شبابها في كلية ويست بوينت في الخمسينات ، وكان شوارزكوف يسبقه بفصل دراسي ، لكن فونو ترقى أسرع قليلا وهكذا عمل شوارزكوف تحت إمرة ڤونو في ثلاث مناسبات أثناء حياتها المهنية . وڤونو يعتبر شوارزكوف من أصعب رجال الجيش وأكثرهم عنادا وموهبة .

وحين مضيا للحديث على انفراد كان بوسع ڤونو أن يرى أن شوارزكوف يشعر بالضيق ، كان الرجل بطوله البالغ ستة أقدام وثلاث بوصات ، ووزنه البالغ ٢٤٠ رطلا، يكاد ينفجر خارجا من ملابسه الصحراوية . أنه بالدقة في منتصف السبعة عشر أسبوعا التى قال للرئيس انه سيحتاجها ليضع قواته في مركز الدفاع ، وهاهي واشنطون تبدأ الحديث عن الهجوم ، وقال ليس آبن علنا أن الادارة " تحبذ اختيار حرب مبكرة". وذكرت " نيويورك تايمز " أن الكلمة الشائعة في البنتاجون هى أن الهجوم سيبدأ في ١٥ اكتوبر . والأسوأ من ذلك أن باول أخبر شوارزكوف لتوه في حديث بالهاتف المأمون أن بوش يريد عرضا سريعا عما يمكن أن تكون عليه عملية هجومية ضد قوات صدام حسين في الكويت.

كان شوارزكوف ثائرا .. لابد أنهم يمزحون ، فهو ليس مستعدا لتقديم مثل هذه الخطة ، وهو لم يتلق تنبيها ، ولايريد أن يدفع قبل الأوان الى عمليات

هجومية، وهو يخشى أن يستيقظ أى ابن ... ذات صباح ويقول فلنبدأ الهجوم. انه مازال بحاجة الى شهرين لكى ينهى عمله في الدفاع ، وقد أخبر الرئيس في أغسطس أن الاستعداد للهجوم سيستغرق من ٨ الى ١٢ شهرا ، مما يعنى مارس القادم . وهاهم الآن في اكتوبر يريدون خطه هجومية سينفذونها على الفور.

لقد أخبره باول أن الجميع يدركون أنها ستكون خطة أولية ، وأعطى القيادة المركزية نحو ٤٨ ساعة لكى ترسل أحدا إلى واشنطون ليقدم العرض . ولا يستطيع شوارزكوف مغادرة العربية السعودية ، ومن ثم فسيضطر الى أرسال أحد أعوانه.

وشعر ڤونو بعد أن استمع الى شوارزكوف أربع ساعات وكأنه كان فى جلسة علاج نفسى ، أنه يستطيع أن يرى أن صديقه القديم يشعر بالوحدة والمعاناة الشديدتين ، ووعد بأن يفعل مايستطيع.

وصباح الأربعاء ١٠ اكتوبر استقبل باول الميجور چنرال روبرت ب . چونستون رئيس أركان شوارزكوف في البنتاجون . وبعد الظهر توجه تشينى وولفوويتز وباول وبقية رؤساء الأركان وكيلي الى (التانك). انهم جميعا ينتمون الى المجموعة الضيقة المطلة على الخطط الحربية السرية للغاية ، وكان من الضرورى تماما الا تتسرب كلمة بأن البنتاجون يبحث عملية هجومية ، فقد يكون هذا دعوة لصدام للهجوم قبل أن تتخذ القوة الدفاعية الكاملة مواقعها .

وبدأ چونستون – وهو رجل مشاة بحرية صلب مجامل ذو خبرة واسعة بعمليات تقديم العروض – بتذكيرهم بأن القيادة المركزية قد نشرت قواتها وفقا لمهمة الردع والدفاع التي حددها الرئيس .أما اذا طلب منا الرئيس أن نبدأ الهجوم غدا فهذا ماسنقبله. ورغم أننا لم يتح لنا وقت طويل للتفكير الدقيق، وأننا لسنا على

أستعداد لأن نقول بالتفصيل ان هذه هي الخطة الصحيحة ، فان هذا هو أفضل ماتوصلنا اليه.

وأوضح أن الخطة تنقسم الي أربع مراحل ؛ الثلاث الأولى منها حملة جوية، والرابعة هجوم برى.

وستكون المرحلة الأولى هجوما قويا على مراكز القيادة والتحكم والاتصالات العراقية، فى محاولة لقطع الصلة بين صدام فى بغداد وقواته فى الكويت وجنوب العراق. وفى الوقت نفسه ستدمر القوات الجوية القوة الجوية العراقية وشبكة الدفاع الجوى، كما ستشمل المرحلة الأولي هجوما جويا لتدمير تسهيلات الأسلحة الكميائية و البيولوجية والنووية .

أما المرحلة الثانية فستكون قصفا واسعا ومستمراً لقواعد الامدادات والذخيرة العراقية ، وتسهيلات النقل والطرق ، بهدف منع الإمدادات عن القوات العراقية .

والمرحلة الثالثة هجوم على القوات البرية العراقية البالغة ٤٣٠٠٠٠ رجل في خنادقها، وعلى الحرس الجمهورى.

وقد تتداخل المراحل بعض الشيء ، فبعد أسبوع فقط من بداية المرحلة الجوية الأولى يمكن أن تبدأ المرحلة الرابعة، مرحلة الهجوم البري علي القوات العراقية فى الكويت . وكانت احدي شرائح جونستون خريطة عليها ثلاثة أسهم تبين نقاط الهجوم الثلاثة التى يمكن لقوات التحالف أن توجه ضرباتها فيها الى العراقيين . ويمثل أحد الأسهم قوات مشاة البحرية الأمريكية من هجوم برمائى من الخليج ، والسهم الآخر هجوم برى للجيش الأمريكى على الخطوط العراقية مباشرة ، أما السهم الثالث ففرقة برية مصرية تشتبك بدورهامباشرة مع القوات المعادية وفى الوقت نفسه تحمى جناح القوات الأمريكية

ووجه تشيني وباول وعديد من الآخرين سؤالا بعد سؤال. هل يستطيعون آن يعتمدوا على المصريين في حماية القوات البرية الأمريكية ؟ وماذا عن قوات الدعم لو شن العراقيون هجومامضادا؟

وأراد باول وفونو أن يعرفا ما اذا كان من الممكن نقل القوات الأمريكية الى الغرب على طول الحدود العراقية ثم تنقض على الجيش العراقي من الجانب والخلف. وهل يمكن تغيير مراكز القوات الأمريكية بالسرعة الكافية بحيث لايعرف بها العراقيون

وقال جونستون ان التحليل الأولى للتضاريس أوضح أن الصحراء العراقية ناعمة ورطبة يصعب معها على سيارات الدعم نقل الامدادات الضرورية

كان كيلى على ثقة من أن خطة الهجوم من الوسط تماما التى عرضها جونستون لن تمر، ولن تتحمل استعراضا جادا، فمن قواعد الحرب الأساسية «ألا تهاجم عند نقطة القوة لدى العدو» و «اذهب الى حيث لايوجد» والخطة تنقصها الحركة

وشعر تشيني بالارتياح الي مراحل الحملة الجوية الثلاث والتخطيط يبدو كاملا وتفصليا، فحتى بعد فصل دوجان كانت القوات الجوية لاتزال تقول انها هى التى ستتولى الأمر فى الأساس . ولم يكن تشيني يصدق ذلك ، لكنه يستطيع أن يرى أن القوة الجوية سيكون لها ميزة هائلة فى الصحراء . وفضلا عن ذلك فان الخطط تقضى بأن الأهداف التى أفلتت فى الجولة الأولى ستضرب مرة بعد أخرى حسب الضرورة.

إلا أن خطة المرحلة الرابعة البرية بدت غير كافية لتشيني ، فالقوات البرية وقوات مشاة البحرية الأمريكية سترسل ضد قوة دفاعية عراقية أكبر، حسب ما يتبقى من قوات صدام بعد القصف ، ورأى تشيني أن هذا يبدو أمرا غير حكيم

حتى فى نظر مدنى مثله .

ولاحظ تشيني أن كثيرا من القوات الأمريكية مثل الفيلق ١٨ المحمول جوا مسلحة تسليحا خفيفا، وقد يكون عليها أ ن تقاتل دبابات مدرعة ثقيلة . وليست هناك قوات احتياطية للدعم، كما تساءل هل يمكن المحافظة على أمداد القوات البرية الأمريكية بالغذاء والوقود والذخائر لفترة طويلة .

ولاحظ كذلك أن الخطة البرية تطلب من القوات الأمريكية أن تشن هجومها مباشرة على الخنادق و التحصينات، وهى نقطة القوة العراقية، وسأل لماذا تهاجم من الوسط؟

وتجاهل جونستون معظم الأسئلة ، وذكرهم بأن الخطة ليست سوى خطة أولية، وبأن الأسئلة تعكس النواقص التى أبرزها شوارزكوف في الشريحة الآخيرة غير أنه حينما وصل چونستون الى الشريحة الأخيرة كانت خطة المرحلة الرابعة قد تمزقت تماما . وقالت هذه الشريحة ان شوارزكوف يشعر بأن الهجوم الآن على قوات برية تبلغ ضعف حجم قواته – وحتى مع التفوق الجوى والبحرى والتكنولوچي الأمريكى – أمر محفوف بالمشكلات . وقال چونسنون " ليست لدينا القدرة البرية التى تضمن النجاح " . ويشعر شوارزكوف بأنه سيحتاج الى فيلق برى اضافي يتألف من ثلاث فرق مدرعة ثقيلة حتى يكون خيار الهجوم سليما.

واستخلص تشينى ان هجوما بالقوات الامريكية الموجودة الآن في المواقع ، واستنادا الى هذه الخطة سيكون مخاطرة كبيرة.

وقال چونستون ان هناك فسحة لفرصة تبلغ ستة أسابيع ، نحو أول يناير الى١٥ فبراير ، يكون الهجوم فيها مستصوبا ، أما بعد ذلك فان الجو والعطلات الدينية الاسلامية تتضافر لتجعل القتال أصعب ، فستبدأ الأمطار الغزيرة في مارس ، وترتفع درجة الحرارة الى ١٠٠ درجة وأكثر ، لكن بوسعهم تدبر أمر

المناخ ، الذى لايستطيع ولاينبغى له أن يحدد جدولهم الزمني.

وفي ١٧ مارس سيبدأ المسلمون صوم رمضان ، حيث يصومون من شروق الشمس حتى غروبها ، وفي يونيو سيكون الحج السنوى الى مكة، وأضاف چونستون أن التوقيت يمكن أن يصير تعقيدا آخر بالنسبة للدول العربية المشتركة في التحالف المناهض لصدام.

وأدرك تشينى أنه سيكون عليه أن يعرض هذا الموجز على الرئيس ، فالرئيس بحاجة إلى أن يعرف بالدقة أين يقف شوارزكوف ، وماهو وضع الأنتشار ، وماذا يمكن أن يحدث إذا صدرت أوامر بعمليات هجومية . ولابد من تعريف الرئيس وسكاوكروفت وسونونو على الأقل بحجم المهمة ، فتشينى لا يريد أن يمضى ذات يوم إلى البيت الأبيض - بعد عدة شهور ليقول " ها هى الخطة ، فهلم الى العمل " ، فلابد من أن يفهم الرئيس الرهانات والتكاليف والمخاطر خطوة بخطوة.

كان تشينى قد أخذ الآن يتبين آثر حرب فيتنام على بوش . كان الرئيس قد إستوعب الدروس - أرسل قوات كافية لأداء المهمة ، ولا تقيد أيدى القادة . وفى خطاب كان تشينى قد ألقاه في كاليفورنيا في ١٢ سبتمبر قال " ان الرئيس ينتمى الى مدرسة الاستراتيچية العسكرية التى تقول . لاداعى للف ".

ورغم أن العبارة ربما لم تكن رشيقة الا أن تشينى كان متأكدا من أن الرئيس لايريد اللف . وهذا يعنى الخيار الهجومى الصحيح.

ولم يكن شوارزكوف في العربية السعودية سعيدا بعدم وجوده عند اطلاع الرئيس على موضوع بهذا القدر من الأهمية.

وفي اليوم التالى - ١١ أكتوبر - قدم چونستون العرض الى بوش في

البيت الأبيض . وقدم الخطة نفسها في غرفة العمليات . واستغرق الاجتماع نحو ساعتين ، فقد قوطع بوش أكثر من مرة . وطرح هو وسكاوكروفت كثيرا من الأسئلة على مواضيع مختلفة مثل حقول الألغام وشبكات الأسلحة . وحين قال جنستون أن شوارزكوف سيحتاج فيلقا بأسره من ثلاث فرق ثقيلة لكى تتوفر له قدرة الهجوم البرى ، سئل ما الوقت الذى يستغرقه نقل هذه الفرق الكثيرة.

أجاب جونستون من شهرين الى ثلاثة لوضعهم في أماكنهم .

وكان يأمل أن يكون هذا العرض قد أثبت أن القوات الحالية لاتكفي للهجوم.

وكان رد فعل بوش شبيها برد فعل تشينى ، وخاصة بالنسبة للمرحلة البرية الرابعة . إن العسكريين ليسوا مستعدين لعملية هجومية فليست لديهم قوه كافية

سأل بوش ماهى القوة الكافية؟

ووعد تشينى الرئيس بتقديم اجابة تفصيلية سريعا .

*   *   *

كان بوش قد طلب من باول أن يذهب للحديث نيابة عنه في الاحتفال بالعيد المئوى لميلاد الرئيس ايزنهاور الذى سيجرى في آبلين بكانساس ، يوم الأحد ١٤ أكتوبر . وكان باول قد درس ايزنهاور سنوات طويلة ، واكتشف أن القائد الكبير للحرب العالمية الثانية كان يؤمن كذلك بشدة بالحدود والقيود ، وأنه لشعوره بالارتياب الشديد في السلطة والعسكريين قد اتبع كرئيس سياسة الاحتواء بدلا من الحرب.

وبذل باول جهدا كبيرا في اعداد خطاب كانساس ، فقد أحس بقرابة لايزنهاور ، وتطلع الى أن يكون مثله ، ومن ثم جاء خطابه من القلب.

قال باول :

" لم يكن الجنرال ايزنهاور من دعاة الحرب ، بل كان من دعاة السلام وعند أقدام النصب العظيم المقام له هنا في المكتبة كتبت العبارة التالية " بطل السلام "، وانه لكذلك".

* * *

كان مفروضا أن يحضر بوش مساء الأربعاء ١٧ اكتوبر المباراة الثانية من دورى البيسبول لكنه ألغى حضوره ليتناول عشاء من لحم (البتلو) والمكرونة على انفرار مع سكاوكروفت ليستعرضا أزمة الخليج.

وفي ذلك الأسبوع كان تشينى في رحلة الى أوربا والاتحاد السوفيتي ليتباحث مع الحلفاء ومؤيدي قرارات الأمم المتحدة ضد العراق . وظهر باول في كثير من المناسبات العامة أثناء غياب تشينى - ملاحظات أمام البورصة الأمريكية ، عرض سريع عن برامج مكافحه المخدرات ، قداس تذكاري ، معرض للفن العسكرى ، اجتماع مع المعاونين العسكريين للرئيس الفرنسي ، بضع أحاديث صحفية وحفلات استقبال.

وحين نشرت الصحف موضوعا عن أن رايس سكرتير القوات الجوية قد استخدم نفاثة تابعة للقوات الجوية لحضور مباراة كرة القدم بين القوات الجوية ونوتردام مما تكلف أكثر من ٥٠٠٠ دولار استدعى باول أحد معاونية وسأله :

" ماذا بحق الجحيم يفعل السلاح الجوى ؟" .. كانت الصحف تستشهد بضباط من القوات الجوية بالاسم وهم يناقضون بعضهم بعضا ، مما يترك انطباعا بأن شخصا ما قد أنفق عامدا أموال دافعى الضرائب لحضور مباراة كرة ، وأن الآخرين يحاولون التغطية عليه " ألا يعرفون هناك كيف يجيبون على

أسئلة كهذه ؟! . وأخذ يلقى عبارات غاضبة عن القوات الجوية بعض الوقت ثم هدأ قائلا " كل ماأردت هو أن أنفس عن صدرى ".

وأرسلت هيئة الخطط والسياسة التابعة لباول ورقة خيارات عن الخليج ، كان على رأس هذه الهيئة الليفتنانت جنرال چورج لى باتلر الذى كان قد رشح للترقية الى چنرال ذى أربع نجوم ، وتولى القيادة الجوية الاستراتيچية . وقد طرح باتلر أربع امكانات : (١) الابقاء على الوضع القائم وهو الردع والدفاع (٢) الاعداد لاحتواء طويل الأجل ومد فترة العقوبات التى كان مفروضا أن تنفذ طيلة ستة أشهر الى سنة حتى تكون فعالة (٣) خوض الحرب (٤) زيادة القدرات باضافة قوات تكفى لتهديد هجومي قابل للتصديق.

وحبذ باتلر الخيار الثانى : الاحتواء طويل الأجل ، مع زيادة الضغط عن طريق العقوبات ، فالحرب – وفقا لتحاليل باتلر – ستكون قذرة.

وأصغى باول الى الملخص لكنه لم يبين ماذا يفضل – وعلى حد قول باتلر فانه حتى لم يرفع حاجبه.

لم يكن باول متأكداً بعد في أى طريق قد يسير الرئيس وان كانت لديه فكرة طيبة عن ذلك ، فهذا خيار سياسي ، وسيتخذ في البيت الأبيض ، وشعر بأن عليه أن يخفي استنتاجاته في هذا الموضوع ، حتى عن أكبر ضباطه.

وبعد عرض چونستون أخذ تشينى يضغط على الجهاز ، كان يريد للمخططين أن يبتعدوا عن فكرة القاء كل القوات مباشرة عبر حواجز خطوط الجبهة العراقية . وطلب من باول أن يفكر في شن هجوم على العراق في مكان ما الى الغرب على طول الحدود السعودية – العراقية على بعد ٣٠٠ – ٤٠٠ من الكويت ، وعلى مقربة من الحدود الأردنية فمثل هذا الهجوم غير المتوقع على المنافذ الغربية لبغداد سيضع قوة برية في موقع لاتوجد فيه تحصينات أو مقاومة

عراقية ، وسيقطع خطوط الاتصالات بين بغداد والأردن ، وسيسمح بشن هجوم بري مباشر على قواعد صواريخ سكود الثانية في غرب العراق والتى تهدد اسرائيل.

وسرعان ماتوصل باول الى نتيجة : كلا .. انها منطقة بعيدة تماما على القوات الأمريكية

* * *

فى يوم الأحد ٢١ اكتوبر غادر باول واشنطون الى العربية السعودية ، ووصل الى الرياض في ساعة متأخرة من اليوم التالى ، وتوجه مباشرة الى شوارزكوف.

وسرعان مارأى باول أن كل من في القيادة - بما فيهم شوارزكوف - كانوا منهكين . انهم يقومون بالردع والدفاع منذ نحو ثلاثة شهور ، وقد تراكمت الشكوك والمخاطر والمتاعب فوق بعضها بعضا.

وكان شوارزكوف لايزال غاضبا من الأمر السريع بارسال چونستون الى واشنطون ومعه خطه هجوم لم تكن جاهزة.

لكن كلا الجنديين يعرفان أن الأوامر هي الأوامر

وأوضح باول انه ليس لديه قرار من الرئيس عن المرحلة القارمة - وهل سيوجهون الى مواصلة المهمة الحالية أو الى اعداد الخيار الهجومى.

واستطرد قائلا انه أيا كان الوضع فان عليهم الآن أن يضعوا خطة هجوم محكمة . والأمر الأهم هو ان يحدد شوارزكوف القوات الاضافية التى سيحتاجها لهذه المهمة ويذكر باول أن شوارزكوف قد أخبر الرئيس بوش في كامب دافيد في ٤ أغسطس - في الأيام الأولى من الأزمة - أن حشد قوات أمريكية على

مستوى يكفى لطرد العراق من الكويت سيستغرق من ٨ - ١٢ شهرا . وكان لدى صدام في ذلك الحين ١٠٠٠٠٠ جندى في الكويت ، أما الآن فان لديه ٤٣٠٠٠٠ جندى .

وقال باول انه يريد قائمة رغبات شوارزكوف ، وتعهد بأن يسانده .

وكان شوارزكوف قد قال في مقال أخير بمجلة " لايف " انه ليس من هواة الحرب : " فأنا في كثير من النواحي نصير للسلام - وان كانت هذه قد تبدو عبارة كبيرة لكننى أعرف ماهى الحرب ، وأنا بالتأكيد من أعداء الحرب . بيد أنى أؤمن كذلك بأن هناك أشياء تستحق القتال من أجلها " .

وقد قال الآن لباول بصراحه انه ليس مقتنعا بعملية هجومية كحل ، فطرد صدام من الكويت في هذا الوقت سيكون عملية قذرة ودموية " هل يعرفون ذلك هناك في واشنطون ؟" .

أجاب باول " انهم يعرفون " . وقدر شوارزكوف أن العملية ستحتاج الى ضعف مستوى ماليديه من قوات؛ ضاعف الوجود الجوى ، وضاعف حاملات الأسطول من ثلاث الى ست حاملات ، وضاعف مشاة البحرية والقوات البرية ، وأخيرا قال " أريد الفيلق السابع " .

والفيلق السابع قلب قوات الدفاع البرى الأمريكية في أوروبا - ثلاث من أفضل الفرق تدريبا وتجهيزا ؛ اثنتان من فرق الدبابات الثقيلة والثالثة فرقة ميكانيكية . وكان الطلب مذهلا ، لم يكن يمكن تصوره حتى من سنة مضت ، قبل الاختفاء الفعلي لخطر حلف وارسو في أوروبا ، لكن جورباتشوف وانهيار حلف وارسو جعلاه ممكنا . وقال شوارزكوف انه إذا كان الرئيس جادا بشأن الهجوم فسيكون عليه أن يرسل الفيلق السابع .

وقال باول انه سيؤيد الطلبات ، بل انه سيمضي الى أبعد من ذلك ، فهو عازم على أن يجعل الحشد أكثر كثافة ، وأضاف أن هناك فرقة برية فى الولايات المتحدة تدربت مع الفيلق السابع هى فرقة" بيج ريد" ، فرقة المشاة الميكانيكية الأولى ، وأنها ستكون مناسبة تماما . ووافق شوارزكوف .

واستدعى كبار ضباط هيئة أركان حرب شوارزكوف ، وكان باول يريد أن يسألهم على انفراد فهو يعرف ميل شوارزكوف الى تعنيف من ينقلون أخبارا سيئة ، وهو يريد أن يجلس ويستمع في صبر لعل حقائق مستتره تطفو على السطح ، كما يحدث غالبا حين تتاح الفرصة للمرؤسين لأن يتحدثوا طويلا . وفي اليوم التالى اجتمع باول خمس ساعات أخرى مع شوارزكوف وهيئة أركانه وكانت المشكلة الكبيرة الوحيدة هى أن البريد لايصل الى الجنود بالسرعة الواجبة.

وأوضح باول أن الرئيس بوش لم يقرر بعد ، وأن عليهم الاعداد لهجوم ممكن ولمواصلة الدفاع ، واتفق باول وشوارزكوف على أنه إذا استمرت المهمة دفاعية فحسب فسيتطلب الأمر نوعا من سياسة النوبات ، التى تسمح بتبديل الوحدات التى خدمت شهررا . واوصى شوارزكوف بأن يتم التبديل بحيث تترك الوحدات العربية السعودية بعد ستة أوثمانية شهور . وقال انه يشعر بشكل عام بأن الحشد يحدث أثره ، وأن هناك شواهد متزايدة على أن العقوبات قد أخذت تؤلم ، وأوصى بالصبر.

وقام باول بزيارة قصيرة لبعض القوات وقال لهم " أعرف أنكم تريدون أن تعرفوا الإجابة على سؤالين : ماذا سنصنع هنا ؟ ومتى سنعود الى بلادنا ؟ ولأننى لاأستطيع أن أقدم لكم اجابة على السؤالين فاننا نعطى قادتنا السياسيين الوقت لبحث المسألة ، وعدم الاجابة على هذين السؤالين يتيح لهم هذا الوقت ".

وشعر باول بأن القوات تتفهم هذه النقطة ، لكنه لم يكن واثقا الى متى

سيستمر صبرهم . فالقوات يمكن أن تحارب من أجل بعضها بعضا ، ومن أجل بعض القيم الأساسية : سلامة الوطن ، وحياة المواطنين الأمريكيين ويمكن أن تقاتل من أجل قادتها - الرؤساء وحتى الجنرالات ، إذا قدمت الأسباب بوضوح وأمانة . وشعر باول بأنها يمكن أن تقاتل أيضا من أجل المصالح الأمريكية ، لكن هذه مسألة مبهمة . ومن المشكوك فيه أن يقبلوا القتال من أجل بلد آخر مثل الكويت ، أو من أجل عدم مكافاة صدام على عدوانه

* * *

استدعى تشينى الى البيت الأبيض يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر. كانت الادارة قد توصلت أخيرا الى حل وسط بشأن الميزانية مع الديمقراطيين بعد ستة شهور مرهقة مؤذية سياسيا ، وخاصة الشهرين الآخريين . وأصبح لدى بوش الآن الوقت للتركيز على الاجابات على السؤال الذى كان قد طرحه على تشينى - كم عدد القوات الاضافية ؟ وقال الرئيس انه يميل الى اضافة القوات اللازمة للقيام بعمليات هجومية لطرد القوات العراقية من الكويت ، على ألا يعلن شىء لمدة أسبوعين ، أى إلى مابعد إنتخابات ٦ نوفمبر ، لأن أى تحرك قد يعتبر محاولة للتأثير على الإنتخابات وقال تشينى انه ينتظر تقرير باول بعد زيارته للعربية السعودية ، وأن عليهما الانتظار

وكان واضحا لتشينى أن الرئيس قد يسعده نوع من التلميح العلني ، وكان من المقرر أن يحضر في اليوم التالى برنامج الصباح الباكر في الشبكات الرئيسية الثلاث وشبكة سى ان ان . وكان يشعر بأن معالجة البيت الأبيض الخرقاء لمحادثات الميزانية مع الكونجرس قد ألقت ظلها على الإدارة بأسرها ، وأثارت أسئلة أساسية عما إذا كان بوش والحكومة يعرفان مايفعلان ، وأثرت على مركز بوش في استطلاعات الرأى ، وعلى الطريقة التي ينظر بها الناس الى

واشنطون والحكومة ، بل أضعفت الثقة في عملية الخليج . كما شعر باول بأن من الأفضل تهيئة الجمهور لتقبل القرار ، وقد أكد على الدوام أنه لايوجد حد أقصى لنشر القوات ، وحذر مرارا من أن الولايات المتحدة مقبلة على فترة عناء طويلة

وفي وقت لاحق في اليوم نفسه انضم تشينى الى بيكر في تقديم عرض سرى لاعضاء الهيئة التشريعية في الغرفة اس ٤٠٧ المأمونة في الكابيتول . ولم يلمح أى منهما الى أن مسألة تعزيز القوات موضع دراسة.

لكن تشينى ألقى البذرة عمدا في الاحاديث التليفزيونية فى اليوم التالى - ٢٥ اكتوبر فقال في شبكتى ايه بى سي " اننا لم نصل بعد الى النقطة التى نتوقف فيها عن زيادة القوات " وسئل في شبكة سي بى اس عما إذا كان البنتاجون يستعد لارسال مائة ألف جندى آخرين فأجاب " من المتصور أن ننتهى بمثل هذه الزيادة الكبيرة ".

وردد النقطة نفسها في شبكة ان بى س لكنه أضاف أن هذا لن يؤثر على تبديل القوات الموجودة هناك بالفعل بعد ستة أو ثمانية شهور " ومن الواضح أنه ستكون هناك سياسة نوبات ... وأعتقد أننا سننتهى الى نوبات كل ستة أشهر "

ووصلت أنباء تصريحات تشينى الى باول الذى كان قد توقف في أوربا فسأل أحد معاونيه " ما الذى يجرى ؟" . وحين أدرك مغزى التصريحات قال لأحد الأشخاص " اللعنة ، لن أسافر مرة أخرى ، فلم أتحدث مع الرئيس فى هذا الأمر ". لقد دارت مناقشات لكن قرارا لم يتخذ فى حدود علمه ولكن ها هي الحرب تبدو واضحة في لغة تشينى، وهو رجل ينتقى كلماته بعناية.

ان بوش وسكاوكروفت وسونونو يتخذون القرارات مرة أخرى دون استعراض كامل للآراء . وقد ضاق باول ذرعا من معرفة قرارات الادارة الرئيسية بعد أن تكون حقيقة واقعة . كان سونونو ينصح الرئيس حاثا اياه على أن يتحدث

بقوة ، وأن يعزز كلماته بتهديد عسكرى وواضح أنه أو شخص آخر قد فاز .

غير أن ثمة أمرا يمكن أن يقال في صف بوش : لقد أكد على الدوام أن غزو الكويت لن يستمر . غير أن باول يشعر بأن العقوبات الاقتصادية مازالت تلوح باعتبارها المجهول الكبير . متى يمكن أن تؤثر ؟ ومتى يمكن أن يعتبر أنها فشلت؟ وكان متلهفا على العودة الى واشنطون .

وسمع شوارزكوف في العربية السعودية بدوره ملاحظات تشينى . وقبل أن يشعر تماما بالدهشة والضيق كان السعوديون على الهاتف يمطرونه بالأسئلة : ماهذا ؟ ماالذى يجري ؟ أين هي المشاورات قبل اتخاذ مثل هذا القرار أو الاعلان؟ وحاول شوارزكوف أن يراوغ ببعض الاجابات . كان يغلى غضبا ، فلا يكفى أنه يسمع بشيء على هذه الأهمية من وسائل الاعلام ، ولكن عليه أيضا أن يشرح الأمر للسعوديين دون أى توجيه من واشنطون . وأعطى شوارزكوف حديثا طويلا لصحيفة " ذى أتلانتا چورنال آند كونستيتيوشن" ذلك الأسبوع قال فيه " لقد بدأنا الآن نرى شواهد على أن العقوبات أخذت تؤلم ، فلماذا اذن نقول "حسنا " لقد أعطيناهم شهرين لكن هذا لم يؤد الى نتيجة ، فلنمض قدما ونقتل مجموعة بأسرها من الناس ؟ ان هذا جنون ، هذا جنون ". وقص كيف كانت الولايات المتحدة في ڤيتنام – والتى لم يكن أمامها معارضة جوية – تمطر القوى بالقنابل ، ثم تمضى لتجد الفيتناميين الشماليين وقد خرجوا من جحورهم ليقاتلوا كالشياطين. وأضاف شوارزكوف " ان الحرب شئ دنس ، ففيها – ولنقلها صراحة – يقف جانبان متعارضان يحاولان تسوية خلافاتهما بأن يقتل كل منهما أكبر عدد من الجانب الآخر ".

وشعر ولفوويتز – الذى زار القيادة المركزية فى هذا الوقت تقريبا – بأن شوارزكوف يدلى بهذه التصريحات جزئيا من أجل قواته ، لكى يكون واضحا لهم

تماما أنه إذا نشبت حرب فان المدنيين هم الذين سيأخذونهم اليها .

وقال شوارزكوف لولفوويتز أنه أجرى بعض المناقشات مع خبراء في شؤون الشرق الأوسط ، وأنهم أقنعوه بأنه وان كانت الحرب ستسيء الى الولايات المتحدة فى المنطقة فإن عدم الدخول فى حرب سيكون أكثر إساءة . وأضاف شوارزكوف أنه يرى أن فترة جمود طويلة ستكون انتصارا لصدام .

وعاد باول الى واشنطون ، لكن تشينى كان مسافرا في اليوم التالى لصيد الأسماك مع بيكر في ويومينج . وتقرر عقد اجتماع مع الرئيس في البيت الأبيض في آوائل الأسبوع التالى لمناقشة الخيارات في الخليج .

* * *

قال الچنرال ميريف " تونى" ماكبيك قائد القوات الجوية الجديد لباول أنهم إذا كانوا سيقومون بعميلة هجومية فان من الأفضل للقوات الجوية أن يتم بأسرع مايكون . وأضاف هذا الطيار المقاتل النحيف الذى يبلغ طوله سته أقدام وبوصتين والذى يبلغ الرابعة والخمسين من عمره ، أن الميزة القتالية للقوة الجوية ستبلغ أقصى درجاتها من الآن وحتى أول نوفمبر ، ثم تبدأ فى الهبوط بعد ذلك لأن استعدادات العراق الدفاعية ستقلل المزايا القتالية الأمريكية ، فالعراقيون يتحصنون بعمق أكبر فى الصحراء ، وينظمون أنفسهم ، وقد إستولوا على بعض صواريخ هوك أرض – جو الأمريكية من الكويت ، وقد يستطيعون استخدامها ضد الطائرات الأمريكية ، وفضلا عن ذلك فان الجو لن يكون أفضل مما هو الآن. ورد باول بأن الأسلحة الأخرى تحتاج مزيدا من الوقت لزيادة مزاياها ، وأنه ليس ثمة داع لتحمل خطر غير ضرورى في هذه العملية ، وأن الحرص يستدعى مضاعفة القوات . فسيتعرض الجيش والرئيس لمتاعب خطيرة إذا لم ينجح الهجوم

قال ماكبيك مؤكدا نقطته بشكل ما : يايسوع ... انظر ، ان هذه بلد من

بلدان العالم الثالث ، انها بلد صغير بمدينة واحدة بحق المسيح ، ونحن نجعلها تبدو وكأنها الحرب العالمية الثالثة ، إننا لن نحصل على نقاط على حسن الأسلوب في نهاية هذه المسألة . وعلينا أن نجعلها تبدو أمرا سهلا ، بدلا من أن نجعلها تبدو عسيرة ، وما يقلقنى هو أن ننتظر أكثر مما يجب .

قال باول اننى أفهم ، لكننا إذا مضينا بعد ذلك فستظل لديك ميزة قتالية ونحن بحاجة الى الوقت لنقوم ببعض الأشياء الأخرى – وأساسا أن نعد الجيش للتقدم ونصل به الى هناك ، نصل بهم الى الشاطىء ونفرغ معداتهم ، وأنا لاتعنينى نقاط الأسلوب ، فالرهان كبير ، ومضى باول يقول موجزا مايؤمن به، أنه يريد أن يكون على يقين " أننا سنمضى .. وسننتصر "

ولم يعرض ماكبيك حججه على تشينى أو الرئيس ، فقد رأى أنه لايمثل سوى أقلية ، واحد فقط ، فبقية رؤساء الأركان يتفقون مع باول.

غير أن ماكبيك رأى أن هناك اجماعا على أمر واحد ، فما من رئيس يتلهف على القتال ، انهم لايريدون عملية هجومية إذا كان هناك مخرج كريم آخر للولايات المتحدة .

* * *

خلال عطلة الأسبوع كان باول يشاهد برنامج " أخبار المساء " في شبكة ان بي سي الذى تقدمه ماري أليس ويليامز . وقدمت المذيعة تقريرا عن الروح المعنوية للقوات العربية السعودية.

قالت ويليامز " ان ما ينتظرونه هو اعفاءهم أو دعوتهم الى العمل " . ثم جاء الصحفي أرثر كنت ليقول " ان الأعصاب مشدودة للغاية في العربية السعودية .. فالقوات الأمريكية تنفق معظم طاقتها في مجرد قتل الوقت .... وقد قال لنا كثير

من مشاة البحرية انهم ضاقوا ذرعا بالسلبية ". وقال ان الجنود يشتاقون الى دورهم " لكن البيت سراب .. والأيام تمضى في تثاقل .. وليست هناك بعد أهداف عسكرية يتابعونها ".

سألته ويليامز "ما مدى عمق سوء الروح المعنوية ؟"

أجاب كنت " عميق للغاية ، فقد قال لنا نحو نصف الجنود الذين تحدثنا معهم انهم غير سعيدين بالطريقة التى تسير بها الأمور ".

سأل باول نفسه عم يتكلمون بحق الجحيم ؟ ان البرنامج لم يقدم شيئا ذا شأن إنه شيء أحمق ، لكنه ذكره بأنه إذا نشبت الحرب فستظهر فورا فى التليفزيون ، لتجلب العمليات والموت والنتائج والإنفعالات بصورة أوضح حتى من أيام ڤيتنام . وسيكون الصحفيون والمصورون هناك لتسجيل كل خطوة ، مما يعقد المهام العسكرية كثيرا . وكان باول على ثقة من شيء واحد : ان حربا طويلة الأجل على التليفزيون ستكون أمرا مستحيلا لايطاق في الوطن .

* * *

تحدث روبرت تيتر – مستشار بوش لاستطلاعات الرأى – مرارا مع الرئيس عن سياسة الخليج في شهر اكتوبر ، وقال تيتر انه يعتقد أن الادارة توجه رسائل أكثر مما ينبغي ، وأنها تفتقر الى التركيز . واقترح أن يعود بوش الى الأساسيات التى ذكرها في أغسطس وكانت الرسالتان الأكثر جاذبية هما محاربة العدوان وحماية أرواح الأمريكيين ، بما فيهم أكثر من ٩٠٠ أمريكي رهائن في العراق والكويت . وكان نحو ١٠٠ منهم قد نقلوا الى الاستحكامات العسكرية والصناعية العراقية ليكونوا " درعا بشريا " يردع أى هجوم أمريكي .

وسلم بوش بمنطقه ، لكنه مع هذا بدا واثقا . وقال الرئيس أنه يحس أنه

يعرف أكثر من أى واحد عن المنطقة ، وعن الدبلوماسية ، وعن العسكرية ، وعن الاقتصاد ، وعن النفط . وأضاف لقد تعاملت مع هذه القضايا أكثر من ٢٥ عاما وذات ليلة قال لتيتر انه كان مفيدا أنه عمل مندوبا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، ومبعوثا للولايات المتحدة في الصين ، ومديراً لوكالة المخابرات المركزية ، ونائبا للرئيس فقد مكنته هذه الخبرات من رؤية كل أجزاء الصورة ، وهو يستطيع الأن تجميعها معا .

ووصف بوش كيف قام منذ تولى الرئاسة باعداد الأرض ، واقامة علاقات برؤساء الدول الأخرى . ولم يكن في ذهنه حينئذ هدف محدد ، وانما مجرد احساس استراتيجي بان هذه فكرة جيدة . والآن يمكن الاستفادة من علاقات العمل الطيبة بينه وبين أمثال تاتشر ومبارك وفهد وجورباتشوف في العالم كله . وسلم بوش بأنه قد تكون هناك أوقات صعبة ، أوقات عصيبة ، لكنه يشعر بالارتياح ، وأكد لتوتر أن " هذا العمل سيتكلل بالنجاح ".

* * *

ظل سكاوكروفت شهورا يشعر بالقلق لأن بيكر لايؤيد سياسة الخليج ، فقد بدا في مناقشات الحلقة الداخلية معارضا لنشر القوات الواسع ، ومحبذا لحل دبلوماسي الى حد استبعاد الضغط العسكرى تقريبا ، لكن بيكر كان يقترب ، وتشينى معه يصطادان الأسماك ، وسيتاح لهما الوقت للحديث.

كان بيكر يشعر أن أساس سياسة الخليج ليس متينا بالدرجة الكافية فمحنة الأمير الكويتي ، وشعبه ، والعدوان ، والنفط ، لسيت مقنعة للشعب الأمريكي وقد أوضحت استطلاعات الرأى أن الشاغل الرئيسى للناس كان هو الرهائن الأمريكيين فى العراق والكويت . وحث بيكر على تحويل التركيز فى سياسة الخليج الى قضية الرهائن ، فتلك هي القضية التى يمكن أن توحد

الأمريكيين والمجتمع الدولي ، لأن لكل الدول – بما في ذلك السوفييت – رهائناً فى العراق ، وهذه هي القضية التى يمكن أن تبرر الحرب .

ورأى سكاوكروفت أن نقل التركيز الى مسألة الرهائن أشبه بتغيير الحصان فى منتصف السباق ، لكنه رأى أن استطلاعات الرأى العام تكشف عن تزايد الشكوك في نشر القوات . وأراد بيكر أن يطرح ورقة الرهائن بنفسه في خطاب قوى ، وأبدى سكاوكروفت استعداده لمسايرته . كما أدرك مستشار الأمن القومى أن بيكر قد رأى الكتابة على الجدار ، فرئاسة بوش ستتعزز أو تسقط حسب محصلة سياسة الخليج . ولم يكن أمام بيكر – صديق بوش منذ ٣٥ عاما ومدير حملته الانتخابية وكبير المسؤلين الحكوميين – إلا أن يصبح مؤيدا قويا للسياسة .

وفي يوم الآثنين ٢٩ اكتوبر تحدث بيكر أمام مجلس لوس أنجيلوس للشؤون العالمية ، وقال ان الاكثر من مائة درع بشرى أمريكى " يجبرون على النوم على أرض خرسانية مليئة بالهوام ، ويبقون في الظلام أثناء النهار ، ولايتحركون الا ليلا. ولايتناولون سوى وجبتـين في اليوم ، وقد أصيب كثير منهم بالمرض نتيجة المحنة التي يعانونها . كما أن فكرة أستخدام أمريكيين كدروع بشرية هى ذاتها فكرة غير متصورة "

وأضاف وزير الخارجية " اننا لانستبعد امكان اللجوء الى القوة إذا استمر العراق في احتلال الكويت " .

* * *

دعا بوش ١٥ من قادة الكونجرس – من كلا المجلسين والحزبين – الى البيت الأبيض في اليوم التالى ، ٣٠ اكتوبر . وافتتح الاجتماع بتقرير عن الوضع ، ملاحظا أن العراق قد افرج عن الرهائن الفرنسيين ، لكن مزيدا من الأنباء يأتى عن سوء معاملة الرهائن الأمريكيين والبريطانيين . وقال انه كان يقرأ كتاب مارتين

جيلبرت " الحرب العالمية الثانية : التاريخ الكامل " الذى يصف محاولات تهدئة الديكتاتور وسلسلة الأحداث التى أدت الى النزاع .

وقال بوش في حنق واضح انه لن يدع هذا الشيء يحدث ثانية ، فمعالجة الرهائن بشعة ووحشية وعرض تقريرا عن أسرة أجنبية رهينة اقتيدت الى احدى المستشفيات ، حيث أطلق العراقيون النار على الأبناء أمام والديهم ثم أطلقوا النار على الوالدين .

وقدم بيكر بعض النقاط المؤيدة عن معاملة الرهائن .

وقال توماس س . هيلى رئيس مجلس النواب سيدى الرئيس ، معك حتى هذه النقطة ، وأعرب عن أمله في عقد مزيد من هذه الاجتماعات والمشاورات قبل القيام بأى اجراء عسكرى في الخليج .

وقال بوش انه سيواصل المشاورات ، مالم يقع حدث يتطلب عملا سريعا .

وسأل السناتور چورج ميتشيل زعيم الأغلبية في الشيوخ هل حدث المزيد من اساءة معاملة الرهائن ؟ ان الكونجرس لايعرف شيئا عن ذلك ، فليست هناك وثائق.

سأله بيكر ساخطا أليس الحرمان من الحرية سوء معاملة ؟

فأجابه ميتشيل انه بالتأكيد سوء معاملة ، ولكن السؤال هو هل هناك تصعيد في اساءة المعاملة كما توحى كلمة الرئيس .

ورفع السنانور ويليم كوهين نائب رئيس لجنة مجلس الشيوخ لشؤون المخابرات يده ، وقال ان وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع قد شهدتا أمام اللجنة في الأسبوع الماضى بأنه ليست هناك شواهد جديدة على زيادة سوء المعاملة.

واشتعل غضب بيكر - غير المعتاد على أن يتحداه أحد - واحمر وجهه ، وسأل ماالذى تعتبره المجموعة سوء معاملة ، أو ليس الخطف والقتال كافيين؟

وافقه كوهين قائلا نعم ، ولكن أخذ الرهائن قد انقضت عليه ثلاثة شهور تقريبا . فهل هذا شيء جديد ؟ وهل يعتبر استفزازا جديدا من جانب صدام ؟

وانتهت التساؤلات الى لاشيء . وذكر عدة ديمقراطيين بحدة أن لهذا التركيز الجديد على مسألة الرهائن الأمريكيين رائحة كريهة ، فهل ستستخدم هذه المسألة تبريرا لعمل عسكري الآن ؟ وأوضحوا أنها لن تحتمل الفحص الخارجى .

وقال كوهين ان الادارة ربما تكون من القلق على الرهائن الى حد أنها قد تنتهى بالقضاء على سوء معاملتهم قضاء دائما بتعريضهم للقتل . وأضاف أنه لم ير أبدا الانفعالات - بما فيها انفعاله - بمثل هذه الحدة في اجتماع في البيت الأبيض.

ونقل بوش المناقشة الى وضع السفارة الأمريكية في مدينة الكويت حيث بقى عدد قليل من الدبلوماسيين الأمريكيين - ويمنع العراقيون عنهم الماء والطعام . وقال انه ليس أمامه وسيلة عسكرية فعالة لحمايتهم دون غزو كامل . وماذا يمكن أن يحدث لو أن العلم الأمريكي قد أنزل ، وتحول الدبلوماسيون الأمريكيون بدورهم الى " ضيوف " كما يصف صدام الرهائن ؟ وقال الرئيس وقد بدا التوتر على عضلات رقبته .. لن أجلس ساكنا لوحدث ذلك.

وقال ليس آسبن عضو مجلس النواب ان احداث العقوبات لآثارها سيتغرق عشرة شهور

وقال جون ب . مورثا عضو مجلس النواب عن ولاية بنسلفانيا وأحد الصقور الديمقراطيين انه يؤيد الرئيس بقوة ، مضيفا أنه قد لايكون هناك خيار الا

التدخل العسكرى وفي رأيه أنه كلما كان ذلك أسرع كان أفضل .

وفيما بعد ذهب كوهين الى تشينى الذى لم يقل شيئا أثناء الاجتماع وقال له برقة " لقد نجحت في الأفلات هذه المرة . وسنعود اليك للحديث عن أى الخيارات يدرس ".

وابتسم تشينى ، وغادر المكان .

* * *

في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر ذلك اليوم اجتمع بوش ببيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول في غرفة العمليات .

وبدأ سكاوكروفت الحديث " اننا عند مفترق طرق " فالسياسة يمكن أن تبقى هى الردع والدفاع ، ويمكن أن تتطور الى الخيار الهجومي.

ودهش باول مرة أخرى للطريقة غير الرسمية التى تدور بها المناقشات بين هؤلاء الرجال الخمسة الذين تربط بينهم صداقة قديمة ، فلم يكن هناك تنظيم حقيقى للإجراءات وهم يزنون الخيارات ، وكانت الأفكار تتواثب هنا وهناك حين تأتى فكرة أو أخرى الى ذهن احدهم . وكان بوش وسكاوكروفت يبدوان عازمين على السير قدما بتطوير الخيار الهجومي . أما بيكر – الأقل لهفة والأكثر حذرا – فكان متزنا ، يتساءل عن المواقف في الكونجرس وبين الرأى العام ، لكنه لم يعد معارضا .

ولم ير تشينى وهو يستمع أى استعداد لدى بوش لأن يقبل ماهو أقل من أداء الهدف الذي قرره – تحرير الكويت . ولم يكن وزير الدفاع ليوحى بأى عمل عسكرى مالم يكونوا واثقين من نجاحه . وقال ان ايمانه يتزايد بضرورة تطوير الخيار الهجومى ، فالتحالف العالمى من الهشاشة بحيث لن يستطيع التماسك

طويلا – وقد يبدو الأمر مختلفا لمن ينظرون من الخارج ، لكنهم يعرفون – من الداخل – أن الترتيبات ضعيفة . ويشعر تشيني بأن من المحتمل تماما أن يؤدى أى حدث خارجي الى تمزيق التحالف تماما

ورأى باول أن الصبر ليس هو السائد اليوم . وكما كان شأنه في الماضى فإنه لم يدع إلى الاحتواء ، لقد كان الآخرون يتسامحون من قبل مع مشورته السياسية العامة ، لكنه يحس الآن بأن السماح له بالكلام أقل ، بعد أن دافع بالفعل عن الاحتواء أمام الرئيس ، فالآن لايطلب أحد مشورته السياسية العامة في هذا الموضوع.

وكان الاجتماع قد حدد مقدما كفرصة ليعرض رئيس الأركان مناقشاته مع شوارزكوف .

وأخيرا قال الرئيس " حسنا .. حسنا ، دعونا نسمع مايريد أن يقول " .

بدأ باول الحديث قائلا " سيدى الرئيس ، لقد أدينا المهمة التى أسندت الينا فالدفاع عن العربية السعودية قد تحقق قبل الوقت المحدد له . وعرض كيف حرك شوارزكوف بعض قواته لتحقيق هذه المهمة على ضوء استمرار الحشد العراقى.

" والآن ياسيدى الرئيس فاذا قررتم مواصلة الحشد ، والمضى الى خيار هجومى ، فأن هذا ما نحتاجه "، وطرح طلب شوارزكوف بمضاعفة القوات ، ومن سماته الرئيسية وجود الفيلق السابع ، حتى تتوفر لشوارزكوف الدبابات السريعة لشن الهجمات على الأجنحة العراقية ، وبهذه الطريقة يمكنهم تفادى هجوم أمامي على قلب القوة العراقية.

ودهش سكاوكروفت لاحتياج شوارزكوف الى مثل هذا العدد الكبير ، وبشكل خاص أثار دهشته طلب ثلاث حاملات طائرات جديدة الى جانب الثلاثة

التى لديه بالفعل ، وترددت بعض عبارات الدهشة حول المائدة ، لكنها لم تصدر عن بوش.

وقال باول انه يؤيد توصيات شوارزكوف إذا أراد الرئيس خيارا هجوميا ، واستدار الى الرئيس قائلا " اذا أعطيتني مزيدا من الوقت ، ولنقل ثلاثة شهور ، فسأنقل مزيدا من القوات ، وهذا أمر هام ، ويمكنكم أن تأخذوني الى حساب الادخار والقروض وسنفلس معا ". وكانت رسالة باول واضحة : سيكون الأمر مكلفا.

وبالنسبة لباول فان القيد الوحيد سيكون هو طاقة جهاز النقل.

وقال تشيني انه يؤيد شوارزكوف وباول دون تحفظ . بل مضى إلى أبعد من ذلك ، فليست المسألة هى إذا أراد الرئيس خيارا هجوميا ، فلابد للرئيس أن يريد ، وينبغى له أن يمضى ويأمر به. وأوضح أن هذا سيضمن النجاح إذا كان عليهم أن يقاتلوا . وهو لايريد أن يعود فيطلب مزيدا من القوات في يناير أو فبراير ، فصدام قادر تماما على الاجابة بارسال مزيد من قواته ، وهو لايريد أن يعود ثانية هنا في غرفة العمليات ليقول " سيدى الرئيس ، أنا أعرف ماقلناه لك في اكتوبر ، وقد نقلنا القوات الاضافية الى هناك ، لكننا لا نزال غير قادرين على القيام بالعملية ".

وأخيرا قال بوش " إذا كان هذا ما تحتاجونه ، فسنفعله ".

وأعطى بوش موافقته النهائية في اليوم التالى .

* * *

كان بول ولفوويتز – وهو باعتباره وكيل الوزارة للشؤون السياسية واحد من المدنيين القلائل في البنتاجون الذين يحق لهم الاطلاع على الخطط – يخشى أن

تكون الادارة قد انتقلت الى تقرير الخيار الهجومي دون قدر كبير من التفكير الواضح ، فلم تكن هناك تقريبا عملية دونت فيها البدائل بحيث يمكن وزنها ومناقشتها - وكان ولفوويتز - وهو مسئول حكومي مثقف وسفير سابق - يعتقد أنه كان من الممكن اتخاذ قرار بارسال قوات اضافية دون أن يذكر بشكل محدد هل هى تذهب لاستبدال القوات الموجودة أو لتعزيز هجومي . ويمكن أن يتخذ القرار بشأن غايتها النهائية فيما بعد . لكن الفرصة لم تتح لولفوويتز لطرح فكرته للبحث .

فلم تعقد لجنة النواب - مجموعة الطوارىء من الدرجة الثانية التى تضم ولفوويتز - اجتماعا لهذا الغرض .

ويشعر ولفوويتز أن الدائرة الداخلية التى تضم بوش وبيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول ربما تكون أكثر التحاما مما يجب ، وكان ينبغى لاجتماعاتهم- بحكم كثرتها وسريتها - أن تكون مجالا لمناقشة البدائل والأساسيات . لكنه لايشعر بذلك ، فلم تكن هناك تغذية عكسيه من تشينى . وإذا كان هناك أى جدال منظم في الحلقة الداخلية فانه يتم دون استفادة من الموظفين - وفي بعض الأحيان كان ولفوويتز يشعر انه في ظلام دامس بالنسبة لمسائل حيوية.

كما كان ولفوويتز يخشى أن يكون الاعلان عن هذا القرار شديد الأهمية غير مفهوم ، فالادارة كلها - وبوش بوجه خاص - لاتحب أن تشرح قراراتها بطريقة منظمة متماسكة ، وبوش لايجب القاء الخطابات ، وكتاب الخطابات في البيت الأبيض لايكتبون خطابات جيدة.

أما بيكر من جانبه فكان قلقا بشأن الحلفاء . ترى ماهو رأيهم في استخدام القوة - أو متى أو كيف تستخدم ؟ وماهو قرارهم ؟ وهل يفهمون عزم

الرئيس بوش على رد الغزو ؟ وكان من المتفق عليه أن يقوم بيكر بزيارة العربية السعودية ومصر وتركيا ولندن وباريس وموسكو ، حتى يمكن أن تكون كل عمليات جس النبض قد تمت قبل الأعلان عن مضاعفة القوات .

* * *

في يوم السبت ٣ نوفمبر - اليوم الذى يبدأ فيه بيكر جولته - التقط باول صحيفة " نيويورك تايمز " ليقرأ تحت عنوان " بيكر يعتبر موازنا لبوش في أزمة الخليج " أن مسئولين كبارا في الادارة لم تذكر أسماؤهم يقولون أن بيكر " كان (فرملة) لأى اندفاعة عاجلة لاستخدام القوة .. وحين كانت القضية هى كم من الوقت يلزم لكى نتيح للعقوبات فرصة احداث آثارها كان بيكر ينصح بوقت أطول لا أكثر " ورغم أن القصة كانت متحوطة ومتحفظة فانها على الأقل طرحت في العلن مسألة وجود جدال سياسي . وقال باول لنفسه .. هيي .. انظر الى هذا ، انني خارج المصيدة ".

غير أن جوهر القصة - (فرملة) على الرئيس ، الاحتواء ، مزيد من الوقت للعقوبات الأقتصادية - لم يكن لها رصيد . فلم تكن هناك مناقشة جادة أو تعليق عليها . وكان التعليق الوحيد الذى سمعه باول هو أن بيكر ومعاونيه قد وضعوا قصة مبتدعة للابتعاد بوزير الخارجية بعناية عن أى كارثة ممكنة .

ورأى سكاوكروفت في القصة نسيجا تقليديا من ابتداع وزارة الخارجية ، لكنها تأخرت أسبوعا ، فقد أصبح بيكر الآن مع التيار .

(٢٢)

مجلس الأمن يصدر أوسع تصريح بالحرب

منذ كوريا عام ١٩٥٠

في يوم الخميس ٨ نوفمبر اتصل تشيني بكبار رؤساء لجان الكونجرس لابلاغهم بأن بوش سيصدر بعد الظهر اعلانا عن تعزيز القوات . واتصل بليس أسبن في كينوشا ، بويسكونسين . وكان رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب قد انتخب للرئاسة لتوه دون معارضة للمرة الحادية عشرة.

وكان آسبن قد كف عن محاولة الاتصال بديك تشيني ، وأخذ يسميه " أبا الهول " . وكان سكاوكروفت - بدلا من تشيني - هو قناة اتصاله بالادارة.

وبعد أن أبلغ تشيني آسبن بقرارات التعزيز عدد له بعض الوحدات - ومن بينها الفيلق السابع من فرق الدبابات الثقيلة المرابط في أوروبا ، لكنه لم يقدم تقديرا عاما لعدد القوات .

قال آسبن " هذا أكثر كثيرا مما توقعت " . وأجرى الحساب في رأسه فتبين له أن التعزيز يعني مائتي ألف رجل آخرين.

وتتبع تشيني سام نون حتى وجده في أحد المطاعم . ولم يرق للسناتور أنه يبلغ بالأمر ولايستشار فيه ، وتساءل لماذا العجلة ؟ وهل هم على ثقة من أن

وأحس تشينى بتغير حقيقى في نون أرجع الجانب الأكبر منه لاعتبارات سياسية . واستخلص تشينى - بحساباته السياسية الدائمة - أن نون يخطط لهدف بعيد هو أن يكون المرشح الديمقراطي للرئاسة عام ١٩٩٢ ، وأنه يريد أن يحصل على رضا حزبه بمعارضة الرئيس بوش.

وقال تشينى ان القرار اتخذ لضمان وضع خيار هجوم عسكرى صحيح أمام الرئيس.

وكان بيكر في اجتماع مع جوربا تشوف في الاتحاد السوفيتي حين تلقى كلمة بأن بوش مقدم على اعلان زيادة القوات . وتشكك بيكر في سلامة التوقيت ، وتساءل فيم العجلة ، فليس هذا بالأمر الذى يتخذ فجأة على هذا النحو دون اعداد الأسس له بعناية . وكان ينبغى أن تجرى جولة مشاورات ومباحثات في واشنطون، وخاصة مع الكونجرس . ومرة أخرى شعر بأن البيت الأبيض لايعالج مسألة الاعلان معالجة صحيحة ، لكنه لايستطيع أن يفعل شيئا وهو في روسيا .

* * *

كان تشينى برقب الجدال العام ، فالادارة لم تجد بعد صيغة ناجحة للحديث مع الجماهير . انها تحاول أن تبقى الشعب الأمريكي خلف السياسة ، وتشرح للقوات ماذا يتم ولماذا ، في ذات الوقت الذى عليها فيه أن تراعى الكونجرس والأمم المتحدة والعرب . كما كانت تحاول ادارة المشكلة الاسرائيلية ، فقد كان صدام يحاول الربط بين حل المشكلة الكويتية وحل شكاوى الفلسطينين من اسرائيل.

وكان من الصعب التوصل الى رسالة واحدة يمكن أن تخاطب كل هذه

المجموعات بمصداقية وقوة واحدة . والرسالة التى تريد الادارة طرحها الآن – مبررات نشر قوة هجومية – تختلف عن الرسالة التى أرادت طرحها في أغسطس حين كانت المهمة دفاعية . ولم يشعر تشينى أن جهود الاتصال حتى الآن كانت ظافرة ، وهم الآن يدخلون مرحلة جديدة دقيقة يحاولون فيها ارضاء كل الأطراف

* * *

ظهر بوش وتشينى في موجز أنباء الساعة الرابعة بعد الظهر ، ولم يكن معهما باول الذى شارك في كل الاعلانات الرئيسية لعملية درع الصحراء حتى الآن .

قال بوش " لقد وجهت وزير الدفاع اليوم الى زيادة حجم القوات الأمريكية المشتركة في درع الصحراء لضمان أن تتوفر للتحالف قوة كافية لخيار الهجوم العسكرى إذا أصبح ذلك ضروريا لتحقيق أهدافنا المشتركة ". ولم يذكر أى أعداد.

وحين سئل لماذا يريد أن يضع قوة هجومية في العربية السعودية قال إنه يتصرف " بناء على مشورة وزير دفاعنا القدير وغيره"

وتوجه الرئيس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع الطويلة بمناسبة يوم المحاربين القدماء في كامب داڤيد.

وبعد ظهر اليوم التالى – الجمعة ٩ نوفمبر – توقف بندر في البنتاجون لرؤية باول ، فقد كان يبدو له أن باول وبيكر هما أقل أفراد حلقة بوش الداخلية ميلا الى شن الحرب ضد صدام.

قال باول للأمير " إذا لم نضطر الى القتال فسيكون هذا أفضل ، أما إذا كان علينا أن نقاتل فسأفعل ذلك بكل مانمتلك ". وقال باول أن الرئيس أمر بألا تكون هذه ڤيتنام أخرى . وأن المبدأ التوجيهي سيكون هو توفير أقصى قدر من

قوة النيران والقوات .

وفيما بعد قال تشيني لبندر " سينتهى الجيش في هذا المجتمع لوفشلنا هذه المرة "

* * *

لم يجر البيت الأبيض أى ترتيبات لظهور مسئولى الادارة في البرامج التليفزيونية ذلك الأحد أو برامج صباح الأثنين . وتعد هذه البرامج ساحة أولية للاعبي واشنطون لكي يستعرضوا أنفسهم ويخلقوا " مانشتات " الصحف . واندفع الديمقراطيون بكل قواهم . وقال السناتور الديمقراطي دانييل باتريك مونيهان عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك بحدة " يبدو الأمر وكأن تلك القوة المسلحة الكبرى التى أقيمت لتخوض الحرب الباردة موضوعة تحت تصرف الرئيس ليوجهها على هواه أيا كانت التكلفة ، إنه سيحطم جيشنا ، وسيحطم ادارته وسيفسد فرصة لاقامة نظام أمن جماعي .. انه لأمر يثير الأسى ".

وحفلت صحف عطلة نهاية الأسبوع بقصص عن الخلافات بين أعضاء وقدر شوارزكوف أن العملية ستحتاج الى ضعف مستوى ماالديه من قوات؛ ضاعف الوجود الجوى ، وضاعف حاملات الأسطول من ثلاث الى ست حاملات ، وضاعف مشاة البحرية والقوات البرية ، وأخيرا قال " أريد الفيلق السابع".

والفيلق السابع قلب قوات الدفاع البرى الأمريكية في أوروبا – ثلاث من أفضل الفرق تدريبا وتجهيزا ؛ اثنتان من فرق الدبابات الثقيلة والثالثة فرقة ميكانيكية . وكان الطلب مذهلا ، لم يكن يمكن تصوره حتى من سنة مضت ، قبل الاختفاء الفعلي لخطر حلف وارسو في أوروبا ، لكن جورباتشوف وانهيار حلف وارسو جعلاه ممكنا . وقال شوارزكوف انه إذا كان الرئيس جادا بشأن

الهجوم فسيكون عليه أن يرسل الفيلق السابع .

وقال باول انه سيؤيد الطلبات ، بل انه سيمضي الى أبعد من ذلك ، فهو عازم على أن يجعل الحشد أكثر كثافة ، وأضاف أن هناك فرقة برية في الولايات المتحدة تدربت مع الفيلق السابع هى فرقة" بيج ريد" ، فرقة المشاة الميكانيكية الأولى ، وأنها ستكون مناسبة تماما . ووافق شوارزكوف .

واستدعى كبار ضباط هيئة أركان حرب شوارزكوف ، وكان باول يريد أن يسألهم على انفراد فهو يعرف ميل شوارزكوف الى تعنيف من ينقلون أخبارا سيئة ، وهو يريد أن يجلس ويستمع في صبر لعل حقائق مستتره تطفو على السطح ، كما يحدث غالبا حين تتاح الفرصة للمرؤسين لأن يتحدثوا طويلا . وفي اليوم التالى اجتمع باول خمس ساعات أخرى مع شوارزكوف وهيئة أركانه وكانت المشكلة الكبيرة الوحيدة هى أن البريد لايصل الى الجنود بالسرعة الواجبة.

وأوضح باول أن الرئيس بوش لم يقرر بعد ، وأن عليهم الاعداد لهجوم ممكن ولمواصلة الدفاع ، واتفق باول وشوارزكوف على أنه إذا استمرت المهمة دفاعية فحسب فسيتطلب الأمر نوعا من سياسة النوبات ، التى تسمح بتبديل الوحدات التى خدمت شهررا . واوصى شوارزكوف بأن يتم التبديل بحيث تترك الوحدات العربية السعودية بعد ستة أوثمانية شهور . وقال انه يشعر بشكل عام بأن الحشد يحدث أثره ، وأن هناك شواهد متزايدة على أن العقوبات قد أخذت تؤلم ، وأوصى بالصبر.

وقام باول بزيارة قصيرة لبعض القوات وقال لهم " أعرف أنكم تريدون أن تعرفوا الإجابة على سؤالين : ماذا سنصنع هنا ؟ ومتى سنعود الى بلادنا ؟ ولأننى لاأستطيع أن أقدم لكم اجابة على السؤالين فاننا نعطى قادتنا السياسيين الوقت لبحث المسألة ، وعدم الاجابة على هذين السؤالين يتيح لهم هذا الوقت ".

وشعر باول بأن القوات تتفهم هذه النقطة ، لكنه لم يكن واثقا الى متى سيستمر صبرهم . فالقوات يمكن أن تحارب من أجل بعضها بعضا ، ومن أجل بعض القيم الأساسية : سلامة الوطن ، وحياة المواطنين الأمريكيين ويمكن أن تقاتل من أجل قادتها - الرؤساء وحتى الجنرالات ، إذا قدمت الأسباب بوضوح وأمانة . وشعر باول بأنها يمكن أن تقاتل أيضا من أجل المصالح الأمريكية ، لكن هذه مسألة مبهمة . ومن المشكوك فيه أن يقبلوا القتال من أجل بلد آخر مثل الكويت ، أو من أجل عدم مكافاة صدام على عدوانه

* * *

استدعى تشينى الى البيت الأبيض يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر. كانت الادارة قد توصلت أخيرا الى حل وسط بشأن الميزانية مع الديمقراطيين بعد ستة شهور مرهقة مؤذية سياسيا ، وخاصة الشهرين الآخريين . وأصبح لدى بوش الآن الوقت للتركيز على الاجابات على السؤال الذى كان قد طرحه على تشينى - كم عدد القوات الاضافية ؟ وقال الرئيس انه يميل الى اضافة القوات اللازمة للقيام بعمليات هجومية لطرد القوات العراقية من الكويت ، على ألا يعلن شيء لمدة أسبوعين ، أى إلى مابعد إنتخابات ٦ نوفمبر ، لأن أى تحرك قد يعتبر محاولة للتأثير على الإنتخابات وقال تشينى انه ينتظر تقرير باول بعد زيارته للعربية السعودية ، وأن عليهما الانتظار

وكان واضحا لتشيني أن الرئيس قد يسعده نوع من التلميح العلني ، وكان من المقرر أن يحضر في اليوم التالى برنامج الصباح الباكر في الشبكات الرئيسية الثلاث وشبكة سى ان ان . وكان يشعر بأن معالجة البيت الأبيض الخرقاء لمحادثات الميزانية مع الكونجرس قد ألقت ظلها على الإدارة بأسرها ، وأثارت أسئلة أساسية عما إذا كان بوش والحكومة يعرفان مايفعلان ، وأثرت على

مركز بوش في استطلاعات الرأى ، وعلى الطريقة التي ينظر بها الناس الى واشنطون والحكومة ، بل أضعفت الثقة في عملية الخليج . كما شعر باول بأن من الأفضل تهيئة الجمهور لتقبل القرار ، وقد أكد على الدوام أنه لايوجد حد أقصى لنشر القوات ، وحذر مرارا من أن الولايات المتحدة مقبلة على فترة عناء طويلة

وفي وقت لاحق في اليوم نفسه انضم تشينى الى بيكر في تقديم عرض سرى لاعضاء الهيئة التشريعية في الغرفة اس ٤٠٧ المأمونة في الكابيتول . ولم يلمح أى منهما الى أن مسألة تعزيز القوات موضع دراسة.

لكن تشينى ألقى البذرة عمدا في الاحاديث التليفزيونية فى اليوم التالى - ٢٥ اكتوبر فقال في شبكتى ايه بى سي " اننا لم نصل بعد الى النقطة التى نتوقف فيها عن زيادة القوات " وسئل في شبكة سي بى اس عما إذا كان البنتاجون يستعد لارسال مائة ألف جندى آخرين فأجاب " من المتصور أن ننتهى بمثل هذه الزيادة الكبيرة ".

وردد النقطة نفسها في شبكة ان بى س لكنه أضاف أن هذا لن يؤثر على تبديل القوات الموجودة هناك بالفعل بعد ستة أو ثمانية شهور " ومن الواضح أنه ستكون هناك سياسة نوبات ... وأعتقد أننا سننتهى الى نوبات كل ستة أشهر "

ووصلت أنباء تصريحات تشينى الى باول الذى كان قد توقف في أوربا فسأل أحد معاونيه " ما الذى يجرى ؟" . وحين أدرك مغزى التصريحات قال لأحد الأشخاص " اللعنة ، لن أسافر مرة أخرى ، فلم أتحدث مع الرئيس فى هذا الأمر ". لقد دارت مناقشات لكن قرارا لم يتخذ فى حدود علمه ولكن ها هي الحرب تبدو واضحة في لغة تشينى، وهو رجل ينتقى كلماته بعناية.

ان بوش وسكاوكروفت وسونونو يتخذون القرارات مرة أخرى دون استعراض كامل للآراء . وقد ضاق باول ذرعا من معرفة قرارات الادارة الرئيسية

بعد أن تكون حقيقة واقعة . كان سونونو ينصح الرئيس حاثا اياه على أن يتحدث بقوة ، وأن يعزز كلماته بتهديد عسكرى وواضح أنه أو شخص آخر قد فاز .

غير أن ثمة أمرا يمكن أن يقال في صف بوش : لقد أكد على الدوام أن غزو الكويت لن يستمر . غير أن باول يشعر بأن العقوبات الاقتصادية مازالت تلوح باعتبارها المجهول الكبير . متى يمكن أن تؤثر ؟ ومتى يمكن أن يعتبر أنها فشلت؟ وكان متلهفا على العودة الى واشنطون .

وسمع شوارزكوف في العربية السعودية بدوره ملاحظات تشيني . وقبل أن يشعر تماما بالدهشة والضيق كان السعوديون على الهاتف يمطرونه بالأسئلة : ماهذا ؟ ماالذى يجري ؟ أين هي المشاورات قبل اتخاذ مثل هذا القرار أو الاعلان؟ وحاول شوارزكوف أن يراوغ ببعض الاجابات . كان يغلى غضبا ، فلا يكفى أنه يسمع بشيء على هذه الأهمية من وسائل الاعلام ، ولكن عليه أيضا أن يشرح الأمر للسعوديين دون أى توجيه من واشنطون . وأعطى شوارزكوف حديثا طويلا لصحيفة " ذى أتلانتا چورنال آند كونستيتيوشن" ذلك الأسبوع قال فيه " لقد بدأنا الآن نرى شواهد على أن العقوبات أخذت تؤلم ، فلماذا اذن نقول "حسنا " لقد أعطيناهم شهرين لكن هذا لم يؤد الى نتيجة ، فلنمض قدما ونقتل مجموعة بأسرها من الناس ؟ ان هذا جنون ، هذا جنون ". وقص كيف كانت الولايات المتحدة في ڤيتنام - والتى لم يكن أمامها معارضة جوية - تمطر القوى بالقنابل ، ثم تمضى لتجد الفيتناميين الشماليين وقد خرجوا من جحورهم ليقاتلوا كالشياطين. وأضاف شوارزكوف " ان الحرب شئ دنس ، ففيها - ولنقلها صراحة - يقف جانبان متعارضان يحاولان تسوية خلافاتهما بأن يقتل كل منهما أكبر عدد من الجانب الآخر ".

وشعر ولفوويتز - الذى زار القيادة المركزية فى هذا الوقت تقريبا - بأن

شوارزكوف يدلى بهذه التصريحات جزئيا من أجل قواته ، لكى يكون واضحا لهم تماما أنه إذا نشبت حرب فان المدنيين هم الذين سيأخذونهم اليها .

وقال شوارزكوف لولفوويتز أنه أجرى بعض المناقشات مع خبراء في شؤون الشرق الأوسط ، وأنهم أقنعوه بأنه وان كانت الحرب ستسيء الى الولايات المتحدة فى المنطقة فإن عدم الدخول فى حرب سيكون أكثر إساءة . وأضاف شوارزكوف أنه يرى أن فترة جمود طويلة ستكون انتصارا لصدام .

وعاد باول الى واشنطون ، لكن تشينى كان مسافرا في اليوم التالى لصيد الأسماك مع بيكر في ويومينج . وتقرر عقد اجتماع مع الرئيس في البيت الأبيض في أوائل الأسبوع التالى لمناقشة الخيارات في الخليج .

* * *

قال الجنرال ميريف " تونى" ماكبيك قائد القوات الجوية الجديد لباول أنهم إذا كانوا سيقومون بعملية هجومية فان من الأفضل للقوات الجوية أن يتم بأسرع مايكون . وأضاف هذا الطيار المقاتل النحيف الذى يبلغ طوله سته أقدام وبوصتين والذى يبلغ الرابعة والخمسين من عمره ، أن الميزة القتالية للقوة الجوية ستبلغ أقصى درجاتها من الآن وحتى أول نوفمبر ، ثم تبدأ فى الهبوط بعد ذلك لأن استعدادات العراق الدفاعية ستقلل المزايا القتالية الأمريكية ، فالعراقيون يتحصنون بعمق أكبر فى الصحراء ، وينظمون أنفسهم ، وقد إستولوا على بعض صواريخ هوك أرض – جو الأمريكية من الكويت ، وقد يستطيعون استخدامها ضد الطائرات الأمريكية ، وفضلا عن ذلك فان الجو لن يكون أفضل مما هو الآن. ورد باول بأن الأسلحة الأخرى تحتاج مزيدا من الوقت لزيادة مزاياها ، وأنه ليس ثمة داع لتحمل خطر غير ضرورى في هذه العملية ، وأن الحرص يستدعى مضاعفة القوات . فسيتعرض الجيش والرئيس لمتاعب خطيرة إذا لم ينجح الهجوم

قال ماكبيك مؤكدا نقطته بشكل ما : يايسوع ... انظر ، ان هذه بلد من بلدان العالم الثالث ، انها بلد صغير بمدينة واحدة بحق المسيح ، ونحن نجعلها تبدو وكأنها الحرب العالمية الثالثة ، إننا لن نحصل على نقاط على حسن الأسلوب في نهاية هذه المسألة . وعلينا أن نجعلها تبدو أمرا سهلا ، بدلا من أن نجعلها تبدو عسيرة ، وما يقلقنى هو أن ننتظر أكثر مما يجب .

قال باول اننى أفهم ، لكننا إذا مضينا بعد ذلك فستظل لديك ميزة قتالية ونحن بحاجة الى الوقت لنقوم ببعض الأشياء الأخرى - وأساسا أن نعد الجيش للتقدم ونصل به الى هناك ، نصل بهم الى الشاطىء ونفرغ معداتهم ، وأنا لاتعنينى نقاط الأسلوب ، فالرهان كبير ، ومضى باول يقول موجزا مايؤمن به، أنه يريد أن يكون على يقين " أننا سنمضى .. وسننتصر "

ولم يعرض ماكبيك حججه على تشينى أو الرئيس ، فقد رأى أنه لايمثل سوى أقلية ، واحد فقط ، فبقية رؤساء الأركان يتفقون مع باول.

غير أن ماكبيك رأى أن هناك اجماعا على أمر واحد ، فما من رئيس يتلهف على القتال ، انهم لايريدون عملية هجومية إذا كان هناك مخرج كريم آخر للولايات المتحدة .

* * *

خلال عطلة الأسبوع كان باول يشاهد برنامج " أخبار المساء " في شبكة ان بي سي الذى تقدمه ماري أليس ويليامز . وقدمت المذيعة تقريرا عن الروح المعنوية للقوات العربية السعودية.

قالت ويليامز " ان ما ينتظرونه هو اعفاءهم أو دعوتهم الى العمل " . ثم جاء الصحفي أرثر كنت ليقول " ان الأعصاب مشدودة للغاية في العربية السعودية ..

فالقوات الأمريكية تنفق معظم طاقتها في مجرد قتل الوقت .... وقد قال لنا كثير من مشاة البحرية انهم ضاقوا ذرعا بالسلبية ". وقال ان الجنود يشتاقون الى دورهم " لكن البيت سراب .. والأيام تمضى في تثاقل .. وليست هناك بعد أهداف عسكرية يتابعونها ".

سألته ويليامز "ما مدى عمق سوء الروح المعنوية ؟"

أجاب كنت " عميق للغاية ، فقد قال لنا نحو نصف الجنود الذين تحدثنا معهم انهم غير سعيدين بالطريقة التى تسير بها الأمور ".

سأل باول نفسه عم يتكلمون بحق الجحيم ؟ ان البرنامج لم يقدم شيئا ذا شأن إنه شيء أحمق ، لكنه ذكره بأنه إذا نشبت الحرب فستظهر فورا فى التليفزيون ، لتجلب العمليات والموت والنتائج والإنفعالات بصورة أوضح حتى من أيام ڤيتنام . وسيكون الصحفيون والمصورون هناك لتسجيل كل خطوة ، مما يعقد المهام العسكرية كثيرا . وكان باول على ثقة من شيء واحد : ان حربا طويلة الأجل على التليفزيون ستكون أمرا مستحيلا لايطاق في الوطن .

* * *

تحدث روبرت تيتر - مستشار بوش لاستطلاعات الرأى - مرارا مع الرئيس عن سياسة الخليج في شهر اكتوبر ، وقال تيتر انه يعتقد أن الادارة توجه رسائل أكثر مما ينبغى ، وأنها تفتقر الى التركيز . واقترح أن يعود بوش الى الأساسيات التى ذكرها في أغسطس وكانت الرسالتان الأكثر جاذبية هما محاربة العدوان وحماية أرواح الأمريكيين ، بما فيهم أكثر من ٩٠٠ أمريكي رهائن في العراق والكويت . وكان نحو ١٠٠ منهم قد نقلوا الى الاستحكامات العسكرية والصناعية العراقية ليكونوا " درعا بشريا " يردع أى هجوم أمريكي .

وسلم بوش بمنطقه ، لكنه مع هذا بدا واثقا . وقال الرئيس أنه يحس أنه يعرف أكثر من أى واحد عن المنطقة ، وعن الدبلوماسية ، وعن العسكرية ، وعن الاقتصاد ، وعن النفط . وأضاف لقد تعاملت مع هذه القضايا أكثر من ٢٥ عاما وذات ليلة قال لتيتر انه كان مفيدا أنه عمل مندوبا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، ومبعوثا للولايات المتحدة في الصين ، ومديراً لوكالة المخابرات المركزية ، ونائبا للرئيس فقد مكنته هذه الخبرات من رؤية كل أجزاء الصورة ، وهو يستطيع الأن تجميعها معا .

ووصف بوش كيف قام منذ تولى الرئاسة باعداد الأرض ، واقامة علاقات برؤساء الدول الأخرى . ولم يكن في ذهنه حينئذ هدف محدد ، وانما مجرد احساس استراتيچي بان هذه فكرة جيدة . والآن يمكن الاستفادة من علاقات العمل الطيبة بينه وبين أمثال تاتشر ومبارك وفهد وجورباتشوف في العالم كله . وسلم بوش بأنه قد تكون هناك أوقات صعبة ، أوقات عصيبة ، لكنه يشعر بالارتياح ، وأكد لتوتر أن " هذا العمل سيتكلل بالنجاح " .

* * *

ظل سكاوكروفت شهورا يشعر بالقلق لأن بيكر لايؤيد سياسة الخليج ، فقد بدا في مناقشات الحلقة الداخلية معارضا لنشر القوات الواسع ، ومحبذا لحل دبلوماسي الى حد استبعاد الضغط العسكرى تقريبا ، لكن بيكر كان يقترب ، وتشينى معه يصطادان الأسماك ، وسيتاح لهما الوقت للحديث.

كان بيكر يشعر أن أساس سياسة الخليج ليس متينا بالدرجة الكافية فمحنة الأمير الكويتي ، وشعبه ، والعدوان ، والنفط ، لسيت مقنعة للشعب الأمريكي وقد أوضحت استطلاعات الرأى أن الشاغل الرئيسى للناس كان هو الرهائن الأمريكيين فى العراق والكويت . وحث بيكر على تحويل التركيز فى

سياسة الخليج الى قضية الرهائن ، فتلك هي القضية التى يمكن أن توحد الأمريكيين والمجتمع الدولي ، لأن لكل الدول - بما في ذلك السوفييت - رهائناً فى العراق ، وهذه هي القضية التى يمكن أن تبرر الحرب .

ورأى سكاوكروفت أن نقل التركيز الى مسألة الرهائن أشبه بتغيير الحصان فى منتصف السباق ، لكنه رأى أن استطلاعات الرأى العام تكشف عن تزايد الشكوك في نشر القوات . وأراد بيكر أن يطرح ورقة الرهائن بنفسه في خطاب قوى ، وأبدى سكاوكروفت استعداده لمسايرته . كما أدرك مستشار الأمن القومى أن بيكر قد رأى الكتابة على الجدار ، فرئاسة بوش ستتعزز أو تسقط حسب محصلة سياسة الخليج . ولم يكن أمام بيكر - صديق بوش منذ ٣٥ عاما ومدير حملته الانتخابية وكبير المسؤلين الحكوميين - إلا أن يصبح مؤيدا قويا للسياسة .

وفي يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر تحدث بيكر أمام مجلس لوس أنجيلوس للشؤون العالمية ، وقال ان الاكثر من مائة درع بشرى أمريكى " يجبرون على النوم على أرض خرسانية مليئة بالهوام ، ويبقون في الظلام أثناء النهار ، ولايتحركون الا ليلا. ولايتناولون سوى وجبتين في اليوم ، وقد أصيب كثير منهم بالمرض نتيجة المحنة التى يعانونها . كما أن فكرة أستخدام أمريكيين كدروع بشرية هى ذاتها فكرة غير متصورة "

وأضاف وزير الخارجية " اننا لانستبعد امكان اللجوء الى القوة إذا استمر العراق في احتلال الكويت ".

* * *

دعا بوش ١٥ من قادة الكونجرس - من كلا المجلسين والحزبين - الى البيت الأبيض في اليوم التالى ، ٣٠ اكتوبر . وافتتح الاجتماع بتقرير عن الوضع ، ملاحظا أن العراق قد افرج عن الرهائن الفرنسيين ، لكن مزيدا من الأنباء يأتى

عن سوء معاملة الرهائن الأمريكيين والبريطانيين . وقال انه كان يقرأ كتاب مارتين جيلبرت " الحرب العالمية الثانية : التاريخ الكامل " الذى يصف محاولات تهدئة الديكتاتور وسلسلة الأحداث التى أدت الى النزاع .

وقال بوش في حنق واضح انه لن يدع هذا الشيء يحدث ثانية ، فمعالجة الرهائن بشعة ووحشية وعرض تقريرا عن أسرة أجنبية رهينة اقتيدت الى احدى المستشفيات ، حيث أطلق العراقيون النار على الأبناء أمام والديهم ثم أطلقوا النار على الوالدين .

وقدم بيكر بعض النقاط المؤيدة عن معاملة الرهائن .

وقال توماس س . هيلى رئيس مجلس النواب سيدى الرئيس ، معك حتى هذه النقطة ، وأعرب عن أمله في عقد مزيد من هذه الاجتماعات والمشاورات قبل القيام بأى اجراء عسكرى في الخليج .

وقال بوش انه سيواصل المشاورات ، مالم يقع حدث يتطلب عملا سريعا .

وسأل السناتور چورج ميتشيل زعيم الأغلبية في الشيوخ هل حدث المزيد من اساءة معاملة الرهائن ؟ ان الكونجرس لايعرف شيئا عن ذلك ، فليست هناك وثائق.

سأله بيكر ساخطا أليس الحرمان من الحرية سوء معاملة ؟

فأجابه ميتشيل انه بالتأكيد سوء معاملة ، ولكن السؤال هو هل هناك تصعيد في اساءة المعاملة كما توحى كلمة الرئيس .

ورفع السناتور ويليم كوهين نائب رئيس لجنة مجلس الشيوخ لشؤون المخابرات يده ، وقال ان وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع قد شهدتا أمام اللجنة في الأسبوع الماضى بأنه ليست هناك شواهد جديدة على

زيادة سوء المعاملة.

واشتعل غضب بيكر - غير المعتاد على أن يتحداه أحد - واحمر وجهه ، وسأل ماالذى تعتبره المجموعة سوء معاملة ، أو ليس الخطف والقتال كافيين؟

وافقه كوهين قائلا نعم ، ولكن أخذ الرهائن قد انقضت عليه ثلاثة شهور تقريبا . فهل هذا شيء جديد ؟ وهل يعتبر استفزازا جديدا من جانب صدام ؟

وانتهت التساؤلات الى لاشيء . وذكر عدة ديمقراطيين بحدة أن لهذا التركيز الجديد على مسألة الرهائن الأمريكيين رائحة كريهة ، فهل ستستخدم هذه المسألة تبريرا لعمل عسكري الآن ؟ وأوضحوا أنها لن تحتمل الفحص الخارجي .

وقال كوهين ان الادارة ربما تكون من القلق على الرهائن الى حد أنها قد تنتهي بالقضاء على سوء معاملتهم قضاء دائما بتعريضهم للقتل . وأضاف أنه لم ير أبدا الانفعالات - بما فيها انفعاله - بمثل هذه الحدة في اجتماع في البيت الأبيض.

ونقل بوش المناقشة الى وضع السفارة الأمريكية في مدينة الكويت حيث بقي عدد قليل من الدبلوماسيين الأمريكيين - ويمنع العراقيون عنهم الماء والطعام . وقال انه ليس أمامه وسيلة عسكرية فعالة لحمايتهم دون غزو كامل . وماذا يمكن أن يحدث لو أن العلم الأمريكي قد أنزل ، وتحول الدبلوماسيون الأمريكيون بدورهم الى " ضيوف " كما يصف صدام الرهائن ؟ وقال الرئيس وقد بدا التوتر على عضلات رقبته .. لن أجلس ساكنا لوحدث ذلك.

وقال ليس آسبن عضو مجلس النواب ان احداث العقوبات لآثارها سيتغرق عشرة شهور

وقال جون ب . مورثا عضو مجلس النواب عن ولاية بنسلفانيا وأحد

الصقور الديمقراطيين انه يؤيد الرئيس بقوة ، مضيفا أنه قد لايكون هناك خيار الا التدخل العسكرى وفي رأيه أنه كلما كان ذلك أسرع كان أفضل .

وفيما بعد ذهب كوهين الى تشينى الذى لم يقل شيئا أثناء الاجتماع وقال له برقة " لقد نجحت في الأفلات هذه المرة . وسنعود اليك للحديث عن أى الخيارات يدرس ".

وابتسم تشينى ، وغادر المكان .

* * *

في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر ذلك اليوم اجتمع بوش ببيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول في غرفة العمليات .

وبدأ سكاوكروفت الحديث " اننا عند مفترق طرق " قالسياسة يمكن أن تبقى هى الردع والدفاع ، ويمكن أن تتطور الى الخيار الهجومي.

ودهش باول مرة أخرى للطريقة غير الرسمية التى تدور بها المناقشات بين هؤلاء الرجال الخمسة الذين تربط بينهم صداقة قديمة ، فلم يكن هناك تنظيم حقيقى للإجراءات وهم يزنون الخيارات ، وكانت الأفكار تتواثب هنا وهناك حين تأتى فكرة أو أخرى الى ذهن احدهم . وكان بوش وسكاوكروفت يبدوان عازمين على السير قدما بتطوير الخيار الهجومي . أما بيكر - الأقل لهفة والأكثر حذرا - فكان متزنا ، يتساءل عن المواقف في الكونجرس وبين الرأى العام ، لكنه لم يعد معارضا .

ولم ير تشينى وهو يستمع أى استعداد لدى بوش لأن يقبل ماهو أقل من أداء الهدف الذي قرره - تحرير الكويت . ولم يكن وزير الدفاع ليوحى بأى عمل عسكرى مالم يكونوا واثقين من نجاحه . وقال ان ايمانه يتزايد بضرورة تطوير

الخيار الهجومى ، فالتحالف العالمى من الهشاشة بحيث لن يستطيع التماسك طويلا – وقد يبدو الأمر مختلفا لمن ينظرون من الخارج ، لكنهم يعرفون – من الداخل – أن الترتيبات ضعيفة . ويشعر تشينى بأن من المحتمل تماما أن يؤدى أى حدث خارجي الى تمزيق التحالف تماما

ورأى باول أن الصبر ليس هو السائد اليوم . وكما كان شأنه في الماضى فإنه لم يدع إلى الاحتواء ، لقد كان الآخرون يتسامحون من قبل مع مشورته السياسية العامة ، لكنه يحس الآن بأن السماح له بالكلام أقل ، بعد أن دافع بالفعل عن الاحتواء أمام الرئيس ، فالآن لايطلب أحد مشورته السياسية العامة في هذا الموضوع.

وكان الاجتماع قد حدد مقدما كفرصة ليعرض رئيس الأركان مناقشاته مع شوارزكوف .

وأخيرا قال الرئيس " حسنا .. حسنا ، دعونا نسمع مايريد أن يقول " .

بدأ باول الحديث قائلا " سيدى الرئيس ، لقد أدينا المهمة التى أسندت الينا فالدفاع عن العربية السعودية قد تحقق قبل الوقت المحدد له . وعرض كيف حرك شوارزكوف بعض قواته لتحقيق هذه المهمة على ضوء استمرار الحشد العراقى.

" والآن ياسيدى الرئيس فاذا قررتم مواصلة الحشد ، والمضى الى خيار هجومى ، فأن هذا ما نحتاجه "، وطرح طلب شوارزكوف بمضاعفة القوات ، ومن سماته الرئيسية وجود الفيلق السابع ، حتى تتوفر لشوارزكوف الدبابات السريعة لشن الهجمات على الأجنحة العراقية ، وبهذه الطريقة يمكنهم تفادى هجوم أمامي على قلب القوة العراقية.

ودهش سكاوكروفت لاحتياج شوارزكوف الى مثل هذا العدد الكبير ،

وبشكل خاص أثار دهشته طلب ثلاث حاملات طائرات جديدة الى جانب الثلاثة التى لديه بالفعل ، وترددت بعض عبارات الدهشة حول المائدة ، لكنها لم تصدر عن بوش.

وقال باول انه يؤيد توصيات شوارزكوف إذا أراد الرئيس خيارا هجوميا ، واستدار الى الرئيس قائلا " اذا أعطيتنى مزيدا من الوقت ، ولنقل ثلاثة شهور ، فسأنقل مزيدا من القوات ، وهذا أمر هام ، ويمكنكم أن تأخذوني الى حساب الادخار والقروض وسنفلس معا ". وكانت رسالة باول واضحة : سيكون الأمر مكلفا.

وبالنسبة لباول فان القيد الوحيد سيكون هو طاقة جهاز النقل.

وقال تشيني انه يؤيد شوارزكوف وباول دون تحفظ . بل مضى إلى أبعد من ذلك ، فليست المسألة هى إذا أراد الرئيس خيارا هجوميا ، فلابد للرئيس أن يريد ، وينبغى له أن يمضى ويأمر به. وأوضح أن هذا سيضمن النجاح إذا كان عليهم أن يقاتلوا . وهو لايريد أن يعود فيطلب مزيدا من القوات في يناير أو فبراير ، فصدام قادر تماما على الاجابة بارسال مزيد من قواته ، وهو لايريد أن يعود ثانية هنا في غرفة العمليات ليقول " سيدى الرئيس ، أنا أعرف ماقلناه لك في اكتوبر ، وقد نقلنا القوات الاضافية الى هناك ، لكننا لا نزال غير قادرين على القيام بالعملية ".

وأخيرا قال بوش " إذا كان هذا ما تحتاجونه ، فسنفعله ".

وأعطى بوش موافقته النهائية في اليوم التالى .

* * *

كان بول ولفوويتز – وهو باعتباره وكيل الوزارة للشؤون السياسية واحد من

المدنيين القلائل في البنتاجون الذين يحق لهم الاطلاع على الخطط - يخشى أن تكون الادارة قد انتقلت الى تقرير الخيار الهجومي دون قدر كبير من التفكير الواضح ، فلم تكن هناك تقريبا عملية دونت فيها البدائل بحيث يمكن وزنها ومناقشتها - وكان ولفوويتز - وهو مسئول حكومي مثقف وسفير سابق - يعتقد أنه كان من الممكن اتخاذ قرار بارسال قوات اضافية دون أن يذكر بشكل محدد هل هى تذهب لاستبدال القوات الموجودة أو لتعزيز هجومي . ويمكن أن يتخذ القرار بشأن غايتها النهائية فيما بعد . لكن الفرصة لم تتح لولفوويتز لطرح فكرته للبحث .

فلم تعقد لجنة النواب - مجموعة الطوارىء من الدرجة الثانية التى تضم ولفوويتز - اجتماعا لهذا الغرض .

ويشعر ولفوويتز أن الدائرة الداخلية التى تضم بوش وبيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول ربما تكون أكثر التحاما مما يجب ، وكان ينبغى لاجتماعاتهم- بحكم كثرتها وسريتها - أن تكون مجالا لمناقشة البدائل والأساسيات . لكنه لايشعر بذلك ، فلم تكن هناك تغذية عكسيه من تشينى . وإذا كان هناك أى جدال منظم في الحلقة الداخلية فانه يتم دون استفادة من الموظفين - وفي بعض الأحيان كان ولفوويتز يشعر انه في ظلام دامس بالنسبة لمسائل حيوية.

كما كان ولفوويتز يخشى أن يكون الاعلان عن هذا القرار شديد الأهمية غير مفهوم ، فالادارة كلها - وبوش بوجه خاص - لاتحب أن تشرح قراراتها بطريقة منظمة متماسكة ، وبوش لايجب القاء الخطابات ، وكتاب الخطابات في البيت الأبيض لايكتبون خطابات جيدة.

أما بيكر من جانبه فكان قلقا بشأن الحلفاء . ترى ماهو رأيهم في

استخدام القوة - أو متى أو كيف تستخدم ؟ وماهو قرارهم ؟ وهل يفهمون عزم الرئيس بوش على رد الغزو ؟ وكان من المتفق عليه أن يقوم بيكر بزيارة العربية السعودية ومصر وتركيا ولندن وباريس وموسكو ، حتى يمكن أن تكون كل عمليات جس النبض قد تمت قبل الأعلان عن مضاعفة القوات .

* * *

في يوم السبت ٣ نوفمبر - اليوم الذى يبدأ فيه بيكر جولته - التقط باول صحيفة " نيويورك تايمز " ليقرأ تحت عنوان " بيكر يعتبر موازنا لبوش في أزمة الخليج " أن مسئولين كبارا في الادارة لم تذكر أسماؤهم يقولون أن بيكر " كان (فرملة) لأى اندفاعة عاجلة لاستخدام القوة .. وحين كانت القضية هى كم من الوقت يلزم لكى نتيح للعقوبات فرصة احداث آثارها كان بيكر ينصح بوقت أطول لا أكثر " ورغم أن القصة كانت متحوطة ومتحفظة فانها على الأقل طرحت في العلن مسألة وجود جدال سياسي . وقال باول لنفسه .. هيي .. انظر الى هذا ، انني خارج المصيدة ".

غير أن جوهر القصة - (فرملة) على الرئيس ، الاحتواء ، مزيد من الوقت للعقوبات الأقتصادية - لم يكن لها رصيد . فلم تكن هناك مناقشة جادة أو تعليق عليها . وكان التعليق الوحيد الذى سمعه باول هو أن بيكر ومعاونيه قد وضعوا قصة مبتدعة للابتعاد بوزير الخارجية بعناية عن أى كارثة ممكنة .

ورأى سكاوكروفت في القصة نسيجا تقليديا من ابتداع وزارة الخارجية ، لكنها تأخرت أسبوعا ، فقد أصبح بيكر الآن مع التيار .

(٢٢)

مجلس الأمن يصدر أوسع تصريح بالحرب منذ كوريا عام ١٩٥٠

في يوم الخميس ٨ نوفمبر اتصل تشينى بكبار رؤساء لجان الكونجرس لابلاغهم بأن بوش سيصدر بعد الظهر اعلانا عن تعزيز القوات . واتصل بليس أسبن في كينوشا ، بويسكونسين . وكان رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب قد انتخب للرئاسة لتوه دون معارضة للمرة الحادية عشرة.

وكان آسبن قد كف عن محاولة الاتصال بديك تشينى ، وأخذ يسميه " أبا الهول ". وكان سكاوكروفت - بدلا من تشينى - هو قناة اتصاله بالادارة.

وبعد أن أبلغ تشينى آسبن بقرارات التعزيز عدد له بعض الوحدات - ومن بينها الفيلق السابع من فرق الدبابات الثقيلة المرابط في أوروبا ، لكنه لم يقدم تقديرا عاما لعدد القوات .

قال آسبن " هذا أكثر كثيرا مما توقعت " . وأجرى الحساب في رأسه فتبين له أن التعزيز يعنى مائتى ألف رجل آخرين.

وتتبع تشينى سام نون حتى وجده في أحد المطاعم . ولم يرق للسناتور أنه يبلغ بالأمر ولايستشار فيه ، وتساءل لماذا العجلة ؟ وهل هم على ثقة من أن

وأحس تشينى بتغير حقيقى في نون أرجع الجانب الأكبر منه لاعتبارات سياسية . واستخلص تشينى - بحساباته السياسية الدائمة - أن نون يخطط لهدف بعيد هو أن يكون المرشح الديمقراطي للرئاسة عام ١٩٩٢ ، وأنه يريد أن يحصل على رضا حزبه بمعارضة الرئيس بوش.

وقال تشينى ان القرار اتخذ لضمان وضع خيار هجوم عسكرى صحيح أمام الرئيس.

وكان بيكر في اجتماع مع جوربا تشوف في الاتحاد السوفيتي حين تلقى كلمة بأن بوش مقدم على اعلان زيادة القوات . وتشكك بيكر في سلامة التوقيت ، وتساءل فيم العجلة ، فليس هذا بالأمر الذى يتخذ فجأة على هذا النحو دون اعداد الأسس له بعناية . وكان ينبغى أن تجرى جولة مشاورات ومباحثات في واشنطون، وخاصة مع الكونجرس . ومرة أخرى شعر بأن البيت الأبيض لايعالج مسألة الاعلان معالجة صحيحة ، لكنه لايستطيع أن يفعل شيئا وهو في روسيا.

* * *

كان تشينى يرقب الجدال العام ، فالادارة لم تجد بعد صيغة ناجحة للحديث مع الجماهير . انها تحاول أن تبقى الشعب الأمريكي خلف السياسة ، وتشرح للقوات ماذا يتم ولماذا ، في ذات الوقت الذى عليها فيه أن تراعى الكونجرس والأمم المتحدة والعرب . كما كانت تحاول ادارة المشكلة الاسرائيلية ، فقد كان صدام يحاول الربط بين حل المشكلة الكويتية وحل شكاوى الفلسطينين من اسرائيل.

وكان من الصعب التوصل الى رسالة واحدة يمكن أن تخاطب كل هذه

المجموعات بمصداقية وقوة واحدة . والرسالة التى تريد الادارة طرحها الآن - مبررات نشر قوة هجومية - تختلف عن الرسالة التى أرادت طرحها في أغسطس حين كانت المهمة دفاعية . ولم يشعر تشينى أن جهود الاتصال حتى الآن كانت ظافرة ، وهم الآن يدخلون مرحلة جديدة دقيقة يحاولون فيها ارضاء كل الأطراف

* * *

ظهر بوش وتشينى في موجز أنباء الساعة الرابعة بعد الظهر ، ولم يكن معهما باول الذى شارك في كل الاعلانات الرئيسية لعملية درع الصحراء حتى الآن .

قال بوش " لقد وجهت وزير الدفاع اليوم الى زيادة حجم القوات الأمريكية المشتركة في درع الصحراء لضمان أن تتوفر للتحالف قوة كافية لخيار الهجوم العسكرى إذا أصبح ذلك ضروريا لتحقيق أهدافنا المشتركة ". ولم يذكر أى أعداد.

وحين سئل لماذا يريد أن يضع قوة هجومية في العربية السعودية قال إنه يتصرف " بناء على مشورة وزير دفاعنا القدير وغيره"

وتوجه الرئيس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع الطويلة بمناسبة يوم المحاربين القدماء في كامب داڤيد.

وبعد ظهر اليوم التالى - الجمعة ٩ نوفمبر - توقف بندر في البنتاجون لرؤية باول ، فقد كان يبدو له أن باول وبيكر هما أقل أفراد حلقة بوش الداخلية ميلا الى شن الحرب ضد صدام.

قال باول للأمير " إذا لم نضطر الى القتال فسيكون هذا أفضل ، أما إذا كان علينا أن نقاتل فسأفعل ذلك بكل مانمتلك ". وقال باول أن الرئيس أمر بألا تكون هذه ڤيتنام أخرى . وأن المبدأ التوجيهي سيكون هو توفير أقصى قدر من

قوة النيران والقوات .

وفيما بعد قال تشينى لبندر " سينتهى الجيش في هذا المجتمع لوفشلنا هذه المرة "

* * *

لم يجر البيت الأبيض أى ترتيبات لظهور مسئولى الادارة في البرامج التليفزيونية ذلك الأحد أو برامج صباح الأثنين . وتعد هذه البرامج ساحة أولية للاعبي واشنطون لكي يستعرضوا أنفسهم ويخلقوا " مانشتات " الصحف . واندفع الديمقراطيون بكل قواهم . وقال السناتور الديمقراطي دانييل باتريك مونيهان عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك بحدة " يبدو الأمر وكأن تلك القوة المسلحة الكبرى التى أقيمت لتخوض الحرب الباردة موضوعة تحت تصرف الرئيس ليوجهها على هواه أيا كانت التكلفة ، إنه سيحطم جيشنا ، وسيحطم ادارته وسيفسد فرصة لاقامة نظام أمن جماعي .. انه لأمر يثير الأسى ".

وحفلت صحف عطلة نهاية الأسبوع بقصص عن الخلافات بين أعضاء التحالف ، والصعوبات التي سيواجهها بوش في اقناعها بالحرب ، ومشكلات خوض حرب برية بعيدة.

وبدأ سكاوكروفت ورجاله يصفون عطلة نهاية الأسبوع الطويلة هذه بأنها مذبحة يوم المحاربين القدماء . وشعر سكاوكروفت بأن الادارة لاتواجه مشكلة عسكرية قدر ماتواجه مشكلة علاقات عامة . ولم يكن على ثقة مما ينبغي عمله ، فقد كان عنوان استطلاع للرأى نشرته صحيفة " يو اس ايه توداى " يقول " تأييد بوش يضعف ". وقالت الصحيفة ان نسبة مؤيدى الطريقة التى يعالج بها بوش أزمة الخليج بلغت ٥١ في المائة - فى حين كانت هذه النسبة ٨٢ فى المائة قبل ثلاثة أشهر

ورأى باول أن هذه القصة مبالغة وتشاؤمية وتقوم على تكهنات ، لكن هذه القصص وليس الادارة - هي التى تحدد القضايا والجدال .

* * *

استمرت العاصفة السياسية عدة أيام تالية وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم الثلاثاء ١٣ نوفمبر تناول تشينى وباول افطارهما مع السناتور سام نون والسنانور چون وارنر . وقال نون إنه يعتقد أن سياسة الإدارة في الخليج ستخدم صدام . وقال انه سيعقد جلسات استماع علنية في أواخر الشهر ، فهذه الجلسات هى أقوى سلاح في يده لطرح قضايا الأهداف والتكاليف المحتملة علنا .

واجتمع تشينى بعد ذلك في اليوم نفسه بمائة من زملائه السابقين في مجلس النواب . وكانت القضية الرئيسية هى خيار الهجوم ، وكانت مناقشة تتسم بالفوضى ، فقد بدا وكأن لدى كل واحد من الحاضرين فكرة مختلفة عن السياسة الجديدة.

وبعد ساعة قال تشينى " أعتقد أن كلا منكم أيها الأصدقاء يريد أن يصوت مع أو ضد الأقتراح ".

وثارت ضجة في الغرفة ، وارتفعت صيحات بلا ونعم ، ولم يكن من شأن هذا الا أن يؤكد رأى تشينى وهو أن الكونجرس ليس مؤهلا لمعالجة هذه القضية. ووجد نفسه يفكر في أغسطس ١٩٤١ ، قبل أربعة شهور فقط من بيرل هاربور ، حين لم يتمكن مجلس النواب من اصدار قرار باستمرار نظام الخدمة العسكرية الانتقائية الا بأغلبية صوت واحد.

* * *

أصيب بوش وسكاوكروفت بالذهول من السرعة التى يبدو بها أن تأييد

عملية الخليج يتحلل. وتذكر بوش أنه حين كان عضوا في الكونجرس رسميا التصويت على مسألة الحرب ، بعد قرار خليج تونكين الذى كان مثار جدال.

ولم يكن سكاوكروفت واثقا من امكانية الحصول على الأصوات وستكون كارثة أن يتوجهوا الى الكونجرس ويخسروا.

وكان بعض كبار الجمهوريين ، ومن بينهم السناتور روبرت ج . دول زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ وممثل ولاية كانساس والسناتور ريتشارد ج . لوجار عضو مجلس الشيوخ عن ودلاية انديانا ، يدعون الى عقد جلسة خاصة للكونجرس لمناقشة مسألة الخليج وكانت حجتهم أن بوش سيفوز ، وان مساندة الكونجرس ستقوى ساعده في مواجهة صدام . وفي اجتماعات خاصة كان لوجار يقول لبوش ان من الأفضل له أن يكتشف الآن - لا فيما بعد - ما إذا كان يفتقر الى تأييد الكونجرس.

وفي ١٤ نوفمبر اجتمع بوش مع قادة الكونجرس من كلا الحزبين ودعا الى الوحدة ، وأكد أنه لم يقرر بعد خوض الحرب قائلا " اننى لم أقم باجتياز نهر روبيكون ".

وأخرج تقريرا عن التغطية العراقية للأنباء ، وقرأ بصوت عال بعض العناوين التى تبين أن مايعرض على صدام هو صورة الشقاق في الولايات المتحدة . وكان قصد الرئيس واضحا : ان هذه هي بالتحديد الرسالة التى قد تجعل صدام يعتقد انه يستطيع البقاء فى الكويت .كما اخرج نسخة جيب من الدستور وقرأ من المادة الثانية فى القسم الثانى (الرئيس هو القائد الاعلى . . . .) . وقال بوش انه يريد من القادة ان يدعوا الى عقد جلسة ، وانما فقط اذا كان سيحصل على اغلبية كبيرة لصالحه . وقال الزعماء الديمقراطيون عندئذ انهم لن يدعوا الى جلسة

طارئة للكونجرس لمناقشة الحشد فى الخليج ، لكنهم سيعقدون جلسات استماع .

* * *

تقول القاعدة السابعة لباول "انك لاتستطيع ان تختار للاخرين ولا تدع الاخرين يختارون لك "

والان وقد اتخذ الرئيس قراره باعداد الخيار الهجومى فقد اصبح باول يواجه خياراته الحاسمة بشأن خطة الحرب . وكان قد طلب من الچنرال توم كيلى أن يتخلى عن نشاطه العادى كمدير للعمليات ويشكل وحدة تخطيط خاصة تضم نحو ستة من افضل ضباطه ، وكانت هذه الخلية -التى تعمل فى غرفة ذات مدخل خاص فى هيئة الاركان المشتركة – تقوم بتنسيق كل خطوة مع مخططى شوارزكوف . وكان باول يريد العمل بسريه مطلقة ، وامر المخططين بأن يبحثوا كل الاحتياجات – من الامدادات والذخيرة الى الفرق الطبية وقواعد الاشتباك واجراءات معاملة اسرى الحرب المحتملين .

والوصية الاولى لدى أى قائد عسكرى امريكى هى "اهتم برجالك" ورغم أن مهمة الهجوم العامة ستكون هى طرد الجيش العراقى فإن أفضل طريقة للإهتمام بالرجال هى تدمير الجيش العراقى . وكما حدث فى بنما حين كان من الضرورى تحطيم قوات الدفاع البنمية تماما فسيكون من الضرورى كذلك القضاء على القدرة العسكرية العراقية او تعجيزها – وتلك مهمة كبيرة بالمقارنة ببنما

لكن لدى الولايات المتحدة بعض المزايا السرية للغاية .

ففى أوائل نوفمبر – وبعد صدور القرار بنشر القوات من أجل الخيار الهجومى – قام تشينى وباول بعدة زيارات للقسم الذى ربما كان أكثر أجزاء البنتاجون سرية – ٢ س ٨٦٥ ، مركز العمليات التقنية الخاصة – الذى لايفصله

سوى ممر عن مكتب چون كيلي في هيئة الأركان المشتركة ، ان هذا المركز بنتاجون داخل البنتاجون ، له قواعد دخول خاصة متشددة . وهنا تقوم مجموعة من نحو ٣٠ رجلا بادارة الوحدة الوحيدة في المبنى التى لابد من اجراء اختبارات دورية لكشف الكذب على كل من يعملون فيها للتأكد من أنهم لايشكلون خطرا على الأمن

وكثيرا مايسمى هذا المركز منشأة النجوم بسبب الأدوات التقنية الرفيعة ، والحاسبات الاليكترونية والاتصالات بالمراكز التابعة في وكالات المخابرات الرئيسية والقيادات الموحدة ، بمافيها القيادة المركزية في العربية السعودية.

ومركز العمليات التقنية الخاصة هو مركز القيادة والاتصالات لأى عمليات تتضمن البرامج " السوداء " الحساسة التى لايعرفها إلا من لهم حق الدخول في " المقصورات " ذات المداخل الخاصة . وتشمل وحدات العمليات الخاصة ، وقدرات تجميع المعلومات ، وشبكات الأسلحة والمعدات المتقدمة - كل شيء من فرق قوات البحرية الخاصة الى مقاتلات الشبح النفاثة الى أقمار التجسس الخاصة . وحين تقاعد ضابط البحرية الذى ترأس المركز من عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٨٩ كان لابد من أن يسلم ٢٣٥ برنامجا خاصا سريا.

وقد استحدث الجانب الاكبر من الأسلحة السوداء السرية للغاية في الأساس بسيناريو واحد في الأذهان : الحرب مع الاتحاد السوڤيتي . ولكن لما كان العراق دولة (زبونة) للاتحاد السوفيتي ، تشترى كثيرا من أسلحتها الرئيسية من السوڤييت ، فأن الأسلحة الأمريكية كانت (مفضلة) لقتال الخصم الجديد .

وفي وسع الولايات المتحدة الاستناد الى عقود من العمل ، فبمقتضى برنامج سرى للغاية اسمه الشفرى "ايرى" حصلت وكالة المخابرات المركزية

والبنتاجون على مدى سنوات طويلة على المواصفات والبيانات الأختبارية الأساسية عن الالكترونيات والرادارات والطائرات والصواريخ السوفيتية . والعراقيون يستخدمون كثيرا من هذه النظم . وفي عمليات مخابرات أخرى حصل البنتاجون على أسلحة سوفيتية فعلية ، ثم صمم أسلحة أمريكية لهزيمة النماذج السوفيتية.

وبمقتضى برنامج آخر سرى للغاية - اسمه الشفرى باركاى - ويتعلق بعمليات اعتراض الاشارات يستطيع البنتاجون الاستماع الى بعض نظم الاتصالات سوفيتية الصنع وقراءتها .

وقد وضعت أقمار صناعية حول الشرق الأوسط ترسل صورا للكويت في الوقت الحقيقي ، وتبعثها الى أجهزة تليفزيون . ويستطيع القادة أن يراقبوا عن كثب من أجهزة تليفزيونهم الميدانية نشاط المحتلين العراقيين .

وكان العراقيون يتصرفون وكأنهم يعتقدون أن جانبا كبيرا من اتصالاتهم مأمون . لكن وكالة الأمن القومي - أكبر وكالات المخابرات الأمريكية - تستطيع اعتراض بعضها . ولما كانت كل المعدات العراقية قادمة من الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة أو أوربا فقد كانت وكالة الفضاء الأمريكية تعرف تردداتها وخصائصها .

بيد أنه كان هناك برنامج أسود آخر يمكنه أن يدمر خفية كل مولدات الطاقة الكهربية الرئيسية في العراق دون ترك أثر ينم عن أن ذلك من فعل القوات الأمريكية . وكان نجاح خيار الهجوم العسكرى المحتمل يتوقف جزئيا على تعطيل الرادارات العراقية والدفاعات الجوية والاتصالات ، وكلها تعتمد على الكهرباء . إنه حلم المخططين العسكريين الذي يبشر بضربة مباغتة كاملة مربكة.

وكان باول يتشكك في مثل هذه الحلول السحرية المعجزة ، ولم يكن سعيدا

بمزانية مركز العمليات التقنية الخاصة التى تبلغ نحو ١٠٠ مليون دولار ، فهذا المركز يذكره بالغرفة رقم ٢٠٨ في مركز القيادة التقنية الرفيعة في مبنى المكتب التنفيذى القديم المجاور للبيت الأبيض ، والتى كان أولى نورث يستخدمها في بعض عمليات الشئومة بعيدة المدى أثناء ادارة ريجان.

وكان من بين تقارير مركز العمليات التقنية الخاصة التى تلقاها تشينى وباول في نوفمبر تقرير عن قدرات العمليات الخاصة التى يمكن استخدامها ضد العراق . ووفقا لخطة الحرب الهجومية ستقوم ثماني طائرات هليكوبتر خاصة من طراز آباشي ببدء الحرب بعبور الحدود لمباغتة استحكامات الدفاع الجوى الرئيسية داخل العراق .

وكان تشينى بدوره – شأنه شأن رئيس الأركان – ينظر بقدر من الشك الى كل معدات التقنية الرفيعة هذه . انه يتوقع بالطبع من رجال البرامج السوداء أن يتحمسوا لها لكنه يعرف كذلك أن النظم كثيرا مالا تقوم بالأداء المعلن عنه . ولن ينسى سريعا البداية القتالية غير الموفقة لمقاتلات الشبح القاذفة من طراز اف ١١٧ – ايه في بنما حيث أخطأت القنابل الدقيقة أهدافها بمقدار ٥٠ ياردة أو أكثر.

وقد تعلم تشينى قيمة الشك في كل شيء . فقد عكف أثناء شهوره الثمانية عشر في وزارة الدفاع ساعات طويلة يبحث " خطة العملية الواحدة المتكاملة " باللغة السرية عن الحرب النووية ضد الإتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو ، وهى أهم خطة حربية وضعت حتى الأن . واكتشف أن العسكريين عملوا جاهدين على ابقاء المدنيين في البنتاجون بعيدا عن العملية . وعملت هذه الخطة طيلة سنوات على الطيار الأتوماتيكي ، انها نظام لايصدق ، شاذ للغاية ويطبق قواعدا ونماذجا وصيغا ومفاهيم دون تفكير أو تساؤل كاف . وقد استدعى الجنرالات والأميرالات

الى مكتبه في استجوابات متكررة ، وأخذهم الى البيت الأبيض لتقديم موجزات خاصة ، وأمر باجراء عدد من الدراسات ، وأصر على تقديم اجابات . وكان العسكريون يجيبون عندما يسألون . ولا يستطيع تشينى أن ينسب سوء النية الى أي منهم لكنه اكتشف مخبا فئران مختفيا بعيدا عن أنظار المدنيين .

كان هذا أحد الأسرار الكبرى : ان لدى الجيش الأمريكي آلافا أكثر مما يلزم من الأسلحة النووية ، وتطلب " خطة العملية المتكاملة الواحدة " استخدامها بطريقة يمكن أن تلحق بالاتحاد السوفيتي دمارا نوويا أكثر مما يلزم لتحقيق الأهداف العسكرية في الحرب كما اكتشف تشينى أن كثيرا من أوجه المرونة التى أراد كل الرؤساء اضفاءها على الخطة ، وأمروا باجرائها في سلسلة من التعليمات الرئاسية ، لم تنفذ . وعلى سبيل المثال لاتوجد في الخطة القدرة على ابداء الاعتدال للسوفييت بالحد من حجم الهجوم النووي أو كبحه ، وتلك قضايا تمثل قلب الرقابة الرئاسية والمدنية على الجيش . وكان تشينى يصلح " خطة العملية المتكاملة الواحدة " بالتدريج . وفي يوم ما بعد أن تنتهي أزمة الخليج سيستطيع هو والرئيس أن يعلنا الخطوط العامة لاصلاحات واسعة.

وبالطريقة نفسها فانه لم يكن يأخذ أى شىء كأمر مسلم به فى عملية الخليج . وتماما كما أنه مصمم على أن يفهم "خطة العملية المتكاملة الواحدة" بقدر ما يفهمها قادته العسكريون فلابد له أن يفهم خطة حرب الخليج.

انه يعرف أن العسكريين يثقون فيما تستطيع أسلحتهم ورجالهم أن يفعلوا لكن من الصعب رسم الخط الفاصل بين الثقة المرغوبة والمبالغة الخطرة في الثقة وقد أتخذ تشينى ما يعتبره نظرة متشككة مناسبة الى مايستطيع أى جزء بعينه من الخطة انجازه ، وهو يتبع ثلاث خطوات .

فأولا كان حريصا للغاية على ألا يرسم صورة وردية للرئيس والرأى العام

والكونجرس . وعمل على تهدئة الآمال ، حتى لا يكون شبيها بالمرشح الذى يتوقع الحصول على ٧٠ في المائة من الأصوات فلا يحصل إلا على ٦٠ في المائة ، ويبدو وكأنه قد فشل .

وثانيا أصر على الكثرة في خطة الحرب ، فهو يريد أن يتأكد أكثر من مرة من وجود القدرة على الوصول الى أهداف رئيسية بعينها.

وثالثا كان يبحث بنفسه خطة الحرب ، والمفاهيم الكامنة وراءها . واستنادا الى الخبراء الخارجيين ، والتقارير التى تلقاها ، وتحقيقات الصرف ، والقراءات الخلفية التى قرأها عن الحرب العراقية الايرانية ، نجح في تجميع أكبر عدد ممكن من الأسئلة . وكان يستخدمها لجس النظام بحثا عن المعلومات.

وقال تشينى لولفوويتز انه لايريد أن يوجه المخططين حتى أدق التفاصيل ، وان كان يعتزم أن يراقب عن كثب ويوجه الأسئلة . انه لايعتزم اعادة وضع خطة الحرب " لكننى أعتزم أن أتملكها حين ينتهى وضعها " .

وفى صباح معظم الأيام . كان تشينى يتلقى من هيئة الأركان المشتركة موجزات عن العمليات والمخابرات ، وهى موجزات تثير الملل للغاية ، تصف مواقع القوات العراقية وقوات التحالف ، والحوادث التى وقعت في جانب الحلفاء ، والمشكلات الروتينية .لكن تشينى كان يريد وقد ضاق ذرعه أن يعرف المزيد . وطلب أن تقدم له هيئة الأركان المشتركة عروضا كاملة عن تخطيط الحرب الهجومية . وابتداء من ٢٦ نوفمبر كان يتلقى سلسلة من المحاضرات التفصيلية عن مواضيع مثل خطة بناء هجوم جوي ، وفئات الأهداف في حملة جوية ، وكسر دفاعات العراق الأمامية ، والدعم اللوجستي ، والقيادة والتحكم والاتصالات ومنع تصادم قوات التحالف في حملة جوية ، وقدرات الجيش على مقاومة المدرعات والعمليات البرمائية ، وأى موضوعات حساسة أخرى مثل العمليات الخاصة

والمخابرات .

وكان تشينى يصغي بانتباه شديد ، ويمطر خبراء هيئة الأركان المشتركة بالأسئلة ، ويستدرجهم الى الشكوك والتحفظات . وفي أقل من شهر تلقى ١٥ ايجازا وفي آخر واحد منها قدم له توم كيلى " دبلوما " فى اطار يقرر أن ديك تشينى قد تلقى دورة في التخطيط الحربى ، وأنه قد عين " مخططا مشتركا ".

قال تشينى بسخرية واضحة " ستكون هذه الشهادة أعز ما أمتلك ".

* * *

كانت من مهام باول الأولى في التخطيط لحرب هجومية وضع الأهداف الأستراتيجية الرئيسية في العراق فى المراحل الجوية الثلاث . وقد قسمت الأهداف الى فئات ، ثم حددت الأولويات داخل كل فئة .

وكانت الفئات الأولى من الأهداف هى :

- نظم القيادة والتحكم والاتصالات .
- نظم الدفاع الجوي وأجهزة الرادار .
- المطارات التى تستخدمها طيارات صدام المقاتلة الثمانمائة .
- مواقع اطلاق صواريخ سكود الرئيسية الثلاثون .
- المفاعل النووي العراقى .
- تسهيلات انتاج الأسلحة الكيمائية والبيولوجية وتخزينها .
- فرق الحرس الجمهورى الثمانية -العمود الفقري للجيش العراقى
- شبكة الامدادات مستودعات التخزين ، ومستودعات الذخيرة ، ومحاور النقل والطرق والجسور والسكك الحديدية .

– التسهيلات البتروكيميائية الأثنى عشرة بما فيها معامل التكرير الثلاثة .

– شبكة الطاقة الكهربية .

– التسهلات الصناعية الآخرى المساندة للحرب

– الأربعمائة ألف جندى عراقى الذين يحتلون الكويت .

وكان مخططو شوارزكوف يعملون بسلسة من المصفوفات ونماذج الحاسبات الاليكترونية للمقابلة بين الأهداف والأسلحة المتوافرة عبر فترة من ٢٠ الى ٣٠ يوما من القصف كان هذا لغزا ضخما ، فلا بد من أن تجمع الأجزاء معا بطريقة تلحق أقصى ضرر مع ضمان توفير أقصى حماية للقوات الأمريكية وقوات الحلفاء من القوات الهجومية العراقية .

وستتوقف المرحلة الرابعة ، مرحلة الحملة البرية ، على مستويات الأضرار التى اوقعتها الحرب الجوية ، واكتشاف طريقة للاشتباك مع الجيش العراقى في ظروف مواتية لقوات التحالف .

* * *

في ٢٨ نوفمبر أدلى الأميرال كراو رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق بشهادته أمام لجنة تون ، وكان في اليوم السابق قد أخبر باول – أثناء تناول الغداء معه في البنتاجون – أنه يعتقد أن أزمة الخليج بحاجة الى الصبر[١]

وقال كراو لأعضاء مجلس الشيوخ " ان كراهيتنا لصدام حسين على

---

(١) كما سبقت الاشارة في التوطئه " من ص١٠ الى ص٢٠

مايبدو قد أبعد عن أذهاننا كثيرا من الاعتبارات ... ويمكننى أن أقول ان علينا أن نعطى العقوبات فرصة مناسبة قبل أن نطرحها جانبا . وأنا شخصيا أعتقد أنها ستجعله يركع على ركبتيه في نهاية الأمر ، لكننى أول من يعترف بأن هذا الحكم من قبيل التكهن . والواقع أنه إذا كانت العقوبات ستحدث أثرها في مدة ١٢ الى ١٨ اشهر بدلا من ستة شهور فان المقابل وهو تجنب الحرب بما يصحبها من تضحيات وشكوك يستحق في تقديرى هذا الثمن ".

وألمح كراو - دون أن ينتقد بوش صراحة - الى خشيته من أن يكون الرئيس ميالا للحرب " وفي اعتقادى أننا نبخس بلادنا قدرها بالقفز الى استنتاج أننا لانستطيع أن نرهب خصمنا ... ومن الغريب انه في ذات الوقت الذى بدأ فيه صبرنا في أوروبا الغربية يؤتى ثماره ، ويعطينا أوضح مثال في تاريخنا على أن الصبر قد يكون أفضل مسار لمعالجة المشكلات الدولية الشائكة ، فأن بضعة استراتيچيين ينصحوننا من مقاعدهم الوثيرة - بهجوم سريع على العراق ، ويجدر بنا أن تذكر أنه كان هناك في الخمسينات والتسعينات أناس ينصحوننا بالمثل بمهاجمة الاتحاد السوفيتى ، أفلم يكن ذلك سيكون أمرا عظيما ؟!".

وكانت شهادة كراو وشهادة رئيس سابق آخر لهيئة الأركان المشتركة هو الچنرال داڤيد س . چونز ، وكلاهما يدعو الى مواصلة العقوبات بدلا من الحرب هما الحديثان الرئيسيان في نشرات الأنباء التلفيزيونية في ذلك اليوم وصحف اليوم التالى .

ودهش باول لوقوف كراو بشدة في صف العقوبات على هذا النحو . وتعهد بأنه لن يقوم أبدا بانتقاد خلفائه علنا ، ولن يتطوع للشهادة أمام الكونجرس بل لابد أن يصدروا له أمر استدعاء .

أما سكاوكروفت فقد ضايقه موقف كراو ، فمستشار الأمن القومى يرى

أن رجلا كان له مثل هذا الدور الرئيسي في الادارة كان عليه أن يحاول أن يجد أرضا مشتركة بدلا من أن يهاجم السياسة . وقال بوش لسكاوكروفت انه يشعر بخيبة أمل شخصية في كراو .

وسمع كراو عن ضيق بوش وحاول كتابة رسالة للرئيس ، لكنه كان شديد الحنق ، وشديد الاقتناع بأن بوش يرتكب خطأ رهيبا ، فخوض الحرب - وهو مابدا لكراو أمراً حتميا الآن - هو فشل للسياسة ، وتسائل لماذا يكون عليه أن يتصالح مع رئيس خذل البلاد في وقت هى فى أمس الحاجة اليه ، ولذلك لم ينه الرسالة .

غير أنه كتب رسالة لابنه كابتن مشاة البحرية بليك كراو ، الموجود في العربية السعودية . وطلب من ابنه ألا يسترشد بأبيه أو بشهادة أبيه " ان لديك احساسا قويا بالواجب ، وأعتقد أنك ستؤديه ، وحين يأتى وقت الحرب فستحارب وسيقف الشعب الأمريكي وراءكم ، ولتكونوا على ثقة من ذلك أياكان مايقولونه أو أقوله عن السياسة أو الادارة ، فهم وراءكم أيها الفتية المرابطون في الصحراء

واتصل ابن كراو هاتفيا بوالديه قائلا أن وقت الإدعاءات قد إنقضى ، وان الامر يبدو الآن جبريا ، وكل مايريده رجاله وغيرهم من الأمريكيين هناك هو أن يستخدمهم قادتهم على خير وجه .

وفيما بعد تلقى كراو بطاقة معايدة من بوش ، كتب الرئيس ملاحظه شخصية تقول " فليبارك الرب ابنك ".

* * *

في اليوم التالى - ٢٩ نوفمبر - اجتمع مجلس الأمن ليصوت على التصريح باستخدام القوة لطرد القوات العراقية من الكويت . ولو صدر هذا القرار

فسيكون اوسع تصريح بالحرب منحه المجلس منذ كوريا في ١٩٥٠ .

وكان بيكر قد تحسس المواقف في مختلف العواصم العالمية ليصل الى توافق كبار رؤساء الدول على صيغة القرار ، وقضى عشرة أسابيع قطع خلالها مائة ألف ميل : وعقد أكثر من مائتى اجتماع مع وزراء الخارجية ورؤساء الدول .

وكانت استراتيجيته هى الحصول على تاكيدات قاطعة بالتأبيد من بلدان الأمم المتحدة الرئيسية قبل الاعتراف علنا حتى بأن الادارة تسعى الى الحصول على قرار باستخدام القوة ، وقد احتاط لنفسه ، قائلا أكثر من مرة انه يتحسس الأمر ، وأن مثل هذا القرار لايزال موضع نظر.

ففى وسع أى عضو من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن - الولايات المتحدة أو الصين أو بريطانيا العظمى أو فرنسا أو الاتحاد السوفيتي - أن يستخدم حق النقض (الفيتو) ضد القرار وتبين أن الصينيين ليسوا مشكلة كبيرة ففى وقت مبكر وافقوا على عدم استخدام الفيتو . وكانت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا جاهزة ومستعدة لاستخدام القوة . أما الفرنسيون فكانوا مشكلة ، واحتاجوا الى جهد كبير ، لكن بوش وبيكر نجحا في أن يجتذبوهم الى التيار

وكان السوفييت هم علامة الاستفهام الكبيرة . فمنذ بداية الأزمة عارض جورباتشوف امكانية استخدام القوة العسكرية ، لكنه وافق أخيرا ، وكان المستشارون القانونيون في ادارة بوش قد قالوا ان من الأفضل أن تكون لغة القرار نموذجا فى الوضوح وأن تبين بشكل مباشر التصريح باستخدام القوة

وفى سلسلة من المحادثات والاجتماعات في الأسابيع والأيام التى سبقت تصويت الأمم المتحدة أشبع بيكر وشفردنادزه وزير الخارجية السوفيتية القرار بحثاً .

وعرض بيكر على شفردنادزه مشروعا يحوى عبارة " استخدام القواه وسائله " هل يمكن أن توافق على ذلك ؟"

قال شفردنادزه " بعد تجربتنا في أفغانستان لانستطيع أن نقنع الشعب السوفيتى ". ولا بد من العثور على طريقة أخرى ، طريقة غير مباشرة ، تعبيرا ملطفا ، فالسوفيت يمكن أن يؤيدوا فكرة القوة ، لكن القرار نفسه ينبغى أن يكون مبهماً .

قال بيكر ان هذا سيكون أمرا عسيرا ، فالقوة على أى حال هى القوة . ولا يستطيعون أن يخاطروا بألا يقولوا بالدقة مايقصدون . وأخذ بيكر يخط على ورقة أمامه و محاولا أن يجد بعض الأفكار – بعض صياغات المحامين كبديل لعبارة " استخدام القوة ". وجرب خمس صيغ مختلفة.

وفي أحدى محادثاتهما قال شيفردنادزة انه يريد صيغة تسمح باستخدام القوة لكنها تشمل كذلك كل التدابير الممكنة الأخرى – الدبلوماسية ، والعقوبات ، وأى شيء قد يحدث أثرا . وكلما كانت الصيغة أوسع كانت أفضل .

فقال بيكر ماذا لوقلنا " كل الوسائل الضرورية ". ففى اللغة الروسية تستخدم الكلمة نفسها للدلالة على " التدابير " و " الوسائل ".

وأخذ يروحان ويجيئان . وسرعان ماأصبح شيفردنادزه يحبذ عبارة " كل الوسائل الضرورية " ، فقد كانت هذه أوسع صيغة وجداها .

لكن بيكر تراجع عن عبارته هو ، فقد بدت له غير محددة .

قال شيفردنادزه " أن الولايات المتحدة تعرف ماهى " كل الوسائل الضرورية " ، فلا تحرجونا ، ولا تضغطون علينا ، ولا تبالغوا " . وقال شيفردنادزه ان المسألة بالنسبة للسوفييت ليست مسألة أخلاقية ، وانما مسألة عملية ،

فالاتحاد السوفيتى لايستطيع أن يذهب الى الامم المتحدة ويصوت مع الحرب ، ففى الداخل مازالت الحرب تعني أفغانستان.

وقال بيكر ان الولايات المتحدة تريد تجنب أى لبس ، فسياسة الخليج شديدة التقلب في الداخل ، وادارة بوش لاتريد جدالا داخليا حول معنى قرار للأمم المتحدة .

غير أن شيفرنادزه لم يهتز ، وأخيرا أذعن بيكر ، واتفقا على عبارة " كل الوسائل الضرورية " ، بحيث يصرح للتحالف باستخدام " كل الوسائل الضرورية " لاخراج قوات صدام من الكويت إذا لم يكن قد سحبها بحلول الموعد الذى حدده القرار ، ١٥ يناير ١٩٩١ .

وقال بيكر انه سيكون الرئيس المؤقت لمجلس الأمن أثناء التصويت ، وأنه سيتحدث بعد التصويت ، ويصف القرار بأنه تصريح لا لبس فيه باستخدام " القوة" ، بحيث تصبح عبارته جزءا دائما من المحضر ، واذا لم يعترض أحد فسيكون هذا هو تفسير " كل الوسائل الضرورية ".

وقال شيفردنادزه حسنا .

وكانت أمام وزير الخارجية السوفيتية مشكلة أخرى ، فهو يريد للقرار أن يتضمن صيغة وضعها الرئيس جورباتشوف ، وتقرر أن الأسابيع الستة السابقة على موعد ١٥ يناير هى رد فترة توقف لاثبات حسن النية ". وكان جورباتشوف يعتز بهذه الصيغة ، فهو يريد لفترة الخمسة وأربعين يوما أن تكون فرصة حقيقية للعمل الدبلوماسي . ويعتزم القائد السوفيتي استغلال العلاقة الثنائية العراقية - السوفيتية والسعى الى حل سلمي . وهو يعتبر هذه العبارة غير قابلة للتفاوض ، وشرطا دبلوماسيا لاغنى عنه ، ودونها لايستطيع السوفييت أن يؤيدوا القرار .

ووافق بيكر .

وقبل التصويت قال شيفردنادزه لبيكر " سيدى الوزير ، تعرفون أنكم لن تستطيعوا التراجع حالما بدأتم الطريق ، وسيكون عليكم أن تنفذوا القرار " إذا انقضى يوم ١٥ يناير دون انسحاب العراق .

قال بيكر " أخشى أنك على حق ".

وصدر القرار بأغلبية ١٢ صوتا ضد صوتين ، وكانت اليمن وكوبا هما البلدان اللذان صوتا ضده . وأمتنعت الصين عن التصويت .

وقال بيكر في خطابه أمام مجلس الأمن :" ان القرار الصادر اليوم واضح تماما ، فالعبارات تجيز استخدام القوة ، لكن هدفنا في اعتقادى ، وكما سبق أن قال الكثيرون ، هو التوصل الى حل سلمي لهذه المشكلة "

* * *

تلقى الأمير بندر – الذى أسعده قرار الأمم المتحدة – رسالة تلك الليلة بأن المندوب العراقي في الأمم المتحدة يريد أن يراه بشكل عاجل وقال بندر في نفسه.. أخيرا شعر صدام بالخوف ، لقد أخذ القرار يحدث أثره بالفعل . ووافق بندر على اجتماع في اليوم التالى .

وفي الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى تلقى بندر مكالمة في بيته من البيت الأبيض ، تقول ان الرئيس بوش يريد ترتيب مكالمة مع الملك فهد عند الظهر.

سأل بندر " عن ماذا ؟"

لاشىء خاص ، مجرد مراجعة مع صاحب الجلالة.

وسرعان ماعرف بندر أن الرئيس بوش سيظهر في التليفزيون في الساعة الحادية عشرة ، فجلس أمام جهاز التليفزيون .

وظهر بوش حيث قرأ بيانا من عشرين فقرة عن سياسة الخليج ، عدد فيه كل الخطوات التى اتخذها ، ومضى يقول " غير أنى لكى أسير ميلا آخر في طريق السلام " يمكن أن أستقبل طارق عزيز وزير الخارجية العراقية في واشنطون " وفضلا عن هذا فاننى أطلب من چيم بيكر وزير الخارجية أن يتوجه الى بغداد ليرى صدام حسين ... في موعد مناسب للطرفين بين ١٥ ديسمبر و ١٥ يناير من العام القادم ".

وكاد بندر يثب من مقعده في دهشة وعدم تصديق ... ياللغباء ان الأمريكيين لن يفهموا العرب أبدا ، فعرض السلام بعد ٢٤ ساعة من احراز الولايات المتحدة والتحالف لانتصار في الأمم المتحدة سيبعث بالتحديد بالرسالة الخاطئة الى صدام : رسالة ضعف . واشتكى بندر للبيت الأبيض .

سأل سكاوكروفت لماذا لم تتشاوروا معنا ؟ لم يكن يمكن أن يكون التوقيت أسوأ اختيارا فالعرض باللقاء حتى الموعد النهائى ١٥ يناير سيكون دعوة لصدام لأن يماطل . وتنبأ بندر بأن صدام سيقترح استقبال بيكر يوم ١٤ يناير . وقال بندر ، ان ارسال بيكر في نظركم دليل على حسن النية ، أما في نظر صدام فانه يوحى بأنكم قد جنبتم .

وأجاب سكاوكروفت بأنه ليس متحمسا للتوقيت ، فلم يفكر فيه كثيرا ، إذا اتخذ القرار في الدقيقة الأخيرة - لكنه كان خطوة لازمة لكى تثبت للكونجرس وللرأى العام الأمريكى ان الرئيس راغب في استنفاد كل البدائل الدبلوماسية قبل الحرب ، ويبين عرض زيارة بيكر لبغداد أن " فترة حسن النية " قد أخذت على محمل الجد .

قال بندر مسلما بذلك قد تكون هذه هى الرسالة الداخلية الصحيحة ، لكنها برقية خاطئة لصدام حسين . وقد استاء الملك فهد كثيرا لعدم استشارته . وتساءل بندر ماذا سيحدث إذا نشبت حرب ؟ هل سنتلقى مكالمة تقول " بالمناسبة لقد بدأنا "؟

وتحدث بندر كذلك مع الوفد العراقي لدى الأمم المتحدة متسائلا عن الاجتماع العاجل الذى طلبه سفير صدام في الليلة السابقة ، فقال أفراد البعثة أن السفير العراقي كان يريد فحسب أن (يدردش) ٢ فهو لم ير بندر منذ وقت طويل . وليس هناك سبب خاص للقاء ، وبالتأكيد ليست هناك حالة طارئة .

واستنتج بندر أن بوش وبيكر قد قدما عونا كبيرا لصدام في لحظة كان مفروضا أن تكون أقسى لحظة على القائد العراقي.

* * *

كان بيكر هو الذى أوصى بوش بمهمة بغداد ، وكان يفكر فيها منذ اسابيع انه لم يذهب أبدا الى العراق ، ولم يلتق أبدا بصدام ، وحسب كل الدلائل المتاحة لبيكر فان صدام يعتبر حالة مرضية ، انه يطلق الرصاص على من يجلبون له أنباء سيئة ، وهو معزول تماما . وكان السوفييت قد قالوا لبيكر ان الوسيلة الوحيدة لتوصيل رسالة الى هذا الرجل هى أن تجلس أمامه وتبلغه بها .

وكانت لاعتبارات السياسة الداخلية فى نظر بيكر أهمية الامكانات الدبلوماسية ، فقد أخذ تأييد الرأى العام لسياسة الأدارة ينخفض ، وسام نون يتحدى بوش ، ورؤساء هيئة الأركان المشتركة السابقون يشهدون ضد هذه السياسة ، وقد أصيب الناس بالفزع بعد أن صرحت الأمم المتحدة باستخدام القوة . وقال بيكر ان على الرئيس أن يوقف النزيف السياسى.

ورأى تشينى أنه لا ضرر من محاولة تنفيذ مهمة بيكر ، وأستبعد تلميحات بعض معاونيه إلى أن بيكر سيعقد صفقة بأى ثمن ، وسيجرده صدام من كل شيء ، فتشينى يعرف ما فى ذهن الرئيس ، ويعرف أن بيكر يعرف ما فى ذهن الرئيس.

وحين نشرت "واشنطون بوست" استطلاعا للرأى يبين أن ٩٠ فى المائة من الأمريكيين يوافقون على عرض سفر بيكر إلى بغداد تلقى بندر ثلاث مكالمات منفصلة تلفت انتباهه إلى هذا التأييد الواسع . وكانت المكالمات من سكاوكروفت وبيكروتشينى.

* * *

فى وقت لاحق من يوم ٣٠ نوفمبر التقى بوش بقيادات الكونجرس فى غرفة الاجتماعات .. كان الاعلان عن مهمة بيكر قد أثار لدى هؤلاء الرجال شعورا بالمرح بل والصخب وكان الجو أشبه بجو ناد للرجال ، يتبادلون فيه النكات والربت على الظهور . ولم يهدأ الجو إلا حين احتل بوش مقعده ، كما جلس كويل وبيكر سكاو كروفت وتشينى وسونونو.

قال بوش "لقد انهمك وزير الخارجية فى ماراثون لدفع الأمم المتحدة إلى السير فى الركب . وهو يعرف الصعوبة المقترنة باستخدام القوة ، ان الجمع بين [زيادة] نشرنا للقوات وقرار الأمم المتحدة هو الذى يتيح أفضل فرصة للتوصل إلى حل سلمى للقضية" . وأضاف الرئيس "أعرف ان هناك خلافات حول هذه المائدة ، ومع رؤساء الأركان السابقين ، لكننى أريد أن أبين لكم أنه ليست لدى أفكار مستترة" . وقال ان امكانية الأسلحة النووية العراقية خطر حقيقى . "وأعتزم أن أسير فى طريق الحذر".

وأشار بوش إلى قلقه بشأن النفط وآثار زيادة تكاليف الطاقة على نطاق

العالم .

وقال بوش "هناك وحشية فى الكويت ، وهو أمر ينبغى أن يثير اهتمامنا" وبدا شديد الانفعال وهو يقول "فاذا لم تهتم الولايات المتحدة بذلك فأننى لست متاكدا من أن صدام حسين قد أعتقد حتى الأمس وربما حتى اليوم بأن الولايات المتحدة جادة" .

واستطرد بوش قائلا أن بيكر سيذهب إلى بغداد ، ويأتى طارق عزيز إلى واشنطون ، وليست هذه اجتماعات للتوصل إلى أرضية مشتركة ، ولأنقاذ ماء وجه صدام . "فهو لا يستحق ذلك" .

وقال الرئيس انه يأمل أن تصل الرسالة إلى صدام ، بأن الغاية ليست الوصول إلى حل وسط فالحل الوسط سيؤدى بالتأكيد إلى إختفاء التحالف.

"وإذا أراد الكونجرس أن يؤيد قرار الأمم المتحدة فدعونا نتقدم. ولكن علينا ألا نبقى الأمور معلقة ، وإذا لم تؤيدنى فسأشعر صراحة بالضيق ، ولهذا فاننى أرحب بتأييديكم" .

ثم أعطى بوش الكلمة لبيكر فقال وزير الخارجية "دعونا فى فترة الخمسة وأربعين يوما هذه نستخدم التهديد بالقوة لحل المسألة سلميا ، فهذا هو الأمل الوحيد لدينا ، ما لم تريدونا أن نتقبل حلا وسطا . والتهديد بالقوة ليس هو نفسه استخدام القوة" . وأضاف فى لهجة رجاء "عليكم أن تسمحوا لنا بالتهديد كاداة دبلوماسية" .

وأثنى توم فولى رئيس مجلس النواب على الادارة لانفتاحها وصراحتها . وقال ان علىَ بوش أن يستشير الكونجرس الجديد فى يناير ، مضيفا أنه يعتقد أن الحلفاء سيؤيدون استمرار العقوبات الاقتصادية لمدة سنة.

وهز بوش رأسه رافضا.

فقال فولى "إذا قررتم بعد ١٥ يناير أن تخوضوا الحرب فسيكون عليكم أن تأتوا إلى الكونجرس.

وكان السناتور ميتشيل قاطعا فى هذه النقطة : ان قرار الكونجرس ضرورى ولازم دستوريا . وحين كان زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ يتكلم كان بوش يحدق ببرود فى الأتجاه الآخر.

قال بوش "لا تقللوا من شأن الإشارة التى ستصدر إذا أيد الكونجرس قرار الأمم المتحدة . فسيكون هذا أقوى ضمان لجذب انتباهه [صدام] ... وسندفع ثمنا غاليا إذا حاولنا أن نحافظ على ماء وجهه".

وقال سام نون أن هناك أرضية مشتركة "فلابد أن يخرج العراق من الكويت . والسؤال هو : بحرب أم بدون حرب ؟ وهناك فرق بين تصويت الأمم المتحدة وبين ذهاب رجالنا إلى الموت ، وثانيا فان الوقت فى صالحنا ... فالاستراتچية تعمل .. انها تعمل ، ونحن نكسب".

تساءل بيكر - الذى يسعى إلى الوصول إلى اجماع - عما إذا كان الكونجرس قد يوافق على عمليات هجومية محدودة لاستخدام تفوق الحلفاء الجوى "إذا أجمعنا على استخدا م الجو فهل توافقون؟ ".

قال ميتشيل "كلا".

واستشهد السناتور كوهين بعبارة لمارك توين يقول فيها ان الانسان سيقاتل دفاعا عن بيته ، لكنه قد يفكر مرتين قبل الدفاع عن فندق "وحتى الآن فان الشعب الأمريكى ليس مقتنعا بأن الكويت بيتنا ، أو أن العربية السعودية بيتنا ، وانما هما بالأحرى أشبه بفندق ... فلماذا نحن على إستعداد لأن نموت من أجل الكويتيين

الآن ؟".

وقال كوهين لبوش ان علينا أن نجيب على هذا السؤال اجابة مرضية "والسؤال الثانى هو أي نوع من الحرب ستكون هذه الحرب ؟ ففكرة أننا سنستخدم قواتنا البرية على نحو ما لكى تدخل وتنتزع العراقيين بعيدا عن الكويت لا تولد إلا صورة شبان وشابات يتكسدون كالأكوام من الخشب".

وأعترض السناتور آلان سيمبسون عضو مجاس الشيوخ عن ولاية ويمنج وزعيم الأقلية الجمهورية قائلا ان قرار الأمم المتحدة يدعو إلى السلام لا إلى الحرب ، وان تعليق الأمر سيكون كارثة ، وأن كوهين والآخرون يثقلون على جورج بوش حين يتحدثون عن الأجساد وكأنها أكوام من الخشب.

أجاب كوهين "اننى لم أقل أبدا أى شيء علنا ، لكننى أخبركم بما يدور فى أذهانهم".

وقال السناتور لو جاد للحاضرين انه أحصى سبع مرات فى الاجتماع طلب فيها الرئيس تأييد الكونجرس غير أن قادة الكونجرس يقولون انهم لن يعطوه هذا التأييد وأضاف " ولا يبدو من المتصور بأى حال أن نترك المسألة عند هذا الحد "، فليست هناك قضية أهم تواجه البلاد ولابد أن يتحمل الكونجرس مسئوليته "ان من الضرورى ان نجد مخرجا من هذا المأزق الذى نواجهه".

وأوضح تشيني أن نقل ٢٠٠٠٠٠ جندى اضافي إلى الخليج مهمة ضخمة ، إذا يستخدم نحو ٦٠٠ قطار لنقل القوات من أوروبا وحدها.

وقال بوش "اننا لا نريد فيتنام أخرى" . وسيكون اللوچستيك مختلفا . فالوحدة العالمية موجودة ، ولن تكون هناك أياد موثقة خلف الظهر .. ليست هذه هى ڤيتنام ... وأنا أعرف من سيكون ظهره فى خطر وعن حق ، ولن تكون هذه

ورطة طويلة قذرة ، وكما يقول مبارك لقد دربنا الطيارين العراقيين . وهم عفنـون".

وضجت القاعة مرة أخرى بالضحكات.

(٢٣)

تحـــديد موعـــد الهجـــوم

في يوم السبت أول ديسمبر توجه رؤساء الأركان إلى كامب دافيد للإجتماع بالرئيس ، وكانوا قد أبدوا بعض الضيق في أحاديثهم الخاصة لأنهم لم يلتقوا بالرئيس في قلب أكبر عملية نشر للقوات منذ فيتنام.

وقدم الأميرال كيلسو والجنرال جراى عرضا صريحا لقوات أسلحتهما الموجودة في مسرح العمليات ، أو التي هي في طريقها اليه.

وقال الجنرال فونو ان حجم القوات الأمريكية وقدرتها سيقنعان صدام بأنه لا يمكن إلا أن يخسر وتساءل رئيس أركان القوات البرية "هل ابن .....هذا من الغباء حقا بحيث يحاربنا ؟".

وحول الجنرال ماكبيك أحدث رؤساء الأركان عرضه إلى نبوءة ، فقال أنه إذا شن الهجوم فينبغي أن تستمر العمليات الجوية ٣٠ يوما قبل أن تبدأ العمليات البرية. وستخسر يا سيدى الرئيس من أربع إلى خمس طائرات يوميا ، أى بمجموع يصل إلى ١٥٠ طائرة في الثلاثين يوما.

ولم يبد على بوش أى أنفعال.

وقدر ماكبيك أن نحو نصف الطيارين سيمكن انقاذهم ، وربعهم سيلقى

مصرعه ، والربع الأخير سيقع في الأسر ، ويعرض في التليفزيون وهم يستعرضونه فى قلب بغداد . وقال انه ستقع حوادث وأخطاء ، فالصواريخ والقنابل الدقيقة لن تكون جميعا كاملة الأداء ، وتدمير الأهداف العسكرية سيؤثر على المناطق المدنية . وقدر ماكبيك أن القصف سيقتل نحو ألفى مدنى عراقى - وهم أناس لا يشعر الرئيس بالحنق عليهم . وقال ماكبيك أنه يعتقد أن حملة القصف لمدة ٣٠ يوما ستدمر اجمالا ٥٠ فى المائة من العتاد العسكرى العراقى الرئيسى على الأرض - الدبابات والمدافع وحاملات الجنود المدرعة.

كان ماكبيك يعتقد بينه وبين نفسه أن التدمير سيكون أكبر من ٥٠ فى المائة ، لكنه يعرف أن دعاة القوة الجوية قد فقدوا الثقة على مدى السنوات بسبب نبوءاتهم الخاطئة.

* * *

رأى تشيني أن قرار الأمم المتحدة باستخدام القوة كان حدا فاصلا أمام الرئيس . لقد جمع بوش الآن كثيرا من أصدقائه الدوليين ، معظم كبار رؤساء الدول - جورباتشوف وتاتشر ومبارك وفهد - فى تحالف غير عادى . وإذا لم ينسحب صدام خلال هذه الأيام الخمسة والأربعين فلم يكن ينتاب تشيني شك فى أن بوش سيستخدم الجيش لطرد العراق.

وكان قد طلب من وزير الدفاع أن يكون الشاهد الأول فى جلسات استماع لجنة نون عن عملية الخليج ، لكنه امتنع ، فلم يكن البيت الأبيض - الأقل ثقة من أنه سيشق طريقه في الكونجرس منه فى الأمم المتحدة - يريد أن يدلى أحد من الادارة بشهادة في الوقت الذى يناقش فيه قرار الأمم المتحدة . وبدلا من ذلك افتتح جلسات الاستماع كراو عدد اخر عن منتقدى اندفاع بوش إلى الخيار الهجومى.

ووافق تشيي على الحضور فى الأسبوع الثانى من جلسات الاستماع وسيدلى هو وباول بشهادتهما معا.

وأعطى تشينى تعليمات لمعاونيه بأن يجعلوا البيان الافتتاحى طويلا ، طويلا جدا ، فهو لا يريد فحسب أن يطرح كل تدليلاته بل يريد كذلك أن يصل أعضاء مجلس الشيوخ إلى وقت طرح الأسئلة وهم مجهدون ، مما ييسر مهمته.

وفى جلسة الاستماع يوم ٣ ديسمبر قرأ تشينى بيانا مطولا يستعرض كل تاريخ عملية الخليج ، وقال انه لما كان من المحتمل أن يستطيع صدام تحمل عقوباتنا فان القوة هى الضمان الوحيد لخروج العراق من الكويت.

وكان باول هو الشاهد الاخر الوحيد ، وكان قد قضى اليوم السابق - يوم الأحد - فى اعادة صياغة شهادته ، فلم يكن معاونوه قد تفهموا أفكاره تماما ، وهو يريد أن يوضحها بالدقة ، فجلسات لجنة نون شديدة الأهمية لأنها تمثل المنبر العام الرئيسى لمناقشة سياسة بوش عن الخليج.

وانتهز باول الفرصة لانتقاء من يعتقدون أن القوة الجوية وحدها يمكن أن تخرج صدام من الكويت "ان كثيرا من الخبراء والهواة وغيرهم فى هذه المدينة يعتقدون أن هذا أمر يمكن انجازه بأشياء مثل الضربات الجوية الجراحية أو ربما بضربة جوية قوية ، وهناك عديد من الخيارات اللطيفة المرتبة الأخرى التي يزعم أنها منخفضة التكلفة والمتدرجة والقابلة للتنفيذ تطفو بانتظام شديد فى كل انحاء المدنية" . وقال أن استراتيجية تعتمد على القوة الجوية وحدها لا يمكن أن تضمن النجاح ، لأنها ستترك المبادرة فى يد صدام ، والمبدأ العسكرى الأساسى يركز على أخذ المبادرة والاحتفاظ بها . وباول يؤمن بذلك "يمكن للمرء أن يقيم المتاريس أو يحفر الخنادق ، أو يوزع قواته في محاولة للصمود أمام مثل هذا الهجوم ذى البعد الواحد ... ان مثل هذه الاستراتيجية توضع للأمل فى الفوز ، لا للفوز " .

ولم يشر باول إلى أى من جانبى المسألة الرئيسية أمام اللجنة .. كم سينتظرون ليروا ما إذا كانت العقوبات الاقتصادية ستعمل "فمدة الانتظار هى فى التحليل الأخير حكم سياسى لا عسكرى".

وعند انتهاء بيان باول سأله نون عن حديث أجرى مؤخرا مع الجنرال شوارزكوف قال فيه ان الوقت فى صالح الولايات المتحدة والتحالف طالما ظلت العقوبات قائمة. واستشهد نون بعبارة لشوارزكوف يقول فيها "إذا كان بديل الموت هو الجلوس فى الشمس صيفا آخر فليس هذا بديل سيئا" . وسأل باول "ما رأيك فى ذلك ؟".

قال باول "لن أنتقد الجنرال شوارزكوف أو أختلف معه بأى شكل . وكل ما أريد أن أقوله هو أننا لا نعرف ما إذا كانت العقوبات ستؤثر ...."

قال نون بحدة "لو قامت الحرب فاننا لن نعرف أبدا هل كان يمكن لها أن تؤثر ، أليس كذلك ؟".

بدأ باول يقول "حسنا ...".

فقاطعه نون قائلا "هذه هي النقطة الأساسية هنا ، أعنى أن الطريقة التي يمكن أن تعرف بها ما إذا كانت العقوبات تؤثر أو لا تؤثر هى – أن نعطيها وقتا كافيا لتعمل".

وفيما بعد أثناء الجلسة استشهد السناتور كوهين بعبارة لهنرى كيسينجر وزير الخارجية الأمريكية السابق يقول فيها "ان لدى كبار المسئولين العسكريين خوفا فطريا من قائدهم الأعلي ، ويحاولون أن يجدوا سببا عسكريا لشيء يعتبرونه مجرد شيء مقبول بالكاد . وعلى عكس الوهم الشائع فانهم نادرا ما يتحدون القائد الأعلي ، وإنما يبحثون عن مبررات لتأييده لا لمعارضته" .. وسأل كوهين ما

رأى باول فى هذا "وهل ترهب القائد الأعلى ؟".

أجاب باول "اننى لا أمانع أو أخشى أن أقدم أفضل مشورتى وأكثرها أمانة وصراحة لوزير الدفاع أو للرئيس أو لأى عضو اخر فى مجلس الأمن القومي – سواء راقت لهم أو لم ترق ، وفي ... فى بعض المناسبات فأنها لا تروق لهم". واستدار إلى تشيني الذى كان إلى جواره سائلا " أليس هذا صحيحا ؟".

أجاب تشينى "انى أؤكد ذلك".

وترددت الضحكات.

سأل باول "أى جزء تؤكده يا سيدى ؟".

أجاب تشينى "كل ما قلت يا كولين".

* * *

فى يوم الأحد ١٦ ديسمبر غادر بوش كامب دافيد إلى البيت الأبيض حيث كان عليه أن يسجل حديثا تليفزيونيا عاما مع دافيد فروست لكى يذاع يوم ٢ يناير وكانت معه نسخة من تقرير جديد لمنظمة العفو الدولية عن انتهاكات حقوق الانسان التى يرتكبها العراقيون من الكويت منذ الغزو فى أغسطس ، وأخذ وهو فى الطائرة الهليكوبتر يقرأ التقرير الذى يتألف من ٧٩ صفحة . والذى يقول ان التعذيب والقتل "يتمشيان تماما مع التعسفات التى عرف أن العراق قد ارتكبها طيلة سنوات كثيرة" . وكانت هذه هي اللغة المألوفة في تقارير منظمة العفو الدولية حتى بالنسبة لبعض حلفاء أمريكا الرئيسيين ، لكن بوش فزع أمام القصص الحية الواردة فى التقرير.

قال لفروست بعد بضع ساعات "أوه يا دافيد ، انه شىء رهيب يصعب وصفه" . وذكر أن باربارا قرأت صفحتين ثم لم تستطع المضى في القراءة "تعذيب

طفل معوق ، اطلاق الرصاص علي أطفال أمام آبائهم ، اغتصاب نساء ينتزعن من بيوتهن ثم بعد اغتصابهن مرات يؤخذن إلى المستشفى فى حالة بالغة السوء ، ربط من يجرى تعذيبهم بمراوح السقف لتدور وتدور بهم ، قتل كويتى وتركه – وهذه هي صورته – معلقا على رافعة حتى يراه الاخرون ، صدمات كهربية على الأعضاء التناسلية للرجال والنساء ، ادخال الزجاج المكسور في أجسام الناس . أعنى أنه .. أنه شىء بدائى تماما ، وأخشى أن أنفعل بشدة إذا استمررت في الوصف" ، لكنه استمر ، واصفا كيف ضرب صبى فى الخامسة عشرة على باطن قدميه ، وكيف ينتزع العراقيون أظافر ضحاياهم.

وقال الرئيس ان قيام عالم أكثر سلاما أمر ممكن لو وقفت الولايات المتحدة والتحالف في وجه صدام "لكن هذا لن يحدث لو تهاونا .. فحين تكون لديك مثل هذه القضية الواضحة للخير فى مواجهة الشر .... ولدينا الآن مثل هذه القضية الأخلاقية الواضحة ، إنها أمر كبير أمر هام ، ولم يحدث مثله منذ الحرب العالمية الثانية . ولم يحدث شىء بهذه الأهمية الأخلاقية منذ الحرب العالمية الثانية".

سأله فروست "ماذا ستفعل بعد الخامس عشر ؟ ما هو اتجاهك ؟"

أجاب بوش "حسنا .. اننى لم أحدد بعد".

* * *

قرر باول ألا يترك هذا الآزدواج يسحقه أو حتي يثير ضيقه .. وكان يشعر أن بوش لا يريد أن يخوض الحرب إذا كان تحقيق الهدف مازال ممكنا بوسائل أخرى . وظل على اقتناعه بأن صدام لا يريد الحرب مع الولايات المتحدة وآراد أن يستمر فى دفع صدام إلى هذا الاحساس.

ولكن اذا نشبت الحرب فلابد للولايات المتحدة أن تكسبها ... أنها معركة

داود وجالوت والولايات المتحدة فيها هى جالوت ، واذا لم ينجح الجيش الأمريكى نجاحا واضحاً تماما فان الأمر قد يكون كارثة ، فثمة حاجة إلى إنتصار مثير ، فالمعرض للخطر ليس هو سياسة البلاد الخارجية فحسب بل كذلك سمعة الجيش ومعنوياته لسنوات – بل لعقود طويلة قادمة.

وفى ١٧ ديسمبر تحدث الرئيس بوش مرتين للصحفيين ، وسئل فى الحديث الأول ماذا سيصنع بعد انقضاء الأجل في ١٥ يناير.

أجاب بوش : أنتظر وسترى".

وفى الحديث الثانى بعد الظهر سأله أحد الصحفيين لماذا يتحاشى التهديد المحدد بالقوة العسكرية ؟ لماذا لا يأتى ويقول بصراحه انه سيهاجم ؟

أجابه بوش "لأنني لست في مزاج تهديدى ، ولا أعتقد أن أحدا منا فى مثل هذا المزاج ، اننا فى مزاج حسم".

وفى ذلك اليوم ناقش باول وولفوويتز أسلوب بوش فى ابلاغ رسالته ، كان باول يعاني بشدة ، فالرئيس – وان لم يقصد – يرسل اشارات مختلطة ، ففى هذا اليوم نفسه أرغى ثم هدأ . ولعل شرح السياسة وتوجيه الرسالة هما أقرب شىء إلى أهم ما يقوم به الرئيس ، وباول لا يحب أن يؤديا بطريقة خرقاء.

ومضى باول وولفوتيز إلى حد التساؤل عما إذا كان فى وسعهما أن يجدا طريقة لاقتراح مدير اتصالات جديد على البيت الأبيض.

ان هذه الفترة السابقة ليوم ١٥ يناير ذات أهمية حاسمة ، أنها حرب أعصاب ، وكلمات الرئيس بالغة الأهمية ، فلابد أولا من ارهاب صدام ، وثانيا لابد من ابقاء الكونجرس على تأييده . وثالثا – واذا كانت القوة ستستخدم – لابد من الابقاء على تأييد الرأي العام القوى.

ولم يكن باول يريد أن يدفع إلى الحرب لمجرد خطأ كبير فى الاتصال.

* * *

في هذا الأسبوع الذى يبدأ بيوم ١٧ ديسمبر توجه ليس آسبن إلى البيت الأبيض للاجتماع بسكاوكروفت . كانت لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب والتي يرأسها آسبن قد استكملت جلسات استماعها عن سياسة الخليج . وكانت المشكلة بأسرها - فى نظر آسبن - مشكلة نفط وأسلحة نووية وعدوان ، وانتهى إلى أنه يمكن أن يؤيد الحرب ، فاذا لم تكن الولايات المتحدة ستستخدم جيشها فى قضية كهذه فمتى تستخدمه ؟

كان واضحا لآسبن أن سكاوكروفت قد نفد صبره مع الدبلوماسية ، فقد قال صدام انه لا يستطيع أن يستقبل بيكر فى بغداد الا يوم ١٢ يناير ، أي قبل ثلاثة أيام من موعد الانذار ، ورفض بوش ذلك ، لأن صدام - كما يقول سكاوكروفت - يخدع الجميع ، وليس ثمة سبب للتعامل معه . لقد باءت الشهور الأربعة من الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية بالفشل ، وستستغرق الحرب وقتا أقصر من رقصة الشهور الأربعة المنهكة المحبطة هذه . فقد أصبح سكاوكروفت مقتنعا بأن الحرب ستكون حلا يستغرق أسبوعين أو ثلاثة.

كما جاء الأمير بندر لمقابلة سكاوكروفت فى ذلك الاسبوع ، ويعرف الامير السعودى أن سكاوكروفت يكاد يكون مرآة دقيقة لبوش ، فاذا كان سكاوكروفت ثائرا أو باردا تجاه شيء فان هذا معناه أن بوش يحس بالاحساس نفسه.

وأسـّـر اليه سكاوكروفت "لقد استقر رأى الرئيس فى الأساس" . وأشار إلى الجهود الدبلوماسية قائلا لبندر " ليست هذه كلها سوي تمارين".

* * *

فى ١٩ ديسمبر وصل تشيني وباول وولفوويتز إلى العربية السعودية لاجراء دراسة تفصيلية لخطة شوارزكوف الحربية . كانت الخطة معقدة ، مليئة بالتعبيرات العسكرية ، لكن باول وهيئة الأركان المشتركة كانا قد دربا تشيني ، واعترف هذا بأنه ليس مخططا عسكريا ، لكنه قال إنه يريد التأكد من أنهم سيشرحون كل شىء له ، فإذا كانت هناك أمور لا يوافق عليها فان عليهم أن يقنعوه.

وأجرى ثمانية صحفيين جاءوا مع تشيني وباول حديثا لمدة نصف ساعة مع نائب شوارزكوف اليفتنانت چنرال كالفن أ . هـ . والر . وكان باول قد وضع والر - وهو رجل هادئ - فى القيادة المركزية ليمارس تأثيرا مهدئا على شوارزكوف . وأخبر والر الصحفيين بصراحة بأن الجيش لن يكون مستعدا لعملية هجومية قبل أوائل فبراير أو منتصفه ، وأنه لا يستطيع أن يتصور أن يأمر الرئيس بوش بالهجوم قبل ذلك.

وسئل ماذا يقول إذا سأله بوش هل هو مستعد للهجوم فى ١٥ يناير فأجاب "سأقول له" لا ، لست مستعدا للقيام بذلك".

وكانت تصريحات والر هى العناوين الرئيسية فى اليوم التالى . وثار باول ، ففى كل مرة يلوحون فيها بالقبضة الحديدية لصدام يأتي بشىء أو شخص ليسحبها ثانية.

وشعر باول بأن والر - الذى ليست لديه خبرة كبيرة في التعامل مع وسائل الإعلام قد ألقى به إلي ذئاب الصحافة ، فلم يكن ينبغي أن يرتب هذا الحديث . ورغم ذلك فان الملاحظات والضجة التي أثارتها قد خدمت أغراض تشينى ، إذا خلفت انطباعا بأن من غير المحتمل أن تخوض الولايات المتحدة الحرب قبل فبراير . وسيكون الأمر مفيدا تماما لو أعتقد صدام أنه لن يهاجم قبل ذلك.

وفى حدود رأى تشينى فسيكون عليهم - إذا لم يخرج صدام من الكويت - أن يبدأوا الحرب الجوية بعد ١٥ يناير مباشرة . وستكون القوات الجوية والأسطول على أستعداد فى ذلك الحين.

وأتيحت لتشيني وباول وولفوويتز أثناء الرحلة الفرصة للتحدث في جو أكثر استرخاء وقال باول انه على ضوء الوضع كله يعتقد أن صدام سيسحب قواته من الكويت فى اللحظة الأخيرة ، فحين سيرى صدام أنه يواجه بعضا من أفضل القوات التي أعدتها الولايات المتحدة لمحاربة الاتحاد السوفيتي ، فسيتراجع ، فصدام متمسك بلا هوادة بالبقاء ، وسيفعل أى شىء للإستمرار فى السلطة . ولقد رأوا ذلك مرة بعد الأخرى - وكانت اخرها حين تنازل عن الأراضى التي استولى عليها من ايران أثناء حرب الثمانية أعوام ، أو منذ أسبوعين حين أطلق فجأة وعلى غير توقع سراح ألفين من الرهائن الأمريكيين والغربيين.

ولم يوافق تشيني علي ذلك . وقال لباول وولفوويتز انظرا إلى الشواهد. ان صدام ما زال يرسل تعزيزات إلى الكويت بدلا من أن يسحب منها قوات . وليس ثمة شاهد ملموس واحد يمكن أن يؤيد هذا التفاول الذى يمكن أن يصبح خطرا ، فلوا أننا تركنا هذا الموقف "حسنا" أنه سينسحب" يلح طويلا فسيصاب واضعو القرار بمرض التعلل بالأماني ، وهذا أساس خاطىء لسياسة ، ولهذا فانه يريد أن يتأكد من أن شوارزكوف مستعد للحرب ، وأنه وضع خطة تتسم بالقدر الكافى من الجسارة والخيال.

وقضي الرجال الثلاثة يوما ونصف يوم مع شوارزكوف . وكان عرض صباح اليوم الاول عن المخابرات ، واستعداد القوات ، واللوچستيك . وأطلق تشيني وابلا من الأسئلة ، انه لا يريد من أحد أن يضع افتراضات متفائلة ، وهو يريد أن يتأكد من أن القيادة تخزن الامدادات لحرب طويلة ، ويريد توفير مزيد من

القنابل والذخائر للحرب الجوية.

وفى جلسة بعد الظهر عرض شوارزكوف خطة الحرب . لم تكن سلسلة من الخيارات يمكن لتشيني والرئيس أن يختارا من بينهما ، بل كانت بالأخرى خطة واحدة عامة ، تستند إلى التوجيه الذى تلقاه باستخدام أقصي قوة عسكرية متاحة وضرورية لاداء المهمة ، وكانت تشمل - كالخطة السابقة - ثلاث مراحل جوية ، تعقبها مرحلة رابعة هي الحملة البرية . وإذا تحققت اى مرحلة بصورة افضل مما كان متوقعا فان من الممكن الانتقال بسرعة أكبر إلى مجموعة الأهداف التالية ، مما يسرع بالحرب.

وتستهدف المرحلة الأولى من الحملة الجوية الدفاعات الجوية العراقية والمطارات والقوة الجوية التى تبلغ ٨٠٠ طائرة وشبكة صدام للقيادة والتحكم والاتصالات . وكان تحليل استخبارى قد استخلص ان من ٨٠ الى ٨٥ فى المائة من القوة الجوية العراقية ستدمر فى الأيام الأولي ، بشرط أن تهاجم الولايات المتحدة أولا ، وتحقق "المفاجأة التاكتيكية".

وأراد ولفووتيز أن يتحقق من أن كل البدائل قد طرحت وبحثت . وهو يعرف أن الضباط العسكريين كثيرا ما يفسرون اسئلة المدنيين كتحد لسلطتهم ، لكنه حاول ان يجر شوارزكوف إلى الحديث عن الحملة الجوية.

وقال شوارزكوف انه يخشى أن يطلب الجهاز السياسى - الرئيس او وزير الدفاع أو الكونجرس - وقف الحرب قبل أن يتمكن من تحقيق اهدافه سواء فى المرحلة الجوية او البرية.

وحاول ولفووتيز ان يطمئن الجنرال مؤكدا أن الرئيس وتشينى قد قالا ان من المقبول سياسيا ان يأخذ شوارزكوف كل الوقت الذى يحتاجه القادة الميدانيون.

وذكـرّ تشيني شوارزكوف بأن الرئيس قال أنه لا يريد فيتنام اخرى ، فالإدارة ملتزمة ، ولن تقيد أيدى القادة العسكريين . ان الرئيس وتشينى وباول سيوقعون الخطة ، ولكن ما أن تقر حتى تصبح فى جانبها الأكبر في أيدى شوارزكوف . وسيتخذ الرئيس القرارات النهائية مثل قرار موعد بدء المرحلة الرابعة – الحملة البرية.

كانت اجزاء رئيسية من الحملة البرية قد وضعها عدد من صغار الضباط فى سنتهم الثانية في كلية القيادة وأركان الحرب العامة التابعة للجيش في فورت ليفينورث . وقد ارسل هؤلاء الميجورات والليفتنانت كولونيلات – المسمون "فرسان چيدى" – إلى العربية السعودية ليطبقوا عناصر المناورات الحربية المتعقدة – الجس والتطويق والمباغتة والجرأة – على خطة الحرب.

وكانوا يعملون فى زاوية سرية للغاية فى مقر قيادة شوارزكوف ،فطبقوا مبادى دليل الجيش عن العمليات الذى يضم ٢٠٠ صفحة ،. وقد استند الفصلان السادس والسابع فيه ، اللذان يتناولان للعمليات الهجومية ، إلى المفاهيم التى ارساها الجنرال جوانت فى حملة الحرب الأهلية فى ڤيكسبورج فى ١٨٦٣ ، فبدلا من أن يهاجم جرانت تحصينات العدو مباشرة ارسل قواته فى مناورة واسعة حول خط جبهة الاتحاديين ، ثم هاجم من الجانب والمؤخرة . وقد أعتبرت هذه الطريقة غير المباشرة افضل الطرق لهزيمة صدام.

وكان التحليل الأول للتضاريس قد انتهى إلى أن الأرض في الصحراء العراقية لينة للغاية ، لكن الاستطلاعات أثبتت خطأ ذلك ، فقد تبين أن الصحراء تستطيع فى الواقع تحمل هجوم بالدبابات ، ومن ثم فان خطة المناورة يمكن أن تنجح.

ولما كانت معظم قوات صدام موجودة فى جنوب الكويت وعلى طول ساحل

الخليج الشرقي فقد دعت الخطة البرية إلي تحريك الفيلق السابع عدة مئات من الأميال في قوس واسع إلى الغرب ، ثم يهاجم عبر العراق ليضرب الحرس الجمهورى . وسيكون هذا بمثابة لكمة خطافية هائلة فهجمات الدبابات الواسعة السريعة الساحقة جانب رئيسى من الخطة.

وفى الوقت نفسه - وعن طريق هجوم جوى بطائرات الهليكوبتر - يتم اسقاط قوات أمريكية خلف الخطوط العراقية ، حيث لن تجد معارضة.

وكانت الفكرة من ذلك هي أجبار صدام على اخراج مئات الآلاف من قواته من مواقعها المتخندقة فيها حتي يمكن أن تصطادها النيران الجوية والبرية الأمريكية المتفوقة.

وتقوم مشاة البحرية بشن هجوم برى أمامى علي الحدود السعودية - الكويتية محاولة تحطيم الخطوط العراقية والوصول إلى خلفها . كما تقوم قوات أخرى من مشاة البحرية أمام الشاطىء بكل ما يجعلها تبدو على وشك القيام بانزال برمائى كبير على ساحل الخليج في الكويت حيث أقام العراقيون دفاعات ضخمة ،و لكنها ستكون خدعة ، ترمي إلى ابقاء العراقيين في مواقعهم ، فلن تقوم مشاة البحرية بعملية انزال.

قال شوارزكوف وهو يقدم قادة الجيش ومشاة البحرية الذين عرضوا خطط وحداتهم "هؤلاء هم رجال الحرب" . وكان أكثرهم ثقة هم قادة الدبابات ، أما قادة القوات الخفيفة فكانوا يبدون قلقين.

وألقى تشيني كثيرا من الأسئلة عن الخطة البرية ، فستكون الحرب البرية أشد وطأة من الحرب الجوية نتيجة القدر الكبير من المتغيرات ، ومن أبرزها كيف سيحرك صدام قواته وتعتمد هذه الخطة علي تحقيق التفوق الجوى والمحافظة عليه ، وضمان عدم وجود معلومات عند صدام عن تحرك قوات كبيرة إلى الغرب ، كما

أنها تحوى تحديا لوچستيا هائلا : فسينقل ١٠٠٠٠٠ رجل على الأقل ، فضلا عن عتادهم وامداداتهم ، مئات الأميال إلى الغرب في بضعة أيام – وهى مهمة تكاد تكون مستحيلة ولو عرف صدام بالخطة فلن يصدق أنها يمكن أن تنفذ.

ودارت مناقشة طويلة حول الأسلحة الكيميائية .. وكان من شبه المؤكد أن صدام سيستخدمها ، ولكن متى ؟ وكيف ؟ لم يكن أحد يعرف بالدقة أي أمدادات لديه ، لكن من المؤكد أنها ضخمة. ومن الصعب قياس الأثر العسكرى والنفس للهجوم الكيميائى.

ويمتلك الجيش بعض التكنولوجيات الجديدة ، فهناك رادار "مكتشف للنيران" يمكن الولايات المتحدة من تحديد مواقع المدفعية بتحديد مسار قذيفة ما وهى لا تزال فى الجو . ويقوم حاسب اليكترونى بحل المشكلة الحسابية ، ويحدد على الفور النقطة التى أنطلقت منها لقذيفة . وقبل أن تسقط قذيفة العدو تكون الولايات المتحدة قد أطلقت سدا من النيران المضادة على هذه النقطة ، مدمرة كلا من السلاح والعراقيين الذين يقومون بتشغيله . وعلى حد تعبير أحد الضباط " سنلقنهم درسا .. إذا أطلقتم النيران فستموتون".

ولما كانت كثير من الأهداف مثل مراكز الاتصالات والمطارات أهدافا ثابتة فان الخطة الجوية المستوفاة المراجعة كانت أوضح وأدق فى نبوءاتها من الخطة البرية ، وكان بوسع تشيني أن يرى أن المخططين قد عملوا جاهدين على المواءمة بين الأسلحة والأهداف.

وأبلغ تشيني وباول شوارزكوف بأن يتوقع تنفيذ المراحل الجوية بعد قليل من يوم ١٥ يناير.

واستمع وزير الدفاع ورئيس الأركان الى تقرير طبى رفيع المستوى حول الخسائر المتوقعة . وقال كبار الضباط الطبيين انهم يخططون لاستقبال عشرين

ألف ، منهم سبعة آلاف قتلوا أثناء المعارك.

وخيم الصمت على الغرفة.

ثم تحدث شوارزكوف قائلا "هذا نموذج تخطيط لأسوأ الاحتمالات . انه ليس نبوءة ، فأنا لا أقدم نبوءات".

وأتيحت لقائدى البنتاجون كذلك فرصة لزيارة القوات فى المراكز المتقدمة وعومل باول وكأنه بابا عائد إلى القرية التى كان كاهن أبرشيتها ، وأحاط به الجنود يطلبون توقيعه ، فخط اسمه على أى شيء متاح - المجلات ، والعملات السعودية ، وألواح الانزلاق ، وساعد أحد الجنود على حمل كيس من الرمال ، وقدم تهانئه بعيد الميلاد فى كل مكان ، ووقف لالتقاط الصور ، وزار اللواء الثانى من الفرقة ١٠١ المحمولة جوا ، وهو وحدة هجوم جوى خاصة ، وكان باول قد قاد هذا اللواء الذى يضم ٢٠٠٠ رجل قبل أربعة عشر عاما . وقد قال الآن للجنود انه يعرف ويتفهم عدم وضوح مهمتهم - الانتظار ، والليالى الطويلة ، واضطرابات المعدة .

وردا على كل أولئك الذين سألوه عن مستقبلهم ، والكثيرين الذين لم يسألوه ردد باول كلمتين "استعدوا للحرب".

* * *

فى يوم الجمعة ٢١ ديسمبر دعا بوش سفراء كل البلدان الثمانية والعشرين الأعضاء فى التحالف إلى البيت الأبيض . وبعد الاجتماع صحب المجموعة في جولة ليشاهدوا زينات الاحتفال بعيد الميلاد فى البيت الأبيض.

وكان بندر هو اخر المغادرين.

سأله بوش "هل أنت على عجل ؟ "

"كلا"

"تعال لتحية بربارة".

وتمنى بندر عيدا سعيدا للسيدة الأولى ، ثم توجه مع بوش إلى المكتب البيضاوى ، حيث خرج الرجلان لتبادل الحديث.

سأل بوش عن صدام "هل هو مجنون ؟".

كان الرجلان قد ناقشا السؤال نفسه فى الماضى . وفى مناقشاتهما المنتظمة عبر الشهور كان بندر قد حدث بوش عن وسواس صدام المرضى بشأن أمنه الشخصى ، كما سمع بوش كثيرا من مثل هذه القصص . وكان بندر لا يزال مقتنعا بأنه إذا خير صدام بين رقبته وترك الكويت فسيعمل على أنقاذ رقبته ، فصدام لا يريد الموت ، انه ليس شهيدا .

وسأل بوش كذلك "هل يعرف ما سيواجهه ؟".

وطيلة شهور كان بندر يسّر إلى بوش وغيره بأن هناك مبالغة كبيرة فى نوعية الجيش العراقى ، وهو ما زال يشعر بأن من الممكن هزيمة صدام فى أسبوعين.

ولاحظ بندر أن بوش أصبح قاطعا ، ويشعر بتصميم متزايد فى لغة جسمه . ، ولم يعد هناك شىء من ذلك الارتباك والحيرة . ولا تعلو وجهه ابتسامة . ورغم أن عيني بوش كانتا باردتين هادئتين ، فقد كان يبدو وكأنه يحمل عبئا داخليا ، وحين نظر بندر بدقه وعمق أكبر بدت له عيناه مفزعتين . وهناك مثل فى الشرق الأوسط يقول اتق غضب الحليم إذ سيكون من الصعب التعامل معه وقد رأى بندر الغضب العام والخاص وهو يتجمع - طيلة شهور مما أدى إلى تراكم العناد والاصرار.

قال بوش متحدثا عن صدام "إذا لم يمتثل فسيكون علينا أن ننفذ

القرارات .

وأومأ بندر برأسه وهو يقول فى نفسه : ان الأمر جاد ، وسيفعلها .

* * *

وفى الوقت نفسه كان وبستر مدير وكالة المخابرات المركزية يجمع تقديرا وطنيا خاصا للمخابرات قبل عيد الميلاد برمى الى تقديم أفضل نبوءه عما إذا كان صدام سينسحب من الكويت قبل ١٥ يناير . وفى المناقشات بين مختلف وكالات المخابرات كان وبستر ووكالة المخابرات المركزية وفرع المخابرات بوزارة الخارجية قد استخلصوا أنه حالما يدرك صدام حجم القوات التى حشدت ضده ، وتصميم الولايات المتحدة وحلفائها ، فسينسحب.

لكن بات لانج فى وكالة مخابرات الدفاع عارض ذلك بشدة ، ورأى أن هذا تكرار للخطأ الكلاسيكى الذى وقع قبل الغزو العراقى للكويت فهاهم ضباط المخابرات مرة أخرى يصورون الأمور من خلال مرآة ، وينظرون الى العالم من خلال منظورهم الغربى المحدود ، قائلين انهم إذا كانوا فى موضع صدام لأدركوا القوة العسكرية الساحقة التى تقف ضد العراق وتصميم التحالف الدولى . ولما كان من المنطقى لصدام أن يتوصل إلى هذا الاستنتاج ، فسيرى الضوء وينسحب.

أما لانج فيعتقد العكس ، فهو على ثقة من أن صدام لا ينظر إلا إلى قوته هو ، وتصميمه هو ،. واتفق سويستر رئيس وكالة مخابرات الدفاع ورؤساء ادارات المخابرات العسكرية الأربعة الأخرى المنفصلة مع لانج . وأصروا على أن يضيفوا اعتراضا مكتوبا فى شكل هوامش على تقدير المخابرات . وقد صدر التقرير وأرسل إلى الرئيس.

وسئل بوش فى حديث مع مجلة "تايم" قبيل عيد الميلاد عما إذا كانت الحرب ستنشب.

قال " ياالهى" ثم تتوقف ، واسترجع آراء أغلبية تقديرات المخابرات وقال قلبى يحدثنى بأنه سيخرج من هناك.

* * *

عاد تشينى وباول من الخليج وطارا إلى كامب دافيد لاطلاع الرئيس على الوضع عشية عيد الميلاد . وكان هناك أيضا سكاوكروفت وجيتز.

وذكر تشينى أنه من الصحيح أن القوات البرية لن تكون جاهزة حتى فبراير ، وأضاف أنه فى الواقع غير راض تماما عن خطة المرحلة الرابعة البرية . لكن الحملة الجوية كانت جاهزة ، وهو راض عن تفاصيلها.

وقال كل من تشينى وباول ان من الممكن تماما بدء الحملة الجوية ومواصلتها قبل أنت تشغل القوات البرية أماكنها ، وأن شوارزكوف وضع نصب عينيه الموعد الدبلوماسى ١٥ يناير.

وبحلول هذا الموعد يكون تشارزكوف وقواته قد قضوا عيد الشكر وعيد الميلاد وعيد رأس السنة فى الصحراء ، ويكونون قد عاشوا فترة الخمسة وأربعين يوما من "التوقف من أجل السلام" دون نتائج ويكون بعضهم قد قضى فى الصحراء خمسة أشهر.

وقد كان تحديد موعد ١٥ يناير كموعد ضمنى مؤكد أمرا عزز الروح المعنوية.

وقال بوش انه يفكر بجدية فى بدء الحملة الجوية فى أفضل وأسرع وقت بعد ١٥ يناير إذا لم ينسحب صدام.

واتفق على أن يتحدث باول مع شوارزكوف ، ويحصل على توصيته بشأن موعد التنفيذ ووقته ، استنادا إلى التنبؤات بشأن القمر والجو.

وكان مع باول بالفعل مشروع أمر تحذيرى سرى للغاية لارساله إلى شوارزكوف ، ووفقا لمطبوعات هيئة الأركان المشتركة يعد الأمر التحذيرى "اخطارا أوليا بأمر أو أجراء سيتبعه" ، وإذا ما أرسل فانه يعنى توجيه شوارزكوف إلى أن يكون مستعدا تماما لتنفيذ الخطة الحربية.

واتصل شوارزكوف بالهاتف المأمون وسأل شوارزكوف عن الموعد والوقت الذى يوصى بها بعد انتهاء موعد قرار الأمم المتحدة وهو ١٥ يناير . وقال شوارزكوف انه الساعة الثالثة من صباح يوم ١٧ يناير ، أي الساعة السابعة مساء يوم ١٦ يناير بتوقيت واشنطون ، أى بعد ١٩ ساعة فقط من انقضاء موعد الأمم المتحدة ، فستكون هذه ليلة غير مقمرة ، وهذا عامل حاسم بالنسبة لقاذفات الشبح المقاتلة من طراز اف - ١١٧ ايه . فحيث ان هذه الطائرات ستكون غير مرئية تقريبا بالنسبة لأجهزة الرادار العراقية فليس ثمة دا ع لأن يراها العراقيون أو يروا أى طائرات أخرى فى ضوء القمر . وتشير الدلائل إلى أن الجو سيكون صافيا.

وقال نورمان العاصف انه حين يبدأ الهجوم سيغير اسم العمليةمن درع الصحراء إلى عاصفة الصحراء.

وقال باول باعادة صياغة الأمر التحذيرى المؤلف من صفحتين ، طالبا أن يكون شوارزكوف جاهزا لبدء عاصفة الصحراء فى الساعة الثالثة من صباح يوم ١٧ يناير . وأرسل الأمر باليد إلى عدة مسئولين فى البنتاجون لمراجعته ، ثم أعدت صورة نهائية لارسالها حين يعطى الرئيس تصريحه النهائى.

* * *

تلقى باول ٢٩ ديسمبر التصريح بارسال الأمر التحذيرى إلى شوارزكوف وزيادة في السرية ارسل نسخة بالفاكس إلى« شوارزكوف بدائرة فاكس مأمونة سرية للغاية ، وكتب عليها "لاطلاع شوارزكوف وحده" ، وبهذه الطريقة لن تظهر سوى نسخة واحدة فى مقر قيادة شوارزكوف ، فلم يكن باول يريد أن تظهر عدة نسخ فى مركز اتصالات القيادة المركزية.

وأرسل الأمر التحذيرى صباح السبت ٢٩ ديسمبر ، ويحمل موعدا ومجموعة الاتصالات ٢٩ / ١٦١٢ ديسمبر ١٩٩٠ الذى يعنى أنه أرسل يوم ٢٩ ديسمبر بالتوقيت العالمي ١٦١٢ أى الساعة ١١ ، ١٢ دقيقة صباحا بتوقيت واشنطون.

* * *

بعد ظهر أول أيام السنة الجديدة ، يوم الثلاثاء أول يناير ، عاد بوش من عطلته فى كامب دافيد ، والتقى مساء ذلك اليوم فى جناحه فى البيت الأبيض بكويل وبيكر وتشيني وباول وسونونو.

وطلب بوش من عاملى مجلس الأمن القومى وضع مشروع أمر رئاسى رسمى يسمى "توجيه الأمن القومى" يبين الأسباب السياسية لدخول الحرب . ولما كانت هذه الوثيقة ستكون وثيقة تاريخية فقد طلب ايلاءها ما تستحق من اهتمام.

وكان بيكر لا يزال يريد أن يتأكد من أن الرئيس قد استنفذ كل الامكانات الدبلوماسية ، فاقترح أن يعرض بوش عرضا آخر للاجتماع بصدام.

أما تشينى فكان يخشى حدوث خدعة فى اللحظة الأخيرة ، وكان يشعر بشدة بأن التحالف مهتز . وفى حدود فهمه فان اطراف التحالف – وخاصة فى الشرق الأوسط مثل العربية السعودية ومصر وسوريا ودول الخليج الصغيرة –

كانوا يخشون أن تجد الولايات سببا لعدم التحرك.

ولا يعتقد تشينى أن قرار دخول الحرب قد أتخذ فى لحظة معينة أو سلسلة من اللحظات ، فليست هناك مناقشة واحدة أو اجتماع واحد اتخذا فيه القرار ، وأفضل ما يستطيع أن يذكره هو أنه كان قريبا عشية عيد الميلاد ، وتعزز فى ٢٩ ديسمبر حين أرسل الأمر التحذيرى ، وصدق عليه تماما فى اجتماع السنة الجديدة هذا .

ولما كان اجتماع بيكر فى بغداد لم يتم - فقد قال صدام انه لا يستطيع مقابلة بيكر الا قبل ثلاثة أيام من موعد الانذار - فقد قرر بوش أن يقترح علنا أن يلتقى بيكر بوزير الخارجية العراقى فى سويسرا فى المدة من ٧ إلى ٩ يناير ، حيث سيكون بيكر فى أوربا على أى حال ، على أنه لن تكون هناك مفاوضة أو مهادنة.

* * *

فى اليوم التالى - الأربعاء ٢ يناير - كان سكاوكروفت يبدو مكتئبا ، وبدأ يقول لعامليه المقربين انه بدأ يشعر بالمسار الحتمى ، قائلا أن الحرب ستنشب.

وعقد جيتز اجتماعا للجنة النواب . وقال ان أمامهم مهمتين . أولا إن بوش سيعرض فكرة اجتماع أخير بين بيكر وطارق عزيز فى سويسرا ، وعليهم أن ينتهوا من وضع مشروع رسالة من بوش إلى صدام ، يقدمها بيكر إلى عزيز كاعلان نهائى وانذار ، وثانيا أن عليهم أن يبدأوا وضع مشروع توجيه الأمن القومى ، التوجيه الذى سيصدره الرئيس عن الحرب.

ورأى ولفووتيز أن الرسالة إلى صدام ربما كانت لا تزال قادرة على التأثير ، ووجد أن مشروعا وضعه أحد عاملى مجلس الأمن القومى أقرب إلى الاعتدال ،

وحرص هو والأميرال ارميا - نائب باول - على أن تكون الرسالة أعنف ، فاقترحا تعديلات وافق عليها بقية أعضاء لجنة النواب . وتقول الرسالة ذات الثمانى فقرات فى صورتها النهائية : "اننا نقف اليوم على شفا الحرب بين العراق والعالم" . وتذكر أن مستقبل العراق فى خطر ، وأن عدم الانسحاب يعنى "كارثة" و "مأساة" و ""مزيدا من العنف" بالنسبة للعراق وتقول العبارة الأخيرة من الرسالة : " آمل أن تزنوا اختياركم بدقة ، وأن تختاروا بحكمة ، لأن الكثير سيتوقف على ذلك".

وفى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقه من صباح اليوم التالى - الخميس ٣ يناير - التقى بوش مرة أخرى بزعماء الكونجرس حيث أعلن أنه سيبذل جهدا دبلوماسيا اخر : اجتماع بيكر وعزيز فى الأسبوع التالى . كما أشار الرئيس بقوة مرتين إلى تقرير منظمة العفو الدولية الذى قرأه قبل العطلة ، وحث أعضاء الكونجرس على قراءته.

وأخبر القادة بوش أنه ما زال من غير المؤكد أن يستطيع الحصول على أغلبية الأصوات فى الكونجرس بالتصريح باستخدام القوة بعد ١٥ يناير.

وعند مناقشة الحرب المحتملة قال بوش " ليس ثمة وجه للشبه مع فيتنام".

وذكر تشيني أنه يوجد فى الشرق الأوسط الآن ٣٢٥٠٠٠ جندى وأن ١٢٠٠٠ جندى اخر يتوجهون إلى العربية السعودية كل يوم.

وكان تشيني يشعر بينه وبين نفسه بأن النافذة الدبلوماسية ما زالت مفتوحة قليلا ، وأن على الرئيس أن يبقيها مفتوحة . فإذا ما انسحب صدام من الكويت فجأة فإن الولايات المتحدة تستطيع أن تعلن عن انتصار عظيم ، ويكون فى وسع الادارة أن تقول : مرحى ، لقد أبدت الولايات المتحدة تصميمها ، وقادت العالم ، وخلقت التحالف ، ونشرت القوات ، وطردت ابن - هذا من الكويت.

لكن تشيني كان يرى الآن - أكثر من أي وقت مضى - أن الأمور لن تسير على هذا النحو.

* * *

عقد بوش اجتماعا أخر لدائرته الداخلية في جناحه مساء الأحد ٦ يناير . كان بيكر فى أوروبا بالفعل ، ووافق صدام على إجتماع بيكر وعزيز فى سويسرا يوم الأربعاء.

وقال الرئيس ان يريد أن يحصل من الكونجرس على تصريح باستخدام القوة ان كان ذلك ممكنا . كان هذا هو الصندوق الأخير الذى لم يختبر ، والقطعة الوحيدة الغائبة فى استراتيچيته العامة.

وأبدى تشينى تشككه ، وقال انه ما لم ينسحب صدام فان من المهم جدا أن تستخدم القوة بعد ١٥ يناير ،، وأنت يا سيدى الرئيس قد أتخذت هذا القرار بالفعل . والكونجرس لم يكن مضمونا أبدا ، والتصويت بالرفض من جانب "زملائى السابقين" - حسب اشارته الساخرة قليلا - سيقوض كل شىء . وكان تشينى شديد الشك في الديمقراطيين الذين يسيطرون على الكونجرس ، ويرى أنهم سيسعدهم أغلاق الباب أمام جهود الادارة.

وقال تشيني ان الإدارة ، والتحالف ، والقوات فى الميدان ، لا يستطيعون تحمل تصويت بالرفض ، وأضاف أنه يشعر شعورا قويا بأنه إذا تكلل استخدام القوة بالنجاح ، وإذا تحققت الأهداف بأقل تكلفة وأدنى مستوى من الاصابات ، فلن تكون ثمة أهمية لأى نوع من النقاش أو التصويت دار فى الكونجرس . ومن الناحية الأخرى فلو باءت الحملة العسكرية بالفشل ، أو كانت بالغة الأرتفاع ، فلن يجدى هنا أن يكون الكونجرس قد وافق مقدما ، فسينقضون جميعا على الرئيس على أى حال . وقال انه لا يرى فى هذه العملية أى مكسب ، فى حين أنها محملة

بالمخاطر.

ولم يقل أحد آخر أنه يشاطر تشيني تحفظاته ، وأجل الاجتماع دون أن تحل المسألة.

وفي اليوم التالي - ٧ يناير - أعلن فولى رئيس مجلس النواب أن المجلس سيبدأ نقاشا فى أواخر الأسبوع حول قرار بالتصريح باستخدام القوة . انه هو نفسه يعارض استخدام القوة إلى أن يتاح للعقوبات الاقتصادية مزيد من الوقت لكنه قال انه يعتقد ان التصريح سيمر بأغلبية قليلة . وقال السناتور ميتشيل زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ان من المحتمل أن يبدأ المجلس بدوره مناقشة القرار.

وبدأ بوش يتصل تلك الليلة بالجمهوريين فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب ليحصى الأصوات . وكتب بنفسه على الآلة الكاتبة مشروع رسالة يمكن أن يبعث بها إلى الكونجرس طالبا أن يتبنى المجلسان صيغة "كل الوسائل الضرورية" التى استخدمها قرار الأمم المتحدة ،ثم أعطى تعلميات بأن يلتقى به فى البيت الأبيض صباح الغد كبار مستشاريه ومسئولو الحكومة وكبار مستشاريهم القانونيين ومديرو الشؤون التشريعية.

وشعر باول بأن من المهم الحصول على تصريح الكونجرس ، فقد كان يخشي ارسال القوات إلى الحرب دون مساندة صريحة من الكونجرس ، فهو لا يريد أن تترك القوات معلقة هناك ، وهى تعرف أنها فى الحرب حتى لو أسماها السياسيون شيئا آخر ، فقد سمي هذا الأمر "عملية بوليسية" فى كوريا و "نزاعا" فى فيتنام ، ولم يكن أى التسميتين مرضية ، فبلد يخوض حربا ينبغى أن يقول انه فى حرب وأن يتحدث بصوت واضح.

ولما كان باول يعرف رأى تشيني فانه لم يرد أن يحضر اجتماعا واسعا فى البيت الأبيض يمكن أن يختلف فيه مع وزير الدفاع ، ولذلك فقد استدعي الكولونيل

فريد ك . جرين مستشاره القانونى ، وطلب منه أن يحضر الاجتماع ، ويبلغه بما يتم.

وفى الساعة ١١ صباح يوم ٨ يناير دخل بوش قاعة الاجتماعات . وكان حاضرا تشيني وسكاوكروفت وسونونو . وحضر ايجلبرجر بدلاً من بيكر . كما حضر الاجتماع يوبدين جراى وكبار المستشارين القانونيين فى الوزرات بما فيهم فريد جرين المستشار القانونى لهيئة الأركان المشتركة.

وكانت مع بوش صورة من رسالة ، وقال انه يميل إلي أرسالها . والمسألة هى هل نقف سلبيين أم نحاول التحكم فى النتيجة باقتراح محدد من الادارة . وسأل مديرى الشؤون التشريعية فى البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي ووزراتى الخارجية والدفاع هل سيفوز.

وكان الرأى الاجماعى هو أنه سيفوز ، لكن الأمر ليس مؤكدا مائة فى مائة ، وبدأوا يعدون الأصوات المحتملة.

وطلب بوش تقييما آخر لسلطته القانونية. وقال ويليم ب . بار نائب المدعى العام أن للرئيس – فى رأيه ورأى كبار المستشارين القانونيين فى وزراته – كل السلطة فى اجراء عمليات عسكرية باعتباره القائد الأعلى دون حاجة إلى أن يصدر الكونجرس قرارا مؤيدا ، وأضاف ان الدستور يعطيكم سلطة استخدام القوات ، ودور الكونجرس هو توفير القوات والقوانين التى تعمل بمقتضاها . وقد قام الكونجرس بذلك ، واذا لم ترق لهم الطريقة التي تستخدم بها القوات فانهم يستطيعون أن يسحبوا الأموال التي قرروها لعملها . غير أن بار أضاف أنه مع هذا يرى أن على الرئيس أن يسعى بنشاط إلي الحصول على أصرح إعلان تأييد من الكونجرس.

وسأله أحد مستشارى بوش "هل نصيحتك هذه سياسية فقط ؟".

فقال بار كلا . . فالحرب تعتبر فى المنطقة الرمادية ، فسلطة الحرب متقاسمة مع الكونجرس ، وقد قصد الدستور إلى أن تكون متقاسمة ، فللكونجرس سلطة اعلان الحرب ، لكنه عادة ما صوت بعد أن تكون الحرب قد بدأت . وكما هو الشأن فى أى سلطة متقاسمة فان يدك تكون أقوي حين يتفق الفرع التنفيذى والكونجرس ، وسيكون وضعك أضعف ما يكون إذا قام الكونجرس بشيء مخالف . أن قرارا مخالفا لن ينزع سلطتك ، وكل ما يستطيعه الكونجرس هو أن يسحب الأموال أو يحل القوات ، وهو يستطيع أن يضعك في موقف سياسى صعب ومن ثم فان الأمر يستحق أن تنشط فى التأثير على ما قد يفعلون.

وسأل بوش عندئذ كلا من مستشاري الحكومة الحاضرين أن يتحدث ، فهو يريد أن يطمئن على هذه السلطة الدستورية . وما هي النتائج البديلة لوصوت أعضاء الكونجرس ضد قرار ما ؟ أو لو ظلوا يتناقشون دون نتيجة ؟ وهل يمكن أن تتدخل المحاكم الآن أو أثناء الطريق بشكل ما ؟.

وقال المستشارون القانونيون ان الرئيس وان لم يكن محصنا ضد أى تحد قانونى إلا أنه يقف على أرضية دستورية قوية ، وأكدوا وجهة نظر بار.

وقال بار ان الرؤساء منذ البداية قد تصرفوا منفردين فى استخدام القوات . وبشكل عام كان هناك أكثر من مائتى مناسبة فعل فيها الرؤساء ذلك وخمسة اعلانات حرب فقط وأقرب الحالات شبها بالأزمة الحالية هى الحرب الكورية ، حين تصرف ترومان بدون الكونجرس بمقتضى قرار للأمم المتحدة يشبه الى حد ما القرار الحالى.

ودافع سكاوكروفت عن الذهاب إلى الكونجرس ، وتقديم اقتراح بقرار ، فحتى لو كان الرئيس يمتلك السلطة الدستورية فان سلطته السياسية ستتعزز

كثيرا بمساندة الكونجرس له . والرئيس لا يريد أن يبدأ حربا والأمة منقسمة.

وحذر تشيني من ارسال الرسالة فمجرد طلب القرار ستكون له دلالات هائلة . وأيا كانت الطريقة التى ستصاغ بها رسالة الرئيس فستفسر بأن الرئيس يعتقد أنه بحاجة إلى تصويت . ويعرف تشيني من عشر سنوات من الخبرة أن الكونجرس ليس مؤهلا لمعالجة مثل هذه المسألة الكبيرة فى وقت قصير ، وارسال الرسالة ثم الخسارة سيكون بمثابة كارثة.

وقال بوش ان عليه أن يحاول ، وأن عليهم بعد ارسال الرسالة أن يشنوا حملة ضغط شاملة . وأضاف أنه لا يصدق أن الكونجرس يمكن أن يترك القوات فى الخليج معلقة.

وقال سونونو "علينا أن نفعل ، علينا أن نحاول صياغة الرسالة".

وأعاد المستشارون القانونيون صياغة الرسالة ، وخلال ساعة كانت فى طريقها إلى كابيتول هيل.

* * *

فى ساعة مبكرة بعد الظهر جلس بوش على مقعده الأبيض ذى المسند المرتفع أمام المدفأة فى اللبيت الابيض . وجلس تشيني على المقعد الآخر المجاور للمدفأة ، لأنه أثناء غياب بيكر فى أوروبا يعد أكبر مسئول حكومى موجود.

وجلس باول وويبستر وسونونو وسكاوكروفت على الأريكتين.

وكان ريتشارد هاس رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي قد استدعى أربعة من كبار خبراء الشؤون العربية الحكوميين ليعرضوا الوضع على الرئيس.

وقدم هاس فى البداية السفيرة أبريل جلاسبى التى لم تعد إلى منصبها فى

بغداد لكنها استمرت فى العمل فى وزارة الخارجية.

قالت جلاسبى ان صدام يسيطرتماما على قواته ، وان السبب فى أنهم لا يستسلمون أو يتمردون هو أنهم يخشون أن يسىء إلى أسرهم . "لن يحدث تمرد لأن صدام حسين يسيطر على الجيش ، وفى رأيى أنه لن ينسحب من الكويت ، وهو يعرف أننا سندخل الحرب معه إذا لم ينسحب" ، فالحشد المستمر للقوات يبين أنه يتحصن لمواجهة الهجوم.

سألها سونونو هل تقولين ان صدام يفهم جيدا أننا سنهاجمه ؟

قالت جلاسبى نعم.

سأل سونونو "كيف تعرفين ؟".

أجابته "بما يقوله ، وبمن يقوله لهم".

ففى اليوم السابق كان صدام قد وجه خطابا الى قواته بمناسبة العيد السبعين للجيش العراقى وأذيع الخطاب كذلك فى التليفزيون والإذاعة اللذين تسيطر عليهما الدولة ، وقال صدام "اننا لا نعتقد أن التضحيات ستكون قليلة" ، ووعد "بأم المعارك" وفسرت جلاسبى الخطاب كرسالة داخلية للجيش العراقي لأن يكون على إستعداد لحرب لن تكون قصيرة.

كما قالت جلاسبى انه وان كان صدام لا يلقى اعترافا عاما فى الغرب بأنه قائد شرعى فان كثيرا جدا من العراقيين يؤيدونه .. انهم قد لا يحبونه ، لكنهم يحبون برنامجه . "ومن الوهم الاعتقاد بأنه لا يتمتع بالتأييد".

وقدم هاس بعد ذلك ويليم روغ ، وهو مسئول قديم فى وزارة الخارجية وسفير سابق فى اليمن.

وقال روغ انه إذا نشبت حرب كاملة فكلما طالت كان هذا أسوأ ، لأن

كثيرا من العرب سيلتفون حول صدام حسين باعتباره الرجل الذى يقف فى وجه الغرب ، سيتحول إلى بطل . وقال روغ أن الفوز أمر هام جدا فى نظر العرب ، وحتى الهزيمة أمام قوة عظمي ستعد فوزا ، وفى يد صدام بعض القضايا التي يمكنه استغلالها - القضية الفلسطينية ، والشك الشديد فى الاستعمار الجديد، وإنقسام العرب إلى أغنياء وفقراء.

وتحدث أحد محللي وكالة المخابرات المركزية عن رد الفعل القوى التحمل في اسرائيل إذا نشبت حرب ، فسيكون من الصعب كبح القيادة الاسرائيلية إذا هاجمها صدام .

وكان بات لانج من وكالة مخابرات الدفاع هو آخر المتحدثين ، وقال انه يفترض أنه قد دعي للأجتماع لأنه كان قد تنبأ بغزو العراق للكويت ، وأضاف أنه يتصور أن هذا الإجتماع شبيه بمجالس الحرب التى كان لينكولن وحكومته يعقدونها في الأيام السابقة على بدء الحرب الأهلية.

واستطرد لانج قائلا أننا نعانى عجزا مزمنا عن فهم الحضارات الغربية وحتى الغربية الى حد قليل . ونحن لانفهم العراقيين ، وعادة مانقدم فرضيتين خاطئتين . الأولى أن العراقيين جبناء . وهذا ليس صحيحا . وقال لانج انه درس العراقيين خمس سنوات ، وذهب الى العراق أكثر من مرة ، وشاهد قواتهم على الأرض ، ودرس الحرب العراقية الأيرانية ودرس العرب ، ودرس الحرب ، وأضاف " ان استخلاصاتى بعد أخذ كل هذه الأمور في الاعتبار هى أنهم لن يتراجعوا ، وسيحاربون بمهارة وصلابة . انهم أشداء .... ولن يستسلموا " ، وأن حربا لطردهم من الكويت ستتطلب في النهاية حملة برية طويلة لاخراجهم .

ولم يقل باول شيئا ، لكنه أومأ برأسه مرات وهو يصغى الى هذه التقييمات.

وقال لانج انه خبير بفرق الحرس الجمهورى الثمانية التى استخدمت في غزو الكويت . وتقف هذه الوحدات التى يبلغ عددها ١١١٠٠٠ جندى كقوة احتياطية لخط صدام الأمامي الذى يضم أكثر من أربعمائة ألف جندى ، وقال ان الحرس مدرب تدريبا جيدا وحسن التجهيز والقيادة ، وأنه يعادل القوات الأمريكية في هذه النواحي .

وسأله سكاوكروفت " لو حطمت الحرس الجمهورى فهل سيستلم الباقون ؟"

أجاب لانج " كلا " .

وقال لانج ان الافتراض الخاطىء الثاني هو أنه لأن صدام مجرم ومتوحش ولا انساني فانه ليس قائداً شرعيا . وهذا أيضا غير صحيح ، وهو يوافق السفيرة جلاسبى ، فان صدام يتمتع اما بتأييد الناس أو بسيطرة محكمة عليهم ، بحيث أنه شرعي في نظرهم ، ولاتخالجكم أوهام في هذا الشأن ، فحرب مع هذا البلد الصغير بجيشه شديد التطور وقيادته المحصنة ، ستكون حربا صعبة وطويلة .

قال بوش " يقول لى آخرون شيئا مختلفا . ولايوجد آخر يقول لى ماتقوله .. فشامير ومبارك والاسد وبندر يقولون لى أنها مهمة بسيطة " .

وكان لانج قد قرر أنه لم يأت الى هنا ليربت على ظهر بوش ، ومن ثم فقد أجاب " سيدى ، اذا سمحتم لى أن أقول فان هؤلاء يبدون لى مجموعة من غير المطلعين الباحثين عن مصالحهم الخاصة " .

قال بوش " حسنا " .

سأل بوش في النهاية " هل سيخرجون بمفاجأة على بيكر غدا " .

وقال الخبراء الأربعة انهم لايتوقعون ذلك..

(٢٤)

الترتيبات النهائية قبل بدء الحرب

في اليوم التالى - ٩ يناير - عقد بيكر اجتماعا استمر ست ساعات ونصف ساعة مع طارق عزيز في فندق انتركونتيننتال في چنيف . وقدم وزير الخارجية رسالة بوش ذات الفقرات الثمانية عن " شفا الحرب " فقرأها طارق عزيز وتركها على المائدة ، ورفض أن يتسلمها أو أن يحملها الى صدام .

وظهر بيكر بعد ذلك في مؤتمر صحفي واجما كئيبا وقال " لم أسمع شيئا يوحي لي بأي مرونة من أى نوع " . وعرف سكاوكروفت وهو يشاهد التليفزيون أن المفاوضات قد انتهت حقا .

وتوجه وزير الخارجية الأمريكية الى العربية السعودية للقاء الملك فهد فبمقتضى الاتفاق السري مع الولايات المتحدة لابد من الحصول على اذن من فهد قبل القيام بأى عملية عسكرية هجومية قد تشن من بلاده . وقد طلب بيكر الآن هذا الاذن ، ووافق فهد سريعا ، طالبا فحسب أن يتلقى اخطارا سابقا قبل بدء الحرب .

ووعد بيكر بأنه سيقوم بنفسه بابلاغ الأمير بندر في واشنطون قبل أى هجوم .

واتفقا على ضرورة اقامة ترتيبات اتصال شديدة الحذر بين بندر في واشنطون وفهد في العربية السعودية لمنع أى تسرب ، وحتى لاينشغلا بنقل الرسائل أو العثور على هواتف مأمونة رتب فهد وبندر استخدام اسم شفري هو " سليمان " ، وهو اسم أحد موظفى الأسرة المالكة عندما كان بندر طفلا ، فاذا ذكر بندر اسم سليمان في مكالمة مع فهد فان هذا يعني الحرب .

ورغم أن تشينى كان قد حذر من السعي الى الحصول على قرار تأييد من الكونجرس فقد ضغط بشدة من أجل اصداره ، وتوجه الى كابيتول هيل ليضغط على أنصاره من الجمهوريين ، ولم يرسله البيت الأبيض للحديث مع الديمقراطيين المترددين . وتحدث تشينى في اجتماع مغلق لكل أعضاء مجلس النواب الجمهوريين ، ثم في اجتماع مماثل لأعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين ولم يلمح لأحد بأن الحرب وشيكة ، ولكنه قال انه يجب ألاتغامرهم أوهام : لا تصونوا مع هذا القرار إذا كنتم تعتبرونه مجرد وسيلة ضغط دبلوماسي أخرى .

الا أن بوش والبيت الأبيض كانا يستندان كثيرا على الحجة القائلة ان القرار هو آخر أفضل فرصة لاقناع صدام حسين بالانسحاب .

وفي يوم السبت ١٢ ديسمبر وبعد ثلاثة أيام من المناقشات الجادة – منح الكونجرس بوش التصريح بدخول الحرب . وكان القرار الذي أصدرة يحوي صيغة قرار الأمم المتحدة عن " كل الوسائل الضرورية " لكنه يرخص كذلك بشكل محدد " باستخدام القوة العسكرية " .

وكانت الأغلبية ضعيفة في مجلس الشيوخ – ٥٢ صوتا ضد ٤٧ صوتا أما مجلس النواب فوافق بأغلبية ٢٥٠ صوتا ضد ١٨٣ صوتا .

ورأى تشينى أن عليه أن يتحمل قدرا من الشماتة ، فاتصل بالرئيس وهنأه واعترف بأنه كان على خطأ ، وأن فهم الرئيس للكونجرس كان أفضل من فهمه .

وقال بوش للصحفيين : " ان هذا التعبير الواضح من جانب الكونجرس يمثل أفضل فرصة للسلام " . وحين سئل هل يجعل ذلك الحرب أمرا حتميا أجاب بالنفي .

وسأله أحد الصحفيين " هل اتخذت القرار في ذهنك .

فأجاب " لم أتخذه ، فمازلت آمل أن يكون هناك حل سلمي " وأضاف " ان البدء الفوري في السحب الواسع للقوات ، دون شروط ، ودون امتيازات ، وانما مجرد الخروج ، سيكون الطريق الأفضل والوحيد لتجنب الحرب ، وان كان من الممكن أن أقول في هذا الوقت انه يكاد يكون من المستحيل { على صدام } أن يمتثل كلية لقرارات الأمم المتحدة .

وكان إيجنبرجرو ولفووتيز قد أرسلا الى اسرائيل في عطلة نهاية الأسبوا ع فقد كانت اسرائيل لاتزال هى الورقة المجهولة ، ففي الشهر السابق كان اسحق شامير رئيس الوزراء قد قدم تعهدا غير عادي لبوش مباشرة . وقال شامير انه رغم استعدادات العراق الواضحة لمهاجمة اسرائيل ، وتأكيدات العراق العلنية بأنه سيفعل ذلك ، فان اسرائيل لن تشن هجوما وقائيا على العراق ،

وسيكون هذا استبعادا عن تركيز اسرائيل التقليدى على الهجمات المفاجئة وهو أمر له مزاياه العسكرية الواضحة . لكن اسرائيل لن تبدأ الحرب .

وكانت من بين دوافع شامير أنه لايريد أن يثبط الهجرة ، التى ستنخفض كثيرا لوأن اسرائيل شاركت مباشرة في الحرب ، وبدأت تبدو مكانا خطرا .

لكن أحدا في الجانب الأمريكي لم يكن واثقا مما ستفعله اسرائيل إذا هاجمها صدام ، وهو ما أصبح الآن مؤكدا . وحاول ولفووتيز وايجلبرجر تهدئة القيادة الأسرائلية وقال شامير انه لايستطيع بالطبع أن يقدم وعودا عما ستفعله

اسرائيل ، فما من دولة يمكن أن تقدم مثل هذا التعهد ، وخاصة اسرائيل ، بتقاليدها الطويلة من الرد على أى حادث ارهابي ، لكنه وافق على التشاور مع الولايات المتحدة قبل التصرف ، ووعد بأن الأمر لن يكون مجرد اخطار شكلي بعد أن تكون الحكومة قد قررت الرد ، بل سيكون مشاورة حقيقية . وقال شامير انه يرى مزايا الابتعاد عن الحرب ، لكن المبادىء المجربة المختبرة لبقاء الدولة قد تملى التصرف المنفرد .

وعرض إيجلبرجر وولفوويتز تحسين دفاعات اسرائيل عن طريق توسيع نشر صواريخ باتريوت الأمريكية التى كانت في طريقها بالفعل ، ويمكن استخدام هذه الصواريخ الأرض - جو المضادة للصواريخ ضد صواريخ سكود العراقية ، لم يكن هذا نظاما مؤكدا لكنه أفضل نظام موجود ، وأبدى الاسرائيليون شكوكهم لكنهم قبلوا العرض ، الذى يشمل كذلك في النهاية أطقم التشغيل والصيانة الأمريكية .

وكان بوش قد صرح كذلك بحلقة اتصال صوتية مأمونة بالغة السرية بين مركز العمليات في البنتاجون ومقر قيادة قوات الدفاع الاسرائيلية في تل أبيب . وسيشرف عاملون أمريكيون على معدات فك الشفرات التى تشكل جزءا من النظام ويشغلونها . ويستطيع تشينى أن يدخل في هذا الخط المأمون - الذى يحمل الاسم الشفرى " هامر ريك " - من مكتبه ووعد الرئيس بوش بأن يخطر تشينى الاسرائيليين مقدما قبل بدء أى عملية هجومية ، كما يستخدم " هامر ريك " لتبليغ الاسرائيليين بأحدث وأفضل معلومات المخابرات عن أى هجوم محتمل على اسرائيل .

وبدأ النظام عمله في يوم الأحد ١٣ يناير .

وفي ذلك المساء اجتمع بوش بتشينى وسكاوكروفت وباول في جناحه في

البيت الأبيض ، وكان بيكر لايزال مسافرا وكان كل ماعلى المجموعة الآن – وقد أتخذت القرارات الحاسمة – أن تتابع العملية . وكان التاريخ والموعد اللذان يفضلها شوارزكوف للهجوم – ساعة الصفر الثالثة صباح يوم ١٧ يناير بالتوقيت السعودي مازالا مناسبين ، ولكن السؤال هو متى وكيف تبلغ الاخطارات الضرورية للحلفاء وللكونجرس . واتفقوا على الأبلاغ بسرعة ولكن ليس بسرعة شديدة ، قبل ساعة أو ساعتيين من بدء العمليات في أغلب الأحيان .

كما استعرض تشينى قائمة الأهداف مع الرئيس ، للتحقيق من أن بوش يدرك كل النقاط التى قد تكون مثار جدال ، فهو يريد أن يكون الرئيس راضيا عن كل شىء .

وشعر الرئيس بالقلق بشأن مجموعة من الأهداف وطلب حذفها ، وتشمل هذه المجموعة تماثيل صدام وأقواس النصر التى تعتقد أنها قيمة نفسية كبيرة للشعب العراقى كرموز وطنية .

* * *

صباح يوم الاثنين ١٤ يناير قضى تشينى وباول ساعة في مركز العمليات الامنية الخاصة حيث استعرضا أهداف الحملة الجوية مرة أخيرة . وكانت قوات المهام الخاصة التى تتألف من مئات من ضباط المخابرات والمخططين قد نسقت كل المعلومات – صور الأقمار الصناعية والاتصالات التي اعترضت وكل شىء آخر متاح – للتحقق من توجيه ضربة قاصمة لاتصالات صدام ودفاعاته الجوية في الأربع والعشرين ساعة الأولي . وفيما بعد ذلك ستصبح الحملة الجوية قوة مدمرة تضعف جهاز الحرب العراقي يوما بعد يوم .

ودعا بوش ماكبيك رئيس أركان القوات الجوية وتشينى وسكاوكروفت على الغداء في ذلك اليوم في جناحه في البيت الأبيض . كان ماكبيك قد عاد لتوه من

زيارة لمدة عشرة أيام لوحدات القوات الجوية في الخليج ، وأراد بوش - الذى كان من طياري الأسطول في الحرب العالمية الثانية - معلومات مباشرة .

كان ماكبيك لايزال يشعر بأن من الممكن أداء العملية بقوات أقل كثيرا وهو يؤمن بالقوات الجوية قدر ايمان الجنرال السابق دوجان ، ويحس بأن الأسلحة الأخرى قد بالغت في انتشارها . فمشاة البحرية مستعدون لأن يقيموا نصبا تذكاريا آخر لرفاقهم الموتى . والأسطول لايحتاج الى ست حاملات طائرات لهذا العملية ، ومن المؤكد أن الجيش لم يكن بحاجة الى الفيلق السابع . وستكون هناك حاجة الى القوات البرية حتى يستطيع شخص ما أن يدخل الى مكتب صدام حاملا حربة ويجبره على توقيع أوراق الاستسلام ، لا أكثر من ذلك كثيرا لكن ماكبيك أمسك لسانه ، فقد أدرك بسرعة مبدأ باول القائم على أقصى قوة ، ولم يكن ليناقش ذلك .

وقال رئيس أركان القوات الجوية لبوش انه يقنع باستعداد سلاحه فقد زار ١٦ من القوات الجوية في الخليج ، وحضر مع الأطقم الجوية تدريبات متقنة فوق الصحراء السعودية . حيث أقيمت طرق تماثل المسافات والظروف التى ستواجهها الأطقم داخل العراق .

وقال ماكبيك لبوش " ان هؤلاء الفتيان على استعداد للمضي ، لقد كنت هناك ، وطرت معهم ، وهم ممتازون ، وفي قمة استعدادهم " . وقال انه إذا قرر الرئيس شن الهجوم فان توصيته هى أن يتم ذلك بأسرع مايمكن بعد يوم ١٥ يناير . وأضاف أنه في الأسابيع الأولى لنشر القوات في أغسطس كان هناك الكثير من عبارات مثل " سنقطع رأسه " وما الى ذلك . أما الأن فلسيت هناك أى جعجعة . فالطيارون هادئون باردون ، وهذا مايذكر برجال المدفعية المجربين في فيلم " شين " ، الذين يعرفون إنه سيكون هناك اطلاق للنيران ، لكنهم لايتلهفون

على ذلك .

وطلب بوش التفاصيل .

قال ماكبيك لقد ذهبت في طلعة لأربع طائرات اف - ١٥ ، وطرت في الطائرة الثانية التى يضعون فيها عادة الطيار الضعيف ، وخرجنا في ست طلعات حاملين قنابل حية زنة ٢٠٠٠ رطل ، وقلدت ظروف القتال ، وأسكتت أجهزة اللاسلكى ، لقد طرنا في أرمادا مع طائرة تشويش اليكتروني وطائرات للتزويد بالوقود ، وكنا أشبه بفيلم " حرب النجوم ".

وقال لبوش ان الطياريين لايستطيعون تحمل مزيد من التعطيل ، فأى تأخير كبير عن الغد سيفرغ بالوناتهم النفسية ، وسيكون أمراً مدمرا .

واستدعى قادة الكونجرس بعد ذلك فى اليوم نفسه لاجتماع عاجل فى البيت الأبيض . وحين سئل متى ستهاجم الولايات المتحدة رد قائلا " عاجلا لا آجلا ".

وفى ساعة متأخرة بعد الظهر توجه بيكر وبوب كيميت الى البنتاجون ، وقضيا ساعة في مركز العمليات الفنية الخاصة يستعرضان الأهداف ، فقد أراد تشينى أن يلقى بيكر نظرة سياسية على الحملة ، حتى يكتشف أى آثار غير متوقعة . ولم تجرأى تغييرات أخرى في قائمة الأهداف .

* * *

تحدث بوش هاتفيا مع بيكر في الساعة السادسة والنصف صباح الثلاثاء ١٥ يناير ، ثم مضى فى جولة منفردة على قدميه في المرج الجنوبى في البيت الأبيض واتصل بوش برجلي دين ذلك الصباح ، أحدهما الأسقف ادموند براوننج رئيس كنيسة بوش ، وكبير أساقفة الكنيسية الانجليكية . وكان قد أقام صلاة من

أجل السلام في الليلة الماضية خارج البيت الأبيض .

كما اتصل بوش بقس مجلس الشيوخ الأب ريتشاردس هالفرسون الذى انضم اليه في صلاة من أجل البلاد.

وفى العاشرة والنصف صباحا اجتمع بوش في المكتب البيضاوى بمجلس الداخلى كويل وبيكر وتشينى وسكاوكروفت وباول وسونونو وجتيز . وكان أمام بوش مشروع توجيه الأمن القومي بالغ السرية الذى يتألف من صفحتين .

وكان المشروع قد عدل ليتضمن شرطين ، فأصبح الآن يصرح بتنفيذ عملية عاصفة الصحراء بشرط : الا يكون هناك تقدم دبلوماسي في اللحظة الأخيرة . (٢) أن يكون الكونجرس قد أخطر بشكل سليم . وعرضت الوثيقة أساسا حجج الادارة في شن الهجوم سريعا عقب التاريخ المحدد . وذكرت أن سياسة الولايات المتحدة هى دفع العراق الى ترك الكويت ، وأن كل الوسائل السلمية بما فيها الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية وقرارات الأمم المتحدة قد فشلت في اقناع العراق بالانسحاب ، وأن الانتظار قد يكون مدمرا للمصالح الأمريكية لأن العراق يواصل ارسال قوات اضافية الى مسرح العمليات في الكويت ، وفي الكويت المحتلة ، ويواصل نهب الكويت واضطهاد شعبها . ولا بد من مهاجمة الجيش العراقى للدفاع عن القوات الأمريكية وقوات التحالف . كما أوصى بتقليل الخسائر والأضرار المدنية في العراق الى أدنى حد مع حماية القوات الصديقة ، وضرورة حماية الأماكن الاسلامية المقدسة .

ووقع الرئيس التوجيه ، الذى ترك عمدا دون تأريخ ، على أن يضاف التاريخ والموعد عند استيفاء الشرطين .

وصرح بوش لتشينى بتوقيع أمر تنفيذى رسمى وارساله الى شوارزكوف في اليوم نفسه .

ومضى تشينى لتناول الغداء مع أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين ، وفي اجتماع منفصل مع أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين سئل " حين ينقضى الموعد ، هل تنتظرون أم ستتصرفون بسرعة ؟" .

كان أمان العملية أبرز ما في ذهن تشيني ، لكنه لم يرد أن يضللهم فأجاب " عاجلا لا آجلا " ، مستخدما العبارة التى استخدمها بوش في اليوم السابق وهو يتحدث مع قادة الكونجرس .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر عاد تشيني الى مكتبه ، ووصل باول ومعه ملف سرى للغاية يحوى الأمر التنفيذى . وكان رئيس الأركان قد كتبه بنفسه وراجعه مع تشيني وأوضحت الصفحة الأولى برتقالية اللون أن الامر يصرح للجنرال شوارزكوف بتنفيذ عاصفة الصحراء وفقا للامر التحذيرى الصادر في ٢٩ ديسمبر .

ولو كان هذا أمر تنفيذيا عاديا لاكتفى تشينى بتوقيعه بالحروف الأولى من اسمه ليبين أنه أقره ، ومن ثم كان بوسع باول أن يرسله رسميا ، بحكم مسئوليته عن الاتصالات بين الوزير ورؤساء الأركان .

لكن الرجلين كانا يعرفان أن هذه وثيقة تاريخية ، فوقعاها باسمهما الكاملين .

وأرسل باول نسخة بالفاكس على دائرة الفاكس بالغة السرية بحيث لا يراها سوى شوارزكوف وحده ، وخلال ٢٦ ساعة ستتحول عملية درع الصحراء الى عاصفة الصحراء .

وحتى ذلك الحين كان باول قد أبقى القرار سرا على هيئة مكتبه . لكنه الآن استدعى توم كيلي وقال له ستبدأ الحرب مساء الغد ، فسيكون كيلي - الميجور -

الصحفي السابق – هو ضابط الاعلام اليومي للصرف في البنتاجون ، كما كان أثناء عملية بنما ، ولا يستطيع أحد أن يعرف كم مؤتمرا صحفيا سيطلب منه في اليوم . وأعطاه باول تعليمات بأن يجيب على الأسئلة ، ولكن دون أن يثير أى أنباء

أجابه كيلي نعم ، ورغم أن كيلى لم يكن يعرف يقينا فقد اقتنع أثناء الأسابيع الأخيرة بأن حربا ستنشب ، فالمخابرات تبين أن صدام يستعد ، وهو مازال يوسع تحصيناته ، ويحفر الخنادق ، ويرسل مزيدا من القوات ، وهناك الآن نفط أكثر في الخنادق العراقية لحرق الدبابات الامريكية ، وأسلاك شائكة أكثر ، وألغام أكثر ، ومخابىء حصنية أكثر . وقد دهش كيلي لآمال صدام البادية ، وإذ يبدو أنه يعتقد أن الولايات المتحدة تخطط لكى تصبح هذه حربا ايرانية – عراقية أخرى ، حيث ظل جيشان جاهلان يلقيان بأنفسهما مباشرة في دفاعات أحدهما الآخر طيلة ثمانى سنوات ودار بخلد كيلى ، تصور ماذا يمكن أن يعتقد صدام وجنرالاته لو أنهم ألقوا نظرة على كتيب دليل العمليات في الجيش الأمريكي ، بتركيزه على حرب المناورة .

ودهش كيلي من هدوء البنتاجون ، وقد بدا له أن عملية بنما كانت أكثر صخبا ، لكن هناك وجه شبه ببنما ، فحتى مع شهور الاستعداد ، والمزايا التى لاتحصى للولايات المتحدة وقوات التحالف ، فانه مازال غير واثق من أنه لن تحدث مفاجأة .. لقد أستولى عليه خوفه القديم من الفشل .

وجاء الأمير بندر لزيارة تشينى بعد ظهر ذلك اليوم

سأله بندر " أما من كلمة ؟ هل نحن على بعد أيام أم أسابيع ؟"

وابتسم تشينى بخبث وقال يبدو أنه أسبوع طيب

وفسر بندر هذه العبارة بأنها تعنى سريعا .. لكنه حين استرجع المحادثة

فيما بعد لم يعد على ثقة .

* * *

بعد كثير من الاجتماعات والمشاورات مع وسائل الاعلام وضع بيت ويليامز في ذلك اليوم القواعد الاساسية عند نشوب معارك فى الخليج الفارسي . وتحظر هذه القواعد الأثنتى عشرة ، المدونة في ورقة واحدة ، نشر أو اذاعة معلومات محددة تريد الوزارة ابقاءها سرا ، بما في ذلك أعداد القوات والطائرات والأسلحة والمعدات والامدادات ، والخطط والعمليات المقبلة ، ومواقع القوات ، والتاكتيكات . وتضع تقارير المعارك مجموعة من الصحفيين تعمل معا ، ويخضع عملها لمراجعة أمنية قبل اصداره ، ولايسمح لصحفي بالتحرك بحرية في مناطق القتال كما كان الشأن في ڤتنام .

وكان كيلي معجبا بالطريقة التى أحكم بها باول نصيبه من عملية درع الصحراء التخطيط واتخاذ القرارات ، فكثير من العمل الحقيقي الذى لايتم في البيت الأبيض كان يجرى على " الهاتف السحرى " وهو آخر جيل من الهواتف المأمونة ، ولايربط إلا الرئيس ونائب الرئيس وسكاوكروفت وسونونو وبيكر وتشينى وباول ورؤساء الأركان بما فيهم شوارزكوف . وكان جهاز باول الأبيض الكبير الذى يربطه بهذه الشبكة يشغل مكانا بارزا على حامل فوق مكتبه ، وقد استخدم هذا الجهاز استخداما واسعا مؤكدا أنه رجل اتصال العسكريين في واشنطون بالمدنيين . وكان شوارزكوف يقوم بالدور نفسه فى العربية السعودية مستخدمة خطه " السحري " .

وتجنبا لتكرار الكابوس العسكرى الذى حدث فى ڤيتنام - حيث كان الرئيس ليندون جونسون يعكف على الخرائط فى البيت الأبيض ليرسم دوائر على أهداف محددة - فقد أبقى باول كثيرا من المعلومات عن أهداف القصف بعيدا

عن واشنطون بقدر الامكان ، بل ان أحدث قائمة لأهداف الضربة الجوية في اليوم الأول لم تكن فى متناول كيلى أو هيئة مكتبه ، وأبلغ كيلي أنه سيتلقاها في اليوم التالى مع تقارير عما حدث ، ولن تأتى أوامر المهام الجوية اليومية ، التى توضح كل الضرابات الجوية المخططة ، الى واشنطون مقدما .

ورأى كيلى أن باول قد تعامل مع قادة الأسلحة بكفاءة ، فقد أبقاهم على علم حتى لايشعروا بأنهم خارج العملية ، لكنهم فى واقع الأمر لايكادون يلعبون دورا فى اتخاذ القرارات ، ويتأرجح تأثيرهم في مكان ما حول الصفر .

وساعد الجنرال فونو في جانب واحد هو التحقق من أن لدى شوارزكوف أحدث المعدات ، وأحيانا ماكان يجبره على قبولها ، فقد أصر فونو على أن ترسل ١٠٠٠ دبابة من أحدث الدبابات - إم ١ ايه ١ - الى وحدات الجيش التى كانت قد انتشرت بالفعل دون هذا النموذج الحديث . وعارض شوارزكوف في البداية لأنه أراد أن يتجنب اضطراب التحول الى معدات جديدة يكون على القوات أن تتعلم استخدامها . لكن الدبابات الجديدة عززت الفعالية القتالية وثقة الجنود ، فقد كان المدى الفعلى لدبابات إم ١ ايه ١ - نحو ضعف مدى أفضل الدبابات العراقية من طراز تى - ٧٢ ، وستجعل الولايات المتحدة أشبه بملاكم طول ذراعه ستة أقدام ، ووافق شوارزكوف على قبول الدبابات .

كما دفع رئيس أركان الجيش شوارزكوف الى قبول نظام استطلاع يسمى شبكة رادار المراقبة المشتركة لأهداف الهجوم ، وهو نظام جديد لم يختبر في المعارك ، ويمكنه اكتشاف تحركات الدبابات وغيرها من العربات البرية ، وتغطية الأرض بالطريقة التى تغطى بها طائرات الأواكس السماء . ووفرت وحدتا هذه الشبكة اللتان أرسلتا الى شوارزكوف صورة رادار كاملة للأرض على بعد ١٠٠ ميل داخل الكويت والعراق ، مما يكفل عمليا ألا تؤخذ القوات الأمريكية على غرة ،

أو ألا تربكها مناورات العراقيين .

* * *

في صباح اليوم التالى – ١٦ يناير – حزم تشينى حقيبة قبل أن يتوجه الى البنتاجون ، فقد كان يتوقع أن يقضى عدة ليال في مكتبه . وحتى لايوحى بشىء الى سائقه والى رجال الأمن ، قرر أن يترك حقيبته فى بيته ، حيث يمكنه أن يرسل سائقه لاحضارها مع اقتراب ساعة الصفر .

وفي الوقت الذى كان تشينى يصل فيه الى مكتبه كانت قاذفات بى – ٢ قد انطلقت من قاعدة باركسديل الجوية في لويزيانا في طريقها الى الخليج ، وكانت تزود بالوقود في الجو أثناء الثمانى عشرة ساعة التى تستغرقها فى الوصول الى اهدافها ... إن من الممكن استدعاء هذه الطائرات ، فالقرار لم يصل بعد الى نقطة اللاعودة وكان تشينى قد صفى جدول مواعيده ، دافعا بالميزانية وغيرها من الشئون الى نائبه دون آتوود ، والتقط وحدة " الريموت كونترول " اليدوية الخاصة بجهاز التليفزيون في مكتبه وفتحه على شبكة سى ان ان ، فهو يعتقد ان أول تسرب أو تلميح الى ان العملية الجوية بدأت سيرها قد يأتى من هذه الشبكة الاخبارية التى تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم .

كان الوزير يتساءل عن مدى جودة أداء القوات الأمريكية . وبأى تكلفة وأى مستوى من الاصابات ؟ وكان قد تلقى التقديرات التى أخرجتها مختلف نماذج الحاسبات الألكترونية ، لكنه استخلص أنها ليست اكثر من تخمينات ولم يكن يشعر بأى تشنج عصبى ، فالمسألة قد خرجت من يده .

* * *

استدعى بيكر بندر ذلك الصباح الى وزارة الخارجية ليخبره بأن العملية

تبدأ تلك الليلة :السابعة مساء هنا والثالثة صباحا في العربية السعودية .

* * *

واتصل بندر بالملك فهد حيث أخذا " يدردشان " بضع لحظات ، ثم قال وكأنه تذكر الأمر لتوه " ان صديقنا القديم سليمان سيصل في الساعة الثالثة صباحا ، وهو مريض وسأقوم بنقله ، وسيصل الى هناك في الثالثة صباحا ".

كان بندر يشعر بالدهشة إذا يبدو أن القوات الامريكية وقوات التحالف ستستطيع أن تحقق المفاجأة ، ولعل السبب فى ذلك - كما استخلص - هو أن الرسائل الموجهة إلى صدام كانت شديدة الاختلاط والتشويش طيلة شهور . ويبدوا أن چورچ بوش كان غير مفهوم لصدام حسين ، وشعر بندر أن السخرية الحقة هى أن الحرب قد قررها سوء الفهم الحضارى.

وفى الساعة الرابعة و ٥٠ دقيقة اقلعت طائرات اف - ١٥ النسر نحو هدفها ، أنها بدورها يمكن أن تستدعى ، وحلقت طائرات التزويد بالوقود ، وأخذت الحرب الجوية تقترب أكثر وأكثر من الحافة . ورأى تشيني أن أحدا من الصحفيين لم يلتقط شيئا فقد كان مراسلو الصحف مقيدين للغاية بالقواعد ، ولم يكن النشاط الجوى يزيد كثيرا عن الشهور السابقة ، بحيث بدا كل شىء وكانه عمل روتينى.

وكان البيت الأبيض قد أسند لتشينى مهمة ابلاغ الاسرائليين ، ولكن ليس بالقدر الذى يجعلهم أعضاء فعليين في التحالف ، وهى مهمة دقيقة ، فقد كان صدام قد وعد بمهاجمة اسرائيل بطريقة ما إذا هاجمه التحالف ، ومن حق الإسرائليين أن يتلقوا تحذيرا ، لكن أى مشاركة اسرائيلية فى الحرب ستكون لها انعكاسات سلبية فى العالم العربى ، وقد تضعف التحالف . ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر التقط تشينى سماعة خط "هامر ريك" ليعطى موشى أرينز

وزير الدفاع الإسرائيلى أو أخطار بأن الهجوم قد بدأ يشن.

* * *

في الساعة الخامسة والنصف أطلقت الطرادة الأمريكية من رتبة ايجيس "بانكر هيل" الموجودة فى الخليج الفارسى صاروخ توما هاك إلي هدفه المرسوم داخل العراق ، ان هذا الصاروخ الذى لا يقوده انسان لا يمكن استدعاؤه ، ولم تعد هناك رجعة الان.

كان نحو ٢٠ من صواريخ توما هاك قد برمجوا لاصابة قصر صدام حسين والبدالة الهاتفية الرئيسية ومحطات توليد الكهرباء فى بغداد فى ساعة الصفر واسند إلى تسع سفن من الأسطول الأمريكى اطلاق ١٠٦ صواريخ توما هاك فى الأربع والعشرين ساعة الأولى من الحرب . ولما لم تكن هذه الصواريخ قد استخدمت أبدا فى الحرب فقد حددت قاذفات من القوات الجوية لتساند قصف كل أهداف الصواريخ التوما هاك . وقد تشمل الحملة الجوية أكثر من ١٠٠٠ طلعة فى الأربع والعشرين ساعة الأولى ، ثم تتسع بعد ذلك.

وفى الساعة الخامسة واحدى وثلاثين دقيقة أطلقت البارجة ويسكونسين أول صواريخها التوما هوك.

وأرسلت وحدة معلومات مركبة فى ويسكونسين تقريرا عن الاطلاق الى شبكة انذار الطوارىء "كريتيك" المصممة لارسال رسالة سريعة حيثما ظهرت "مؤشرات قوية على قرب نشوب معارك من أى نوع" . وقد أقيمت شبكة "كريكيت" للتحقق من أن القوات الأمريكية على نطاق العالم كله ستتلقى انذارا فى أقرب وقت ممكن بالمعارك المحتملة ، وخاصة الهجوم من جانب الاتحاد السوفيتي . وكانت هذه الرسالة تتخطى كل الرسائل الأخرى ، وتدق أوتوماتيكيا أجراساً فى أجهزة البرق الكاتبة فى الاف القيادات عبر العالم.

قال كيلي "لماذا فعل هؤلاء الاغبياء ذلك .. لقد فعلها الأسطول مرة أخرى" . وأخطر باول بالأمر.

قال باول بينه وبين نفسه يا الهى اننا سنفجر أمن العملية بأنفسنا.

وأمرت ويسكونسين بالغاء الرسالة ، دفعت رسالة الالغاء بالسرعة نفسها ، ورجال الجيش ونسائه فى العالم يعرفون أن النبأ الأول عن أي حادث كثيرا ما يكون خاطئا ، ولذلك لم يسرع أحد بالاستنتاج ، وبقى أمن العملية سليما.

وأمر تشيني وباول بفصل شبكة "كريتيك" مؤقتا . وحاول باول أن يعرف منذا الذى كان من الغباء بحيث يشغلها حتى يفصلها.

وظل تشيني يشاهد السى ان . ان . كان المذيع برناردشو فى بغداد يجرى حديثا مع والتر كرونكايت مذيع السى بى اس السابق فى نيويورك عن تغطية الحرب ، وكان كرونكايت يذكر خبرته التى ترجع إلى الحرب العالمية الثانية . وقال شو انه توجه إلى بغداد لاجراء حديث مع صدام ، لكنه لم ينجح فى ترتيب المقابلة ، ولذلك فسيغادر بغداد على طائرة بعد ظهر الغد.

وكان تشينى يعرف أنه لن تكون هناك أى طائرات بعد ظهر الغد ، وأحس بشعور غريب وهو يشاهد هذه المحادثة ويعرف أن مئات طائرات الهجوم في طريقها الى الكويت والعراق ، دون علم وسائل الاعلام وكل الأمريكيين تقريبا.

ومع اقتراب ساعة الصفر ارسل الوزير سائقه إلى شارع ماكلين لاحضار حقيبته ، وأرسل بعض عاملى المكتب لاحضار بعض الطعام الصينى.

(٢٥)

قلق وتوتر ولحظات عصيبة

فى انتظار ساعة الصفر

لم يشأ باول أن يسهر حتى الصباح فى مركز العمليات فى الطابق الأسفل ، كان هذا هو ما فعله أثناء غزو بنما إذا شغل هو وتشيني مركزى القيادة على المائدة الوسطى ، أما الآن فان تشينى فى مكتبه فى الطابق الأعلى ، و هو باق في مكتبه طيلة الساعة أو نحوها قبل أن تحل الساعة السابعة مساء.

وجلس باول علي مقعده الجلدى الكبير ذى اللون القرمزى . كان وحيدا. وفى آخر حديث له مع شوارزكوف فى ساعة سابقة من ذلك اليوم علي الهاتف المأمون قال باول "حظا سعيدا يا نودم" .. والبيت الأبيض يبدو راضيا.

وكما حدث في حالة بنما شعر باول أنه قد أعد الرئيس بالدرجة الكافية ، فقد قال له أن أمورا سيئة ستحدث يا سيدى الرئيس ، وستكون هناك أنباء سيئة ، وتتفجر أمور فى وجوهنا ، وستشعر بالاغراء لأن تمديدك ، وتحاول أن تحل المشكلات بنفسك .... وستشحن بالجراح ، ويهاجمك الناس في التليفزيون . وسيستمر هذا بعض الوقت ، وكلما تركتنا نحن نشق طريقنا كمحترفين عسكريين كان ذلك أفضل.

ورغم كل قوة النيران ، والسرعة والعنف المتوقعين ، فقد عمل باول جاهدا مع شوارزكوف للتأكد من قدر من ضبط النفس في الهجوم ، فلابد من تقليل الأضرار الجانبية إلى حدها الأدني ، فمن بين ستة جسور داخل حدود مدينة بغداد لن تهاجم الحملة الجوية - بناء على الحاح باول - سوي جسرين ، وتترك أربعة جسور قائمة ، فقد كان باول مقتنعا بأنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تلحق بالعراق هزيمة كاملة وتتركه بلا قدرة على الدفاع عن نفسه ، ومن ثم فلابد من ابقاء بعض الدبابات وجزء من الجيش العراقى سليما ... لقد أطلع بيكر وأجاب علي أسئلة تشيني ، وهيئة الأركان المشتركة هادئة ، فالرؤساء - أو "الأشقاء الستة" كما أصبح يسميهم - على اتفاق.

وقاعدة باول الثامنة تقول "تحقق من الأشياء الصغيرة" ، ولم تبق واحدة منها ، والدقائق تمر . ووجد نفسه يستعرض في ذهنه الأهداف المحددة فى قائمة الأهداف . هل هذا هدف جيد ؟ هل هذا هدف سيء ؟ هل نقصف هذا الهدف بصاروخ توما هوك أم نرسل طائرة تى - ١٥ اى ؟ أو الأثنين معا ؟ أو لا نرسل شيئا ؟ كان يعرف أن الأهداف قد بحثت مرة بعد الأخرى ... ولابد له أن يكف عن التفكير.

ودار بخلده أن هذه هى النهاية ، وتثبت فى ذهنه تشبيهات بألعاب القمار البوكر . ان الرهان كبير ، فهم يستخدمون كل مزاياهم - التكنولجيا ، المخابرات الأرقى ، خطة تبدو محكمة تقريبا . وكل الاحتمالات فى صفه ، ويكاد الأمريكيون مؤكدا ، لكنه يعرف انه ما زالت هناك - كما فى البوكر - أشياء غير متوقعة.

لعبة الكرابز . البلاد على المائدة وزهر الطاولة قد ألقى ... وتلك هي لحظة الانتظار ، فالزهر في الهواء ، وسرعان ما سيسقط فوق غطاء المائدة ويصل إلى الطرف البعيد ، ليصطدم ثم يستقر فجأة.

لعبة البلياردو ... لقد كتب ووضع تحت زجاج مكتبة عبارة من فيلم "المحتال" "فاست إيدى ، دعنا نلعب البلياردو" ... انها لحظة المواجهة.

ومن بين الحكم الأخري التى وضعها تحت زجاج مكتبه "لا تدعهم أبدا يرونك وأنت تتصبب عرقا".

غير أنه فى هذه اللحظة كان يتصبب عرقا ، فما زال بوسع صدام أن يقوم بعمل مثير ما ، ففى بضع دقائق يمكن للقائد العراقى أن يبعث برسالة استسلام سريعة ، وقد يوقف العملية بأسرها . وما زال باول مقتنعا بأن صدام لم يرد الحرب ولا يستطيع أو ينبغى له أن يريدها . لقد أساء صدام فهم التصميم الأمريكى ، ومن المؤكد أنه لم يدرك حجم اللطمة التي يمكن أن توجه له.

وتساءل باول كيف يمكن لنا أن نحافظ على أمان العمليات ؟ لقد أصبحوا يتقنون المحافظة علي الأسرار ، ولكن إلى أى حد ؟ ربما كانت العملية قد انفضحت ؟ هذا أمر غير محتمل بل ربما مستحيل ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يثق كل الثقة.

وتوقع باول أن تستمر الحملة الجوية ثلاثة أسابيع . وبعد ذلك سيكون على التحالف أن يأخذ المبادرة من صدام ، فالحرب البرية حتمية ، وعند التفكير في الحرب البرية وجد نفسه وقد انتابه القلق على مشاة البحرية ، فهم الذين سيقومون بالمهمة الصعبة ، ويشقون طريقهم عبر التحصينات الأمامية ... يا ألهى ، قد نخسر كثيرا من مشاة البحرية ، أما القوات البرية التي ستقوم بعملية التفاف فستكون فى وضع أمن.

كان يمكن أن يتصور أن هذا هو أهم يوم فى حياته ، لقد قضى أكثر من ٣٢ سنة فى الجيش ، وهو الآن الرجل العسكرى - الأول عشية حرب كبيرة . لكن اليوم لا يبدو كذلك . وعادت إلى ذهنه عبارة روبرت إ . لى القديمة : "من

حسن الحظ أن الحرب رهيبة والا لافتتنا بها" . كان لى يشهد مذبحة قوات الاتحاد المعادية فى فريد ريكسبورج عام ١٨٦٢ . لكم يحب العسكريون الاعداد للحرب ، فمن البنتاجون تبدو الحرب أحيانا لعبة كبيرة ، ولو لم يكن هناك أناس يموتون لكانت تسلية عظيمة . وكان عليه أن يذكرّ نفسه دائما بأن الامر حقيقى وليس لعبة . ان الجمهور والعالم لن يروا إلا صورة محدودة ومعقمة إلى حد لا يصدق من الحرب ، فستبقى وسائل الاعلام بعيدا ، وحتى صور الفيديو من كاميرات المدافع فى القاذفات والتى تصور الهجمات ستتشوه قبل أن تعرض علي الجمهور ، ويحذف الصوت فى أغلب الحالات حتى لا تظهر صيحات الطيارين العصبية" . "اللعنة" أو غيرها من العبارات التي ستحذف . ولن يسمع الجمهور أصوات الطيارين المتفجرة وهم ينفسون عن أنفسهم إذ يشعرون بضغط أردية الجاذبية ورعب القتال.

انه ينظر إلى القوات والطيارين كفتيان ، بل حتي مراهقين ، وسيطيرون فى الظلمة ، أو ينزلون خلف الخطوط لاكتشاف الأهداف . وسينهى الأمر إلى فتى أمريكي يواجه فتى عراقيا ، وكلاهما يريد أن يعيش.

أحس باول بالتوجس والقشعريرة .. أن الحرب فى أيدى هولاء الفتية ، وأن هم فشلوا فسيعنى هذا أن باول والجنرالات - الكبار - لم يؤدوا عملهم بالاتقان الكافى هذا هو كل ما فى الأمر.

وستمر ساعات قبل أن يعرف باول ماذا حدث ، فشوارزكوف يحمل الآن عبء ميدان القتال ، ولن يكون ابلاغ واشنطون أحد أولو ياته.

كان باول لا يزال وحيدا . وكل شىء هادىء فى مكتب رئيس الأركان ولا أحد يعرف أو لديه فكرة حقيقية عن عدد الأمريكيين الذين سيلقون مصرعهم فى الحرب وقد قدر بعض كبار الضباط فى هيئة الأركان المشتركة سرا أن من

سيقتلون أثناء المعارك فى الجانب الأمريكى سيبلغون الألف . غير أنه ليس هناك تقدير دقيق ، وبالطبع فقد يكون العدد أكبر ، وهو يعرف أنهم سيخسرون البعض ، لكنه يأمل ألا يكونوا كثيرين.

وكانت ثمة فكرة ملحة على ذهنه في هذا اليوم الذى هو أهم أيام حياته .. لم تكن هناك هتافات ، ولا نشوة ولا لهفة ، ولا حمى قتال . ولم تشتعل أي من انفعالات الحرب . لم يكن يفكر سوى فى شىء واحد : "كم عدد من لم يعودوا ؟".

عبر الحدود مع العراق كانت الساعة الثالثة صباحا تقريبا ، وطائرة هليكوبتر أباش تابعة للجيش الأمريكى على بعد ١٢ كيلو مترا من محطة توليد الكهرباء عند مواقع أحد أجهزة رادار الدفاع الجوى العراقى التى تحمى بغداد . سيكون هذا هو أول هدف فى الحرب . وكان بوسع الطيار أن يرى المبنى خلال نظارات الأشعة دون الحمراء ، وكأنه مربع صغير يرقص فى الأفق ، وبينت معداته أن الوقت الذى يستغرقه وصول صاروخه "الهيلفاير" إلى هدفه هو ٢٠ ثانية ، وأطلق الصاروخ صائحا "هذا لك يا صدام" . وأخذ الجهاز يعد الثوانى ، وهو يرى على الشاشة الصاروخ يصل فوق المبنى ثم يسقط كأنه صخرة . وتحول المربع الصغير إلى انفجار ملأ شاشة راداره فجأة.

فى البيت الأبيض تجمع بوش وكويل وسكاوكروفت وسونونو فى المكتب الخاص الصغير الملحق بالمكتب البيضاوى ليشاهدوا التليفزيون . وحين علت أصوات القنابل خلف أصوات الصحفيين الذين ما زالوا فى غرف فنادقهم فى بغداد قال بوش وقد تنفس الصعداء بوضوح "تماما فى الموعد المحدد".

استمرت حرب الخليج ٤٢ يوما ، واستغرقت المراحل الجوية الثلاث ٣٨ يوما ، والحرب البرية أربعة أيام ، قبل أن يعلن بوش وقف اطلاق النار . واجتاحت القوات الأمريكية وقوات التحالف الكويت وجنوب العراق ، وحطمت جيش صدام ،

وأستأصلت الحرس الجمهورى ، وأملت شروط السلام ، وقتلت عشرات الآلات من العراقيين ... لقد تحررت الكويت ، وكانت الخسائر الأمريكية سبعة فقدوا فى القتال و ١٣٧ قتلوا أثناء المعارك.

* * *

الفهـــــرس

الصفحة

الفهـــــــرس	الصفحة

الصفحة	الفهـــــرس	

رقم الايداع ١٠٠٤٣ / ١٩٩١
I.S.B.N.
977 - 208 - 075 - 3



القـــادة

أساليب اتخاذ القرار العسكرى وطريقة ترشيح واختيار القادة

كان هذا هو الوضع عموما فى الشهور التي سبقت عملية بنما ، وان كان الرئيس – باعتباره القائد الأعلى هو الذى إتخذ فى النهاية قرار الغزو .

لكن أزمة الخليج الفارسي كانت مختلفة ، فقد كرس الرئيس بوش وعاملوه فى البيت الأبيض اهتماما كبيرا لها منذ البداية ، وأداروا الأزمة من شارع بنسلفانيا ، وحين يشترك الرئيس ومستشاروه فانهم هم الذين يديرون العرض .

ومن ثم فان هذا ليس كتابا عن البنتاجون ، وان كان المبنى والعسكريون يلعبون أدوارا رئيسية فيه وليس هذا الكتاب عن معظم الأشياء التى يقوم بها العسكريون ، فهو ليس عن شراء الأسلحة ، أو معارك ميزانية الدفاع ، أو التجنيد أو التدريب أو المناورات العسكرية الميدانية . وهى لايمس – الا باستثناءات نادرة وموجزة – الطريقة التى خاض بها الجيش فعلا حروب السنوات القليلة الأخيرة . وهو لن يأخذك في طائرات الهليوكبتر الهابطة فى مدينة بنما ، ولا الى معارك الدبابات الصحراوية فى العراق والكويت .

وانما هو فى المقام الأول كتاب عن كيف تقرر الولايات المتحدة خوض حروبها قبل أن ينطلق الرصاص . والمسرح الرئيسى هو واشنطون ، والفعل الرئيسى هو الدفع والجذب بين اللاعبين الأطراف فى عملية اتخاذ القرار ، سواء داخل البنتاجون أو خارجه .

وإتخاذ القرار على أعلى مستويات الحكومة الوطنية تفاعل انسانى معقد . والقصة الداخلية للحكومة تحوى محادثات وحججا واجتماعات ومكالمات هاتفية ومواقفا شخصية وخلفيات وعلاقات . وهذه القصة الإنسانية هى قلب الكتاب

مكتبة مدبولى